


فوائد الارتحال ونتائج السفر

في

أخبار القرن الحادي عشر

تأليف

العلامة مصطفى بن فتح الله الحموي

المتوفى سنة ١١٢٣ هـ

رحمه الله تعالى

المجلد الخامس

تحقيق

عبد الله محمد الكندري

دار النوادر ®







بسم الله الرحمن الرحيم







دار النوادر ®

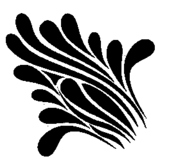
فوائد الارتحال ونتائج السفر

في

أخبار القرن الحادي عشر

(٥)




الطَّبْعَةُ الأُولَى
١٤٣٢هـ - ٢٠١١م

ردمك : ٩٧٨ - ٩٩٣٣ - ٤١٨ - ٩٤ - ٦ : ISBN



9789933418946



سورية - لبنان - الكويت

مُؤسَّسة دار النوادر م. ف - سورية * شركة دار النوادر اللبنانية ش. م. م - لبنان * شركة دار النوادر الكويتية ذ. م. م - الكويت

سورية - دمشق - ص. ب : ٣٤٣٠٦ - هاتف : ٢٢٢٧٠٠١ - فاكس : ٢٢٢٧٠١١ (٠٠٩٦٣١١)

لبنان - بيروت - ص. ب : ١٤/٥١٨٠ - هاتف : ٦٥٢٥٢٨ - فاكس : ٦٥٢٥٢٩ (٠٠٩٦١١)

الكويت - الصالحية - برج السحاب - ص. ب : ٤٣١٦ حولي - الرمز البريدي : ٣٢٠٤٦

هاتف : ٢٢٢٧٣٧٢٥ - فاكس : ٢٢٢٧٣٧٢٦ (٠٠٩٦٥)

www.daralnawader.com info@daralnawader.com

أسسها سنة : ١٤٢٦هـ - ٢٠٠٦م نور الدين طالب المدير العام والرئيس التنفيذي







تابع
حرف العين المهملة

[١٢٧٦] عبد الرحمن شيخ الإسلام ابن شيخ الإسلام عماد الدين محمد ابن محمد البقاعي الإ. . .[١] الشهير بالعمادي الحنفي[٢].

مفتي دمشق، محيي من رسوم العلوم والمدارس، كلَّ داثرٍ بها ودارس، ووارث العلوم عن آبائه، والمقتفي لآثار أسلافه، والمنفرد في عصره بجميع الفنون، وعالم الربع المسكون.

وُلد بدمشق، ونشأ بها، وأخذ عن والده، ومن عاصره من علماء بلده.

وتملك جواهر العلوم، وأشرقت بالشام شموس علومه، وتقلد جيدُ كماله بعقود المنثور والمنظوم، وصافاه دهره، وانتهت إليه الرياسة، فانهمك في بث العلوم، وصرف إليها حواسه، وأخذ عنه أكابر علماء دمشق وما والاها، وقُصد بالفتاوى الدقيقة من أقصى البلاد وأدناها.

وألـف مؤلفاتٍ مفيـدةً شهيرةً، منها: «حاشيةٌ على تفسير العلامة أبي

---

(١) بياض في أصل المخطوط.

(٢) «سلافة العصر» لابن معصوم (٣٦٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٨٠)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٣٢٢).

السعود»، و«منسكٌ لطيفٌ»، وفتاوى جليلة، ورسائل كثيرة.

توفي ـ رحمه الله ـ بدمشق، عام خمسين بعد الألف.

ومن بديع أشعاره، التي تدل على رسوخ قدمه في المعارف الإلهية، وشهوده للوحدة الذاتية قوله:

سـأطمسُ آثـارًا هـوايَ أثارَهـا ... وأنفضُ من ذيلِ التصابي غبارَهـا

لقد آنَ صحوي من سُلافِ صبابة ... فقد طالما خامرتُ جهلاً خمارَها

هجرتُ الهوى والزهرَ حتى اشتياقَه ... وطيبَ ليالي اللهو حتى ادِّكارَهـا

وعفيت سبلَ الهزلِ بالجدِّ مقلعًـا ... وعِفْـتُ مسراتٍ جنيـتُ ثمارَهـا

أثـامٌ كُفيـتُ اليـومَ بـالتركِ شَـرَّها ... لعلِّي غدًا في الحشر أُكفى شَـرارَها

قطفتُ أزاهيرَ الصبابةِ في الصِّبا ... وقد صارَ عـارًا أن أشـمَّ عَرارَهـا

فلو صائداتُ القلبِ أقبلْنَ كالمهـا ... وقَـبَّلْنَ رأسـي مـا قبلْـتُ مزارَهـا

وقد كنتُ أودعت الحجا فاستردَّه ... إلى النفسِ شَيْب قد أعادَ وقارَهـا

وكـان شـبابي شـبَّ نـارَ صبابتي ... فمذ لاح نورُ الشيبِ أخمدَ نارَهـا

تـرى شـيبتي مـا عـذرها لـشبيبتي ... وقد سبقتْ قبلَ الكمـالِ عـذارَها

تبـسَّمَ ثغـرُ الـشعر فيهـا تعجبًـا ... لها إذ رأى ليـلَ الـشباب نهارَهـا

فمـا زار وكـر الـشعر فيهـا غرابـة ... ولا دارَ حتى استوطنَ البازُ دارَها

عـسى الآنَ عمَّـا قـد عثـرت إنابـة ... يقيلُ بهـا للـنفس رَبِّـي عِثارَهـا

عـسى رحمـةٌ أو نظـرةٌ أو عنايـة ... يتمُّ سـعودي فـي صـعودٍ منارَهـا

عسى نفحةٌ من نـور نـور معـارفٍ ... تهـبُّ فتختـار الفـؤاد قرارَهـا

ويشرح صدري نورُ علـمٍ مقـدسٍ ... يرينـي أسـرارَ العلـوم جهارَهـا
وأمـنح ألطافًـا مـن الأنـس أبتغـي ... خفاها ويأبى الوجد إلا اشتهارَها
ويكشف عن عيني البصيرة حُجْبَها ... بـأنوارِ عرفـانٍ تُـزيح اسـتتارَها
فيظهـر لـي سـرُّ الحقيقـةِ مـشرقًا ... على ظُلَمِ الكون التي قـد أنارَهـا
فأحظى بحالاتٍ من القرب أبتغي ... بـدنيا وأخـرى فـضلَها وفخارَهـا
ولطف إلهـي قطـب دائـرة المنـى ... فـإن عليـه فـي العطـاء مـدارَها

وقوله عند رجوعه من الحج:

زورةٌ للنبـيِّ والبيـتِ والوقـ ... ـفة والنحـر فـي منًى يـومُ عيـدِ
نِعَمٌ قـصرت قـوى الـشكر عليهـا ... لـم تُيَـسَّرْ إلا لكـلِّ سـعيدِ
فزتُ بـدءاً بهـا وعَـوْداً مـع الأهـ ... ـل فحمـد المبـدئ ومعيـدِ

وقوله:

تركتنـا لـواحظُ التـركِ قتلـى ... ضـيقُها أوسـعَ القلـوبَ جراحـا
حين شَحَّتْ بالوصلِ سَحَّتْ عيـوني ... ليت هذا السماحَ يُعدي الشِّحاحا

وكتب إلى العلامة أحمد المقري قوله:

شـمسُ هُـدًى أطلَعَهـا مغـربُ ... وطـار عنقـاء بهـا مُغـرِبُ[1]

---

(١) جاء في الحاشية: «مكتوبٌ أمام هذا البيت (تكتب مع جوابها)، وترك صفحةً وأربعة أسطرٍ بياض».

[١٢٧٧] عبد الرحيم بن محمود بن أبي الفتح الأسطواني الحنبلي(١).

رئيس المؤذنين بالجامع الأموي، كان فاضلاً أديباً، لطيف الذات، حسن الصوت، انقطع لخدمة الشيخ المربي محمد بن سعد الدين الجباوي، وكان أمثلَ جماعته، وكان ممن يتجمل بـه في المجالس، وسافر معه إلى الحج، ولزيارة بيت المقدس، وإلى حلب لما ذهب مع جماعةٍ إلى الوزير مراد باشا، في الشكاية على ابن معن؛ لمداخلته لابن جانبولاد في حركته.

وكان للناس عليه إقبالٌ تامٌّ، محبَّباً إليهم، معظَّماً عندهم.

توفي شهيداً بعلة البطن، آخر يوم الجمعة، ختام ذي القعدة، سنة اثنتين وعشرين بعـد الألـف، ودفـن يوم السبت، على أبيـه، بتربـةٍ شرقي الطريق الفاصل بين التربتين، بباب الفراديس ـ رحمه الله ـ.

[١٢٧٨] عبد الرحيم ابن الشيخ الصديق الزبيدي.

الولي الزاهد، العارف بالله، **توفي** سنة ست وسبعين بعد الألف.

[١٢٧٩] عبد الرحيم بن عبد الباقي بن حسين بن أبي بكر بن إبراهيم بن داود النزيلي، صاحب المحويت، من جبل تيس بكوكبان، الإمام العلامـة، أبو محمد، شيخ الإسلام.

محيي مآثر العلم، رحل لطلبه مراراً، فقرأ علم الأدب بذي مَرْمر على السيد علي ابن الإمـام شرف الدين، ثم رحل في شبيبته إلى مكة، سنة ست وسبعين وتسع مئة، لطلب العلم، وأخذ بها الحديث عن علي بن أحمد بن

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥١٠) (١٩٣).

علي القلعي محدثِ الحرمين، فقرأ عليه «الجامع الصغير وذيله» المحتويين على ثمانية عشر ألف حديث، وألَّف ثمةَ «شرح تائية السبكي».

ثم رجع إلى بلده، فتوفي والده، ونشر بها العلوم، وانتهت إليه الرياسة بعد عمه عبد الرحمن، بل شاركه فيها في عصره، ووفدت إليه الطلبة من الآفاق، وساد أقرانه وفاق، ثم تصدر ولده محمد للتدريس والفتوى، واشتغل صاحب الترجمة بالأوراد والطاعة، فكاد لا يسكت إلا لنحو غفلةٍ أو ذهولٍ لحظةً، ثم يستغفر الله تعالى، وصرف جميع أوقاته بين ذكرٍ وقراءةٍ، ووعظٍ وإرشادٍ، ورُزِق الجلالة، فكانت هيبةُ الأسد دونه.

ولم يدخل سوق المحويت إلا مرتين: مرةً يوم نزول الأمير أحمد بالوزير حسن باشا، ومرةً يوم نزول الأمير محمد بن أحمد، ولما دخل السوق، انشق له السوق من طرفه إلى طرفه، كأنه يسم بالخيل والركاب، وكان من شأنه أن يكاتب الصالحين وإن بعدوا.

كتب إلى القطب الكبير السيد أبي بكر بن سالم، وسأله الأخوة، فأجاب، وحلق رأس الرسول، وكان من دأب الشيخ أن يحلق لمن أراد، قال: أعرف به أصحابي يوم القيامة.

ومن مؤلفاته: كتاب «نور الهدى شرح قطر الندى»، و«شرح الأجرومية» و«جزءٌ فيه أذكار المساء والصباح»، توفي ليلة سابع وعشري ذي القعدة، سنة ست عشرة بعد الألف.

[١٢٨٠] عبد الرحيم بن تاج الدين المحاسني الدمشقي[١].

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٠٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٣٤٩) (٢٤).

أحد فضلائها وأدبائها المشهورين، **مولده** سنة عشر بعد الألف، **وتوفي** سنة سبع وعشرين وألف بمصر بالطاعون، وهو منهمكٌ على طلب العلم.

[١٢٨١] عبد الرحيم بن أبي بكر بن حسان المكي الحنفي[(١)].

مفتي الحنفية بمكة، من مشاهير علمائها، كان إماماً عالماً، فاضلاً فقيهاً، محدثاً نحوياً، ورعاً تقياً، مثابراً على الاشتغال بالعلم، محباً لأهله، طاهر النفْس والنَّفَس، سريع التأثير في طبائع التلامذة، قريب الإنتاج لهم؛ بحيث إن علمه يلقح كما يلقح الطلع، وكان ـ نفع الله به ـ لا يحضر المحافل، ولا يفتي، وعنده انجماعٌ عن الناس، وعدم معرفةٍ بأمور الدنيا، بمعزلٍ عن طلب الرياسة، والدخول في المناصب، مقبلاً على الاشتغال بالعلم، ونفع الناس.

وُلد بمكة، وبها نشأ، وحفظ القرآن، وأخذ عن شيوخ الحرمين، منهم: العلامة أحمد بن حجر الهيتمي، والشيخ تقي الدين بن فهد الحنفي، وغيرهم، وعن سيبويه زمانه عبدِالله الفاكهي، وعنه: الإمام عبد القادر الطبري، والقاضي عبد الرحمن المرشدي، وعبد الكريم القطبي، وكانت **وفاته** بمكة، في ذي الحجة، سنة أربع عشرة بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

ومن فوائده: أنه سئل عن إعراب قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾[آل عمران: ١٨٠] أن «ما» موصول اسمي، وما بعده صلة، ولا عائد يربطها بالموصول، لا لفظاً، وهو ظاهر، ولا تقديراً؛ لأن

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٠٨) (١٩١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٠٦).

العائد إما أن يقدر ضميراً متصلاً، أو منفصلاً، ولا سبيل إلى الأول؛ لمرجوحية اتصال ضميري النصب إذا اتحدا رتبةً، واختلفا لفظاً؛ كقوله: أنا لهماه قفو أكرم والـد، ولا إلى الثاني؛ لأن العائد المنصوب لا يحذف إذا كان الضمير منفصلاً.

فأجاب بقوله: العائد إلى «ما» الموصولة ضميرٌ محذوفٌ يقدر منفصلاً مؤخراً عن عامله؛ أي: بالذي آتـاهم الله إياه، وقـول السائل: لأن العـائـد المنصوب لا يحذف إذا كان ضميراً منفصلاً، ليس على إطلاقه.

[١٢٨٢] عبد الرحيم ابن الأستاذ الشيخ محمد بن أبي الحسن البكري المصري[١].

الشيخ الصالح المجذوب، كان من أهل الكشف، لـه كراماتٌ كثيرةٌ، مات بمكة المشرفـة، في حادي أو ثاني عشري ذي الحجـة، سنة سبع بعد الألف، وصُلي عليه بالمسجد الحرام.

قال النجم الغزي: وأخبرني صاحبنا وليُّ الله محمد التكروري: أنه أخبره بقرب أجله، وأنه لا يخرج من مكة، ثم كان ليلةً بالطواف، فشكا قلبه، ثم حمل إلى منزلهم بباب إبراهيم، فمات ـ رحمه الله ـ.

[١٢٨٣] عبد الرحيم بن إسكندر[٢].

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٠٧) (١٨٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٧٧).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٠٨) (١٩٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٠٧).

أحد الموالي الرومية، قدم الشام مع بعض قضاتها، وأخـذ عن البـدر الغزي، وحضر دروسه، ثم صار قاضياً بها، في سنة تسع بعد الألف، وكان فاضلاً نحريراً، حسن السيرة، جميل الأخلاق، عفيفاً ديناً.

توفي بعد رجوعه من الشام إلى الروم، في ربيع الثاني، سنة عشر بعد الألف، ودفن بأركلة، قصبة من بلاد قرمان ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٢٨٤] عبد الرحيم بن قاسم اليمني.

من بلاد حافل، من أعيان أهل المعرفة الزهاد، كان عالماً عاملاً ورعاً، عاش في أول دولة الإمام المـؤيـد بالله محمـد بن القاسـم، لعله سنة أربعين وألف.

[١٢٨٥] عبد الرحيم بن أبي اللطف الحسيني الحنفي المقدسي[1].

مفتي القدس وعالمها، قرأ بمكة على الإمام زين العابدين بن عبد القادر الطبري، وبمصر عن شيخنا علي الشبراملسي، وعن الشمس البابلي، والشمس الشوبري، وأخذ فقه الحنفية عن الشهاب أحمد الشوبري، وحسن الشرنبلالي، ومن في طبقتهم، وعن عبد الكريم الحموي الأصل الطرابلسي الدار، وبدمشق عن السيد محمد بن علي بن محمد الحسيني القدسي الأصل الدمشقي الدار، وغيرهم، توفي غريباً بالروم بأدرنـة، سنة أربـع ومئـة وألـف، وقـد تجاوز ستين سنة.

---

(١) «سلك الدرر» للمرادي (٣/ ٢)، «عجائب الآثار» للجبرتي (١/ ١١٦)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٣٤٣).

[١٢٨٦] عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن أحمد بن علي الإدريسي، وينتهي نسبه إلى مولاي إدريس بن إدريس بن عبدالله بن الحسن المثنى بن الحسن السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ الحسني المكناسي، شهر بعد موته بالمحجوب، ولا أعرف سبب ذلك[1].

السيد، وما أدراك ما السيد؟! العارف بالله، قطب زمانه، وبحر الحقيقة في أوانه، وينبوع المعارف الإلهية، ومعدن العوارف الحقيقية، انتهت إليه رياسة الولاية في عصره، وأقرّ له بها علماء دهره، وممن شهد له بأنه من أكابر أهل الأحوال: سيدُنا صفي الدين أحمد القشاشي ـ نفع الله به ـ، وكفى به شاهداً.

وُلد بمكناسة الزيتون من أرض المغرب الأقصى، سنة ثلاث وعشرين بعد الألف، وحببه الله إلى خلقه، ووضع له القبول في فعله ونطقه، ورزق من الأخلاق الحسان أوفاها وأسناها، ومن المكارم أعلاها وأغلاها، وساح في أقصى البلاد وأدناها، فرحل من أرض المغرب إلى مصر والروم والشام، وتوجه سنة ثلاث وأربعين بعد الألف إلى بلد الله الحرام، ومدينة نبيه عليه ـ أفضل الصلاة والسلام ـ، وجاور بهما سنين عديدة، ثم توجه إلى اليمن الميمون؛ لزيارة من فيه من الأولياء، الأحياء والأموات.

واجتمع بكثير من أكابر المشايخ، منهم: السيد عبد الرحمن بن عقيل، صاحب المخا، وله وقائع مع الأولياء فيها مشهور، ثم رجع إلى مكة ـ شرفها

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٤٤).

الله ـ، وتديرها، وصحبه المكيون، ولازمه عامة أكابرهم وفقهائهم، وصار له بهم ولهم به شجون، حتى توفي يوم الأربعاء، سابع عشر ذي القعدة الحرام، سنة خمس وثمانين بعد الألف بمكة، ودفن بالشبيكة، بالتربة التي أعدها له قبل موته، وقبره يزار، ويتبرك به ـ نفع الله به ـ.

وكان فيه ﷺ من الكرم والجود ما يستبعد حاتماً وكعباً، ويزيد أدناه على عدد الحصباء، وكان يحضر مائدته كل صباح ومساء خلقٌ كثيرٌ، ولا يرى منه تضجر ولا عبوس، ولو كان في غاية البوس، وكانت تأتيه النذور من الهند والمغرب والشام، وغيرها من أقطار الإسلام، فيصرفها على الفقراء والمساكين، والأرامل والمنقطعين، وأعتق نحو مئتي نسمةٍ مؤمنةٍ، وكان ـ مع ذلك ـ يقوم بكفايتهم، وله من ذلك شيءٌ كثيرٌ مما يدل على مكارم الأخلاق.

وكان إذا اجتمع به أحدٌ، لا يريد مفارقته؛ لعذوبة لفظه ومنطقه، وحسن عشرته وتودده لمن يأتي إليه ومحبته، وكنت إذا دخلت عليه، أكاد أدهش لكثرة أنواره وهيبته ـ حشرني الله ومحبيه في زمرته ـ، وكان ذكي الفهم، ثابت الفكر والعقل، لا يكاد ينسى شيئاً ذُكر له، ولا يغيب عن ذهنه أمر وقع منه، أو ممن يجتمع به.

وإذا اجتمع به أحدٌ لحظةً، ثم غاب عنه سنين كثيرة، وأتاه، يعرفه باسمه وكنيته، مع كثرة المترددين إليه في الموسم وغيره، والوافدين عليه من كل فجٍّ عميقٍ، وكان يحث من يجتمع به على ملازمة ما يناسبه من صنوف الخير؛ من تلاوة قرآنٍ، أو صلاةٍ على النبي ﷺ، وكثرة استغفارٍ وأورادٍ حسان.

ويحض من رأى فيه علامة خيرٍ على اعتقاد الصوفية، والتصديق

لكلامهم وعلومهم وأحـوالهم، وخصوصـاً الشيخ الأكبـر محيـي الدين بن عربي ﷺ؛ فإنـه كان يعظمه كثيراً، ويأمر بتعظيمـه، واتفق أني دخلت عليه في بيته بمكة ـ شرفها الله ـ مع الشيخ العارف حسين بن محمد بافضل، وكنت لم أدخل عليه قبل ذلك، وكان لا يخطر ببالي ذكر الصوفية، ولا أحوالهم، فحين اجتماعي به قال لي: ما تقول في الصوفية؟ فسكتُّ؛ لعدم معرفتي لشيءٍ من ذلك، فذكر الإمام الغزالي، وما وقع للقاضي عياض بسبب إنكاره عليه، وحرقه كتابه «الإحياء»، في قصةٍ طويلةٍ عجيبةٍ.

ثم ذكر الشيخ الأكبر محيي الدين بن عربي، وأحواله ومؤلفاته، وأطال في وصفه، وأنه الختم الإلهي ـ نفع الله به ـ وأمرني أمراً جازماً باعتقاد الصوفية، ومطالعـة كتبهم، والتسليم لهم، والتصـديق لعلومهم وأحـوالهم، فكأنمـا طبع الله كلامه في قلبي.

فمن ذلك الوقت ـ ولله الحمد ـ مُلئت اعتقاداً لهم، ومحبةً فيهم، وإن لم أكن على سننهم، وأرجو من الله سبحانه أن يحشرني معهم، وفي حزبهم؛ فقد ورد: «المرء مع من أحـب»، ولقنني ﷺ الذكـر: لا إلـه إلا الله محمد رسول الله، وألبسني الخرقـة الشريفـة، وكان يدعو لي كثيرًا ـ جزاه الله عني خيرًا ـ.

ولما أردت السفر إلى مصر من مكة، بعد أن جاورت بها سنين عديدة، توجهت إليه لأودعه، وكنت قبل دخول الحاج إلى مكة، عرضت عليه سفري، فقال لي: لا تعزم على سفرٍ حتـى تأتيني، فدخـل الحج، ونسيت كلامـه، واقتضى الحال السفر، فعزمت عليه، وتأهبت له، وتهيأت أسبابه، فلما دخلت

عليه، ذكرت له ذلك، وطلبت منه الفاتحة والدعاء، فعاتبني في ذلك، وقال: لأي شيءٍ لم تأتني كما أمرتك أولاً؟ فقلت: نسيت يا سيدي، فأمرني بترك السفر، ولم يمكِنِّي في هذه الحالة تركُه، فقال: يكفيك الله شرَّ هذه السفرة، وقرأ لي الفاتحة، ودعا لي، وذهبت.

وقبل وصولنا إلى المدينة، سُرق لنا متاعٌ كثيرٌ في المستورة، وكان لي عبدٌ سُرق مع المتاع أيضاً، ولم يظهر لي عنه خبرٌ ولا أثرٌ، وتذكرت حينئذٍ كلامه، وتعبت تعباً شديداً، وقد كان قال لي عند توجهي من عنده: يا مصطفى! دم على محبتنا حتى تلقى الله، ونحن كذلك نحبك حتى نلقى الله، ونجتمع بك في الدار الآخرة ـ إن شاء الله ـ، فلم أجتمع عليه منها في الدار الدنيا، وأرجو من الله سبحانه أن يجمعني به في دار كرامته، وأن يميتني على محبته.

وكان ﷺ له الكرامات الخارقة، والأحوال الصادقة:

منها: ما أخبرني به السيد الجليل عمر بن سالم شيخان باعلوي ـ نفع الله به ـ: أنه سافر معه إلى اليمن، وكان معهما الشيخ الفاضل عبدالله بن محمد الطاهر العباسي المكي، فهاج عليهم البحر، وكادوا يشرفون على الهلاك، فقالوا له: يا سيدي! انظر إلى ما نحن فيه من الحال، ادعُ الله لنا أن يفرج عنا، فقال للبحر: اسكن بإذن الله، فسكن من حينه، ووقف الريح، فقال للرئيس: سر على بركة الله، فقال: يا سيدي! كيف أسافر بلا ريح؟ فقال له: سر يأتي الله بالريح، فسار، فأتتهم ريحٌ طيبةٌ، وصلوا فيها إلى مقصودهم، وزال عنهم ما كانوا يجدونه من الخوف ببركته.

ومنها ـ أيضاً ـ: ما أخبرني به السيد المذكور: أنه لما ذهب ـ نفع الله

بـه ـ إلى زيارة سيدي الشيـخ أحمـد بن علوان، بمدينـة يغرس، أتى الشيخ ـ نفع الله بـه ـ خادمـه في المنام، قبل وصول السيد بليلةٍ، وقال له: في غد يصبح عليك رجل صفته كذا وكذا، فاذهب إليه خارج البلد، وأتِ به، فافعل له ضيافةً عظيمةً، وبالغ في تعظيمه، وأكرم نزله ومثواه؛ فإنه من أكابر أهل الله.

فامتثل الخادم أمر سيدي الشيخ، وفعل ما أمره به، وانتظره في الوقت الذي ذكره لـه، فلم يجـده، فذهب خارج البلد لعلـه يجـده، فلم ير له أثراً ولا خبراً، فرجع وقد أيس من وصوله، ودخل، فقام سيدي الشيخ فوجده فيه بصفته، وكانت الأبواب مصكوكةً، ففتحت له، ومفاتيحها بيد الخادم، فعرفه، وقبّل يديه، وذكر له ما أمره به الشيخ، وذهب به إلى مكان الضيافة، وبالغ في إكرامه ـ نفع الله به ـ.

ومنها: ما أخبرني به مولانا السيد المذكور ـ ضاعف الله له الأجور ـ: أنه كان ببندر المخا، وكان رجلان من أصحابه متوجهين[1] إلى الهند، فأتيا إليه يودعانه، ويطلبان منه الدعاء، فقال لأحدهما: يحصل لك مشقةٌ كبيرةٌ في البحر، ولكن عاقبتها سليمة، فكان كما قال ـ نفع الله به ـ.

وقال للآخر: إذا رأيتني في الهند، فلا تكلمني، فلما وصل إلى الهند، توجه إلى دهلي جهان آباد، سرير السلطان، فجلس يوماً على باب داره، فإذا بالسيد مقبلٌ ـ نفع الله به ـ، وعليه سلهامة سوداء، فعرفه، وقال لبعض أصحابه: هذا السيد عبد الرحمن، وركض ليقبل يديـه، فشزره بعينيه، فتذكر كلامه، فرجع وأغشي عليه، وحصل له حالٌ عظيمٌ، فلما أفاق، لم يره ـ نفع الله به ـ.

---

(١) في الأصل: متوجهان، والصواب ما أثبت.

ومنها: ما أخبرني به أصحابنا: أنه كان مسافراً في بحر الهند، فحصلت على السفينة مشقةٌ شديدةٌ، كادت تغرقها، وتغرق الركاب، فاستغاث به، وكان من أتباعه، قال: فوالله! لقد رأيته عياناً في مقدم السفينة، وهو آخذٌ بزمامها كالمسير لها، فزال عنا ما نجده في الوقت، وصرت أقول للجماعة: انظروا السيد في مقدم السفينة، وهو لا يرونه، وأنا أراه، إلى أن فرج الله سبحانه عنا، فغاب عن بصري.

وأخبرني صاحبنا تاج الدين السنجاري المكي، وكان له بـه اختصاص: أنه كان نازلاً ببيته في الطائف، قال: وكنت إذا دخل السيد لمكانه المعدّ له، أصك أبواب البيت، وآخذ المفتاح، فإذا طلع النهار، آتي إلى مكانـه، فلا أجده، وأجد الأبواب على حالها، فأذهب إلى المسجد، فأجده فيه[1].

ولأهل العصر فيـه مدائحُ كثيرة، منها: قولُ الفاضل الأديب أحمد بن عبدالله بن عبد الرؤوف المكي ـ رحمه الله ـ مادحاً له:

ما للدموعِ وقد حَكَتْ صوبَ الغمام	أهوًى طحا بك لا تكفكفها انسجامْ
أم صـادفَتْكَ قلائـصٌ مـن عـالجٍ	هتفتْ عليك بعَرْفِ ريانِ الخـزامْ
أم شـفَّك الهـادي يُرَقِّـل سـيرَه	وخُطاك تقصرُ عن مناجعة النعـامْ
أم شـاهر بـرق الثغـر فـرق ظعينـة	لألاء لم يُسجمه مخضرُّ الوشـامْ
أم غازلتك لـواحظٌ غزلـتْ هَـوًى	أضحى يُحلل منك عقدَ الاحتشامْ

(١) هذه الحكايـات وأمثالهـا من وساس الشيطـان الرجيم، وتصويـره لأهتل الطـرق والمنحرفين عن الدين هذه الحكايات والأباطيل أنها كرامات ومراتب علوية، وهي في الحقيقة لا تعدو أن تكون من تلبيس الشيطان على العقول.

أم رجَّعَــتْ راد النهــارِ مهيجــا ... ت الوجد في أفنانها وُرق الحَمامْ

أم رابك الواشي وقد هجع الغفيــ ... ـر عن ازديـار الحـيِّ تقتعـد النيـامْ

أم أعقبتْـكَ ندامــةٌ عنــد الرحيــ ... ـل إشارة من عندِ ميّات الـسلامْ

أم كــان وعــدُك خُلَّبــا فتقــشعَتْ ... عنك المطالعُ مثلَ ما انقشعَ الجَهامْ

كفكــفْ دموعَــك إن فــي أنحــاء ... أحــشائي غرامًـا لا يعادلُـه غـرامْ

ضاقت قلوبُ أولي الغرام به ثـوًى ... لكنــه لمــا ثــوى قلبــي أقــامْ

لــو لا مقاليــدُ اللــواحظ حاولــتْ ... فتحًـا لمقفلـه لمـا ولـج الـدُّوام

ولكنــتُ أرفُــلُ فــي قبــا قطانــة ... في زمرةِ الأنجاب مصقول الحسامْ

متعففــاً لا أعــرف الــشكوى ولا ... أهنو إلى الغيدِ الرشيقاتِ القـوامْ

الــساكناتِ مــن القلــوب منــاظراً ... لم يحوها كـشحٌ يناوشُـه المـلامْ

الطاعنــــاتِ بكــــلِّ قَــــدٍّ أَمْلَــــدٍ ... حبّـاتِ مقـروحِ الفـؤادِ المـستهامْ

الــذاهباتِ بمهجــة الكَلِــفِ الــذي ... لم يهوَ غيرَ الغيـد فـي تيـه الهيـامْ

لكن وضعتُ طلا قلوصِ عزائمـي ... بفنـاءِ أمجـدَ سـيدٍ خَفِـرِ الـذمامْ

الــسيد الــسَّنَد الــذي مَــن أمَّــهُ ... أهدتـه عزتُـه إلـى سـبل المَـرامْ

أعني ابنَ أحمدَ من به انبعثَ النـدى ... مثلَ انبعاث الزهرِ في حِجْرِ الكِمام

طــــودًا تــــسنَّمَ ذروةً قدســــيةً ... لم يرقَهـا نـشرٌ تـسوّد فـي الأنـامْ

حبــراً لنــا مــن هديــه وَضَــحٌ إذا ... أَدجّتْ خطوبُ الغَيِّ حالكةَ القَتامْ

يُبــدي لنــا مــن نيّــراتِ ضــمائرٍ ... آيــاتِ حَــقٍّ لا يُلابـسها انبهــامْ

رمــضت معارفــه بــأفقِ أســرّةٍ ... رويتْ بوابِلها المحيل عن الركامْ

فتفجـرت حكمًـا تـروّي أصـفراً ... أدناه مـن بـرد الرضـا حـرُّ الأُوامْ

يا مـن تعامَـهَ عـن عُـلاه غـضاضةً ... هل تستطيعُ لواضحِ الصبحِ انكتامْ

خَفِّضْ عليك فمشرعُ الإيمانِ مـن ... تلك المعاهدِ والـدليلُ عليـه تـامْ

لا يمتـري فـي ذاك إلا مَـنْ لـه ... شـبهٌ بمرتـضعٍ يـروّع بالفطـامْ

لا يـستبينُ الرشـدَ إلا مـن أتـى ... ذاك الفِنـا متخـشعاً وعليـه حـامْ

أو أخطـلٌ غُمـرٌ يعاضـدُه الهـوى ... فتلـوحُ مـن أنفاسـه شيمُ اللئامْ

لمَّا أُضِـفْتَ إلى اسمِه الرحمنِ في ... هذا الوجودِ حقيقـةً كنـتَ الإمـامْ

فظهـرتَ فيـه بمقتـضاهُ تحققـاً ... وتخلُّقـاً وأبنـتَ سـرّ الانتظـامْ

وبـرزتَ فيـه كمـا تحـبُّ تَعينـاً ... وأتيـتَ مـا لا يُـستطاع ولا يُـرامْ

فوصلْتَ منقطعاً وزدتَ عن الردى ... ورعيتَ حقَّ بنيه من خاص وعـامْ

وعلى الخُصوص طريحُ سوحِ رحابِهِ ... فنصيبُه القدحُ المعلّى في الـسهامْ

فيــك الزمــان نـضارة متـبلج ... فكأنــه صــبحٌ تقدَّمَــه ظــلامْ

وكأنما شمسُ الضحى من نور وجـ ... ـهك أشرقَتْ وأعارتِ البدرَ التمامْ

عندي حديثٌ مـن عـلاكَ معـنعَنٌ ... إسنادُه الموصول في أعلـى مقـامْ

متــواترُ اللفــظِ المبـين تــواترًا ... عن صادقٍ لا يَنْتحي هُجرَ الكلامْ

سندٌ لو انـك شئتَ أن تمحـو بـه ... كُنْهَ الدُّجى كان الدخان بـلا عتـامْ

سند لـو انـك شـئتَ تستـشفي بـه ... عللَ الورى كان الوجودُ بلا سَقامْ

تغـدو بـه الركبـانُ مثـلَ سـحابة ... وطفاءَ تُمطر حيثما يُجدي الصرامْ

وكأنــه إذْ هَــبَّ فــي نــسماته ... مسكٌ يصعّد نفْحُـه فـضَّ الختـامْ

تسري به سرّ التصينِ جهرةً فيرود أَنْفاً لا يخامرُه زُكامْ
يا أيها المولى ولم نرَ مثلَه مولًى تعين في الوراءِ وفي الأمامْ
قدّمتُ للنجوى نسيبًا مادحًا أعقابه وأجدتُ في سبك النظامْ
وعرضتُه عرضَ الحديث لمسمعٍ وبذلتُه لكن بنعت الإحرام
فزففتُها عذراءَ تخطُبُ مجدَك الـ أسمى وضرب العنّه الشرعي عامْ
ولأنتَ فحلُ الصَّيد فاستجلِ التي طالَ الثواءُ بها وإن عزَّ المقامْ
وشفعتُها بالضرَّةِ الحسنا التي تروي صحيحَ حديثِ مدحِك عن حذامْ
فاجمعْهُما أُختي نسب إن جمعك جائزٌ لم تلقَ فيه من أثَامْ
وتهنَّ بالعيدِ الأغرِّ وإنما عيدُ الزمان وأهلِه بك والسلامْ
واسلمْ ودمْ في مركزِ التمكين يا قطبًا تجمَّعَ فيه أخلاقُ الكرامْ
مترحِّماً حيثُ النفوسُ تضاءلت بفِنائك الرحبِ المنيعِ به المقامْ
متطاولاً حيثُ السيادةُ أفحمت عضبَ الحكومةِ في مجاري الانتقامْ
متظاهرًا بالمنظرِ الأجلى لمن ألقى مقاليدَ الأمورِ إلى السلامْ
ثم الصلاةُ على نِجارِكَ سيدِ الـ أملاكِ طه مَنْ به حسنُ الختامْ
والآلِ والأصحابِ ما هزم الدجى صبحٌ وما سجعَتْ مطوقة اليمامْ
وبقيتَ ما سُمع المديحُ وأنشدت ما للدموع وقد حكتْ صوبَ الغمامْ

[١٢٨٧] القطب الرباني، العارف الصمداني، السيد عبدالله بن علوي الحداد باعلوي الحسيني.

الحبر الكبير، والسيد الشهير البصير، ذو العلوم المتعددة، والمقامات

الربانية، والكرامات الإلهية، على قدمٍ أيِّ قدمٍ؛ من الصيام والقيام والعبادة، وإطعام الطعام، والإحسان إلى الإخوان، وتفقد الفقراء والمساكين، والنفع لعموم المسلمين.

وُلد ـ حفظه الله ـ ليلة الاثنين، خامس شهر صفر، سنة أربع وأربعين بعد الألف بمدينة تريم، بلدة السادة آل باعلوي، وبها نشأ، وحفظ القرآن، ولازم الشيوخ السادة المحققين العارفين بالله، واستفاد من علومهم وأحوالهم.

وشيوخه من أهل اليمن والحرمين لا ينقصون عن مئةٍ، ولعلهم يزيدون ـ كما ذكر لي ـ نفع الله به ـ فيما كتبه إليّ ـ. وقال لي بعض أصحابه نقلاً عنه: إنه كان إذا سمع بأحدٍ من السادة أو غيرهم، صاحب حالٍ، توجه إليه، وأخذ عنه، ولازمه، وكان إذا اجتمع بأحدٍ منهم، يقبل باطن رجليه، فقال له بعضهم: تناولتَ بهذا التقبيل جميع علومنا، واقتبس من بركاتهم ودعائهم، وظهر أثر ذلك فيه.

وسلك طريق القوم أحسنَ سلوك، ولازم الرياضة والخلوات، والذكر وقيام الليل، حتى وصل إلى شهود الوحدة في الكثرة، والكثرة في الوحدة، مع حفظ المراتب الشرعية، وبلغ حداً اشتهر فيه بين الناس، وأهل ذلك الإقليم وغيره، فصار مقصوداً مشهوراً، له في مدينة تريم الآن شهرةٌ كبيرةٌ، وهو الآن من أكابر السادة آل باعلوي المشهورين فيها بالمجاهدة، والتوجه التام، والمكاشفات العظيمة، في كل حين.

ومتى شُكي عليه من شدةٍ أو خوفٍ، اشتغل خاطره بتفريجها، وذلك منه دائماً للإخوان والمعتقدين، ولسانه لا يزال رطباً بذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن وترتيله، إذا قرأه مع التدبر والتأمل، حتى يغيب عن حواسه.

وبالجملة: هو من أرباب القلوب والكرامات، ومناقبه وكراماته، وأحواله وعلومه، ومصنفاته ومجاهداته، لا يحصرها حدٌّ، ولا تنتهي بالعدّ؛ كما قيل:

يفنى الكلامُ ولا يُحيط بوصفِه حسبُ المبالغِ أن يكون مُقَصِّرا

وكثيرٌ من الناس الصالحين يشير إلى أنه القطب، وهو خليقٌ بذلك ـ نفع الله به ـ.

وقرأ في الفقه، وغيره من العلوم النافعة، وبرع فيها، وأكثرُ إقباله وقراءته في كتب حجة الإسلام أبي حامد الغزالي، خصوصاً «الإحياء»، وكثيراً ما يحض أصحابه وتلامذته على مطالعة كتبه ـ نفع الله به ـ.

وتلقن الذكر، ولبس الخرقة من جمعٍ من السادة آل باعلوي، وكان أرسل كتاباً للسيد باعلوي القطبِ الإلهي، من تريم إلى مكة؛ لأن السيد محمد[اً] كان مجاوراً بمكة، ومات بها، يطلب منه أن يرسل له بالخرقة الشريفة، فلم يزل يَعِدُه، وهو يكرر الطلب منه في كل عام مع الواردين إلى مكة من حجاج الحضارمة مدةَ سنين، إلى أن أرسلها إليه في السنة التي مات السيد محمد بها، فوصلت إليه ـ كما قيل ـ يوم موت السيد محمد، فأوَّلَ ذلك بعضُ الصالحين؛ بأنه خليفته؛ لأنه أرسل إليه بالقبع الذي توارثه من شيوخه كابراً عن كابر.

فمن ذلك الحين لبسته الشهرة، ولم يزل يترقى المقامات السنية، وورد مكة سنة ثمانين وألف للحج إلى بيت الله الحرام، فحج، وقضى مناسكه، وتوجه لزيارة جده محمد ﷺ، وكان سيدنا الشيخ حسين بافضل من التجار

المشهورين بمكة، فلازمه، وخدمه مدة إقامته، ففتح الله عليه، وترك ما كان عليه من الاشتغال بالدنيا، ولازم مطالعة كتب القوم ـ نفع الله بهم ـ، ونظم تائيةً حسنةً، ذكرتُ منها شيئاً في ترجمته.

وتوجه معه للمدينة الشريفة، وجعله نقيباً على طائفته، فاتفق أنه مرض في المدينة مرضاً شديداً، أشرف فيه على الموت، فكشف للسيد أن أجله قد قرب، فجمع طائفةً من أصحابه، واستوهب له من كلٍّ منهم من أعمارهم، ووهب هو معهم له شيئاً من عمره، وكتب جميع ما وهب للشيخ حسين في رَقٍّ، وتوجه به إلى قبر النبي ﷺ، وسأل الله تعالى في ذلك، وحصل له خشوعٌ عظيمٌ[1].

ورجع رضي الله عنه وهو منشرح الصدر قائلاً: إن الله قد قضى الحاجة، واستجاب الدعاء ﴿يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ الْكِتَابِ﴾[الرعد: ٣٩]، فعوفي الشيخ حسين بإذن الله تعالى، وعاش تلك المدة الموهوبة له، حتى إن السيد عبدالله أشار إلى جمعٍ بتريم بموت الشيخ حسين في ذلك العام الذي توفي فيه بمكة.

ومن كراماته أيضاً: ما أخبرني به بعض شيوخنا: أنه أتاه زائراً له حالَ قدومه من تريم إلى مكة، وكان من عاداته أن يسأل عن كل من أتاه، يلين له القول، ويتلطف به، ويفعل مع كلٍّ ما يليق به، قال: فلما سلمت عليه، ردّ علي السلام، وسكت، ولم يسألني عن حالي، ولا سأل عن اسمي،

---

(١) وهذه دعوى باطلة من أعظم الدعوات، وهل يستطيع أحدٌ أن يزيد في عمر أحدٍ من الخلق أو ينقصه، غفر الله للمصنف ورحمه في إيراد هذه الأباطيل في كتابه.

ولم يتكلم معي.

فحصل لي بإعراضه عني نوع تعبٍ، فقلت في نفسي: إنه يلين القول لمن هو دوني، وقلت: سبحان الله! كأن السيد لا يخاف من السلب، فبمجرد هذا الخاطر، قال: السلب حقٌّ، ولكنه للمستحق، وأما للمعذور، فلا، أو كلاماً هذا معناه.

ومنها: ما أخبرني به بعض إخواننا الحضارمة الصالحين الصادقين: أنه كان معه ليلةً في الحجر، من البيت الشريف يتركع، ففي أثناء صلاته أتاه السيد بركات بن محمد بن إبراهيم بن بركات بن أبي نمي الشريف الحسني، وقال له: يا سيدي! اقرأ لي الفاتحة، وادعوا لي بتيسير ما نويته، فقرأ، ودعا له السيد بما نواه.

وذهب السيد بركات، واستمر السيد على حاله من الصلاة، فبعد ذهابه سأل السيد عبدالله صاحبنا المذكور، وقال له: منَ هذا الذي طلب مني الدعاء؟ فقال له: السيد بركات، فقال له: يا فلان! إنه طلب مني أن يكون ملك مكة، وقد استجاب الله دعاءنا له.

فبعد مدةٍ يسيرةٍ حصل من الشريف سعد بن زيد بن محسن بن حسين ابن حسين بن أبي نمي ما حصل في حق الأتراك، فجهز عليه السلطنة من مصر ثلاثة آلاف من العسكر، ومن الشام جملةً من العسكر، وعزلوه ثالث أيام التشريق من ذي الحجة، ختام سنة اثنتين وثمانين وألف، وتولى في ذلك اليوم الشريف بركات ملك مكة، بعد أن كان لا يخطر بخاطر أحد أنه يليها، والأرض لله يورثها من يشاء من عباده.

وسمعت من بعض أصحابنا نقلاً عنه: أنه في بعض الأحيان تكلم السيد

عبدالله بن أبي بكر العيدروس، وغيره من أكابر السادة آل أبي علوي المدفونين بمدينة تريم، ويسألهم، فيجيبوه من قبورهم شفاهاً ـ نفع الله بهم ـ.

وهذا الذي ذكرته قطرةٌ من غديرٍ من كراماته ـ نفعني الله به، ويسر لي الاجتماع به في خيرٍ وعافيةٍ بأشرف البقاع ـ؛ فإنه كما سمعت من بعض أصحابه نقلاً عنه: أنه موعودٌ بحجةٍ أخرى، فعسى الله سبحانه أن يصادفني به، ويسعدني برؤياه.

وله رسائل كثيرةٌ عظيمةٌ، ومكاتباتٌ ونصائح مفيدةٌ، كتبت منها كثيراً بخطي، وله «ديوان» عظيم المقدار، على طريق القوم ـ نفع الله بهم ـ كتبتُ ـ أيضاً ـ منه كثيراً.

ومما كتبه من مدينة تريم للشيخ حسين بافضل، وهو بمكة بعد سفر السيد منها إلى تريم:

باسمِ الإلهِ به بدأنا	فيما نقومُ وما نَرومُ
سبحانَ ربي تقدس اللهُ	عن أن تحيط به العلومُ
والحمدُ لله حمدَ عبدٍ	فإن تجلَّى له القديمُ
ولا إله لنا سوى الله	توحيدَ ذوقٍ به نهيمُ
والله أكبرُ ولا كبيرٌ	سواه كلاًّ ولا عظيمُ
يا خاطرَ القلب أنت تدري	بكلِّ ما تدركُ الفهومُ
وتعرفُ السرَّ وهو كتمٌ	في صدرِ حُرٍّ به عليمُ
هيا بنا لقطعِ الفَيافي	حتى نوافي ولا نقيمُ

فـــي عـــالم الـــزورِ والتلاشـــي | فإنــــــه كلَّـــــه رســــــومُ
والحـــقُّ مــــن خلفِـــه وفيـــه | لكنـــــه بــــاطنٌ كتــــيمُ
يــــراه مــــن قلبــــه مــــضى | وذلـــك العـــارفُ الحكـــيمُ
صــــلَّى الإلـــهُ بـــلا ثنـــاءٍ | علـــى الـــذي شـــأنُه فخـــيمُ
محمـــدِ النـــورِ خيـــرِ مـــن قـــام | بـــالحقِّ للحـــقِّ أو يقـــومُ

من عبدالله بن علوي الحداد، إلى الشيخ الصوفي العارف، اللطيف الولي، الحبيب في الله، النقيب النجيب، الحسين بن محمد، فضل جعله الله من الناظرين إلى الفضل، المنظورين بعين الفضل، المعاملين بالفضل ربوبية المعاملين بالفضل، عبودية في الحضرات الحقية والخلقية، والمظاهر الدنياوية والأخروية آمين.

فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته، من قلبٍ منطوٍ لكم على صحيح الموالاة، وخالص المصافاة في الله تعالى، والذي نشرح لكم ـ شرح الله منا ومنكم الصدور والقلوب، بمعرفته وحبه وأنسه وقربه ـ:

بأنا ـ والحمد لله ـ في خيرٍ، وعلى خيرٍ ـ إن شاء الله ـ داعون لكم، وطالبون منكم الدعاء في الأماكن الشريفة، والمواقف المنيفة، الله الله في ذلك، وأكثروا وألحّوا؛ فإن الله تعالى يحب الملحِّين في الدعاء ـ كما ورد ـ، وادعوا لنا بالمعاودة إلى تلك الأماكن المشرقة عليها أنوار التجلي الخاص، فإنا إلى ذلك مشتاقون ومتعطشون، لم يزدنا ذلك الورود إلا تعطشاً وتروعاً.

وقد أظهرت المشاهدة من القلب أمراً كان مستكناً فيه، ثم لم يزل ظاهراً لم يعد إلى ما كان عليه من قبل، والروح والراحـة الكائنان حال اللقـاء عادا بأنفسهما شوقاً وتوقاً، يحركان القلب ويزعجانه، وتحت هذه الكلمات سر معنى ظهور الحق في الشجرة، وإشراق النور على الطور المندك، وأنت تفهم الإشارة إلى ما تقصر عنه الإشارة، والسلام.

ومن شعره ـ نفع الله به ـ قوله:

يا زائري حينَ لا واشٍ مـن البـشر … والليلُ يخطر في بُرْدٍ مـن الـسحرِ

فقلت يا غايـة الآمـال قـد سـبقتْ … منك المواعيدُ بالتقريب في الخبرِ

ولـو بعثـتَ رسـولاً منـك تـأمرُني … بالسعي نحـوَك إلا فـزت بـالظفرِ

فكيف إذ جئت يا سؤلي ويا أملـي … فالحمـدُ لله ذا فــوزٌ بــلا خطــرِ

ما كنتُ أحسبُ أني منـكَ مقتـربٌ … لمـا لـديَّ مـن الأوزارِ يـا وَزَري

حتى دنوتُ وصار الوصلُ يجمعنا … والـسرُّ منـك ومنـي غيـرُ مـستترِ

على الكثيب من الوادي سقاه حَيّـا … مــن الغمــائم بالآصــال والبُكَــرِ

لله بارقـــةٌ للقلـــب قـــد لمعـــتْ … من عالَمِ الأمرِ لا من عالَمِ الصُّوَرِ

أنـستْكَ إيـاك والأكـوانَ أجمعَهـا … وأوقفتك على المطلوبِ والـوطرِ

هذا الحديثُ وما يخفى على فطنٍ … أنــي أردت بـــه التنبيـــهَ فـــاعتبرِ

يا أيها الجوهرُ المحصورُ في صدفٍ … مخلولِقٍ عـرضِ التغييـرِ والكـدرِ

مثبطٍ فـي حـضيض الحـظِّ همتُـه … في لذة البطنِ والمنكـوحِ والنظـرِ

تقـــودُه شـــهواتٌ فيـــه جامحـــةٌ … حتـى تـزجَّ بـه فـي لجـةِ الـضررِ

يا أيها الروحُ هل ترضى مجاورةً ... على الدوام لهذا المظلِم الكدِرِ
فأين كنتَ لا جسمٌ تساكِنُه ... ألستَ في حضراتِ القدسِ فادَّكِرِ
تأوي مع الملأ الأعلى وتكرعُ من ... حياضِ أنسٍ كما تجني من الثمرِ
تأتي عليك نسيمُ القرب مهديةً ... عرفَ الجمال كعَرْف المندلِ العَطِرِ
حتى جُعلتَ بأمرِ الله في قفصٍ ... ليبتليك فكنْ من خيرِ مختبرِ
فحينَ أبصرتَ هذا الجسمَ قد برزتْ ... به العجائب من بادٍ ومستترِ
أنستْك بهجتُه ما كنتَ تشهدُه ... من قدسِ ربك فاعرفْ صنعةَ العمرِ
رضيتَ بالفكر عن كشفٍ وأينك من ... جليةِ الحقِّ إن أجلدت للفِكَرِ
لا تقنعَنَّ بدون العينِ منزلةً ... فالحبُّ[1] من يكتفي بالطلِّ والأثرِ
وعُد هُديت فقد نوديت مطرحًا ... هذا الوجودَ وما فيه من العبرِ
واسلُكْ سبيلاً إلى الرحمن قيمةً ... بها أتاك إمامُ البدوِ والحضرِ
مشروحةً في كتاب الله واضحةً ... فسرْ عليها وكنْ بالصدق ذا وَزَرِ
وبالرياضةِ من صمتٍ ومَخْمَصَةٍ ... مع التَّخَلِّي عن الأضداد والسهرِ
ودمْ على الذكر لا تسأمه معتقدًا ... أن التوجُّهَ روحُ القصدِ والسفرِ
واعلمْ بأنك لا تُفْضي إلى غرضٍ ... بدون أن تقتفي في الوِرْدِ والصَّدَرِ
خيرَ النبيين هادينا ومرشدنا ... بما أتانا من الآيات والسُّوَرِ
صلَّى عليه إلهي كلَّما سجعتْ ... حمامةٌ فوق مَيَّاسٍ من الشجرِ

وقوله ـ أيضاً فسح الله في مدته ـ:

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: فالخَبُّ.

الله لا تـشهدْ سـواه ولا تـرى | إلا هو في ملكٍ وفي ملكوتِ
سـبحانه سـبحانه مـن ماجـدٍ | متفـرِّدٍ بـالعزِّ والجبـروتِ
مـن قيـداه تـصور وكلالـة | عـن أن يـراه فـسمه بـالمبهوتِ
سـافرْ إليـه بهمـةٍ علويـةٍ | حتـى تـراه وقـل لنفسِكَ مـوتي
واقبـلْ عليـه بكـلٍّ كُلِّـك قاصـداً | محـوَ الظـلال أثيـر للناسـوتِ
بالشمسِ شمسِ الذات حتى لا ترى | شـيئاً سـوى متقـدسِ اللاهـوتِ
فـإن انتهيـتَ إلـى الـذي عرفتـه | شاهدتَ من عرشٍ إلـى بهمـوتِ
ورأيـتَ سـراً لـم يُجِـزْ إفـشاءَهُ | أهل الهـوى والكـشفِ والتثبيـتِ
إنـا لنعلمـه ولـم نحظـى بـه | ذوق لمـا معنـا مـن التـشتيتِ
والـشوقُ منـا لا يـزال منازعًـا | والأمـرُ بالتقـديرِ والتوقيـتِ
يا ليتني قد غبتُ عـن هـذا الـورى | ودُعيـت بالمـستغرق المبهـوت
مـاذا علـيَّ مـن الأنـام وقـبلهم | أن أُدعَ بـالمحبوبِ والممقـوتِ
حـسبي إلهـي والـذي يختـارُه | الله أكبـر غـار بحـرِ الحـوتِ

[١٢٨٨] عبد العزيز. . . الزمزمي الشافعي[١].

رئيس المؤذنين بظهر زمزم بمكة المشرفة، كان من علماء الشافعية الكبار في عصره، وطعن في السن، وأدرك أكابر علماء الحرمين، فأخذ عنهم، وأكثر

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (١٨٧)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٠٥)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٥٠١)، وذكر وفاته في ١٠٧٢هـ، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٢٦).

أخذه عن والده، وانتفع به خلقٌ لا يحصون.

ولما جاور الشيخ داود الحكيم المشهور، وكان يحضر درس والده، ووقعت للمترجم معه قصةٌ غريبةٌ ذكرتها في ترجمته، وكانت له وجاهةٌ عظيمةٌ عند أمراء مكة كأسلافه، وتُحكى عن أهل بيتهم كراماتٌ وخوارق ظهرت عليهم، من ملازمة ذلك المحل الشريف.

فمن ذلك: ما سمعته عن جماعةٍ من المجاورين بمكة: أن الشيخ عبد العزيز هذا وأحداً من أهل بيته، احتبس ذات يومٍ في شغلٍ له خارج مكة، فلما قرب الوقت، توجه ليدرك وقت الأذان بالمسجد الحرام، فأدركه الوقت وهو على الثنية التي تشرف على المحصّب، من ناحية مكة، وعلى عقبة منى من ناحيته، فأَذَّنَ في ذلك المحل، وبينه وبين المسجد مسافةٌ بعيدةٌ، وجبال وشعوب، يستحيل معها عادةً وصولُ صوته إلى من بأسواق مكة، فضلاً عمن كان بالمسجد، فسمع صوتَه من كان بالمسجد، كأنه يؤذن في محله المعهود، فكانوا يرون ذلك كرامةً له.

ومن ذلك: أن الرئيس منهم يصوِّت قبل طلوع الفجر ستة أصواتٍ، بين كل صوتين نحو نصف درجة، ويكون طلوع الفجر عند آخر صوتٍ منها، واستفاض عند كثيرٍ من الناس: أن تلك الأصوات هي كلامٌ أو ذكرٌ بلغةٍ لا يفهمها أحدٌ، إلا أولئك يتوارثونه بينهم.

وأن سبب ذلك: أنه كان المؤذن منهم إذا طلع الفجر أذّن، ثم أقام الصلاة بقرب ذلك، قالوا: فجاءه رجلٌ من الأبدال، من ناحية أقطار الأرض البعيدة، وقال له: إني إذا سمعت أذانك ببلدي، أسرعت لأدراك الصلاة،

وربما فاتني شيءٌ منها، فعلّمه تلك الأصوات، زعموا أنه إذا صوّت بها، سمعته الأبدال في مشارق الأرض ومغاربها، فيحضرون.

قلت: وأنا ترصدت ذلك مراراً، وسمعت الأصوات، فليس فيها حرفٌ أصلاً، حتى تنسب إلى لغةٍ دون لغةٍ، والغالب على ظني: أن ذلك إنما هو من الصوت باسم الجلالة، بعد النطق بأوله سراً، وإخفاء الهاء في آخره.

وسئل المترجم: هل يصح صيام من شَرب أولها أم لا؟ فأجابه: بأن من أكل أو شرب قبل الثلاثة الأخيرة، صح صومه، وبعده لا، والله أعلم.

توفي بمكة.

[١٢٨٩] عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد ابن الشيخ العلامة أحمد ابن الشيخ الحسين ابن الشيخ الكبير العلم الشهير مخ الروس.

الذين أخذوا المجد كابراً عن كابر، وشمس الشموس عبدالله العيدورس أحدِ الأعيان الأكابر، أولي المجد والبصائر.

العالم العلامة، البحر الفهامة، ذو التصانيف الجيدة المفيدة، والأقوال السديدة، والأفعال الرشيدة، ذو العقل الراجح، والفهم القادح، حذا حذو أبيه في التقرير والتنبيه، فهو العالمُ ابنُ العالم، شيخُ المحققين، وعمدة المدققين، وبقية الصالحين، بقية السلف، وبركة الخلف، ولقد أحسن شيخنا عبدالله بن أبي بكر باشعيب حيث قال فيه، ولله دره:

قلْ لمَنْ كان في المعارف رأسًا ... إن هذا الوجيهَ مخُّ الرؤوسِ

قيل نجمٌ وقيل بدرٌ تبدَّى ... واضح الوجوهِ شمس الشموسِ

وامتدحه الشعراء بقصائد طنانةٍ، وبما اتصف به مشعرة رنانةٍ، له من التصانيف كتاب «إيناس الصفوة بأنفاس القهوة»، و«بذل المجهود في خدمة ضريح نبي الله ﷺ هود»، و«بقية السادة الشافعية من حدودهم المذهبية»، و«إعمال الفكر في حد الذكر»، و«الكتاب المحرر في التكبير عقب السور»، و«عجالة السالك إلى أعلى المسالك»، و«نفس الله الملك القدوس في حِكَم ابن العيدروس»، وكتاب «النظم والنثر في آداب الخلوة والذكر»، وهذا الكتابان إنما وضع اسمَهما تلميذُه السيد الجليل، بقية السلف، وبركة الخلف، الحسينُ ابن علي بن الحسين العيدروس ـ نفع الله تعالى بهم ـ.

وله «كنز المتسبب التقي المتورع وحرز المكتسب النقي المتقنع»، وحرّر وذيّل «تذكرة المذاهب»، وكتاب «الجامع لكثير من مسائل الوقائع» المعروف عند طلبة تريم بالدَّشْته، وله فائدة في «السلوك إلى ملك الملوك» و«الكواكب الدرية الحاح[1] في مسائل الصوفية»، وله مصنفٌ يحاكي «عنوان الشرف» لإسماعيل بن أبي بكر المقري، قال فيه: لقبته بلقبين: أحدهما: «نهاية الشرف وغاية الطرف»، والثاني: «النفحة العيدروسية والمنحة القدوسية»، وله حزب سماه: «الكبريت الأحمر والإكسير الأفخر».

وقال على بعض كتبه، شيخُنا عبدالله بن أبي بكر باشعيب قدري الحضرمي، صاحب «وشي الدكك في الفلك»، و«شرح الرحبية» تقريظاً حسناً، ما لفظه:

لله جـــزءُ علـــمٍ مـــسطَّر فـــي الطـــروسِ
مـــا كانـــت الا عقـــوداً تمثَّلـــت فـــي عـــروسِ

---

(١) كذا في الأصل.

إن حـــاز عـــينَ المعـــاني وقوبلَــــت بــــالنفوسِ

فـــذاك مـــن بحـــرِ علـــمٍ يُعـــزى إلـــى العيـــدروسِ

غـــوثِ البرايـــا بحـــقٍّ ليثِـــه الأســـودِ الهمـــوسِ

فالبـــدر فـــي النـــوم يُعـــزى لـــضوء شـــمسِ الـــشموسِ

فـــالله يُبقيـــه فينـــا موطئـــاً للـــرؤوسِ

محـــررًا للمعـــالي محيـــي دروس الـــدروسِ

ودافعـــاً للمـــساوي ومانعـــاً للرجـــوسِ

محققـــاً كـــلَّ فـــنٍّ مُمـــلٍ بيـــاضَ الطـــروسِ

ومظهـــراً كـــلَّ معنًـــى ومبطنـــاً كـــلَّ بـــوسِ

وللعلامة عبد الرحمن المترجم ـ أيضاً ـ كتاب «شرح الصدور بمأثور يوم عاشور»، وهمزية مكسورة سماها: «غرر الفوائد اللؤلئية ودرر المدائح النبوية الحاكية للصفات المحمدية والشمائل المصطفوية».

وممن امتدحه: السيدُ العلامة محمد بن عبدالله بلفقيه، والسيد أبو بكر ابن حسين بافقيه، والشيخ صالح بن عبد الصمد باكثير، والفقيه علي بن عبد الرحيم باكثير.

ومشايخه كثيرون، منهم: الشيخ أحمد بن عبد اللطيف البشبيشي، وإجازته مثبتةٌ في كتبه، والسيد العلامة محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي، ووالده العلامة محمد بن عبد الرحمن العيدروس، والشيخ العلامة النحرير عبدالله بن أبي بكر الخطيب، والشيخ حسن العجيمي، والشيخ السيد الشريف عبدالله بن أحمد بلفقيه، والشيخ علي بن عصام الدين الشافعي، والسيد الشريف

العلامة أبو بكر بن محمد بافقيه.

وتخرج به كثيرون، منهم: بقية السادة الأجل السيد عبد الرحمن بن عبدالله بن أحمد بلفقيه، والسيد الجليل الحسين بن علي العيدروس، والشيخ صالح بن عبد الصمد شارح «الكنز» في مذهب الحنفية، وله «تاريخٌ في أهل القرن العاشر»، ومن تصانيفه كتاب يسمى: «التعريف بحكم التصنيف».

ومن عجيب الاتفاق، جاء تاريخ وفاته مضبوطاً في حروف (مجتهد تريمي ورضا الله وام).

[١٢٩٠] عبد الرحمن بن محمد بن عبدالله بن عبد المعطي بن مكرم بن المحب محمد بن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني الطبري الشافعي المكي.

إمام المقام الشريف، قال الإمام عبد القادر الطبري في «إنباء البرية بالأنباء الطبرية»: وُلد ليلة الأحد، ثامن وعشري محرم، سنة اثنتين وألف، وأمه خديجة بنت محمد الزنجبيلي، ونشأ في حجر أبويه، وحفظ القرآن العظيم، وصلى به التراويح مراراً بمقام إبراهيم، وباشر الإمامة به، واشتغل بتحصيل العلم على والده وعلى غيره، وفضل وكمل، وصارت له وجاهةٌ بين الناس، مع حسن السيرة، وحشمة النفس، وحسن الوفاء مع الناس.

قال: وكتب لي بخطه: أنه قرأ في أول أمره على الشيخ عبدالله البلخي «الأجرومية» مرتين، و«متممة الأجرومية»، وعلى الشيخ أحمد بن علان بعض «شرح القطر»، وعلى السيد عمر بن عبد الرحيم بعض «شرح الشيخ خالد على الأجرومية» وبعض «شرح المنهاج للمحلي»، وأنه اشتغل على والده في «شرح

المحلي على المنهاج»، وفي «شرح المنهج»، وفي «التحفة شرح المنهاج» لجد أبيه لأمه شيخ الإسلام الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي، وعلى الشيخ سليمان البابلي المصري في «شرح المنهاج للمحلي»، وأنه استجازه فأجازه، وعلى الشيخ أبي السعود بن الزين في «شرح المتممة للفاكهي».

قال: ومن نظمه: ما كتبه لي بخطه، وهو قوله:

حادي العيس بالإله حماله	وبطه النبيِّ حاوي الرسالَهْ
إن أتيتَ الخيامَ بلِّغْ سلامًا	للذي قد نأى وعزَّ مناله
من محبٍّ ذي لوعةٍ واكتئابٍ	وغرامٍ غيرُ الهوى ما حلا لَهْ
مذ تناءت ديارُه ودَّ وجداً	لو قضى نحبَه ولو ما جرى لَهْ
قل له إنه على العهد باقٍ	سقمه والنحول أوفى دلالَهْ
ليس يَثنيه عنكمْ قولُ واشٍ	أو حسودٍ وقد عصى عُذَّالَهْ
يا رعى اللهُ صفوَ عيشٍ تَقَضَّى	بالمنى واللقا بحلو المقالَهْ
عذب الله من لماه شفاي	إن حمامي دنا وأعيا زواله
أسفي والجوى لعصرِ التصابي	ما له أن يعودَ قل لي أمالَهْ
يا ترى هل تقرُّ بالقرب عيني	بعد هذا النوى وأنظر جمالَهْ

قلت: عاش المترجم بعد المؤلف مدةً مديدةً، وسافر إلى الهند، وعاد منها سريعاً، واستمر مقيماً بمكة، مع العفاف والكفاف، وشرف النفس، والمحافظة على الصلوات مع الجماعة والطواف، ومباشرة الإمامة في المقام الشريف.

إلى أن مرض مرضاً شديداً، نحو عشرة أيام، وتوفي قبل طلوع الشمس، يوم الأربعاء، تاسع عشر ربيع الآخر، سنة ثلاث وستين وألف، وصُلي عليه بعد العصر بالمقام؛ كعادة أسلافه، وكانت جنازته حافلة بالناس؛ من العلماء والأمراء، ودفن بالمعلاة، بتربة جماعته الطبريين ـ رحمهم الله ـ، وله من الأولاد محمد، وعبد المعطي باشر الإمامة في حياته مدةً مديدةً ـ رحمهم الله ـ.

[١٢٩١] عبدالله بن عبد السلام الأسمر المغربي.

صاحب الزاوية المشهورة، كان والده من أهل المئة العاشرة، كثير الكرامات، عليّ المقامات، ومن أجل تلامذة سيدي أحمد بن عروس، نزيل تونس، والغالب عليه الجذب أول أمره وآخره، وله تصرفٌ قويٌّ، ويؤثَر عن أهل البلاد من تصرفاته آثارٌ كثيرةٌ، وأخباره في قهر الجبابرة، وفك الأسرى من أيدي الأفرنج، في حياته وبعد مماته شهيرةٌ.

وهو من بلدة يقال لها: الفواتر، وأمه مغربية دراوية، ولم تزل هذه البلدة التي هو فيها مأوى الصالحين، ووكر العابدين، من قديم الزمان، ولا تخلو من سبعةٍ من كبار الصالحين، وليس عليهم سمتُ متفقِّرةِ الوقت، بل هم على هيئة العوام، في ملابسهم ومساكنهم وحرفهم، إلا أنهم قائمون على منهج الشريعة، وكل من رام هذه البلدة بسوءٍ يقصمه الله، ولا يدخلها أحدٌ بتكبّرٍ إلا أذله الله، ويذكر عن أهلها كراماتٌ كثيرةٌ.

وأما المترجم، فقال الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»: إني اجتمعت به في سفري للحج، وارتحل معنا ثلاثةٌ من أولاده وأتباعه، وكان من عادتهم السماع بالطار المزنج، قلما يتركون ذلك في كل ليلةٍ، لا يكادون يتركوننا من طنون الدفوف نحو الأربعة، مقتفين في ذلك آثار جدهم؛ فإنه كان يسمع

بالدف، إلا أنه كان ﷺ ذا حالٍ صادقةٍ لا يُقتدى بـه في ذلك، فحقهم اتباع السنة، واجتناب مواقع الظنة، وليست الأحوال مما يورث، ولا مما يصح فيها التقليد؛ لأنها واردات من الحق، تستعمل العبد بمقتضى وقته استعمالاً جبرياً، فليس لغيره اتباعه في ذلك، إن لم تظهر له موافقته المشروع.

ومما يحكى عن ذلك الشيخ سيدي عبـد السلام: أنـه سمع ذات يومٍ بالـدف، فلمـا نقره، سمعـه كل من حضـره يقـول: الله الله، لا يمترون في ذلك[1].

قلت: هذا شاهد صدقٍ في صحة سماعه، وصدق حاله مع الله، ومثل هذا له أن يسمع بأي شيء أراد؛ من دفٍّ ومزمارٍ؛ لانقلاب سُمِّيته، فسبحان من يخرج من بين فرثٍ ودمٍ لبناً خالصاً سائغاً للشاربين، ومن بين الزير والزمر أحوالاً سنيةً للمقربين.

وقد أخبرني بعض الأخوان، من أهل مُسراته، عن شيخنا سيدي محمد ابن ناصر: أنه لما حج سنة سبعين، حج معه بعض أهل هذه الزاوية، وكان يسمع بالدف على عادتهم، فبعث إليه الشيخ، فقال له: إن أردت مرافقتنا، فاترك هذا السماع، وإلا، فاعتزلنا، فاعتلّ بأن ذلك من عادة أسلافهم، فلم يقبل منه الشيخ ذلك، ولم يزل به حتى ترك السماع[2].

---

(١) وهذا من ادعاء الصوفية وتهاويلهم.

(٢) كل ما جاء في ذلك من مسألة السماع والضرب بالدفوف، من تلبيس إبليس على المتصوفة، وانظر تفصيل ذلك عند ابن الجوزي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه «تلبيس إبليس».

[١٢٩٢] عبد السلام بن إبراهيم بن إبراهيم اللقاني المالكي[١].

شيخنا الإمام، شيخ المحدثين بالديار المصرية، كان ماهراً في الحديث، ومعرفة علله ورجاله، فقيهاً في مذهبه، إماماً في الكلام، والفنون العربية، دمثَ الأخلاق، حسن المذاكرة، بديع المحاضرة، قرأ بالروايات على مقرئ مصر في عصره عبد الرحمن اليمني.

ولازم في العلوم الشرعية والعقلية والده، وورث من علومه طريفه وتالده، وكان كثير الشغف به، والشفقة عليه، والمحبة له، والإشارة إليه، وإذا شكاه أحدٌ إليه، مما كان يصدر منه في عنفوان شبابه من الخلاعة، يكثر الدعاء له، ولا يعنفه في خروجه عن الطاعة.

وكان مقرئ درس والده، وإذا قام من الدرس لغرضٍ أو حاجةٍ، زاد والده في الإملاء على الطلبة، فإذا حضر، أمره بالقراءة، ولا يمكن أحداً من القراءة بدله، واستمر على ذلك إلى أن مات والده، فسار بسيرته، ونزع عما كان عليه في شبيبته، وتصدر للتدريس بالجامع الأزهر مكانَ والده، وحضر مجلسه غالب تلامذته، بأمر منه لهم قبل موته، وظهر أثر دعائه عليه.

وكان مجللاً مهاباً عند العلماء فمن دونَهم، مع حسن عشرته، ورقيق طبعه، والناس في درسه كأن على رؤوسهم الطير، فلا يقدر أحدٌ من الحاضرين أن يسأله، أو يرد عليه؛ هيبةً له، وإذا تكلم على مسألةٍ، يملي عليها جميع ما ذكر من الكلام عليها، وإذا أورد أبحاثاً، لا يبقي فيها ولا يذر.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٢٧، ٣٣٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤١٦)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٥٤٨)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٣٥٥).

والحاصل: أنه كان من حسنات دهره، في مصره.

وألف المؤلفات العديدة، المفيدة الفريدة، منها: «شرحٌ على الجزايرية» في العقائد كبيرٌ، وآخر مختصرٌ، و«ثلاثة شروحٍ على عقيدة والده الجوهرة»، وكتاب «ابتسام الأزهار من رياض الأخيار في ربيع الأبرار بمولد الحبيب المختار»، و«حاشيةٌ على شرح الصدور»، و«حاشيةٌ على تذكرة القرطبي»، وغير ذلك.

حضرت مجالسه بالجامع الأزهر في «تذكرة القرطبي»، وبالجامع الفاكهاني في «شرح الصدور للسيوطي»، ودخلت في عموم إجازته لطلبته، وكان بينه وبين والدي كمال الصداقة، وكان يذكر ذلك لي، إذا اجتمعت به اجتماعاً خاصاً، ويرعى ذلك زيادة مودته لنا ـ رحمه الله ـ.

توفي يوم الجمعة، وصلى عليه يوم السبت، سادس وعشرين شوال، سنة ثمان وسبعين بعد الألف، بالجامع الأزهر، إماماً بالناس، شيخنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي، في مشهدٍ عظيمٍ، أبهر العقول ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ.

وذكره الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»، فقال: هو وارث علوم أبيه، والفذّ من أصحابه، الذي ليس له شبيه، إلا أنه قد غلب عليه حب الانفراد، والنفور من العباد، فمن قائلٍ: إن ذلك تنسكٌ وزهادةٌ، ومن قائلٍ: بطالةٌ وملالةٌ، والصحيح ـ إن شاء الله ـ: الأول، فلا يدرس إلا في الشهور الثلاثة: رجب، وتالييه، وغالب تدريسه فيها الحديث وما يشبهه.

قال: ومما استفدته منه: أن المؤمن ولو كان عاصياً، إنما يحضر خروجَ

روحه ملكان أبيضان، منيران هينان، وأنهما يحولان بينه وبين الأسودين، ولو كان فاسقاً.

واستفدت منه: أن الوباء ـ أعاذنا الله منه ـ يُحدث في الجسم سُميةً منها يكون موت صاحبه، ولو برئ في ذلك الوقت، فإن موته متى كان، ولو بعد مئة سنةٍ، إنما يكون بتلك السمية الباقية في البدن، وهذا عندي مما ينظَر فيه، أو ورد عمن يجب التسليم له، فليسلم، وإلا، فالإنسان قد يموت مقتولاً، أو بشرب سُمٍّ أقوى أثراً من ذلك الأول، أو بغرقٍ، أو حَرقٍ، أو هدمٍ، وبعيدٌ أن يكون سبب موت أحدهم السمية الباقية في البدن، من وباءٍ متقدمٍ، دون هذا السبب الظاهر الأقوى.

وأثر المضاف إليه الموت عادةً وحساً وشرعاً، إذا يقال: قتل فلانٌ فلاناً، فيقتص منه، اللهم إلا أن يرد ذلك مرفوعاً، فيتبّع؛ لأن العقل لا يحيله، أو يكون ذلك خاصاً بالأمراض الحادثة في البدن؛ من تغير أمزجةٍ، وتغير أخلاطٍ، وأن سبب ذلك السمية الباقية، فهذا أقرب من العموم. انتهى.

[١٢٩٣] السيد عبد الرحمن بن علوي بن أحمد ابن الإمام محمد صاحب عيديد، يعرف كسلفه ببا فقيه[١].

إمام أهل زمانه، وأعجوبة دهره وأوانه، فقيه قطره، بل جميع الأقطار، وعالم عصره، بل سائر الأعصار، ذو التلامذة الذين اشتهروا في الآفاق، وضاقت عن أوصافهم بطون الأوراق.

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٦٨)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٤٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٦٥).

وُلد بـ «تريم»، ونشأ بها، وحفظ القرآن، و«المنهاج الفرعي للنووي» و«الملحة»، وتفقه على الشيخ محمد بن إسماعيل بافضل، ولازمه، واختص به، وأخذ عن السيد الجليل عبد الرحمن بن شهاب الدين، وغيرهما، وصحب السيد عبدالله بن شيخ العيدروس، وأخذ عنه التصوف، ولبس منه الخرقة.

وكان ذا فهمٍ وذكاءٍ، وإكبابٍ على العلم النافع، قوي النفس، عظيم الهمة، مهاباً في النفوس، عفيفاً عزيزاً عند الأكابر والأعيان، عرض عليه القضاء مراراً، فامتنع من ذلك، مع الإلحاح عليه، وكان حسن المعرفة بالفقه، وله اعتناءٌ بـ «شرح المنهاج للمحلي»، يكاد يحفظه عن ظهر قلب، وأُخذ عنه.

وانتفع به جماعةٌ كثيرون، منهم: عبدالله بن أبي بكر الخطيب، ومحمد ابن محمد بارضوان، وعبدالله بن أحمد بافضل، قرأ عليه «بداية الهداية»، و«مختصر بافضل»، وشيئاً من «شرحه»، وصحبه كثيراً، وانتفع بصحبته، وأثنى عليه كثيراً في كتابه «المشرع الروي في مناقب بني علوي».

قال: وكان صاحب إنصافٍ في البحث والمناظرة، متواضعاً متنزهاً عن الدخول في المناصب، وعن كتابة أوراق بيع العهدة، والحضور في عقودها، لا تأخذه في الحق لومة لائم، يصدع بالحق، ولو على السلطان الظالم، والولاة فمن دونهم من الغواشم.

وكان ملازماً لقراءة كتاب «إحياء علوم الدين» بأحسن تبيين، ويقرره أحسن تقرير، ويوضح مشكلاته، ويحررها أحسن تحرير، وكان كبير المقدار في الزهد والورع والتقوى، ولم يزل كذلك حتى **توفي** سنة سبعٍ ـ بتقديم

السين ـ وأربعين بعد الألف بمدينة تريم ـ رحمه الله ـ.

[١٢٩٤] السيد عبد الرحمن بن شيخ عيديد[١].

الإمام الجليل، صاحب الأحوال والمقامات، والكرامات الخارقة للعادات، صحب الشيخ أبا بكر بن سالم صاحب عينات، وقال: إنه نظر إليّ نظرةً لم أعرفها إلا بعد أربع عشرة سنةً، وصحب الشيخ عبدالله بن شيخ، والشيخ عبدالله بن أحمد العيدروسيين، وغيرهما من أكابر العارفين.

وكان عارفاً بطريق الصوفية واصطلاحاتهم، صاحب عباداتٍ ومعاملاتٍ حسنةٍ، وكان بينه وبين العارف بالله السيد حسين الحبشي محبة تامة، وانتفع به خلقٌ كثيرٌ، منهم: ولده السيد شيخ المشهور، والسيد عبدالله بن محمد قسم نزيلُ طَيبة، وشيخنا الإمام السيد محمد الشلي نزيلُ مكة.

وكانت خصاله ـ رحمه الله ـ مستحسنةً، وتعتريه حدةٌ، وإذا رأى منكراً، سارع في إزالته، ولا يخاف لومة لائمٍ، ولا بطشة ظالمٍ، **توفي** ـ رحمه الله ـ ممتعاً بجميع حواسه، سنة ثمان وستين بعد الألف بمدينة تريم ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٢٩٥] عبد الرحمن بن سليمان المحلي الشافعي[٢].

نزيل دمياط، الشيخ المحقق، النحرير المدقق، محرر العبارات، بلطائف الإشارات، الذي جبل طبعه على الفهم الصحيح، ورزق دقة النظر، وقوة

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٦٥)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٩٥).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٠٥).

الترجيح، وأعطاه الله سبحانه ما أعطاه من قوة الفكرة، وسرعة الاستخراج، وحباه الله ما حباه من لطافة المزاج.

يكـادُ مـن رقَّـةِ الألفـاظِ يَحملُـه روحُ النسيم وبرقُ السمع يخطَفُـهُ
قد رقَّ حتى إذ لـو حـلَّ مـن أدبٍ في طرفِ ذي رَمَدٍ ما كـان يَطرفُـهُ

مولده المحلة الكبـرى، وهي قصبـة الغربيـة من مصر، وقدم مصر، واشتغل بالعلم، وجدّ فيه، وقرأ بالروايات على الزين عبد الرحمن اليمني، وقرأ العلوم على محيي الدين ابن شيخ الإسلام زكريا، والنور علي الحلبي، والشمس محمد الشوبري، وغيرهم.

وصحب شيخنا علياً الشبراملسي، واقتصر عليه من بين شيوخه، ولازمه في الليل والنهار، والعشي والإبكار، وصار شيخنا ـ قدس الله روحه ـ لا يصدر إلا عن رأيه؛ بحيث إنه انقاد إليـه انقياداً عجيباً، وهكذا كان في شيخنا ﷺ من مزيـد الحلم والأدب في الصحبـة مع من هـو دونـه، ما لم يره أحد من علماء زمانه.

ومن غريـب مـا اتفق لـه معـه: أن شيخنا كان يحضر دروس الشمس الشوبري؛ لكونه أسنّ منه، وكان الشمس المذكور يعتقد زيادة فضل شيخنا، ويكثر المطالعة لأجله، ويُمعن النظر في تحرير المسائل الفقهية، وكان ـ مع مزيد جلالته ـ إذا توقف في أثناء مطالعتـه في شيءٍ، ولم يظهر لـه الجـواب عنه، يكتب عليه، ويعرضه على شيخنا، فيجيبه عنـه، وكان شيخنا من دقة النظر بمكانٍ مكينٍ، مما ذكرنا بعضه في ترجمته ـ رحمه الله ـ.

فلما رأى المترجم ذلك، منع شيخنا من حضور دروس الشمس الشوبري،

وحلف عليه بالله سبحانه أن لا يحضره، وقد قدمنا أن شيخنا كان رجلاً نبوي الخلق، فحاول أن يخلصه من اليمين، فلم يقدر، ولم تطب نفسه أن يتكدر خاطره؛ لما قدمناه من شدة انقياده إليه، فترك حضور الدرس.

وبلغ ذلك الشمسَ الشوبريَّ، فتعب غاية التعب، وظهر منه التغير الشديد على صاحب الترجمة، ودعا عليه بدعواتٍ، منها: أن الله سبحانه يقطعه عن الجامع الأزهر، كما قطع شيخنا عن حضور درسه، فاستجاب الله سبحانه دعاءه، وهاجر من الجامع الأزهر بغير سببٍ.

ولم يطب له المكث في مصر، وتوجه إلى دمياط، وأقام بها، ولم يرزق فيها حظاً في دروسه، مع أنه أفضل من فيها من علمائها، وكان أمر الله مقدوراً، وله مؤلفاتٌ ورسائل كثيرة، منها: «حاشيةٌ على تفسير البيضاوي».

توفي ـ رحمه الله ـ بدمياط، عام ثمان وتسعين وألف، في شهر رمضان.

[١٢٩٦] عبد القادر محيي الدين بن محمد بن يحيى بن مكرم بن محمد بن محمد بن محب الدين محمد بن شهاب الدين بن إبراهيم بن محمد ابن إبراهيم بن أبي بكر بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر بن علي بن فارس ابن يوسف بن إبراهيم بن محمد بن علي بن عبد الواحد بن موسى بن إبراهيم ابن موسى بن جعفر بن محمد بن علي بن الحسين السبط بن علي بن أبي طالب، الحسيني، الطبري، المكي، الشافعي[1].

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٥٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٣٥) (٢٧٠)، «البدر الطالع» (١/ ٣٧١)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٥٨)، «منائح الكرم» للسنجاري (٣/ ٦١٦)، «إنباء البرية =

قد ترجم نفسه في بعض كتبه، فقال بعد أن ذكر نسبه: هكذا سرد نسبه هذا أئمة التاريخ، والعلماء والأكابر، وهو متلق له كابراً عن كابر؛ فإن الحافظ العمدة سراج الدين عمر بن فهد، مؤرخ مكة، ترجم أبا بكر بن محمد الطبري، ونسبه في كتابه «التبيين في تراجم الطبريين» بهذا النسب.

ووجد ذلك بخط الحافظ العمدة المحدث أبي عبدالله محمد بن أحمد ابن الوادي آشي، وبخط الشيخ تقي الدين بن فهد، وذكر أنه وجده بخط الإمام رضي الدين بن المحب الطبري، وسرده كذلك السراج الفهدي، في معجمه وذيله، على تاريخ الفاسي، المسمى بـ: «الدر المكين بذيل العقد الثمين» عند ترجمة الإمام محب الدين الطبري.

وذكره في ترجمة المذكور ـ أيضاً ـ الشيخُ العلامة عز الدين بن فهد في معجمه، في كتابه المسمى: «نزهة ذوي الأحلام بأخبار الخطباء والأئمة وقضاة بلد الله الحرام»، وساقه ـ أيضاً ـ الشيخ الرحلة جار الله بن فهد في معجمه المسمى: «نوافح النفح المسكي بمعجم جار الله بن فهد المكي»، عند ترجمة شيخه الإمام محب الدين الطبري.

وفي كتابه المسمى: «القول المؤتلف في الخمسة بيوت المنسوبين للشرف»، وصاحب هذه الترجمة أمه أم الخير بنت الشيخ حسن بن عبدالله باكثير، كانت ولادته آخر نهار السابع والعشرين في صفر، سنة ست وسبعين وتسع مئة، بمكة المشرفة، وأرخها بنفسه بعد أن كمل، وجعل لفظ التاريخ: (أشرف المدرسين) بقصد التفاؤل، وقد حقق الله رجاءه لما سبق في علمه.

= بالأنباء الطبرية» مخطوط، الورقة (١٦)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٤٤).

مولـدُ عبـدِ القـادرِ الإمـامِ فـي عامٍ كثيـرِ الخصبِ كـان ذا رخـا
مـن خـصب ظهـورِ خيـرِ عـالم بأشـــرف المدرســـين أرخـــا

فنشأ وترعرع في حجر أبويه، مرضياً عليه، وأكمل حفظ القرآن العظيم، وهو ابن اثنتي عشرة سنةً، وصلى به التراويح، في مقام الخليل إبراهيم ـ عليه وعلى نبينا أشرف الصلاة والتسليم ـ، وهو في هذه السن.

وحفظ عدة متون، منها: «الأربعون النواوية» في الحديث، و«الإشارات عليها»، و«العقائد النسفية»، و«ألفية ابن مالك» في النحو، وثلث «المنهج» لشيخ الإسلام زكريـا في الفقـه، وعرض جملتها على عدة مشايخ، في سنة إحدى وتسعين وتسع مئة.

منهم: شيخ الإسلام، شـافعي عصره باتفـاق الأعلام، الشيخ شمس الدين محمد بن أحمد الرملي الأنصاري، والشيخ العلامة المفنن شمس الدين محمد النحراوي الحنفي، والشيخ القدوة المفيد عبد الرحمن وجيه الدين بن محمد الشربيني الخطيب الشافعي، والشيخ الإمام العمدة علي بن جار الله بن ظهيرة الحنفي، والشيخ الصالح العالم العامل يحيى بن محمد الحطاب المالكي، وجماعة كثيرون، وأجازوه بمحفوظاته إجازة روايةٍ، وكتبوا له ما يكتب لمثله في العادة من الإجازة.

وشرع من هذا العـام في التحصيـل والاشتغـال، وحـل المتـون على المشايخ، وكان مبدأ اشتغاله على ابن عمه الإمام محمد بن عبدالله الطبري، وعلى الآغا ياقوت الإسكندري، قرأ على الأول بعض «الأجرومية»، وعلى الثاني «العوامل الجرجانيـة»، ولازم دروس الرملي في مجاورتـه تلك السنة

بمكة المشرفة تبركاً، وشرع في حل «متن المنهج على الشربيني»، وانتهى فيه إلى: شروط الصلاة.

وحل «عقيدة إمام الحرمين» على الشيخ محمد الزهيري، وحضر درس النحراوي، ولازم دروس الشيخ المتقن الجليل المفنن عبد الرحيم بن أبي بكر ابن حسان، وقرأ عليه «شرح القطر» للمصنف بكماله، و«شرح الزنجاني» في الصرف للسعد للتفتازاني بحاشيتيه اللتين إحداهما للغزي، وثانيتهما للقاني.

وشرع في قطعة من أوائل «ألفية ابن مالك»، فتخرج عليه، وانتفع به ومهر، وقرأ قطعة من أوائل «ألفية ابن مالك» ـ أيضاً ـ، وقطعة من «الخزرجية في العروض» على الشيخ الأديب، الألمعي الأريب، الفاضل الكامل، جمال الدين بن إسماعيل العصامي ـ رحمه الله تعالى ـ، وقطعة من «شرح الفناري على متن إيساغوجي» في المنطق، وقطعة من «متن الشمسية» بعد حفظ أكثرها، على أخي المذكور، العلامة المحقق علي العصامي، وحضر عنده قراءة «شرح آداب البحث لملا حنفي»، وقطعة من أوائل «المغني لابن هشام»، وقطعة من «شرح الجامي على الكافية» بقراءة ابن أخيه الشيخ عبد الملك بن جمال الدين العصامي.

وحضر قراءة جانبٍ كبيرٍ من «شرح المنهج» على الشيخ القدوة المفيد أبي البقاء الغمري، وحضر عنده ـ أيضاً ـ قراءة «شرح الورقات للجلال المحلي» بتمامه، وقرأ قطعة من أوائل «شرح المنهج» قراءة بحثٍ وتدقيقٍ، وإمعان نظرٍ وفكرٍ على الشيخ الصالح المتقن نصر الله بن محمد، وقرأ جانباً من هذا الشرح ـ أيضاً ـ على الشيخ المفيد المجيد محمد بن عبد العزيز الزمزمي.

وقرأ جانباً من متن «المنهاج» على الشيخ الجامع المطّلع محمد البهنسي، وقرأ جانباً من «متن الشاطبية» بعد حفظ نصفها على الشيخ المفنن علي الهروي، وجمع عليه للقراء السبعة سورة البقرة بكمالها، وقرأ جانباً من «شرح التهذيب في المنطق» لشيخ الإسلام على الشيخ علي بن جار الله بن ظهيرة.

ولازم ودأب، وأعانه على ذلك جدَّةُ فهمٍ ثاقبٍ، وسلامة طبعٍ يعدّ من العجائب، فداوم على كثرة المطالعة للعلوم الأدبية، فبلغ ذلك الرتب العلية؛ بحيث إنه ملك ناصية الأدب، وأنسى بملكته ذكر من تقدم وذهب، فتصرف في النظم والإنشاء، على حسب ما أراد وشاء.

ونظم القصائد التي تقف الأفاضل دونها حسراً، وإنشاء الرسائل التي لا تعصي الأدباء لها أمراً، واطلع بذكائه وفهمه، وقوة حدسه وعلمه على العلوم العربية، فانقادت له طائعةً غير أبيّة، وامتزجت به امتزاج الماء بالراح، وقامت به قيام الأجساد بالأرواح، فصارت له سجيةً لا تتكلف، وطبيعة لم تكن عنده تتخلف.

فترقى عنها إلى ما هو أصعب مسلكاً، وأتعب متملكاً، فاهتم بقراءة جانب من «شرح الجغميني في الهيئة»، وقطعةً من أوائل «التجريد» للملا علي القوشجي على العلامة الجليل السيد الأصيل نصير الدين بن محمد غياث الدين منصور، وقرأ عليه ـ أيضاً ـ قطعةً من رسالة الإسطرلاب، وقرأ جانباً من «شرح كليات الموجز في الطب للنفيس» على الفاضل الكامل يوسف الطبيب الكيلاني، وقرأ جانباً من «شرح هداية الحكمة» لمير قاضي حسين على السيد القاضي الجليل غضنفر.

ثم صنف وأجاد، وألف وأفاد، كتباً عديدةً، منها: مقامةٌ سماها: «درة الأصداف السنية في ذروة الأوصاف الحسنية»، ومنها: كتابٌ مشتملٌ على زبدة أربعين علماً، سماه: «عيون المسائل من أعيان الرسائل»، ومنها: شرحٌ على الدريدية سماه: «الآيات المعصورة على الأبيات المقصورة».

وكتابٌ في علم العروض، لم يسبق إلى مثله؛ فإنه استدرك على الخليل واضعِ الفن، ورد دائرة من الدوائر الخمس إلى الباقي، وجعل الدوائر أربعاً، ببرهانٍ قائم على ذلك، وسماه: «فتح الجليل بعلم الخليل»، ومنها: شرحٌ على سيرته التي نظمها، سماها: «حسن السريرة في حسن السيرة»، ومنها: شرحه على قطعةٍ من ديوان المتنبي، سماه: «الكلم الطيب على كلام أبي الطيب»، ومنها: شرح بديعيته التي سماها: «عليُّ الحجة بتأخير أبي بكر ابن حجة».

وله رسائل علمية، منها، قطعة على أوائل «صحيح البخاري» سماها: «إفحام المُجاري في إفهام البخاري» شرع فيها لما فوض إليه تدريس مدرسة محمد باشا، سنة خمس بعد الألف، ورسالة سماها: «سل السيف على حل كيف»، ورسالةٌ فسر بها قول الله ـ سبحانه وتعالى ـ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾[الأحزاب: ٣٣] سماها: «عرائس الأبكار وغرائس الأفكار»، ومنها: شرح على كتاب «الكافي في علم العروض والقوافي»، سماه: «الخافي من كتاب الكافي».

و«إعانة العاني التعبان بإبانة فضيلة ليلة النصف من شعبان»، و«الصلات الغرائب في صلاة الغرائب»، و«المؤلفة في المؤلفة»، و«بلوغ المرام في الاقتداء من جدار المسجد الحرام»، و«كف الأصحاب الأنجاب عن كشف

الجلباب والحجاب»، و«تفصيل المقالة في التفضيل بين النبوة والرسالة»، و«المفرد الجامع لمحاضرات المجامع»، و«حفظ الحُرم في أوقاف أهل الحَرَم»، و«حكم قضاء أول يوم إذا ثبت في أثناء شهر الصوم»، و«مذهب الإرتاج عن مذهب التاج»، و«رفع الاشتباك بمن تناول التنباك»، و«عيون المسائل من أعيان الرسائل» في أربعين علماً.

و«فوائد سلوك الورى بعوائد ملوك أم القرى»، و«تقييد إفادة الحفاظ في إطلاق الإداوة[1] بإرادة الألفاظ»، و«الحظر الجائز لاستدبار حاضر الجنائز»، و«منشآت السلافة بمنشآت الخلافة»، و«عرق الشبه والفرق بين ما اشتبه»، و«الإقليد في التقليد»، و«إنباء البرية بالأنباء الطبرية»، وغيرها.

ولم يزل منهمكاً على العلم، مباحثاً فيه، معروفاً به، سالكاً في جميع أقواله، وشؤون أحواله، مسلكَ محققي العلماء، مُلاحَظاً من الله بالتأييد والبهاء، إذا نطق، فجر صُمَّ الصخر، وإذا كتب، فحدِّثْ عن البحر ولا فخر، له العلم الزاخر، والبيت الباذخ الفاخر، والسلف الذي ينقطع دونه كل مفاخر.

كما قال شيخ الإسلام الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي المكي، في خطبةٍ له في الطبريين، منها: ثم أيد الله ذلك الأحياء، وأسعف ذلك الإبقاء، بأئمة الهدى، ومصابيح الدجى، الجامعين بين شرفي العلم والنسب، وكرمي التقوى والحسب، والوارثين في الحقيقة لذلك المقام، والمقتدَى بهم في الدين، وخلف ذلك المقام.

وكيف لا، وهم من خلاصة الجرثوم الهاشمية، وطراز الحلة المحمدية

---

(١) في الأصل: الأدواة.

القرآنية، والأسرار العرفانية، والعترة الطاهرة المطهرة من كل دنسٍ أي تطهير، والمفروضة محبتهم ومودتهم على كل جليل وحقير؛ كما قال الشافعي رضي الله عنه:

يـا آلَ بيـتِ رسـولِ اللهِ حُـبُّكُمُ فـرضٌ مـن الله فـي القـرآن أنزلَـهُ
يَكفيكُمُ مـن مزيـد الفـضلِ أنكـمُ من لم يصلِّ علـيكمْ لا صـلاةَ لَـهُ

والمقرونَين بالقرآن الكريم، في أمن العالم بهمـا، ما داما باقيينِ فيه، من كل خطبٍ جسيمٍ، ومدلهمٍّ بهيمٍ، والمخصوصين لمـا فيهم من البضعـة الكريمة، والجوهرة اليتيمة، التي لا يوازي شرفها شرف، ولا يلحـق رفيـع شأوها سلف ولا خلف، بأنهم الأئمة في كل زمن، والمفزوع إليهم عند تزاحم الإحن، وتكاتف الفتن، وترادف المحن.

وبأن من سواهم أتباع لهم في الحقيقة، وإن كانـوا بصور المتبوعين، وخدمـة لفضائلهم، ومآثرهم العلية، وإن كانوا بصور المخدومين، ولله در القائل رداً على بعض الملوك، إذ أمر الأشراف بوضع عصائب خضر، على عمائمهم؛ ليتميزوا عن غيرهم:

جعلـوا لأبنـاءِ الرسـولِ علامـةً إن العلامـةَ شـأنُ مـن لـم يُـشْهَرِ
نـورُ النبـوةِ فـي كـريمِ وجـوهِهم يُغني الشريفَ عن الطرازِ الأخضرِ

والقائل:

بـيضُ الوجـوهِ كريمـةٌ أحـسابُهم شُـمُّ الأنـوفِ مـن الطـراز الأولِ

ولقد صدق وَبرَّ من قال في محبهم الأكبر: ما أخرجت مكة بعد الشافعي أفقهَ من المحـب الطبـري، ومن قال فيـه ـ أيضـاً ـ: إن أبحاثـه غرر أبحاث

المتأخرين، وآراءه كآراء المتقدمين، وشاهد ذلك: عدولُ مؤلفاته، ومتواتراتُ تحقيقاته، المجمَع على عموم نفعها، وعظيم وقعها.

ومن قال في جمالهم الأبر، ومحققهم الأغر: إنه البحر الخضمّ، والغيث الأعمّ، ومن قال في رضيهم، المرضية آثاره، الشهيرة علومه وأسراره: إنه الطود الشامخ، والجبل الراسخ، ومن قال في محبهم الأخير، وعلمهم الشهير: إن القطب كان يأمره بانتظاره، ليصلي خلفه، مقتدياً بآثاره، حتى صار قطب دائرة العلوم والمعارف، والحكم واللطائف، وحينئذ آن للمنتسب إليهم أن ينشد متمثلاً:

أولئكَ آبائي فجِئْني بمِثلِهم	إذا جمعَتْنا يا جَريرُ المجامعُ

ومن ثَم قال عمر للحسن رضي الله عنهما اعتذاراً إليه، واعترافاً بالحق الواجب: [من أنبت][1] الشعر على رؤوسنا بعد الله إلا أنتم، وقال - أيضاً - للحسين رضي الله عنهما، وقد قال له وهو صغير: انزل عن منبر أبي: أي والله! إنه لمنبر أبيك، وما أنبت الشعر على رؤوسنا إلا أبوك رضي الله عنه؛ إذ أقر المجد في نصابه، ورده إلى إهابه. انتهى المقصود منه.

رجعٌ من شعر صاحب الترجمة: قوله يمدح الشريف حسن بن أبي نمي صاحب مكة:

بَدَتْ تجُرُّ ذُيول التِّيهِ والُخيَلاَ	في روضةِ العُجْبِ حتى قلتُ حَيَّ عَلَى
خَوْدٌ تُجرِّد بِيضاً من لَواحِظِها	فتتركُ الأُسْدَ في ساحاتِها قُتَلاَ

---

(١) ما بين معقوفين ليس في الأصل.

وتَنْثَنـــي بقَـــوامٍ زَانَـــه هَيَـــفٌ فتُخْجِلُ الغُصْنَ تَعْدِيلاً كـذا مَـيَلاَ

ما أَطْلَعَتْ لِي هلالاً مـن مُبَرْقَعِهـا إلاّ وعايَنْتُـــه بَـــدْراً فـــلا أفَـــلاَ

ولا رَنَـتْ لـي بلَحْـظٍ فَتْـرةً كَسَلاً إلاّ وقد بعثتْ جوفَ الحَشَا رُسُلاَ

يا حُسْنَها مـن فتـاةٍ حَـلَّ مَبْسَمَها ظَلْـمٌ يفـوقُ علـى لَذّاتـهِ العَسَلاَ

ورَصَّـــعَتْه لآلٍ حـــولَ مَنْبَتِهـــا زُمُـرُّدُ الوَشْـمِ باللّـهِ مـا فَعَـلاَ

ناديتُهـــا ورمـــاحُ الحـــيِّ مُعْلَنـــةٌ يا ظَبْيَةَ الحَيِّ هل ما يُبْلِغُ الأمَـلاَ

لِوَالِـهٍ عبثَـتْ أيْـدِي الغـرامِ بـه أمـا تَـرَيْ شـأنَه أن يُبْـدِعَ الغـزَلاَ

قالتْ صـدقْتَ ولكـنْ ذاك تَوْطِئَـةٌ لِمَدْحِ أفضلِ مَن في الأرضِ قد عَـدَلاَ

السيِّدِ الحسَنِ المَلْكِ الهُمامِ ومَن تــراه بـــالحقِّ للجَـوْزاءِ مُنْـتعِلاَ

سلطانُ مكّةَ حامِي البيتِ مَن شـهِدتْ بعَدْلِـه الأرضُ لمّـا مَهَّـد السُّبُلاَ

مُؤيِّدُ الدِّين بالعَزْمِ الـذي اقْترنَـتْ به الـسَّعاداتُ فـي حالاتِـه جُمَـلاَ

لَيْثُ الكتيبةِ مُـرْوِي المَـشْرَفيَّةِ مِـن دمِ العِدَا مَنْهَلاً إذْ أرْعَـفَ الأسَـلاَ

صادَ الصَّناديدَ يومَ الحربِ ما بَطَلٌ رأى عَجائبَـــه إلاَّ وقـــد بَطَـــلاَ

كـم ذا أبانَـتْ عـن العَلْيـاءِ هِمَّتُـه وكم أبـادتْ مَعـالِي عَزْمِـه رَجُـلا

وكم مَحـا سـيفُه أهـلَ الفَـسادِ وأرْ بابَ العِنادِ فجارَى سيفُه الأجَـلاَ

فأصـبحُوا لا تُـرَى إلا مَـساكنُهمْ بَلاقِعاً قد كَساها الـذُّلُّ ثَـوبَ بِـلا

ولـيسَ بِـدْعاً فهـذا شـأْنُ والـدِه عليٍّ المُرْتَضى السامِي بفضْلٍ وَلاَ

فسَلْ حُنَيْناً وسَلْ بَدْراً وسَـلْ أُحُـداً والنَّهْرَوانَ وسَلْ صِـفِّينَ والجَمَـلاَ

فيا ابنَ طـه عَلَـوْتَ النـاسَ قاطبـةً وجَلَّ قَـدْرُك أن تَحْكِـي لـه مَـثَلاَ

هل أنتَ مَلْكٌ عظيمُ الخَلْقِ أم مَلَكٌ أبِنْ فأمْرُك هذا حَيَّرَ العُقَلا

جمعتَ كلَّ صفاتِ المَجْدِ أعظمُها جبرُ الخواطر للعاني ومَنْ وَصَلا

لا سِيَّما من عُبيدٍ غرسِ نعمتكم أباً وجداً فمِنْ ذا أصبحوا أُصَلا

لذا حثثتُ مطايا العزمِ مسرعةً إلى فِنائك كي ما أبلُغَ الأَملا

فما ينفذ حكم الشرع دامَ سوى ذاتِ الشريفِ وما عنه نرى حِوَلا

أدامَهُ اللهُ في سَعْدٍ يُسَرُّ به وذو دعاءٍ لكلِّ الخلقِ قد شَمِلا

ثم الصلاةُ على المختارِ من مضرٍ والآلِ والصَّحْبِ ما مدحُ الشريفِ حَلا

وكانت وفاة صاحب الترجمة بين المغرب والعشاء، من ليلة الخميس ليلة عيد الفطر، عام ثلاثة وثلاثين بعد الألف، وحضر مشهده، وختم القراءة عليه، بتربتهم بالمعلاة، شريفُ مكة محسن بن حسين، في جماعةٍ من الأشراف، وأكابر مكة وأعيانها.

وسبب موت صاحب الترجمة: أنه لما كان ليلة الأربعاء، سلخ رمضان، أمر حيدر باشا متولي اليمن أن لا يخطب العيد في هذا العام إلا خطيبٌ حنفيٌّ، وكانت النوبة لصاحب الترجمة، وكان قد تهيأ للخطبة، وأخذ جميع ما يحتاجه من السماط والحلوى، على عادة خطيب العيد بمكة، فراجع حيدر باشا في ذلك، فلم يفعل، وشدد في منعه مباشرةَ خطبة العيد.

فتعب لذلك تعباً شديداً، فمات فجأةً، وصُلي عليه بعد صلاة العيد من يومه، فلما بلغ الشريف إدريس ذلك، تعب تعباً شديداً؛ لما كان للإمام عبد القادر عنده من المحبة، فدخل مكة رابعَ شوال، ومعه الشريف محسن، وجميع الأشراف والقواد، في موكبٍ عظيمٍ، وطلب منه التوجه إلى اليمن،

وأحضر إليه ما يحتاج من إبل وغيرها، فتوجه إلى اليمن.

ولما وقف صاحب الترجمة، على قول البدر الدماميني:

يــا ســـاكني مكـــةَ لا زِلـــتُم أُنــساً لنــا إنــيَ لــم أَنــسَكُمْ
مـا فـيكُمُ عيـبٌ سـوى قـولِكم عنــدَ اللِّقــا أوحَــشَنا إنــسُكُم

قال مجيباً:

مـــا عيبُنـــا هـــذا ولكنـــه من سوء فهمٍ جاء مـن حَدْسِـكم
لـم نعـن بالايحـاش عنـد اللقـا بل ما مضى فابكوا على نفسِكم

وحذا حذوه ولده زين العابدين ـ المقدم ذكره ـ، فقال:

يـا مظهـرَ العيـبِ علـى قولِنـا عنــد اللقــا أوحَــشَنا إنــسُكُمْ
مـا قـصدُنا مـا قـد جنحْـتُم لـه مـن خطـأ قـد جـاء فـي فَهْمِكـم
فقولُنـــا المـــذكورُ جـــارٍ علـــى حذفِ مضافٍ غابَ عن حدسِكم
والقصدُ فقـدُ الأنـس فيمـا مـضى لا ضــدُّه الواقــعُ فــي وَهْمِكــم
فــالأنسُ لــم يــوحش بــل فقــدُه هــو الــذي يــوحش مــن مــثلكم
وبعــد أن بــانَ لكــم فــاجزموا بنــسبةِ العيــبِ إلــى نفــسِكم

وحين وقف على ما قالاه الشيخُ العلامة أحمـد بن عبد الرؤوف، قال مجيباً، ومعتذراً عن البدر الدماميني:

صوناً مـوالي الفـضل بـينَ الـورى للبـــدرِ أن تدركَـــهُ شمـــسُكم
وخللـــــوه بعبـــــاء الإخــــا فإنــه الأنــسبُ مــن قدســكم

فإنـــه الكنـــزُ وبنيانُـــه ... مؤسَّـــسٌ قـدمًا علـى أُسِّـكم

كأنـــه أضـــمرَ أن شـــأنكم ... صـناعةُ الإيهـام فـي لفظِكـم

فاســتعملَ النـوع الـذي أنـتم ... أدرى بـه كـي يجتنـي غرسَـكم

ولـم يـسعْه كونُـه منكـراً ... لمثـلِ هـذا الحـذف مـن مـثلكم

فـإن هـذا سـائغٌ شـائعٌ ... برهانُـه أوحَـشْنا أُنـسُكم

وذكر المترجم في «إنباء البرية بالأنباء الطبرية» حين ترجم نفسه مكاتباتٍ بينه وبين أكابر أهل عصره، وبين ملوك مكة، وأشعاراً بديعة، ووقائع رفيعة اتفقت له، منها: أنه لما أتم شرحه على الدريدية، وقرأ ديباجته على الشريف حسن بن أبي نمي، فإنه ألفه برسمه، وذكر له الشرح المذكور، أنشأ بيتين يتضمنان تاريخ تأليفه، مكتوبان عليه، فتناول الشريف الكتاب بيديه، وقرأ البيتين، وهما:

أرّخنـــي مـــؤلفي ... ببيـــت شـعرٍ مـا ذهـبْ

أحمـــدُ جـــودَ ماجـــدٍ ... أجـــازني ألـــفَ ذهـبْ

فتبسم، ووضع الكتاب في حجره، وجعل يده على رأسه، وقال: على الرأس والعين، والله! إن ذلك نزر يسير في مقابلته، وإني أحمد الله تعالى الذي أوجد مثلكم في زمني.

فرحم الله قبراً ضمَّ جسدَه الذي طبع من الجود، وخلق من صفوة عناصر الوجود، وأنجز ـ رحمه الله ـ ما وعد، ووكف سحاب فضله إذ رعد.

ومما قاله فيه نظمًا صاحب الترجمة بديباجة شرح ديوان المتنبي الذي

ألفه باسمه ـ أيضاً ـ: قصيدة رائية عدة أبياتها تسعة وتسعون، ومطلعها:

ملـكٌ بنفحتـه الوجـودُ تعطَّـرَا ... واهتـزَّ مـن فـرحٍ بـه وتـأَطَّرَا
ملكٌ سرى من تسري طيب طيبه ... عَـرفٌ تـضوَّعَ فـي البريـةِ عَنبـرا
ملـكٌ شـميم ذكائـه هبـتْ بـه ... ريـحُ القَبـولِ ففـاح مـسكًا أذفـرَا
ملـكٌ لـه الخلـقُ العظـيمُ وإنَّ ذا ... خُلُق النبـيِّ فـدعْ هِرَقْـلَ وقَيْـصَرا
لـم يغـزُ إلا ذكَّـرَتْ غزواتُـه ... وفعالُـه المجـدَ العلـيَّ وخَيبـرا

ومنها:

وقواضـبٌ وجـهُ المنيـة يجتلـي ... في ماء رونَقِهـا الـصقيلِ مـصوَّرَا

ومنها:

وإليكَهـا طبريـةً أَغْنَتْـكَ عـن ... ظهرِ النهـار فلـو درى مـا أظهـرا
قصمَتْ ظهورَ عِداكَ بالمدحِ الذي ... رَقَمَته في طِرْس المفـاخرِ أسـطُرَا
نـسجَتْ علـى منـوالِ بِـرِّك بردَهـا ... فـأتى كمـا صـنعَ الـصنيعُ مُحَبَّـرا
نفحَتْ بعطرِ ثنائـك المـسكيِّ مـن ... نافوجِهـا فغـدا الوجـودُ مُعَنْبَـرا
لـو رامَهـا كـافورُ مـن متنبـي ... اللهُ أعلـمُ كـان ذاكَ مكفَّـرا
حاشـا عُلاهـا أن يُـرام لمثلِـه ... والله أَعظمَهـا لـديك وأَكْبَـرا
وافتـكْ يـا بـنَ الأكـرمينَ يزفُّهـا ... شَـمَمُ الإبـاء ترفُّعًـا وتكَبُّـرا
فاستجلِ منهـا طلعـةً قـد أطلعَـتْ ... بـدراً يغـازلُ منـه طرفًـا أَحْـوَرا
ولئنْ أطاعَـتْ فـي الإبا عِـصيانَها ... فـارفقْ فـشأنُ البِـكْرِ أن تتَنَفَّـرا

واجعـلْ قَبولَـكَ مهرَهـا ولأنـه أَغنـى وأَقنـى كـلَّ شـيء أَمهـرا
إن اللبيـبَ ببـذلِ أَنْفَـسِ مالِـه يرضى إذا كـان العـلاءُ المُـشْتَرى
واسلمْ ودمْ في نعمـةٍ مَـدَّت علـى نُعمـاك مـن ظـلِّ العنايـةِ عَبْقَـرا
مُتَمتعـاً ممـا يـرومُ بجنـةٍ شَـرَعَتْ لـسائِلِها يمينُـك كَـوْثَرا
متنزهـاً منهـا بأحـسنِ روضـةٍ عنّابهـا مـاءُ الأمـان تَقَطَّـرا
غنـتْ حمـائمُ أَيْكهـا وتفننَـتْ أفنانُهـا وسـرى النـسيم معطَّـرا
مـا ضـمَّخَ الأزمـانَ فـضلَ عبيـرِه ملـكٌ بنفحتـه الوجـودُ تَعَطَّـرا

وتوجه للطائف سنة تسع وعشرين وألف، وحصل بينه وبين أصحابه المقيمين بمكة مراسلاتٌ ومداعبـاتٌ أدبيةٌ، فمنها: ما كتبه ابتداءً، لمّا بلغه عتاب بعضهم في عدم المراسلة، وهو قوله:

سـفحَ الطـرفُ مـن شـجى عبـاره حـينَ وافَتْـه مـن صَـفِيٍّ عبـارَهْ
حركَـتْ سـواكنَ الفـؤاد وأورَتْ في الحشا من غَضَى التـذكُّرِ نـارَهْ
ذَكَّرَتْـهُ معاهـداً وعهـوداً بمغـانٍ أنواؤهـا مِـدْرارَهْ
در تلـك المـواطنِ الحرميـا تِ وتيـكَ الأمـاكنِ المختـارَهْ
حيـثُ يلقـى بهـا الخليـع ثوابـاً قـلْ ويُلقـي فـي سـوحِها أوزارَهْ
حـرمٌ آمـنٌ وبيـتٌ حـرامٌ ومقـامٌ ومنبـرٌ ومَنـارَهْ
شَـرَّفَ اللهُ حلَّـه وحِمـاهُ وحَمـاه قِـدمًا وأعلـى منـارَهْ
وسـقاهُ المُلِـث مـن كـلِّ غيـثٍ يحمـدُ الجـدبُ وَكْفَـه وانْهمـارَهْ
وسـقى جمعَنـا بـه فـي المعـالي منـشأُ مـن سـويقه والغـراره

لستُ أَنْسى أُنسي الذي قد تَقَضَّى مَعَ صحبي ولو وليتُ إمارَهْ

كيفَ أنسى خِدْني الذي هو عندي مثلُ روحي لا نفسي الأمَّارَهْ

مُفْرَدَ العصرِ واحدَ الدهرِ رَحْبَ الصْـ ـصَدرِ مَنْ في العلا إليه الإشارَهْ

خيرَ من قد أفادَ علمًا وأولى من بصدرِ الدروسِ يُعطى الصَّدارَهْ

كاشفَ المعضلاتِ من كُلِّ فَنٍّ حيثُ تلفي أربابها محتارَهْ

إنْ دجى خطبٌ مشكل أذهب الظلْـ ـمةَ عنه مستطلعاً أقمارَهْ

لا يُجارى ولا يُبارى إذا جا لَ فمنِ الذي يشقُّ غُبارَهْ

فيرى في فتوّةٍ وفَتاوٍ سابقاً طرفه حوى مضمارَهْ

عَضْبُه والسنانُ منه لسانٌ ويراعٌ إذا تُشَنُّ الغارَهْ

قَطُّ ما قط للكتابة إلاَّ فلّ قطعاً كتائب الاستعارَهْ

راعفًا بالمدادِ في كل علمٍ عارفاً في الطروس طُرْق العبارَهْ

ثَقَّفتْه أناملٌ هُنَّ بحرٌ كفُّها كفُّ رحمة تيارَهْ

مَنْ يساجِلْه في البلاغةِ غِرٌّ ذي نجومٌ وإنها غرّارَهْ

ذاك عبدُ الرحمنِ وهو ابنُ عيسى عُمَريٌّ أجلَّ ربي نِجارَهْ

قرشيٌّ والعقلُ من قرشيٍّ مثلُ عقلينِ فطنةً واستنارَهْ

فعليه مني سلامٌ سليمٌ لفراقٍ أنأي عليَّ مزارَهْ

وعليه صنوه أخي وصديقي مَنْ كسا الدهرَ مجدَه وفخارَهْ

وأقرَّتْ له الأفاضلُ في العلـ ـمِ إذا نقْعُ بحثٍ بحثٌ أثارَهْ

وتحلَّتْ به الدروسُ وجلَّتْ فأولو الفضلِ تقتفي آثارَهْ

الإمـــامُ الهمـــامُ قاضـــي البرايـــا | زادَ ربُّ الـــسماءِ فينـــا اشـــتهارَهْ
مـــا أُحَـــيلاهُ إذ يقـــولُ جهـــارًا | ســـي جَهـــار ايكـــا يكـــا ودُبـــارَهْ
بالغًـــا فيهمـــا المـــسرة والـــسؤ | دد دهــــــراً مبلغـــــاً أوطـــــارَهْ
وعلـــى خالِـــه البهـــاءِ ولـــيِّ اللْــ | ـلَه مـــن أصـــبحَ الـــسكونُ شِـــعارَهْ
والخطيـــبِ البليـــغِ وهـــو علـــيٌّ | ابنُ عيسى يعسوبُ أهلِ الإشـارَهْ
إن يـــكُ غـــابَ ظـــاهراً عـــن عيـــاني | فبـــسمعي مــــن إنـــسه مزمـــارَهْ
فـــصفاتُ البليـــغ فـــي كـــلِّ قطـــرٍ | بالمعــــــاني طنانـــــةٌ طيـــــارَهْ
لـــو ترانـــي ببركـــةِ الفيـــلِ حـــولي | معـــشرٌ لـــم ينـــل أخـــي مِعْـــشارَهْ
لتيقنــــــــتُ أن ناموســــــــي أَلا | نَ عظـــيم مـــا الملـــك أو الـــوزارَهْ
فـــي ريـــاضٍ مـــدبَّجاتٍ بزهـــرٍ | فـــي حيـــاضٍ لله مـــاذي الزهـــارَهْ
ذاك يُبـــدي ابيـــضاضَه يتبـــاهى | ثـــم هـــذا يلـــوي عنـــا اخـــضرارَهْ
بينمـــا افتـــرّ ذا بثغـــرِ ابتـــسامٍ | إذ رأى ذاك بُغــــــضَه وازورارَهْ
ياســـمينٌ ونـــرجسٌ وأقـــاحي | عـــصبةٌ لا يظـــن فيهـــا انكـــسارَهْ
وبهَـــارٌ يحـــفُّ رايـــاتِ وردٍ | زانَـــه شـــوكةٌ تزيـــد انتـــصارَهْ
والريـــاحينُ نمنمَتْهـــا يـــدُ المـــا | ء ســـطورًا شـــعرا يـــرى أشـــطارَهْ
ظَلَّلَتْهـــا عُـــروشُ كـــرمٍ تـــدلَّتْ | خُصَلا مـــا خـــصى فتـــى ســـنجارَهْ
كالغرابيـــبِ هـــنَّ ســـودٌ وبـــيضٌ | مـــا خلَـــتْ مـــن خـــرازةٍ وخـــرارَهْ
جنـــةٌ حَفَّهـــا حَمـــاطٌ وخـــوخٌ | فـــي خـــلاء طُبولُـــه زمّـــارَهْ
وبهـــا قـــد أحـــاطَ تـــوتٌ لـــه فـــي | يـــد مَـــن نالـــه بـــسوءٍ أمـــارَهْ

وهـي تُـسقى يـدَ الزمـانِ بمـاءٍ   واحـدٍ جَـلّ مـا أَعـزَّ اقتـدارَهْ
فضّل البعضَ مثـلَ مـا فـضل الأو   حـدَ شـيخَ الوجـود ربَّ المهـارَهْ
قائـلَ القـولِ لـم يـدعْ لفـصيحٍ   سَـعَةً فـي الكـلام إلا أعـارَهْ
فاعلَ الفعـلِ لـم يُبَـقِّ مـن الفضـ   ـل لطلابِـه سـوى أَسْـآرَهْ
إن تقمْ فـي شـريعةٍ حـربُ بحـثٍ   فهو عَمْرٌو وفـي الفـريض عُمـارَهْ
مـا سـمعنا قـدماً ولا قـد رأينـا   مثـلَ هـذا فيمـا حوتْـه العُمـارَهْ
حـرسَ اللهُ ربعَنـا فَعُـلاه   زانَ خـطَّ اسـتوائنا ومَـدارَهْ
يـا إمـامَ الأنـامِ دونَـك نظمـاً   قـد أجـاز الحجـازُ منـا انتـشارَهْ
فالمنوفيُّ لـم يـدع لركبِـك قلبـاً   فحـصارُ الفـراقِ شـقَّ المـرارَهْ
إنمـا حَـرّكَ الحـسينيَّ مـا قلـ   ـتُ وعـشاق ذا بـأدنى إشـارَهْ
وهـواءُ الحجـازِ يكـسب يُبْـساً   فاعفُ واقبلْ رصيفَ هذي الحجارَهْ
دُمْـتَ فـي رِقَّـةٍ وصَـفْوِ هنـاءٍ   قاطفًـا مـن غُروسـه أثمـارَهْ
عنـدما تنـضجُ الثمـارُ وتحلـو   لـم تَـشُبْها مـزازةٌ ومَـرارَهْ
ظَـنُّ خيـرًا ولا تقـل فـي جـوابي   هكـذا هكـذا تكـونُ الـشطارَهْ

ومنها: ما كتبه من الطائف، إلى الشريف إدريس بن الحسن بن أبي نمي، وهو بالمبعوث، معرّضاً له بما يستعان به على الإقامة بالطائف تلك المدة، ففعل، وبعث إليه بصلةٍ، مع مزيد الاعتذار في جوابه، والمكتوب هو:

يقبِّل الأرض الممتدةَ أطنابُها على قمة الأفلاك، المحروسة أرجاؤها من جميع أنحائها بسيارات الكواكب وثوابت الأملاك، بين يدي من له البسطة

العظمى في بساط البسيطة، والمقام الأسنى الأسمى بالبلدة التي بها عناية الله محيطة، مالك أزمة العقد والحل، ومهبط فضل الله في المرتحل والحل، مستوطن سنام المجد الشامخ، مقتعد صهوة الشرف الباذخ.

مشكاة العلوم إذا أظلمت سبل الجهالة، ضياء الحلوم إذا دارت على بدرها هاله، محكم أساس الملك بالآراء الرصينة، مشيد معالم السلطنة بثغور التدبيرات الحصينة، مُسَوِّر مدائن الدين بالقواضب القواضي، منفذ أحكام الإسلام المتين بمشرَعات الأسنة المواضي.

إنسان العين من عين الإنسان، المؤتمر بآية ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ﴾[النحل: ٩٠]، ملك الأقطار الحجازية، سلطان الجهات الحرمية، خلاصة البضعة الفاطمية، سلالة العناصر الشريفة النبوية، الملاحَظ بعين عناية الله الملك الحي، مولانا وسيدنا الشريف، إدريس بن الحسن بن أبي نمي:

فَخارٌ لو ان النجمَ أُعطيَ مثلَه تَرافَع أن يأوي أديم سماءِ

دام عزه وسلطانه، وعز أنصاره وأعوانه، وحفظ عليه ملكه وصحته وإيمانه، آمين.

وينهي هذا العبد المخلص، المحب المتخصص، ناشر عَلَم المدح، وناثر علم الحمد، الذي هو به دائم الصدح: أنه مازال بوظيفة الدعاء قائماً، وما فتئ على مواقع الإجابة بالأماكن المستطابة حائماً، بأن يمدّ الله في عمر مولانا وملكه، ويجري في بحر السعادة فلكه، ويُعرَف هذه الحضرة الشريفة: أنه ما برح عن تفيُّؤ ظلالها الوريفة، وهو مقيمٌ بالطائف بنية الصيام فيه، قانعٌ بالهواء والهوى، حسب الفقير كافيه، فهو كما قيل:

بغـــدادُ دارٌ لأهـــل المـــال طيبـــةٌ   وللمفاليس دارُ الـضَّنْكِ والـضيقِ
أقمـتُ فيهـا مـضاعاً بـين سـاكنِها   كـأنني مُـصحفٌ فـي دارِ زنـديقِ

وقد أقبل شهر الصيام، المعرّف سيدنا ببركتـه ويمنـه، وبما يتنزل فيه من مغفرة الله تعالى وكرمه ومنّه، ولم يعد المملوك للقائه من الأهبة، سوى مواصلة صيامه الدائمة، والتمثل عند مباهاة المتوسعين بقول أبي الطيب: خيلٌ صيامٌ وخيلٌ غيرُ صائمةٍ.

وانتظار[1] الفرج بعد الشدة، بهجوم نعمةٍ مستجدةٍ، يطلع بدرها من أفق الملك المفضال، وتبـزغ شمسها من مشرق سوحه فهو فلك الإفضال، فجوده هو الحق الذي يدمغ باطل الفقر، ويجتزه فروعاً وعروقاً، ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَٰطِلُۚ إِنَّ ٱلْبَٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾[الإسراء: ٨١].

هذا وقد تهجم العبد بما هو صحبة هذه العبوديـة، ملتمساً العفـو عن الهجوم، ومؤملاً الصفح، فجلالة هذا الجانب تقتضي منع مملوكه عن هذه الجرأة، وتوجب الوجوم، إلا أن لسيدنا أسوةً بجده المصطفى، وبآبائه الأئمة الحنفا، جعله الله وارثَ هديهم القويم، ومحيي صراطهم المستقيم، ففي جبر الخواطر ما يؤخذ عن سيدنا، ومنه يستفاد، واصَلَتْه رحمةُ ربه نافذة بها الأقدار من غيـر نفـاد، والأيادي الشريفـة مقبلةٌ على الدوام، وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه الكرام.

ومنها: ما كتبه إذا ذاك للسيد محسن بن الحسن بنحو ذلك النمط، فبعث إليه ـ أيضاً ـ بصلةٍ جزيلةٍ، وهو:

---

(١) في الأصل: وانتظام.

يقبِّل الأرضَ التي انهلت بهـا دِيَم المكـارم، وهطلت عليها سحائب الألطاف واكفةً بما يُخجل الغمائم، أرضاً هي الأرض المقدسة، فقل لحالِّها: إنك بالوادي المقدس، وهي حضرة حظائـر الرحمـات القدسية؛ إذ شرفها الجناب الأقدس المقام، الـذي تقاعس كلُّ متطاول إلى أول مراقيـه العلية، ورجع بصر المحدق إلى إدراك أوج معاليه خاسئاً من ساطع أنواره البهية.

مقامٌ بنى مجده على أساس النجم، فالنجوم له تخوم، وشيد على ما فوق الفلك الأطلس، حيث لا تدركـه الأبصـار، ولا يجـف حولـه النسر الطائـر ولا يحوم، ضربت حول قبابه سرادقات العظمة تنزيهاً، وطنب في رحابه جنابذة العزة تنبيهاً على شرفه وتنويهاً:

مـا ضـرَّ مـن ضـربَتْ بـه أحـسابُه	حتـى بلغْـنَ إلـى النبـيِّ محمـدِ
أن لا يمــدَّ إلــى المكــارم باعَــه	ويحـوزَ منقطـعَ العــلا والــسؤددَدِ
مترفِّعــاً حتـــى تـــرى أذيالَـــه	طــولَ الزمــانِ عمائمًــا للفرقــدِ

صفوة عنصر النبوة، زبدة لبأ الفتوة، شرف الزمان بوجوده فيه، باسط جناح الأمان ببلد الإيمان، صينت به قوادمه وخوافيه، حامي حمى الحرمين، جامـع سيادة المشرقين، مولانا السيـد محسن بن حسين بن الحسن، دامت عليـه من الله تعالى سوابـغ النعم والمنن، وأطـار في الخـافقين ما أطالـه له الثناء الحسن.

ينهي عبد وداده، ومخلص محبته من خلق الله وعباده، بقاءً على حُبٍّ أُشرب به قلبه، وغذي بلبانه عقله ولبّه، ودواماً على ثناءٍ هو كفايته وحسبه، ودعاءٍ من صميم فؤاده يعلّمه ربه، ويعرّف هذه الحضرة الشريفةَ الطينَة، المنزلَ

عليها من بارئها السكينة، بأنه قد أمّ سوحها المأنوس المحروس، وطالع طالع خزانتها السعيد المأنوس، التاريخ المشار إليه، وهو أثلاث، متداركاً ما كان من الإبطاء بما بين شير وأثلاث.

وموجب تأخير هذه المدة: أنـه كان للمملوك عـدة عمـدة، فيما كان بصدده من تأليفٍ يجمع مَن تفرق من عبيـدكم الطبريين، من أواخـر القـرن السادس إلى هذا الحين، وقد أتم المملوك منه قصده، وانتضى من قرابه طبَره وحدّه، وباندرجـه في ملك سيدنا ـ أطـال الله عمـره ـ قـد أعلى الله قـدره، وأكمل سعده.

وإن تفضل مولانا بالسؤال عن حال عبـده، فهو مواظبٌ على الدعـاء لسيده عندَ حبرِ الأمة، وناشرُ عَلَمِ مدحِه بذلك القطر، وقائماً عليه من معارف الحقوق، والمعارفُ ذمَّة، أو عن الطائف، فهو معدن اللطائف، أرضُه سندسيةٌ خضراء، وسماؤه بالليل تُطلع زُهرًا، وبالنهار زَهْـراً، وجبالـه هضابٌ حمرٌ وبيضٌ تُخجل ياقوتاً ودرّاً، وبساتينه جنانٌ شملت أثماره تفاحاً وكُمَّثرى.

إذا حانت الأسحار، أَذَّنت بلابلها على منابر الأشجار، وترنمت أئمة شحاريرها في مقامات النغمات بما يستنزل الأطيار، وصدحت خطباء قَماريـِّها في منابر أيكاتها، وفتح نرجسُه عينَـه من سِنة الغفلة، ورفعت ورداتُها شولة شوكاتها، وتناغت عصافيرها عنـد الاغتـذا بلبانها في مهود بانها، وحركت سواكن ساكن الحجاز، عندما حركت بأرجوحة أغصانها.

ومعنى كلام الجميع، على اختلاف لغاتها، في سائر ساعاتها وأوقاتها، هنيئاً لأهل الأنقاد، وواهاً على من هم في جحيم الإفلاس في إيعـاد، تنفـذ

سهام دراهم أولئك في كتيبة الثمار الخضراء بكل خضرة، وتغل أيدي أولئك بأغلال الفلس، فلا تحوز من الغنيمة سوى النظرة:

إذا منعَتْـــكَ أشـــجارُ المعـــالي جَناهـــا الغَـضَّ فـاقنعْ بالـشَّميمِ

فعلم المملوك ما زمزمته هذه الفقاقق، وما قصدته من الشماتة بصورة التوجع، فما يخفى كلام المنافق:

فلرحمـــةِ المتـــوجِّعينَ حـــرارةٌ في القلـب مثـلُ شـماتةِ الأعـداءِ

فقلت: أيها المستهزئون بأرباب الفَلَس، المعرضون بتفليس التفليس في الغَلَس، ستدرون عُقبى الندامة في توبيخ المفلسين، إذا فتح عليهم بالمئين، ورفع الأمر إلى من يأمر بالعدل، ويقول ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ ٱلْمُسْتَهْزِءِينَ﴾[الحجر: ٩٥]، ويقتل أعلام نصرته، تهزها ريحُ الأريحية، فتقصف حين تعصف شوكة الورد، وإن كانت كما قيل قوية، فحسن الاسم والقول والعمل، ومبلغ القصد والسؤال والأمل، فتتقاضى بفضله وفصله الأخصام بأروشها، وتصبح بغاة بغاث الطير لا تغاث وهي خاويةٌ على عروشها.

دام ركب دولته في رمل حصار المستهزئين بالحجاز، ولا برحت ولايته نوروز الأعياد على الحقيقة لا المجاز، ولا انفكت سعوداته مُقبِـلةً، وأياديه مُقبَّلةً، وصلى الله على خير نبي أرسله، وآلِه وصحبِـه ما هبت المرسلة.

وكتب من الحجاز تعزيةً لصديقه شرف المدرسين، ومفتي المسلمين، وجيـهِ الـدين الشيخِ عبـد الـرحمن بن عيسى المـرشدي، في ولده حسين، صورتها:

طوى الجزيرةَ حتى جاءني خبرٌ فزعْتُ فيه بآمالي إلى الكذبِ
حتى إذا لم يدع لي صدقُه أملاً شَرِقْتُ بالدمع حتى كاد يشرَقُ بي

ألهمَ اللهُ مولانا الصبر، وأعظمَ له الأجر، وشدّ له من حقائب التوفيق الأزر، وشرح بمواعظ القرآن منه الصدر، فسيدنا ـ أطال بقاءه ـ ممن يرجى أن يؤتى أجره مرتين، ويستفاد منه التثبيت عند التبييت لثمرة الفؤاد وقرة العين، والخطب وإن كان عظيماً، فاحتسابه عند الله تعالى أعظم أجراً، وأجزل مثوبةً وشكراً، وأجمل ذكراً.

وما أظن علمَه وحلمَه أغفى ولا أغفل قدر سنة قولَ الحي الباقي: ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[الأحزاب: ٢١]، وقولَ من هو محيي سنة شريعته، ومقتفي نهج طريقته: «القلب يخشع، والعين تدمع، وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا، وإنا لله وإنا إليه راجعون».

ومولانا ـ ولله الحمد ـ ممن لا تعتريه الغفلة عن السلف، فإذا وُعظ، فإنما هو تأكيد لنعته الحقيقي من سلوك ذلك السَّنن، ولست معزياً له بقصد عظة منه تستفاد، ولا لغرض تسكين طيشٍ يعتري سواه عند فقد الأولاد، فالأولاد وديعة الله التي لا يجزع اللبيب بردِّها، وأمانته التي لا تخان بالسخط من الأنين عند فقدها:

فما المالُ والأولادُ إلا وديعةٌ ولا بدّ يوماً أن تُرَدَّ الودائعُ

أين الآباء والأمهات والإخوان والعشائر؟

في السابقين الأولين من القرون لنا بصائر

فليكن سيدنا غيرَ مأمورٍ على ما أعهده منه من الثبات الأيد، وليقل متأسياً: إذا مات منا سيدٌ قام سيد، ففي من بقي ـ إن شاء الله ـ خلفٌ وعوضٌ، حفظ الله جوهر ذاته، ووقاه كل عرضٍ، وأقرَّ به عين المولى، حتى يرى منه الأحفاد، ويبلغ فيه المراد، ويرى منه حلق دروس العلم المفاد.

فأسألك يا أخي أن لا تعمل الفكر في تذكر من فات وما فات، وأن تحفظ على المسلمين هيكل ذاتك عن أن يطرقه الحزن بالإحن والآفات، فالناس إلى بقائك محتاجون، ولنعمى إفادتك راجون، ولعرائس فتاويك وفتوتك مناجون، والضرر بفساد البعض لإصلاح الأكثر محتملٌ، بل هو مطلوبٌ، وقَدَرُ الله ﷻ لا يغالب، فإنه غالبٌ غير مغلوب.

فاسع في صلاح بدنك، الذي به صلاح دينك ودنياك، وصرّف عنه الهموم والأحزان، بالاشتغال بدرسك وفتياك، ولك من الله تعالى توالي أجرٍ تُحمد عواقبه، ولا تمحى من ديوان حسن الجزاء رواجبه ـ إن شاء الله تعالى ـ.

هذا، وقد بلغني انتقال إلى جنة النعيم، ولم أتحققه؛ إذ كان من الأفواه، ولا قائل: أنا به زعيم، فرجَّحت تكذيبه، وزيَّفت تصويبه، إلى أن ورد علي ما أذهلَ وأصمى، وأصمَّ وأعمى، من يقين لا يقبل التشكيك، ولم يقع في الفكر، والدمع هامل هامي، إلا قول التهامي:

يا كوكباً ما كانَ أقصرَ عمرَه   وكذاك عمرُ كواكبِ الأسحارِ

جعل الله الجنة عوضَه عن شبابه، والحورَ العين بدلاً عن أهله، والنظرَ إلى وجهه الكريم جزاءً عن مفارقة أحبابه، فإنه الكوكب الذي انقضّ قبل تمام السير في فلكه، والبدرُ الذي غرب قبل أن يذهب من ليل العمر جميع حلكه،

والغصن الذي ذَوَى رطيباً، لكنه عمَّ رياضَ الأفق طيباً، فعليه الرحمة والرضوان، وله من غرائس ثمار الجنان ما هو صنوان، بمحمدٍ وآله وصحبه، وتابعيه وأهل مودته وقربه.

ومن نظم صاحب الترجمة: قصيدةٌ في الشريف إدريس بن حسن، لما فتك بوزير أبيه ابن يونس، وأزال غمة الإسلام والمسلمين بإهلاكه، مُعرضاً له به، وقد رقمها في طرسٍ أخضر، وهي:

مالي وللغيدِ الغوالي النُّعَّسِ	ولريمِ رامةَ والغزالِ الأَلْعَسِ
ولبابةِ الجرعاءِ شرقيَّ الغضى	ولسجع وُرْقِ الأيكِ عند تأنُّسي
ولنظمِ عِقيان القريضِ ونثره	من كل أنفسِ جوهرٍ في أنفسِ
وأنا الذي قذف الزمان بجاحظٍ	من عينه بيَ مغضباً وهي المُسِي
ورمى بأسهُمِه مقاتليَ التي	بَعُدَتْ عليهِ فحطَّ عالي مجلسي
وأذاقني من صبرِ مُرّ قضائِه	كأساً برغمي أن أكونَ المحتسي
هو دُمَّلُ الليلِ الذي لم يندملْ	إلا بصبرِ مؤمِّلٍ لم يَيئسِ
صابرتُه حتى ظفرتُ بفجرِه	وحصلتُ منه على شفاءِ الأنفُسِ
بضياءِ صبحِ العدل من إدريسَ مَن	أهدى الضياءَ فمحا ظلامَ مغلّسِ
السيدِ الحامي الذمارَ بهمةٍ	تسمو على الفَلَكِ الأثيرِ الأَطلسِ
أولى وأولُ باسلٍ تَخِذَ العجا	جِدَ درعَه يوم الوغى كالبُرْنُسِ
لم يكترثْ بملمةٍ وبكفّه	عند اللقا صُمُّ الرُّدَيني الأخرَسِ
فالنطقُ منه الطعنةُ النجلاءُ في النجلاءِ	من عين العدوِّ الأشْرَسِ

وإذا انتضى الهنديَّ خَـرَّتْ أَرْؤُسٌ ... ودَّتْ بقطـعٍ أنهـا لـم تـرؤسِ
دلَّ المنيـةَ حـين ضَـلَّتْ سُـبْلَها ... فيـه اهتـدتْ لفـؤادِ كـلِّ متـرّسِ
بيمينِ أروعَ يضربُ البطلَ المـدرَّعَ ... نافـذاً منـه لقطـع العـضرسِ
كالبرقِ في الظلماءِ من نقْعِ الـوغى ... يردي سناً لكـن بخطـفِ الأرؤسِ
لله مـا أمـضاهُ عنـد تـوحُّشٍ ... وأَمَـضَّه فـي الـوهمِ عنـد تـأَنُّسِ
والسيفُ بـالكفِّ التي كفتْ أذًى ... لا بالحديـدِ وطبعِـه المُتَيبِّـسِ
لولا يدا إدريسَ مـا خَطَّـتْ ظُبًـى ... في الهامِ شكلَ مخمَّسٍ ومـسدَّسِ
هذا المليكُ ابنُ المليكِ ابنِ المليكِ ... ابنِ المليكِ ابـنِ المليـكِ الأرأسِ
زاكي الأَرومة مـن هَيُـولى هاشـمٍ ... عالي النِّجارِ مـن النبـيِّ الأقـدسِ
والهمـة العليـا التـي مِـنْ دونِهـا ... زُحَلٌ فما باقي الجـواري الكُنَّسِ
هو في النُّهى سحبانُ وائلَ والـذَّكا ... إياسُ والجدوى ابنُ مامةَ واحبسِ
كَمُلَتْ فـضائلُه فلـو مـسَّ الـورى ... أذيالَـهُ لرأيـتَ كـلاًّ مُكْتَـسي
يـا أيهـا الملـكُ الرفيـعُ مقامُـه ... فوقَ الثوابت في الرفيـعِ الأقعـسِ
لـك علـمُ إدريـس وديـنُ محمـدٍ ... وعُـلا سـليمان وحكمـةُ هـرمسِ
فافخرْ على الأملاك من صنعا إلى ... صينٍ ومن شرقٍ لمغـرب تـونسِ
بـالله أنـت فثـقْ بـه لا بـالورى ... من آدمـيٍّ فـي الوجـود ويونُـسي
وإليكَهـا عـذراءَ فكـرٍ عـانسٍ ... من بعدِ عهدك فهـي بكـرُ العنَّسِ
عربيـةٌ عُنيـت بوصـفِك واقتنَـتْ ... حـرّ الربيـع فمـا أتـت بمجلّـس
ذكـرتْ عهـوداً بـالحمى فتلفَّعَـتْ ... خجلاً ووافَتْ فـي رداءٍ سُندسـي

تختال فيه إلى المليكِ وتنتضي ... بيضَ المدائح من قِراب الحندِسِ

فاقبلْ وقابلْها بطلقِ جبينِك الـ ... ـمأنوسِ لا لاقاه قطبُ تعبُّسِ

وانظر إلى حالي فأنت خبيرُها ... قدمًا وقدِّرْ في الوفاءِ وهَنْدِسِ

واسلمْ على طولِ الزمان ممتَّعاً ... بثناءِ كلِّ مُفَوَّهٍ ومُدَرِّسِ

ومن شعره: قوله يمدح الشريف محسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي:

لا والنواعمِ من جوازي العين ... ما احتجت في حمل الهوى لمُعينِ

وبما لهنَّ عليَّ من خلع العذا ... رِ إذ أسفرتْ بطرَّةٍ وجبينِ

ولعبنَ بالألباب عند تمايُس ... بمعاطفٍ تُزري الغصونَ بلينِ

أنا ذلك الصبُّ الذي قدمًا صبا ... بصبا الصبا وإلى الغرام حنيني

غيثُ السحائب مدمعي وهوى لظى ... نَفسي ورعدُ الصاعقات أنيني

يبريني النجديُّ من ألم النوى ... ويعلّني السلوانُ عنه سلوني

لا يَعْذِلُ المشتاقَ إلا مثله ... هيهاتَ ذلك فهو بئسَ قرينِ

ما مرّ بي في العشق إلا ما حلا ... لفؤادِ كُلِّ مولَّهٍ وحزينِ

شرعُ الهوى فرضي وحسنُ تهتكي ... نفلي ومدحي محسناً من ديني

ابنَ الحسين أبا الحسين أخا التقى ... من ليس يرضى في العلا بالدون

عالي الجناب إذا انتجى وإذا انتخى ... سهلَ الحجاب بغابِ ليثِ عرينِ

ذا هيبة حلَّت قلوبَ عداته ... لو أنهم حلوا أقاصي الصينِ

في عزمه ساح الحديد وصال إذ ... سلت فحاكي السَّيحَ من سيحونِ

يـروي الأسـنةَ والـشواربَ مـن ... دم الأعداءِ لا يرضى لها بِمَعـين

ويرى المُنى نزعَ النفوس بما بها ... مـن كـلِّ غِـلٍّ فـي الفـؤادِ دفـين

الله مـا أعلـى مرامـي ظنّـه ... طبق القضا فـي شـأن كـل ظَنـينِ

وأمـسَّهُ فـي الأمـر قبـل وقوعـه ... وخطـورِه فـي عـالَم التكـوينِ

يرضيك إن مسّ القنـا بـشماله ... وإذا انتـضى سـيفَ الفنـا بيمـين

فيرى بلمع البرق في ظُلَم الحشا ... سيل العقيـق ومـدهق الزرجـون

ثَمِلَـتْ بـه عَلَـلاً رؤوسُ رماحـه ... فبـدتْ معربـدةً بقطـعِ وتـينِ

وسحت فأنهلَها الظهورَ فحطمت ... أضـلاعَ كـل غشمـشمٍ وكمـينِ

وبهـا حمَـى أُمَّ القـرى فـدع القَـرا ... مُتَـسَفِّلاً فـي الارتقـا بمئـينِ

مـن ذا يقاومُـه إذا اشـتدَّ الـوغى ... إلاَّ فتَّـى يرجـو لقـاءَ مَنـونِ

هـذا التقـيُّ الطـاهرُ الـذيل الـذي ... يسمو بعِرْضٍ فـي الأنـام مَصونِ

مُولي الجميل وباذلُ الفضل الجزيل ... وكاشفُ الخطـبِ الجليـلِ لحـينِ

حَكَتِ السحائبُ كَفَّهُ فبكت على ... مـا فاتهـا مـن سحّه بهتـونِ

قسماً بـه لـم يَحْكِـه فـي جـوده ... إلا الـذي أضـمرتُ طـيَّ يمينـي

فهـمُ هـمُ بيـتُ النبـوة والحِجـا ... والبـرِّ أربـابُ التقـى والـدينِ

اضْـمَنْهُمُ لـم تُلْـفِ إلا محـسناً ... من محسنٍ مـن محـسنٍ لـضمينِ

واعقـدْ يمينَـك إنـه مـن عقـدهم ... عـينُ القـلادة فُـصِّلت بثمـينِ

مـن رامَ عـزاً فليـنخْ برحابـه ... أمـلاً فيـذهب عنـه ذلُّ الهُـونِ

مـا سـامَ مرعَـى خـصبه متـضائل ... إلا تبـدَّلَ غَثُّـه بـسمينِ

يــا بــنَ النبــيِّ إليكَهــا نونيــةً　　بالكــافِ قــدرها القَــضا والنــونِ

خذها لها الحسنُ الجميل وقولها　　كن كيـف شئت بغايـة التمكـينِ

وافَتْــك كالطــاوس تزهــو عــزةً　　مــذ دُبِّــجت بغلائــلِ التلــوينِ

فالطِّرسُ منها أخضرٌ والـسطر فيـه　　أســودٌ يــستل بــيضَ جفــونِ

أثنتْ عليكَ ببعض حقِّـك فـاغتفرْ　　تقصيرَها في المـدح لا التحـسين

لا زلــتَ فــي أوج الــسعادة راقيــاً　　بــدوام عِــزٍّ فــي الفَخــار مكــينِ

وقوله ـ أيضاً ـ على لسان ولده الإمـام زين العابدين، مادحاً للشريف حسن بن أبي نمي أمير مكة:

رَبْــرَبُ الأخْــدارِ مــن شَــمَمِهْ　　لا يُراعِــي الــنَّقْضَ فــي ذِمَمِــهْ

حجَــب الأبْــصارَ رُؤْيتُــه　　وتجلَّــى فــي خِبَــا خِيَمِــهْ

وأرى أحْبــــابَ حَــــضْرتِه　　غَــضَباً مــا كــان مــن شِــيَمِهْ

مــا يــراه حــالَ نُفْرتِــه　　غيــرُ مَــن بــارَى بــسَفْكِ دَمِــهْ

زُرْتُــه والعَــزْمُ يُــسْعِفني　　آمِــلاً منــه ابْتــسامَ فَمِــهْ

جُــنْحَ ليــلٍ مُــسْفِرٍ بــسَنَا　　طَلْعتِــه المَــأمولِ عــن ظُلَمِــهْ

فحَــدانِي عَــرْفُ ســاحتِه　　وهَــدانِي مُرْتقَــى أكَمِــهْ

فبــدَا لــي فــي الحجــابِ فمِــن　　رأســه نُــورٌ إلــى قَدَمِــهْ

وهــو للرَّائِــي مُعايَنــةً　　مثــلُ طَيْــفٍ مَــرّ فــي حُلُمِــهْ

هِمْــتُ مــن حُبِّــي لــه زَمَنــاً　　فــي رُبــا نَجْــدٍ وفــي سَــلَمِهْ

أَنْظِــمُ الآدابَ مــن غَــزَلٍ　　أُسْــنِدُ الإعْجــازَ عــن كَلِمِــهْ

لِنَسيبٍ في المديحِ يُرَى ... حَسَناً عند اجْتِنا نِعَمِهْ

سَيِّداً من آل حَيْدرةٍ ... وعَريقاً باقْتِفا عِصَمِهْ

وحكيماً في مَمالكِه ... قَطُّ ما انحلتْ عُرا حِكَمِهْ

فاق قُسّاً في فَصاحتِه ... وسَما الطّائِيَّ في كَرَمِهْ

وابْنُ سُعْدَى لو يُقاسُ به ... كان مَطْروحاً بمُلْتَزمِهْ[1]

هَزَّه للمَكْرُماتِ سَنَا ... عُنْصرٍ منه انْتِها هِمَمِهْ

كيف لا يهْتزُّ مُغْتبِطاً ... وكتابُ اللّهِ في عِظَمِهْ

وملوكُ الأرضِ قاطبةً ... كلُّهم واللّهِ مِن خَدَمِهْ

جَدُّه طه الشَّفيعُ فيا ... فَوْزَ مَن يأْوِي إلى عَلَمِهْ

طِبْتَ نفساً يا مليكُ به ... في غَدٍ طُوبَى لِمُعْتَصِمِهْ

أُمُّك الزَّهْراءُ إبْنَتُه ... وأَبوك السِّبْطُ من رَحِمِهْ

أيَّدَ الرحمنُ قِبْلَتَهُ ... بك واسْتَحْمَى حِمَى حَرَمِهْ

وحَباك المجدَ أجْمَعَهُ ... حيثما ذَبَّيْتَ عن حُرُمِهْ

قَسَماً باللّهِ يُقْسِمُه ... عبدُ بِرٍ بَرَّ في قَسَمِهْ

إنَّك المَهْدِي وحُجَّتُه ... عَدْلُكَ المعدودُ مِن قِسَمِهْ

يا أميرَ المؤمنين ويا ... مَن شاد بالعَلْيا على أُطُمِهْ

خُذْ مَديحاً كلُّه دُرَرٌ ... جاء يسْعَى نحو مُسْتَلِمِهْ

هَزأتْ بالفَجْرِ غُرَّتُه ... حيثُ لاحَتْ من دُجَى لِمَمِهْ

---

(١) في الأصل: بهنزمه.

نَظْـمُ عبـدٍ نثْـرُ مَـدْحِك مـا	زال يُـرْوَى عـن حِجَـى قَلَمِـهْ
هـو زيـن العابـدين ومـن	طبـري بَـدْءُ مُخْتَتَمِـهْ
قالَـهُ طفـلاً وسـوف تـرى	بعـدُ مـا يأتيـك مـن خدمِـهْ
فابسـطِ الأعـذار وادعُ لـه	إن هـذا خيـرُ مُغْتَنَمِـهْ
دُمْـتَ مـولاهُ وسيِّـدَه	مـا شَـدا القُمْـرِيُّ فـي نغَمِـهْ

[١٢٩٧] السيد عيدروس بن عبدالله بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن ابن الشيخ علي باعلوي الحسيني(١).

أحد الأعيان، المشار إليه بالبنان، وأحد الفضلاء الفخام، المجتهد في الصلاة والصيام، وكثرة التهجد وطول القيام.

وُلد بالمكلة، أحد بلدان اليمن، المحفوف بالفضائل والمنن، ونشأ بها بلا بلاء ومحن، ولاحظته العناية، ومُنح حسنَ الهدي والهداية، وهاجر فِراش الكسل، حتى ظفر ببلوغ الأمل.

وصحب جماعةً من العارفين، وأخذ عنهم في الدين، وتخرج بابن عمه محمد علوي، واشتهر بالتصوف، والمكاشفة والتصرف، وقام بمنصبهم بعد شيخه علوي المذكور، وعم نفعه الأحياء وأهل القبور.

وشاع ذكره، وعظم أمره، وعلا مكانه وقدره، وكان له أحوالٌ ساميات، وهممٌ عاليات، مقبول الشفاعة، وأوامره مطاعة، ولم يزل في تلك البلاد، نفعاً للعباد، حتى رحل إلى دار المعاد، وتزود بأحسن زاد، **فتوفي** سنة أربع

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٣٤).

بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[١٢٩٨] عبد الكريم الملقب بكريم الدين بن محمود بن أحمد الشهير بابن الميقاتي الطَّيْرَابي نِجاراً، الدمشقي منشأً ومولداً وداراً.

كان عالماً أديباً، مجتهداً في الفنون مصيباً، لطيف المحاضرة، جميل المذاكرة، ماهراً في العربية، عارفاً بسلوك الطرق الأدبية، ذو نظمٍ بديعٍ، ونثرٍ بزّه رفيع، ومكاتباتٍ مفيدةٍ، ومقطعاتٍ لم تزل بُرودُها جديدة.

درس وأفاد وأفتى، وقطع في خدمة العلم أوقاتاً، ولا أقول وقتاً، ونظم في المعمَّى والأحاجي الكثير، وأظهر سرَّ غوامِضَيْهما، ولا ينبئك مثل خبير، أخذ عن الحسن البُوريني، والدرويش محمد الطالوي، والقاضي محب الدين الحموي، وصحب أحمد العناياتي، واختص به، وبينهما مكاتباتٌ كثيرةٌ، وأخذ عن الشمس الميداني، والنجم الغزي، وله «ديوان شعرٍ» وقفت عليه بخطه.

ومن شعره:

أشكو إلى الله من زمانٍ ... قد ماتَ فيه ذَوو الصِّلاتِ

وكلُّ من كان ذا وفاءٍ ... مضى إلى الله بالوفاةِ

وكتب إليه الشهاب العناياتي محاجياً في اسم ياقوت، وقول: اسبر، وهو بمعنى: اختبر، على أسلوب السلف، في نظم الأحاجي والألغاز؛ كصاحب المقامات، وذلك في شهر رمضان، سنة سبعين وألف بقوله:

يا مَنْ له الفهمُ الذي ... أورى بزَنْدِ الفضل قَدْحَا

والـــنظمُ مثـــلُ الـــروضِ غـــا داه الحَيـــا سَـــحّاً فَـــسَحَّا

وذكـــاً يزيـــد علـــى ذُكـــا نـــورًا وإيـــضاحاً وشـــرحَا

وإذا يـــشا أنـــشا فأنـــسى مَنْ مـضى فـضلاً وفَتْحَا

وقريحـــة مـــا مـــسَّها سـأمٌ ولمـا تَـدْرِ قَرْحـا

يـــا سـيدي عبـدَ الكريـم بقيـتَ بـالآداب سَـمْحَا

مـا مثـلُ مـن نـادى الغـذاء ومثـل مـن قـال اعْـطِ قَمْحـا

فأجابه بقوله:

يـــا أيُّهـــا المـــولى الـــذي مـــا زال بـــالآداب سَـمْحا

ولـــه الـــسجايا مثـــلُ دوحٍ جـــاده الوســميُّ سَـحَّا

ولـــه الـــسجيحة لـم تكـنْ تكـدي ولمـا تَـشْكُ كَـدْحَا

زِنْـــتَ القـــريضَ بفكـــرةٍ أورتْ بزَنْـدِ الفكـرِ قَـدْحا

وقَّـــادةٍ فاقَـــتْ ضـــياء الـــشمسِ إشـراقًا وفَتْحـا

يـــا طالمـــا وشَّـــيتَ منـــها الطِّـرسَ ألغـازاً ومَـدْحَا

ونظمـــتَ دُرّاً مـــن قريـــحتك التـي لـم تَـدْرِ قَرحـا

كـــالروضِ بـــاكَرَهُ الحَيـــا وشَـدا الحَمـامُ عليـه صَـدْحَا

مَـــرَّت بـــه ريـــحُ الـــصَّبا جـازَتْ علـى دارِيـنَ صُـبحا

أو عقـــدَ غانيـــةٍ هـــواها في الحشا أمسى وأضحى

وأراكَ بينْـــتَ الأحـــاجـي فيـه إيـضاحاً وشـرحَا

حتـــى لقـــد كُـــشِفَ المُغَطْـطَى منـه إذ مَعْنـاه صَـحَّا

فطفقـــتُ ألمـــحُ مـــن مخـــا يـــل لفظِـــه يـــاقوتَ لَمْحَـــا
وطربـــتُ مـــن فحـــوى مـــرا دفِ قـولِ مـن قـالَ اعـطِ قَمْحـا
لا زلـــتَ تُوضِـــحُ مُـــشكِلاً وتنـــالُ إســـعاد[اً] ونُجْحَـــا
مـــا لاح بـــرق فاســـتنا ر بـــه الـــدُّجا وأضـــاءَ جُنْحَـــا
وتراســـلَتْ وُرْقُ الريـــا ض بنَوْحِهـــا لَحْنًـــا وصَـــدْحَا

وبيانه: إذا حلل يصير معنى اسبر: أعط قمحًا، فاس، بمعنى: أعط، وبر يرادفه: قمح. انتهى.

وله مشجَّرٌ في إبراهيم، وكان مليحاً، ممن سقاة القهوة بدمشق:

سبى البرايـا بلـينٍ مـن تَثَنِّيـهِ غـزالُ سـربٍ تعـالى اللهُ باريـهِ
يَميسُ عُجْبًا ويربو عن لحاظِ طـلاً إذا انثنـى سـلبَ الألبـابَ بالتِّيـه
دلائـلُ الحسنِ فيـه غيـرُ خافيـةٍ وعاذلي فيه أضـحى عـاذري فيـه
يُبيح قتلـي بـلا ذنـبٍ ولا سـببٍ من ذا الذي بِتلافِ الصَّبِّ يُفتيـهِ
أحوى حوى رقَّ أهلِ العشقِ قاطبـةً برِقَّـــةٍ ودلالٍ منـــه يُبديـــهِ
بثغـره العـذبِ شـهدٌ زانـه شَـنَبٌ تبـاركَ اللهُ مـا أحلـى لَمَـى فيـه
رابي الـروادفِ فـردٌ فـي محاسـنِهِ وليس غصنُ النقا إن ماسَ يحكيهِ
إن قلتُ برءُ سَقامي في لَماكَ يقُـلْ يـا بُعْـدَ ذاك الـذي مِنِّـي تُرَجِّيـهِ
هـام الفـؤادُ بـه لمـا تعـشَّقَه يـا ليتـه بوصـالٍ منـه يُحييـهِ
يسقي الورى قهواتٍ من يديهِ فمـا أحـلاهُ حـين يُعاطيهـا لرائيـهِ
مـا ملـتُ عنـه لـسلوانٍ ولا بَـدَلٍ نعمْ سلا القلبُ لكـنْ عـن تَـسَلِّيهِ

كالبدرِ والكافُ إن أنصفتُ زائدةٌ ... فيه فلا تَحْسَبَنَّها كافَ تشبيهِ

يا من أوائلُها للناسِ تبديه ... طوبى لمن أنتَ ساقيهِ وشافيهِ

فراقبِ اللهَ في صَبٍّ غدا قَلِقاً ... يَبيتُ يرعى السُّهى مما يُقاسيهِ

واعطفْ على هائمٍ إكسيرُ خاطرِهِ ... يلقى الترابَ فيغلو من تلاقيهِ

وكتب إلى الشيخ أبي بكر العُمري، شيخِ الأدب بدمشق، محاجياً في اسم نوالي: **قوله**:

يا مَن يَحُلُّ المُعَمَّى ... حَلا وحَلَّى بسَبْكِ

ماذا يرادفُ قولي ... محاجيًّا رامَ ملكي

فأجابه بقوله:

يا مَنْ غدا في المعالي ... إنسانَ عينِ الموالي

ومن إذا قال شعرًا ... أتى بسحرٍ حَلالِ

ومن تتيهُ دمشقٌ ... بفضلِه والكمالِ

ومن تقرُّ بعليا ... ئه فحولُ الرجالِ

أنتَ الذي في مجال الـ ... ـجدالِ تدعو نَزالِ

أنت المجلّي إذا ما ... وَنَتْ جيادُ المجَالِ

أرسلْتَ عقدًا نظيمًا ... مكبلاً في خبالِ

ومذ تراءى قليلاً ... ولاح مثلَ الهلالِ

قال الحِجا ليس إلا ... كَرَام مُلْكي نوالي

هــــذا الــــذي طـــالَ فهمـــي إليـــه يـــا بـــنَ الأعـــالي

فـــإن رأيـــتَ جـــوابي مطابقـًــا للـــــسؤالِ

فاقبـــلْ وإلا فـــسترًا فـــلا عَلَـــيَّ ولا لـــي

فـــلا برحـــتَ دواءً لكـــلِّ داءٍ عُـــضالِ

وله في مُعَمًّى في علي:

يـــا نـــسيمَ القبـــول بـــالله بلِّـــغْ بعضَ شوقي إلى الحبيبِ الكحيلِ

وعـــذولي فقـــل لـــه باحتفـــال اترك اللـذ أضـمرته مـن عـذولي

أراد بقوله: اترك اللذ أضمرته من عذولي: حذف مرادف اللذ، وهو ذو بلغة طيّ، فيصير: علي، وذو التي من معاني الذي وقعت في قول الطائي: وبئري ذو حفرتُ وذو طويت.

وله معمًّى في كمال:

يـا غـزالَ الـصريمِ أسـقمَ جـسمي منـك دَلٌّ زهـا بحـسنِ الـدلالِ

لـك بالقلـب نُـزْلٌ لـيس فيـه غيـرُك اليـوم فـاطّرح لمـلالِ

أراد بقوله: لك بالقلب مقلوبة بعمل القلب، فيصير: كل، وبقـولي: ليس فيه: مرادفه، وهو ما، فإذا كانت في كل، فيصير: كمال، ففيه عملان: القلب، والترادف.

وكتب إلى الفاضل محمد الخناني، محاجياً في أذان: **قوله:**

أيـا مـن فـاق فـي حَـلِّ المُعَمَّـى وحاجَى فـي المُـصَرّحِ والمُكَنَّـى

أَفِـدْ مـا قـولُ ذي علـمٍ وديـنٍ ... أهل اسم الإشـارة الـذكر المثنـى

فأجابه بقوله:

أيـا مـن حـازَ إفـضالاً وأبـدى ... نظامـاً يزيـد بالإعجـازِ حُـسْنَا

لقـد حاجَيْـتَ فيمـا طـابَ لفظـاً ... بـديعًا مـن أذانٍ راق معنـى

فـدُمْتَ تُجِـدُّ لـلآدابِ رَسْـمًا ... عفـا مـا نـاحَ قمـريٌّ وغنّـى

وله دو بيت:

أقـسمتُ بـآي رحلـةِ الإيـلافِ ... والنـورِ وآي سـورةِ الأحقـافِ

مضناك غَـدا حليـفَ سـقمٍ وظمـا ... سـوق الحـروف أول الأعـراف

ومما نظمه ارتجالاً، وقد جلس إلى جانبـه مليحٌ من ملاح الشام، في مكانٍ مرتفعٍ، وكان القمر تلك الليلة في كماله، وهو مطلّ علينا، فقال المليح له: انظر البدر أمامك، فقال له على الفور: البدر أمامي على أي حاله، وأنشد:

وذي قـوامٍ رشـيقٍ ... بـدا كبـدرِ التمـامِ

فقـالَ والثغـرُ منـه ... حَـلا بحـسنِ ابتـسامِ

غـدا أمامَـكَ بـدرٌ ... فقلـتُ بـدري أمـامي

[١٢٩٩] السيد عبدالله أبو محمد بن شيخ بن عبدالله بن شيخ ابن الشيخ عبدالله العيدروس[1].

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٩٤)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٢٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٤٩).

الشيخ الإمام العارف، المتحلي بالمعارف، شيخ الطريقين، وإمام الفريقين، الجامع بين علمي الشريعة والحقيقة، السالك على منهاج الطريقة، بحر المعارف والأسرار، ومطلع شمس الأنوار، ذو الإشارات الدقيقة، والعبارات الرشيقة، والكرامات الخارقة، والفراسات الصادقة، والأحوال السنية، والمقامات العلية، المشار إليه بالولاية العظمى، والسيادة الكبرى على ألسنة السادة الأمجاد، والقادة الأفراد.

وُلد بـ «تريم» سنة خمس وأربعين وتسع مئة، ونشأ بها، وحفظ القرآن العظيم، وغيره، وصحب والده، وتصوف عليه، وصحب الشيخ أبا بكر بن سالم صاحب عينات، والسيد محمد بن عقيل، والشيخ الجليل عمر بن عبدالله العيدروس، وغيرهم.

وتفقه على جمعٍ من الشيوخ، منهم: السيد حسين ابن الفقيه عبدالله بافضل، وسمع من خلقٍ كثيرٍ، باليمن والحرمين والهند، ولبس الخرقة من جميع طرقها المشهورة، وهي: العيدروسية، والقادرية، والشاذلية، والجبرتية، والشهرزورية، والرفاعية، والحاتمية، والكازرونية، والأهدلية.

وأثنى عليه جملة مشايخه من المشايخ العارفين، وأشاروا إليه، وإلى ما منحه الله من المواهب العظيمة، والخصائص الجسيمة، بل ما من هالة كمالٍ إلا ونور بدره فيه طالعٌ، ولا دارة جمالٍ إلا وضوء شمسه منها ساطعٌ، وانعقد الإجماع على جلالة قدره، وفخامة أمره، وقد قيل:

وليس يزيدُ الشمسَ نورًا وبهجةً ... إطالةُ ذي وصفٍ وإكثارُ مادحِ

إذ هو كما قيل:

متـــى يـــأتي الزمـــان لـــه بمثـــلٍ وهل للشمسِ وَيْحَـكَ مـن نظيـرِ

وكـان الشيخ أحمـد بن حسين العيدروس يثني عليـه، ويشير بالوراثة المحمدية إليه، وأنه سيكون له وقتٌ يسود فيـه الأقران، ويصير فيـه واحـد الزمان، بل كان يشير إلى أصحابه بملازمته، وكذلك السيد الشيخ بن عبدالله ابن علي كان يثني عليه، فيقول: لو طرحنا آل باعلوي في كفة، والسيد عبدالله في كفـة، لرجح بنـا، وكـان الشيخ أبـو بكـر بن سالم يشير إليـه، ويوصي بملازمته، وتقدمه في المحافل.

وكذلك الولي العارف بالله علي بامحسوب أثنى عليه، ولما توفي السلطان عبدالله، وكـان علي المذكـور ناظراً على مسجد جرجيس، طلب الإذن في التصرف فيما يتعلق بالمسجد من السيد عبدالله صاحب الترجمة، فاعتذر من ذلك، فألحّ عليه، وقال له: أنا أتحقق أنك صاحب الوقت، فأذن له في ذلك، بعد الإلحاح، وقد ذكر العلماء: أنه متى لم يوجد سلطان، رُدَّ الأمر إلى أهل الحل والعقد.

وحكي عن العـارف بالله تعالى بامحسوب: أنه قال: كنت أقرأ القرآن بالليل في مسجـد العيدروس، فجاء ابن الشيخ عبدالله بن شيخ العيدروس، فقلت له: جئتم من الهند في هذه الساعة؟ فقال: نعم جئت أحضر ولادة سَمِيِّي هذا، يعني: حفيدَه صاحب الترجمة، قال: ثم كشف لي عنه وجهه، فقبلته، ولا كان عندي علمٌ بحمله، فلما صليت الصبح، أتيت والده عبدالله، فأخبرته بهذه الإشارة، فقال: الأمر كذلك، وأحضر الجنين، فإذا هو الذي رأيته بالليل.

وكان العالم المحقق العلم أحمدُ بن عبد اللطيف باجابر يقصده بالزيارة

من بلده، من نحـو ثلاثـة مراحل، وكان الشيخ الكبير أحمد بن محمد العمودي الدوعني ثم المكي يقول: من أراد أن ينظر إلى أخلاق النبي ﷺ، فلينظر إلى السيـد عبدالله بن شيخ، وكذلك الشيخ العـارف بالله حسن باشعيب يقصده بالزيارة، وكان يجلس عنده مطرق الرأس، لا يستطيع التملي من نظره؛ لما يشاهده من أنوار الجلال والكمال، ولله در من قال:

أشتاقُه فإذا بدا أطرقْتُ من إجلالِـه لا خيفةً بل هيبةً وصـيانةً لجمالِـهِ

وجلس للتدريس في التفسير، فانتفع بـه الجمُّ الغفير، وشملت بركته الصغير والكبير، ونصبه الله نفعاً للأنام، الخاص والعام، وكان ذا جاهٍ عظيمٍ، وقبولٍ جسيمٍ، وكانت الملوك والسلاطين تهابه، وذو[و] السطوة والجبروت تخافه، فكانوا إذا حضروا بين يديه، يكونون كما قيل:

كأنمـــا الطيــرُ فــوقَ رؤوسِـــهِمْ لا خوفَ ظلمٍ ولكن خوفَ إجلالِ

قيل: وهذه الهيبة التي جعلها الله لأوليائه، سرت إليهم؛ لانبساط جاه المتبوع عليهم، ألم تسمع قوله ﷺ: «نصرت بالرعب مسيرة شهر»، وفي روايةٍ: «شهرين».

وكـان ﷺ يحب الجمـال، فيلبس الملبـوس النفيس الرقيق، ويركب المركوب الحسن.

قال سيدي إبراهيم الـدسوقي: لا تنكروا على المشايخ لبسَ الصـوف الرقيق، فإنهم وصلوا إلى مقام اللطافة، وخرجوا عن الكثافة، حتى إن بعضهم لشدة لطافته، لا يقدر على لبس الرقيق، ويعرى ما عدا عورته، بخلاف المريد

في بدايته، يلبس الخشن؛ لتتأدب نفسه، وتخضع لربها، فكلما رقَّ الحجاب، ثقلت الثياب.

وكان ﷺ كثير الإنفاق جداً، كريماً سخياً جواداً، فكان يعطي عطاء الملوك من غير مَنٍّ، يحب الفقراء والمساكين، ويكرم العلماء والعارفين، حسن الأخلاق، واسع الصدر، وكان في الحلم والصبر والاحتمال، بأعلى ذروة الكمال، متخلقاً بقوله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[الأعراف: ١٩٩]، فكان كما قيل:

شمائلُه الإحسانُ والجودُ والوَفا — وأخلاقُه القرآنُ يا لَكَ من ولي
طريقَتُه كانت كتاباً وسُنَّةً — فخذ جملةَ ذا التفاصيل يا غبي

يقابل بالحسنة السيئة، ويستر العورة، ويقيل العثرة، لا يقابل أحداً بما يكره، قد زهد في زهد الدنيا، فضلاً عن الزهد فيها، واستوى عنده حجرها وذهبها، وليس الزهد فقدَ المال، ولا فراغ اليد منه، إنما الزهد فراغُ القلب عنه، وكان مجلسه مجلسَ هيبةٍ ووقارٍ، لا يتكلم فيه إلا بإذنه، وقلّ أن يقوم لأحدٍ إلا لأمر ديني، دعت الحاجة إليه؛ كعلمٍ وصلاحٍ وإيناسٍ.

وله كراماتٌ باهرةٌ، وكان لا يظاهرها إلا لأمرٍ اقتضى ذلك:

منها: أنه خرج هو وأصحابه إلى نخله المعروف بوادي ثبي ـ بثاء مثلثة، ثم باء موحدة، ثم ياء تحتيةٌ ـ المسمى بالرملة، وكان هناك ماء في غديرٍ، فقال له حفيده جعفر الصادق: أريد أنظر السيل، فقال: ماء هذا الغدير من السيل، فلم يقنع بذلك، وبكى، فأمر صاحب الترجمة من كان حاضراً بأن يغتسلوا في الغدير، ففعلوا، ففاض ماء الغدير، وجرى في مجرى السيل، وشرب النخل.

ومنها: أنه كان في جماعةٍ من أصحابه، فأخذ الحبوة واحتبى، وقال: روي عن الشيخ أحمد بن حسين العيدروس: أنه كان جالساً بين جماعةٍ، فأخذ الحبوة، وقال: إن الشيخ عمر المحضار يقول: إذا رأيتموني احتبيت، فليسأل كلٌّ منكم حاجته، ففهم بعض الجماعة إشارته، فسأل حاجته، فقضيت، وبعضهم لم يفهم، وظنها على سبيل الحكاية، وقال الشيخ محمد بن عمر بافضل: وكنت ممن حضر ذلك المجلس، فأضمرت تلك الساعة بثلاث حاجات، قُضيت كلها.

ومنها: أنه أمر بإصلاح سقف البيوت، وإصلاح ثمر النخل، كما هي عادة من ظن حصول مطرٍ عظيمٍ، ولم يكن شيءٌ من مخايل المطر، فلما تم ما أمر به، ظهرت السحاب، وخربت دورٌ كثيرةٌ، وتلف أكثر الخريف.

ومنها: أن خادمه الشيخ الصالح محمد باغريب أراد الخروج لقنص الصيد، فمنعه شيخه صاحب الترجمة، فقال الخادم: أريد أنظر الوعل، فقال الشيخ: يأتيك إلى محلك، فخرج إلى الزرع الذي يخدم فيه، فإذا هو بالوعل قائمٌ، ورآه الناس، وتعجبوا من مجيئه إلى ذلك المكان، ثم احتالوا على قبضه، وهو قائمٌ ينظر إليهم، ولما كادوا أن يقبضوا عليه، ذهب عنهم، فتبعوه، فقال لهم الخادم المذكور: ارجعوا، فلا سبيل لكم إلى قبضه، وأخبرهم بحكايته مع شيخه.

ومنها: أن خادمه محمد[اً] المذكور طلب منه الاجتماع بالخضر، فقال: تجتمع به ـ إن شاء الله ـ، ثم بعد أيامٍ سار الخادم إلى صوح، من طريق جبل المعجاز، فلما علا على الجبل، فإذا هو ببدويٍّ على سوءته خرقةٌ، وبيده عصا، وكان مع الخادم تمرٌ، فمرّ بالبدوي، ولم يكلمه؛ خوفاً من أن يطلب

منه التمر، فلما صار أسفل الجبل، ناداه، وقال: يا محمـد باغريب! سلم على السيد عبدالله، وقل لـه: يسلم عليك أبو العباس، ويطلب منك الدعاء، ثم غاب عنه رضي الله عنه.

ومناقبه كثيرةٌ شهيرةٌ، وقد صنف في مناقبـه غير واحدٍ، منهم: الشيخ محمد الخطيب الملقب القطب، في كتابٍ سماه: «الماتين»، والشيخ أحمد بامزاحم في كتابٍ سماه: «جوهرة عقد العروس».

ولما اختار الله ما اختار لأوليائه وأنبيائه، عجل له لذة النعيم، بدرجات القرب، ولقائه الكريم، وقرب وقت الانتقال، إلى دار الوصال، ظهرت منه أشياء غريبة، وإشارات عجيبة، لم تعهد من أحواله، تدل على سرعة انتقاله.

منها: أنه مجّ الدنيا وأمورها بالكلية، ظاهراً وباطناً، وصار ظاهره مع العالم فيما يرى، وباطنه غائباً عن جميع الورى.

ومنها: أنـه لما صلى آخر جمعـةٍ لـه، وأقبل الناس للسلام عليه على عادتهم، فأوقفهم، ودعا لهم كالمستودع، وكان يقول: أنا الآن أعدّ من أهل الآخرة، لا أعرف من دنياكم شيئاً.

وإذا خلا بأهله وخواصه، يعزيهم بنفسه، ويقول لهم: احتسبوا واصبروا؛ فإن المصاب مَن حُرم الثواب، وكان يتمثل بقول القائل: يا أهل ودي! اغنموا قبل أن تفقدوني، ويقول: أنا ما أمرض، إنما أنتقل من دارٍ إلى دارٍ، وما أموت إلا مثل الشيخ عمر المحضار، أموت وأنا في الصلاة.

فلما كان يوم وفاته، حضر جماعةٌ عنده، فأمر المنشد أن ينشد بقصيدةٍ، فأنشد: من السعـادة أن لا تبعد الدار، فجعل يتمايل، فلما خرجوا، سأل:

من عند زين العابدين [ولده]؟ فقيل: عبدالله بامصباح، فقال: أجلسوه، لنا به حاجة، ثم سأل عن وقت العصر، فقيل: هذا أول وقته، فطلب الماء وتوضأ، فأصابه بردٌ، فقيل له: لو أخرت الصلاة حتى تدفأ؛ فإن في الوقت سعة، فقال: لا، ما بقي في الوقت مهلة.

فأحرم بصلاة العصر قائماً، وجلس لقراءة الفاتحة، فلما هوى للركوع، تمايل، وقال: الله الله، **فخرجت روحه الزكية**، راضيةً مرضيةً، يوم الخميس، رابع عشر ذي القعدة، سنة تسع عشرة بعد الألف.

ثم غُسّل وكُفِّن، وبات ليلة الجمعة في داره، وعنده جمعٌ كثيرٌ يقرؤون القرآن ويدعون، وصُلي عليه بعد صلاة الجمعة، وحضر الصلاة عليه خلقٌ كثيرٌ، وجمٌّ غفيرٌ من البلاد البعيدة، وقُبر قبل العصر، قريباً من مسجده، المسمى: مسجد النور، محاذياً لقبر جده الشيخ عبدالله العيدروس، من جهة القبلة.

وحينئذٍ علت الأصوات، وتساكبت العبرات، وترادفت الحسرات، وتصاعدت الزفرات، وعظم الأنين، وزاد الحنين، وأظلمت الأقطار، وبكى الليل والنهار، وفقده الضعفاء والمساكين، وعدمه المريدون مع السالكين، وكان في جلوس الشيخ عبدالله بامصباح فائدةٌ عظيمةٌ لأهل بيته؛ لأنه كان يتولى تجهيز الأولياء والأعيان، من غسلٍ وغيره.

ورثاه جمعٌ كثيرٌ، منهم: الشيخ العالم الأديب عبد القادر بن محمد، صاحب «الروضة»، فقال:

خطب ألمّ بنا فالصبرُ منهزمُ ووقدُ نارِ الأسى في الجوفِ تضطرمُ

والقلبُ في حُرَقٍ والجسمُ في قلقٍ والطرفُ في أرقٍ والدمعُ منسجمُ
يا نكبةً أخذتْ من بيننا عَلَماً ألمَّ بالقلب مع إلمامِها ألمُ
عَمَّتْ وأعمَتْ جميعَ الناسِ قاطبةً أصمت وأصمت ففي سمع العلا صممُ
قد زعزعَتْ طودَ حلمٍ ما له مثلٌ ركنٌ من الدين أضحى وهو منهدمُ
أحنتْ على ملة الإسلامِ نازلةٌ فكلُّ أبنائه بالحزنِ قد صُدِموا
جاء النعيُّ بعبدِالله فارتعدَتْ مني الفريصُ وكاد الظهرُ ينقصمُ
لما قضى عمدةُ الإسلام سيدُنا العيدروسُ الإمامُ المفردُ العلمُ
شيخُ الأنام من الغُرِّ الكرامِ ومن بنوره في الدياجي تَنجلي الظُّلَمُ
هو ابنُ شيخِ بنِ عبدِالله سيدُنا بحرُ العلوم العفيفُ الطاهرُ الشيمُ
مَنْ للعلومِ لأهلِ العلم ينشرُها ومَنْ تشدُّ إليه الأَيْنُقُ الرُّسُمُ
فطالبو العلمِ قد كانوا بحضرتِه لهم لديه لأجلِ العلم مُزْدَحَمُ
أيامُ إسعادٍ مضتْ لهمُ نالوا المرادَ بها والشملُ منتظِمُ
بوجهه أَنِسوا من نوره اقتبسوا لعلمِه التمسوا فازوا وقد غنموا
لهم قراءةُ أسفارٍ محققَةٍ فيها الشفاءُ وفيها الحُكمُ والحِكَمُ
قد لازموه فنالوا منه مطلبَهم وذاكَ للقصدِ والمطلوبُ ملتزمُ
ومنه إيضاحُ تعقيدٍ ومشكلةٍ لفظاً ومعنًى وتقديراً لما فهموا
مَنْ بعدَهُ إن أتانا حادثٌ جللٌ يجلوه عنا وزالَ الغَمُّ والغُمَمُ
أو حلُّ مشكلةٍ أم حلُّ مثقلةٍ أو كشفُ معضلةٍ والأمرُ منبهمُ
مَنْ للطريدِ وللملهوفِ ملتجأٌ من للأرامل والأيتام معتَصَمُ

من المشمِّرُ في الحاجات إن سألوا ... ومـن يهـشُّ إلـى الـزوار يبتـسمُ
مَـنْ للوفـود وللقُـصَّاد يكـرمُهم ... فـضلاً ويلقـاهم بالبـشر مبتـسمُ
مَـنْ للـضعيفِ وللمظلـومِ ينـصرُه ... ويأخذ الحقَّ مـن قـومٍ إذا ظَلَمـوا
مـن للعـديمِ إذا مـا جـاء ملتمـسًا ... أفـضالَهُ زالَ عنـه الفقـرُ والعَـدَمُ
حازَ المكارمَ في قولٍ وفـي عمـلٍ ... من جودِه دونـه الأمـواجُ والـدِّيَمُ
يكــاد يمــسكُه عرفــان راحتِــهِ ... ركنُ الحطيمِ إذا مـا جـاءَ يـستلِمُ
لـه فـضائلُ لا يُحـصى لهـا عـددٌ ... فلـيس يحـصرها نطـقٌ ولا قلـمُ
قـد مـدّ للمجـدِ باعـاً مالـه قـصرٌ ... وســار ســيرَة آبــاءٍ لــه قــدموا
العالمون فهم في العلم قـد برعـوا ... العاملون بما مـن علمهـم علمـوا
سعى على آثارهم بالجـدِّ مجتهـداً ... فـذاك فـضلٌ كثيـر لـيس ينخـدم
قضى حميـداً وأبقـى مـن فـضائله ... عمراً جديداً ومجـداً لـيس ينـثلم
قضى وقـد كَلَـمَ الأكبـادَ مَـصْرَعُه ... وكم شفى العيَّ مـن ألفاظِـه كَلِـمُ
والحمــدُ لله حمــداً لا نفــادَ لــه ... فالموتُ أمرٌ لكـلِّ النـاس مُنحَـتِمُ
والله يُبقــي لنـــا أولادَه فهـــمُ ... لنـا بـدورٌ بهـم قـد زالـتِ القـتمُ
محمدُ العيدروسُ السيدُ العلمُ الـ ... ـمحمودُ مَنْ شكرتْه العُربُ والعجمُ
والسيدُ الحبرُ زيـنُ العابـدينَ فقـدْ ... سما وطالَ وقـد طالَـتْ لـه هِمَـمُ
حاز المفاخرَ بينَ الناس عن كَمَـلٍ ... علمـاً وجـوداً إليـه ينتهـي الكـرمُ
وشيخُ من لم يزلْ بـالعلم مـشتغلاً ... عليــه مجتهــدًا مــا نالــه ســأمُ
بحرُ الفضائلِ محمودُ الشمائل محْـ ... ـتدُ الحمائِـل فـي عِرْنينِـه شَـمَمُ

والسيدُ الأوحدُ السقافُ منشرُ الـ أوصافِ خدنُ العلومِ المتقنُ الفَهِمُ

بحرُ التقى المنتقى للمكرماتِ رَقَى مراتبًا فلـه فـوقَ الـسُّها قَـدَمُ

همُ الأئمـةُ مـن قـومٍ لهـم شـرفٌ إن قيلَ مَنْ خيرُ [أهلِ] الأرضِ قيلَ همُ

أبقـاهمُ الله أركانـاً لملتنـا عوناً وغوثاً ولا زالـت لهـم نِعَـمُ

ثم الصلاةُ على المختارِ من مُـضَرٍ ما سحَّ فوقَ الهضابِ الوابلُ الردمُ

والآلِ والصحبِ ثم التـابعين لهـمْ مـع الـسلامِ دوامًـا لـيس ينـصرمُ

[١٣٠٠] السيد عبدالله بن محمد الحجازي الحلبي، الشهير بابن قضيب البان، نقيب الأشراف بحلب، الحنفي[1].

فرع الشجرة النبوية، وطراز العصابة الهاشمية، وواسطة عقد القلادة الأحمدية، وقرة عين الشرف والمجد، من سارت بجميل ذكره رواة الأخبار، ما بين تهامة ونجد، جوادٌ في حلبة العلوم، أعجز كل كمي عن أن يباريه، وسابقٌ في ساحة المنثور والمنظوم، فلا أحدٌ يمكنه أن يجاريه.

له المقام الذي ينتهي إليه كل مجد، والمراتب التي يكلُّ عن إدراكها كلُّ سعي وجِدّ، لم يزل منذ نشأ مغرَماً باجتناء المحامد، يؤم ساحةَ جوده كلُّ وارد وقاصد، ذاته ألطفُ من النسيم، ومجلسُ أنسه كجنان النعيم.

وُلد بحلب، وأخذ عَمَّنْ بها من المشايخ، حتى برع وتأدب، وتولى النقابة بها، ثم قضاء آمد، ونافس من بها من الأفاضل الأماجد، رأيته بمكة

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٧٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٥٦٥) (١١٩)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٣٦٣) (١٠٠٤)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ١٢٩).

ـ شرفها الله ـ وقد قدم من مصر، وكان قد تولى بها النظر في أحوال الأشراف وأنسابهم، وقامت عليه الخاصة والعامة بسبب ذلك، وكادوا أن يقتلوه، واختفى في بيته، حتى خرج الحاج من مصر.

فحج، ورجع إلى بلده حلب، وأقام بها، ثم قام عليه العامة في حبوبٍ احتكرها، بعد أن طُلب منه بيعُها فأباه، فرجموه إلى أن مات، في جمادى الثاني[ـة]، عام ستة وتسعين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

وله أشعارٌ كثيرةٌ، منها: قوله يمدح النبي ﷺ:

أهــلاً بنَــشْرٍ مــن مَهَــبِّ زَرُودِ ... أحْيَــا فــؤادَ العاشــقِ المَنْجــودِ

وروى شذَى خبرِ العقيقِ ففجِّرتْ ... منــه عيــونُ الــدمع فــوقَ خــدودِ

ونمَـى فـنمَّ لنـا بأسـرار الهـوى ... مـن حيـث منزلـةُ الظبـاءِ الغِيـدِ

تلك المعاهدُ جادها صَوْبُ الحيـا ... وسـرى النسيمُ بظلهـا الممـدودِ

فيهــا بواعــثُ مُنيتــي ومنيَّتــي ... وبورْدهـا ظمئـي وطِيـبُ وُرودِي

إن يَنْـأَ عـن عينـي بـدورُ سـمائِها ... فأنا المُقيمُ على رَسِيس عهـودِي

كيـف السلوُّ ولـي فـؤادٌ مُوثَـقٌ ... بالحـب لا يُـصغِي إلـى التفنيـدِ

وتـأوُّهٌ لـولا دمـوعي لـم يكـدْ ... ينْجو الورى من جَمْرها المَوقُـودِ

داءٌ تَعَـــوَّدَهُ فــؤادُ متــيَّمٍ ... لـم يلتحِـفْ غيـرَ الأسَـى ببُـرودِ

كـلاَّ ولا كحَـلَ الرُّقـادُ جفونَـه ... أيلَـذُّ مـن ألِـفَ الهـوى بهُجـودِ

ما أعذَب التعذيبَ في طُرُق الهوى ... إن لـم تُـشَبْ أسْـقامُه بـصُدودِ

نفـسِي الفـداءُ لـذي قَـوامٍ ناضـرٍ ... جعـل الحـذارَ وسـيلةَ التهديـدِ

يلهو فيذكرُ موعدًا متنصِّلاً ... ومن الوفاء تذكُّرُ الموعودِ

رَخْصٌ كجسم النُّور مهْضومُ الحشَا ... لَدْنٌ كخُوطِ البانةِ الأُمْلودِ

لبسَتْ غدائرُه الدجى وتقلَّدَتْ ... لَبَّاتُه من زَهْرها بعُقودِ

عهدي به والليلُ منفصِم العُرَا ... مُتوسِّدٌ وَفْقَ الهوى بزُنودِ

والقلبُ يَظْمأُ من مَراشِف ثغرِه ... ظمأَ السكارَى بابْنة العنقودِ

بعت الشبابَ على ورودِ رُضابِه ... فأتى الفراقُ وحالَ دون وُرودِي

فجعلتُ زادِي بعدَه جَرْعَ الأسَى ... وأطلتُ فيه تَمائمي ونُجودِي

وغدوْتُ في شجَنٍ يُقلْقِل أضلُعي ... إن الشجونَ عَلامَةُ المَنهودِ

ليتَ الذي منعَ التَّداني بيننا ... وقضى عليَّ بوَحْشة التعبيدِ

يُلْوِي فيُسعفني بتقْريب الخُطا ... ويفُكُّ من أسْرِ الفِراق قُيودِي

فأشِيمُ برقَ الوصلِ من قِبَل الحمَى ... وأشمُّ رَوْح الأُنْسِ غيرَ بعيدِ

وأرى خيامَ أحبَّتي وقبابَها ... كالخَوْد تُجْلَى في عِرَاصِ البِيدِ

أرضٌ يفُوح بتُرْبها أَرَجُ النَّدى ... والمجدُ في نُوَّارِها المخْضودِ

هي مهبِطُ الوحْيِ القديمِ ومَعِقلُ الدْ ... دِين القويمِ وموطنُ التوحيدِ

حيثُ المكارم والمغانمُ والجَدَا ... حيث المراحِمُ حيث مأوى الجودِ

حيثُ الضريحُ الطاهرُ السامي على ... فَلَكِ العلا والرفرف الممدود

جدثٌ عليه مهابةٌ وجلالةٌ ... يغشى العيونَ بنورِه المشهودِ

تأتي إليه الأنبياءُ فتجتدي ... من فضلِه المأمولِ كلَّ مزيدِ

وتطوفُ أملاكُ السماءِ ببابه ... فتراهُمُ من نُزَّلٍ وصعود

إنــي وفيــه ذلــك النــورُ الــذي | بــضياه يُــسْتَهدى إلــى المعبــودِ
أعنــي بــه طــه الأمــينَ المقتفــى | روحَ الوجــودِ خلاصــةَ الموجــودِ
قــد ضــاءتِ الــدنيا بــه لمَّــا بــدا | فــي صــدرِ يــومٍ مــشرقٍ مجــدودِ
وتــدلَّتِ الزُّهْــرُ الكواكــبُ نحــوه | لتكــون منــه تمــائمَ المولــودِ
وسرى إلى السَّبْع العلا وخديمه الرْ | رُوحُ الأمــينُ لموقــفٍ محــدودِ
ثم ارتقى بالجسم حيثُ تقاصـرَتْ | عنـه العقـولُ وخـابَ كـلُّ مَريـدِ
مَــدَّتْ لــه الأفــلاكُ أعناقــاً كمــا | نثــرت لديــه الزهــر نثــرَ عقــودِ
ولأجــلِ خدمتــه الجنــانُ تزينــت | ومــن الــسعادة خدمــةُ المــسعودِ
قد كـان يُـدعى بـالنبي ولـم يكـن | خلــقٌ وآدمُ لــم يكــنْ بوجــودِ
شهدَتْ ببعثته الوحـوشُ فأقبلـت | تتـرى فمـن شـاكٍ ومـن مـصفودِ
فالظبيُ وافى موثَقًا يـشكو الـردى | والعــودُ أبــدى أنَّــةَ المجهــودِ
قد صِينَ في الملكوتِ ذيلُ ظلالـه | كـي لا يجرَّ على بـساطِ صـعيدِ
وغــدا بأعبــاء النبــوة ناهــضاً | والأرض مــلء ضــغائنٍ وحقــودِ
فنضا لحصدِ الشرك من غِمْد الهوى | بيضاً يُضِئْن على الليـالي الـسودِ
أضحى لبيـتِ الكفـر أقـوى هـادمٍ | ولقــصر ديــنِ الله خيــرَ مُــشيدِ
بعزيمــةٍ تــردي الأســودَ وهمــةٍ | يقظــى تهــدُّ شــوامخَ الجلمــودِ
حتى تقضَّى الدهرُ من ظلم الـشقا | والكونُ أشرق من سـما التوحيـدِ
وتهلَّــلَ البيــتُ المعظَّــمُ فرحــةً | وغــدا يَميــد بركنِــه الموطــودِ
والــدِّينُ أصــبحَ آمنــاً فــي سِــرْبه | متبختــــراً بمطــــارفِ التأييــــدِ

بُشرى لنا من أمةٍ مغبوطة ... أبداً بهذا السيدِ المحمودِ
فهو النبيُّ المستعانُ المرتَجى ... مأوى الضعيفِ وملجأُ المطرودِ
أهلُ البسيطةِ تستجيرُ بظلِّه ... في يوم حَرٍّ كاشفٍ صيخودِ
وبه يُغاث المرسَلون وكيف لا ... والكلُّ تحت لوائِه المعقودِ
يا طالباً وجهَ النجاحِ وسالكاً ... جددَ الفلاح ومنهجَ التسديدِ
يَمِّمْ حماهُ ولا تَحِدْ عن بابه ... فهناك تبلغُ غايةَ المقصودِ
مولاي يا غوثَ البرية في الدنا ... ومجيرَها في الموقفِ الموعودِ
بيني وبينك نسبةٌ لكنني ... لم أرعَ واجبَ حقِّها المعهودِ
فنبذْتُ غيرَ مكرَّمٍ وسقطت غيـ ... ـرَ مقوَّمٍ وسقمْتُ غيرَ مَعودِ
ولأنتَ أولى من يُراعي حقَّها ... ويصونُها عن وِجْهة التأديدِ
هبْ أنني واصلتُ كلَّ مُحَرَّمٍ ... وأطعتُ فيه غَوايتي وجُحودي
وجنيتُ ذنباً ما جناه قارفٌ ... من عهد شدَّادٍ وعهدِ ثمودِ
فذنوبُ أهل الأرض أدنى قطرة ... في فيض بحرِ نوالِك الممدودِ
غفراً رسولَ الله للجرمِ الذي ... أثقالُه غلبتْ على مجلودِ
وتفضلاً في فكِّ أسري مثل ما ... أطلقتَ أسرَ هوازنٍ بقصيدِ
ووهبتَ من كعبٍ دماً أهدرتَه ... وكسوتَه بملابسِ الترفيدِ
وطلبتَ غفرانَ الإله لعصبةٍ ... شَجُّوكَ لا كانوا بسهمِ حديدِ
وبنو ثقيفٍ إذ دعوتَهُمُ وقد ... آذَوْكَ في يومٍ عليكَ شديدِ
هَشَموا ثناياكَ الحسانَ وحبذا ... دُرٌّ زَها من ثغرِكَ المنضودِ

وأتـاك جبريـلُ الأمـينُ مـسارعاً ... ليبيـدَهُمْ واللهُ خيـرُ مبيـدِ

فعفـوْتَ عفـوًا لا يكـدِّره الزهـا ... وحلمْتَ حلمـاً لـيسَ بالمحـدودِ

إن كـانَ مـا نـالوه منـكَ بجهلِهِـمْ ... أو لاتـصالِ قرابـةٍ وحـدودِ

فكذاك جهلي في الجنايـة واضـحٌ ... ووصول حبلـي منـك غيـرُ بعيـدِ

يا مفـزعَ الثقلَـيْنِ يـا خيـرَ الـورى ... وثمـالَ كـلِّ مـشتَّتٍ مبعـودِ

عطفـاً علـى حـالي الـشتيتِ فإنـه ... ضاقَ الخناقُ وقُـدَّ حبـلُ وريـدي

وقد التقَتْ حلقُ البطان وأحكمت ... أيـدي الهـوان وثـائقي وعهـودي

فأتيـتُ بابَـكَ ضـارعًا مستـصرِخًا ... بجـوانحٍ ترمـي الغـضى بوقـودِ

أدعـوكَ للخطـبِ العظـيم وكـشفِه ... عنـي دعـاءَ العـاجزِ المـوءودِ

وأبـثُّ شـوايَ إليـك لعلَّهـا ... تحظـى بـسمعٍ مـن ثنـاكَ حميـدِ

وفـؤاديَ المـصدوعُ أعظـمُ واثـق ... أنـي أعـوذُ بمـصدرٍ مـورودِ

حاشـا لجاهِـك أن أؤوبَ بخيبـةٍ ... وحِماكَ منتجَعـي وأنـتَ مميـدي

صـلَّى عليـك اللهُ مـا جـادَ الحيـا ... بمجلجلٍ يـروي الـصخور مزيـدِ

وعلـى عـشيرتِك الـذين بِحـبهم ... طهّرتَ من دنس العقـوقِ بـرودي

فـودادُهم دينـي وطاعـةُ أمـرهم ... نعـمَ العتـادُ إذا ألـمَّ همـودي

وكذلك الـصحبُ الكرامُ مـسلِّماً ... ما فـاح نـشرٌ مـن مَهَـبِّ زَرودِ[1]

---

(١) جاء في الحاشية: «وجد بالهامش، عند هذا البيت الأخير: (يكتب بقية ترجمته من «السفينة»، كذا بخط المؤلف)».

[١٣٠١] السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس[1].

الإمام العلامة، فارس الميدان، ترجمان الحقيقة بالدليل والبرهان، العارف غوامض الحقائق، الجامع للطائف أسرار الدقائق، صاحب الإشارات العلية، والعبارات السنية، والحقائق القدسية، والأسرار الربانية، والهمم العرشية، والأحوال الغريبة، والمقامات العجيبة، كهف قلوب السالكين، وقبلة همم المريدين، وزمزم أسرار الواصلين، مبين معالم الطريقة بعد خفاء آثارها، ومبدي علوم الحقيقة بعد خبو أنوارها.

قد ترجم نفسه في كتاب «النور السافر في أخبار أهل القرن العاشر»، فقال ما محصله: أنه **وُلد** عشية يوم الخميس، لسبعٍ بقين من ربيع الأول، سنة ثمان وسبعين وتسع مئة، بمدينة أحمد آباد، من الممالك الهندية، وأشار إلى ذلك ولده، في بعض قصائده السنية بقوله:

بدا النورُ من نجدٍ ومن شِعْبِ عامرِ	بطلعةِ أبي بكرِ الغنيِّ عبدِ قادرِ
بشهرِ ربيعٍ ليلةَ الجمعةِ الغرا	لثالث عشرين زهت بالبشائرِ
لعام ثمانٍ بعد سبعينَ سنوةً	وتسعِ مئينٍ صَحَّ ميلادُ باقرِ
من المصطفى المختارِ مشكاةُ نورِه	إلى العيدروسِ المجتبى بالسرائر

وكناه والده[2] بأبي بكر، ولقبه بمحيي الدين، وسبب ذلك: أن والده

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (١٧٨)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٠٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٤٢)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٣٩).

(٢) في الأصل: ولده.

رأى ليلة مولده، الشيخَ عبدَ القادر الكيلاني، والشيخ أبا بكر العيدروس، إذ جاءته امرأةٌ من أهله، تعلمه أن فلانة وضعت ولداً ذكراً، فسماه بهذه الإشارة عبد القادر، ولقبه محيي الدين، وكناه أبا بكر، ولم يَسْلم له بأرض الهند غيره، وأمه هنديةٌ أمُّ ولد، وهبتْها له بعض النساء الصالحات المشهورات لأبيه، وهي بكرٌ، ولم تلد أحداً من الأولاد غيره.

تربى في حجر والده، ونشأ لديه، وأخذ عنه ولازمه، وتخرج به، وكان يثني عليه ويعظمه، ويشير إليه، وصدّره في مكانه، ونوّه به في عدة مواطن، تارةً بالتلويح، وتارة بالتصريح، وكان يشار إليه بالذكاء والفهم، وجودة القريحة، وعلاماتُ الولاية ظاهرةٌ عليه، ومخايلُ النجابة باديةٌ فيه.

أثنى عليه المشايخ العارفون، وقرأ عدة متون على جماعةٍ من العلماء الأعلام، وتصدى لنشر العلم، ومزاحمة أهله، والأخذ عنهم، والاستفادة منهم، وشارك في كثير من الفنون، وتفرغ لتحصيل العلوم، وعمل الهمة في اقتناء الكتب المفيدة، وبالغ في طلبها من الأقطار البعيدة، مع ما صار إليه من كتب والده، فاجتمع عنده عدةٌ عديدة، ولما بلغه أن العيدروس قال: من حصّل كتاب «الإحياء»، وجعله في أربعين جلداً، ضمنت له الجنة، حصّله، وجعله كذلك بهذه النية.

وكان أخوه الإمام عبدالله بن شيخ يثني عليه جداً، ويمدح تصانيفه، وقال: إنه لم يوجد له نظيرٌ في مجموع محاسنه، ونحن ما ننظر إليه إلا في مقام والده، وأثنى عليه السيد الجليل حاتم الأهدل، وكان بينهما رموزٌ وأسماءٌ ومكاتبات.

فمن جملة ما خاطبه به في بعض مكاتبته:

هذا والشوق إلى رؤية وجهكم السعيد، كل يومٍ يزيد، فتوجهوا بوجهكم الوجداني إلى جهة عبدكم، لتطفح عليه بركات أنفسكم، فتقوى روحه على السريان، ويتسع قلبه لمشاهدة الماضي والمستقبل في الآن، فيعود ناشراً برودَ الثناء على حضرتكم الشريفة، ومستمراً على وظيفة الدعاء لذاتكم اللطيفة، وانظروا إليه نظراً يبسط وجوداته، ويسرح من قبضة الكون لموجوداته، فيخرج عن المكان، إلى عالم الإمكان، ولا يحصره الزمان، بعد اطلاعه على حصر الأعيان، هذا، وليس الخبر كالعيان. انتهى.

وشرح صاحب الترجمة أكثر مكاتباته إليه، شرحاً فائقاً سماه: «الزهر الباسم من روض السيد حاتم».

وكان جامعاً بين علم الشريعة والحقيقة، وسمع الحديث من جماعةٍ كثيرين، وطالع كتباً كثيرةً، ووقف على أشياء غريبة، وتلقى عن المشايخ الأفراد، وفضلاء عصره الأمجاد، وكانت له اليد الطولى في جميع العلوم، ولكن غلب عليه علم التصوف، فلم تفته إشارةٌ صوفيةٌ، أو مسألةٌ علميةٌ، أو نكتةٌ أدبيةٌ.

وكلامه في مصنفاته يدل على كثرة اطلاعه على العلوم، وتبحره، مع ما خصه الله تعالى من جودة الفهم، وحلاوة العبارة، فكان آيةً من آيات الله الكبرى، وأعجوبة الزمان الذي بهر الورى، ليس له نظيرٌ في أحواله وأقواله، فكان أبا يزيد زمانه، وجنيدَ دهره، وابنَ عربي أوانه.

وكان له أحوالٌ فاخرةٌ، وكراماتٌ باهرةٌ، بل كل أحواله وإشاراته وأفعاله كرامات.

فمن كراماته: ما حكى فقيره الصالح بشير محمد، قال: لما ابتدأت في تعلم الخط في الصغر، رأى سيدي خطي، فقال لي: تكتب كتاباً؟ فضحك أستاذي، وقال: يا سيدي! لم يحكم الكتابة حتى يكتب الكتب، فتبسم سيدي، وقال له: أنت ما تعلم، فيه سرٌّ عجيبٌ، وأمرني بكتابة كتابه المسمى بـ: «النور السافر»، ففتح الله عليّ طرق الكتابة ببركته، وهداني الله لجملةٍ من الأخلاق الكريمة بحلول نظره فيّ.

منها: أن الشاعر أحمد القازاني كان عند صاحب الترجمة، فتذاكر هو وجماعة من الأدباء في الكتابات والألغاز والملح، فذكر الشاعر بيتين له في هجو الصوفية، فقال له صاحب الترجمة: أعدهما، فأعادهما توهماً أنهما أعجباه، فغضب السيد، وصرخ ثلاث صرخات، وقال: ما تعرف الصوفية، وعدد له جماعةً منهم، إشارةً إلى أنه كيف يعادي هؤلاء، وقد قال الله تعالى: «من عادى لي ولياً، فقد آذنته بالحرب».

ثم قال السيد: إن الشاعر يموت عن قريبٍ، فمات بعد سبعة أيامٍ.

ومن عادة صاحب الترجمة: أنه ما غضب على أحدٍ، إلا ظهر عليه أثر غضبه في الحال.

ومنها: أنه لما دخل مدينة حمدانقر في عنفوان شبابه، أرسل بعض مشايخ البلد إلى بعض مريديه، يطلبه ليتجسس على أخبار السيد، فلما علم صاحب الترجمة بذلك، أمر بضرب الرسول، فضرب، فغضب ذلك الشيخ، وشكاه إلى كسور خان الحبشي، فجاء كسور خان إلى السيد، وقال له: أنت غريبٌ في هذه الديار، فكيف تفعل هذا مع صاحب المكان؟ هذا غير لائق،

فغضب السيد، وقال له: والذي أخرج الحبوش من كجرات، وأنا أخرجهم من حمدانقر، وأخرج خاتمه من يده، فلم تمض إلا أيام قليلة، وغضب السلطان على كسور خان، وأخرج عيونه، ثم بعد ذلك تولى المغل حمد انقر، ولم يبق للحبوش بها ناموس.

ولصاحب الترجمة في الزهد والورع، والتوكل والصبر، والتفكر والسخاء، والفتوة والمعرفة، وعلو الهمم شأنٌ عظيمٌ، ومن زهده: أنه زهد في الرياسة، يدل على ذلك: امتناعه من مجالسة أرباب الدولة والجاه، وأما كرمه، فمشهورٌ، فكان لا يمسك بيده، وإذا دخل عليه شيء، أنفقه في الحال.

وبالجملة: فإنه كان شيخ الطريقة حالاً وعلماً، وإمام أربابها حقيقةً ورسماً، ومحيي رسوم المعارف فعلاً واسماً، آتاه الله العلم والمعرفة صبياً، ورفعه في فنونها مكاناً علياً.

وله ﷺ مصنفاتٌ كثيرةٌ مفيدةٌ، في علوم عديدة، انتشر أكثرها وشاع، ووقع على حسنها ونفاستها الإجماع، منها: «كتاب الحدائق الخضرة في سيرة النبي ﷺ وأصحابه العشرة»، وهو أول كتابٍ ألفه، وسنّه إذ ذاك دون العشرين، وكتاب «إتحاف الحضرة العزيزة بعيون السيرة الوجيزة»، وهو على نمط «الحدائق»، لكنه أصغر منه، وهو عجيبٌ في بابه، وكتاب «الفتوحات القدسية في الخرقة العيدروسية»، وهو كتابٌ نفيسٌ، لم يؤلف قبله أجمع منه، ومن غريب الاتفاق: أن تاريخه طابق موضوعه، وهو (لبس خرقة)، ونظم هذا التاريخ الفاضلُ محمد بن عبد اللطيف الشهير بمرزا مخدوم، فقال:

ولما كانَ ذا التأليفُ فيمن ... تشرَّفَ في الأنام بلُبْسِ خِرْقَه

فــلا عجــبٌ ولا بــدعٌ إذا مــا أتـى تـاريخُ ذلـك (لـبس خرقـه)

وكتاب «المنتخب المصطفى من أخبـار المصطفى»، ولـه أبيـاتٌ في السلوك وشرحها، وسماه: «غاية القُرب في شرح نهاية الطلب» اعتنى به الناس كثيراً، وحصلوا منه نسخاً عديدةً، ونقله غير واحدٍ بظهر الغيب، و«الدر الثمين في بيان المهم من الدين».

وشرح قصيدة الشيخ أبي بكر العيدروس التي أولها: كلٌّ من ليس يمنع نفسه . . . إلخ، وهو في غاية الحسن، بديع الترتيب، غريب التأليف والتهذيب، حسن السبك والانسجام؛ بحيث يفهمه الخاص والعام، ويشتمل على فوائد جمة، ويحتوي على مقاصد مهمة.

وكتاب «المنهاج إلى معرفة المعراج»، و«الأنموذج اللطيف في أهل بدر الشريف»، ولم نعلم أن أحـداً تقدمـه في إفراد تراجمهم، و«أسباب النجـاة والنجاح في ذكر المساء والصباح»، و«الحواشي الرشيقة على العروة الوثيقة» و«منح الباري بختم صحيح البخاري».

و«تعريف الأحياء بفضل الإحياء»، وباعثه: أن العيدروس قال: غفر الله لمن يكتب كلامي في الغـزالي، ووالـده حاضـرٌ، فقـال: إن أمهل الزمان، جمعت كلام الشيخ عبدالله في الغزالي، في كتابٍ أسميه: «الجوهر المتلالي في كلام الشيخ عبدالله في الغزالي»، فرجا دعوة العيدروس، وأسعف والده، بتحقيق رجاه.

وكتاب «عقـد اللآل بفضائل الآل»، و«خدمة السادة بني علوي باختصار العقـد النبوي»، لكنـه لم يتم، و«بغيـة المستفيد بشرح تحفة المريد»، وهو

مختصرٌ جداً، و«النفحة العنبرية في شرح البيتين العدنية»، و«إتحاف إخوان الصفا بشرح تحفة الظرفا بأسماء الخلفا»، وكتاب «صدق الوفا بحق الإخا»، و«النور السافر عن أخبار أهل القرن العاشر».

و«تقريظٌ على شرح قصيـدة البوصيري» التي عارض بها بانت سعاد، للشيخ عبد الملك بن دعسين، وآخر على رسالة أحمد بن محمد البسكري، في تبرئة الإمام مالك، عن تلك المقالة الشنيعة، التي نسبها إليه من لا خلاق له، وله ديوان شعرٍ اسمه: «الروض الأريض والفيض المستفيض».

واستحسن غالبَ هذه المؤلفـات فضلاءُ عصره، ومشايخ دهـره، في سائر الأقاليم، وقرظها جماعةٌ من العلماء الأعلام، وسادات الأنام، لا سيما الفتوحات، حتى إن التقـاريظ التي كتبوها عليها، جاءت في عدة كراريس، وسارت بها الرفاق، وقال بفضله علمـاء الآفـاق، وكاتبـه ملوك الأطراف، وأرفدوه بصلاتهم الجزيلة، وهباتهم الجليلة، ووصلت إليه المدائح من البلاد البعيدة؛ كمصر واليمن والحرمين.

وأخذ عنه جماعةٌ من العلماء الأعلام، وانتفع به عدة من الأنام، ولبس منه الخرقة جماعةٌ من الأعيـان، ولم يزل على خيرٍ، وفي خيرٍ، حتى توفي سنة ثمان وثلاثين بعد الألف، بمدينة أحمد آباد، وعمره ستون سنة، وقبره بها مشهورٌ معروفٌ، يزار ويتبرك به ـ رحمه الله ـ.

[١٣٠٢] عبد القادر الشيزري المكي[١].

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١١٥).

كان طرفةً من طرف الدهر، له نظمٌ كثيرٌ من سقط المتاع، فنظمه سفهٌ، ونثره هباءٌ، كله غثٌ بلا سمين، وفضيحةٌ على مرّ الدهور والسنين، حقيق بأن ينشد له قولُ بعض المتأخرين:

إن كـــانَ للـــشعر بيـــتٌ فـــشعرُه مـــستراحه

ومن عجيب أمره: أنه امتدح الشريف حسن بن أبي نمي بمثل تلك الخرافات، وكذلك مدح ابنه الشريف إدريس، وأجازاه جبراً لخاطره الجزاء النفيس.

ومن شعره: ما كتبه لبعض أصحابه مادحاً له:

وافـــى الحبيـــبُ وصـــفا مـــن بعـــدِ جَـــوْرٍ وجَفـــا
فقلتُ لـه مرحباً بـك يـا مرحبـا واقبـلْ عفـا الله عَمَّـا سـلفا
وابشرْ فأنت مـن الأخـلاء الـسعدا طالباً للكمـال وأنـت لهـا أهـلا
فاعمـــل عمـــلاً تمـــدح بـــه فأنـــت مـــن الرشـــدا

وهي طويلةٌ، وشعره على هذا الأسلوب، والبعرة تدل على البعير، **توفي** بمكة ـ رحمه الله ـ عام سبعة عشر بعد الألف، ودفن بالمعلاة، وكان يحضر درس الإمام عبد القادر الطبري، في رمضان، فكتب الإمام عبد القادر إلى الشيخ أبي بكر الخاتوني، يداعبه متهكماً بنظم الشيزري بقوله:

لله يـــومٌ قـــد جمعنـــا بـــه بـالمحيوي الأصـقعي الـشيزري
شـيخ لـه الفـضلُ العمـيمُ فـضالة بمحـــاوراتٍ كـــالغزالِ الأحـــورِ
شـــعرٌ يقهقـــه ســـامعوه بلفظِـــه فاعجبْ لخطبٍ فاق خطبَ الأشعري

فـــإذا تـــلاه مـــصنعاً تلحينَـــه ضـحكتْ لـه أفـواهُ تبـع قيـصرِ
لفـظٌ عجيـبٌ ثـم معنـى أعجـبُ والـوزنُ لا تـسأل لرجحـان يـري
لـم تـسمع الأذنـانِ مثـلَ كلامـه شـعرًا ولا نثـرًا بجمـع المحـضرِ
شـمهورشٌ جعـلَ القيـادَ مـسلِّماً للـــشيزريِّ النـــاظمِ المتنثـــرِ
اللهُ أكبـر مـن فتًـى مـن نظمِـه تتفتتُ الأحجـارُ حـول المحجـرِ
لم يخط شخص ما رأى شخصًا له جـدًا وهـزلاً لـيس بالمتمـسخرِ
لكـن بإنـصافٍ لـشيخٍ قـد رقـى في ذروةِ الفـضلِ المـضيء النيـرِ
فـالله يُحييـه علـى عَـوْدٍ إلـى بـدءٍ ويكفلـه ليـومِ المقبـرِ
ويؤيد الشيخَ المجلـل فـي الـورى حتى يرى فـي الازدرا للمـزدري
يحيـا إلـى رمـضانَ ثـم نـراه فـي حلق الدروسِ مسلسلاً في المحضر
كـل الآنـام رآه حـينَ قـراءة كالليـثِ قـربَ الليـل لمـا يُقْمِـرِ
يجـنح بتلـك الحالـة الغـرا التـي هي يسرُ من هو في العلوم بمعسرِ
فاســلمْ ودمْ فـــي نعمـــةٍ متوسـطاً كالـدرِّ فـوق المُعْـصِرِ

فأجابه الخاتوني بقوله :

لله مـــن نظـــمٍ كلـــونٍ أخـــضرِ لكنـــه بـــالعين أبهـــى المنظـــرِ
يبـــدو فيـــذهب بـــالعقول بهـــاؤه فكأنمـــا هـــو كـــالرحيقِ المـــسكِرِ
مـرَّتْ بـه ريـحُ الـدَّبور فأرَّجَـتْ منـه الجوانـبَ بالـشميم الأذفـرِ
فبــدا وقــد غَــشَّتْه مــن أنــدائها بمـدبَّجٍ مـن أصـفرٍ فـي أخـضرِ
يختالُ فـي تلـك الغلائـل معجبـاً في نفـسه مثـلَ القـضيب المزهـرِ

حاكـت مطارفَـه أنامـلُ صـانعٍ ماذا الحريري أو فماذا الأشـعري

شـعرٌ كنـشر العُـودِ إلا أنـه في عـينِ نـاظره كمثـلِ الجـوهرِ

شيخٌ له حـولَ المـدارس مجلـسٌ يـسمو بـه دونَ الأنـام بمفخـرِ

تعلـو نَـضارتُه عليـه فوجهُـه بالبـشرِ منـه مهلَّـلٌ بالمـشعرِ

فيخـال والتـاجُ المنيـفُ برأسـه متوسـطًا بالدَّسـت كالإسـكندرِ

فكأنمـا هـو زورقٌ مـن فـضَّةٍ قـد أثقلَتْـه حُمولـةٌ مـن عنبـرِ

وتـراهُ وهـو مـضمَّخٌ بعبيـره كأبي زيـاد مجلـلاً في المحـضرِ

مـا شـأنه والعـرفُ منـه مطَّـولٌ إن كـان منـه الـذيلُ غيـرَ مـوفَّرِ

كـلا ولا حطتـه منـه نـسبةٌ ومقامُـه منـه مقـامُ المغفـرِ

لا غَرْوَ إن هو من مـصاقِع شيزرٍ أعظمْ به بـين الـورى شـيءٌ زُري

عجبًـا لـه لـمَ لا يـصول بنانُـه مع ما حواهُ مـن صـفاتِ غـضنفرِ

أم كيـفَ لا يزهـو علـى أقرانـه بمعارفٍ في النـاس لـم تُـستنكرِ

ولكـم تكلَّـفَ مثلـه مـن شـاعرٍ فيـه فـصحَّ بأنـه لـم يـشعرِ

لا تعجـبنَّ لـذاك مـن أسـراره في الناس وهو الشيخ عبد القـادر

فالـشعرُ مـن حكـم الإلـه بخلقـه لـم يحـوه غيـرُ اللبيـبِ المبصِرِ

والله أعلـمُ حيـث يجعـل فـضلَه هـذا لـه ثمـرٌ وذا لـم يثمـرِ

أبـداه كـالإبريز حالـةَ سـبكِهِ متـشعثاً كالجلَّنـارِ الأحمـرِ

وأتـى بـه كـالقَطْر منـه مكـررٌ لكنـه فـي فيـه مثـلُ الـسكرِ

الله أكبـرُ مـن بـديع سـره كم حارَ في معناه منا مِنْ سَري

فكأنمـــا أبـــداهُ غـــايصُ ذوقـــه بـــاللُّجِّ مـــن قعـــر هنالـــك زاخـــرِ
ومـــن العجائـــب أن دُرَّ نظامـــه لـــم تـــسمحِ الأيـــامُ منـــه بـــأبحرِ
مـــا ذاك إلا أن ســـانح فكـــره لـــم يلـــف عـــن أنيابـــه بمنفـــرِ
وأرى الطبيعـــةَ لا تـــزال بأســـرِها منقـــادةً منـــه بغيـــر تعـــسُّرِ
يصبو إلـى مـرأى محاسـنِ وجهـه حيثُ اسـتقرَّ مكانَـه مـن محـضرِ
ويكـادُ حـالُ النطـق منـه بثغـرِه يجـري ينابِـعُـهـا عليـه بكـوثرِ
أتـــراه مغنـــاطيسَ ذابَ مـــذاقُها أم مـــستراح فؤادهـــا بالمفـــشرِ
فاحكم لها باللطف إذْ سمحَتْ بـه وإذا سـئلت بمـا سـمعت فخبِّـرِ
واعجـبْ لـدهر قـد حبـاك بمثلِـه بينَ الورى واحمدْ إلهك واشـكر

[١٣٠٣] عبد الملك بن عبد السلام بن عبد الحفيظ بن عبدالله بن دعسَين ـ بفتح السين ـ بن عبدالله ابن العلامة أبي بكر بن أحمد بن علي بن عبدالله ابن الفقيه محمد دعسَين بن هبينى بن ربيعة بن علي بن أحمد بن شكر بن رزام ابن يحيى بن عبدالله بن زكريا بن خالد بن عبد العزيز بن عبدالله ابن الصحابي خالد بن أسيد بن العيص بن أمية الأكبر بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصي، الأموي القرشي(١).

الشيخ العالم الكبير، والإمام الشهير، شيخ الإسلام المشهور بإجماع الكل، واتفاق الجمهور، رب القلم واللسان، والفصاحة والبيان، وصاحب

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٥٤٤)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٨٨)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ١٥٩).

التصانيف البديعة، والفضل الجمِّ، وحسن الأخلاق والشيم، إلى غير ذلك من المحاسن، التي يعجز البليغ عن تعدادها، ويعظم الفخر للإنسان إذا اتصف بآحادها، فكيف بمجموعها؟!.

كان أعجوبةً من أعاجيب الزمان، وغريبةً من غرائب الدهر، خاض بحار المعقول والمنقول، وقطع مفاوز العقول.

قال السيد العارف بالله حاتمُ بنُ أحمدَ الأهدل في حقه: إنه إمام المصنفين، وعلامة المؤلفين، وإذا شهد له هذا الإمام، فقد أغنى نبؤه عن كل وصف، والشهادة منه خيرٌ من ألف.

وقال بعض العارفين: هو أحد أئمة الإسلام، والهداة الأعلام، الذين تدور عليهم الفتاوى والأحكام، في بيان الحلال والحرام، خاتمة العلماء المتبحرين، وجبل من جبال العلم والدين، وقد أنشد من رآه:

لم تر عيني تحتَ أديمِ الفَلَكِ   مثلَ الإمامِ الندبِ عبد المَلِكِ

وقال السيد عبد القادر بن شيخ العيدروس في حقه: إنه مجدد القرن العاشر.

وتقدم في ترجمة شيخ الإسلام الشمس الرملي، ما في ذلك من الكلام الظاهر للأكابر.

وتصانيفه إليها النهاية، في مزيد علوه وفخره، من اطلع عليها، علم محله من العلم الشريف، وما أنعم عليه الوهاب اللطيف.

وكان عالماً بالكتاب والسنة، عاملاً بهما، حافظاً لكتاب الله تعالى، مواظباً على تلاوته ليلاً ونهاراً، مثابراً على نشره سراً وجهراً، قائماً بما جرى

عليه السلف الصالح من الأوراد والأذكار، وإكرام الوافدين والفقراء والمساكين، وبذل الجاه في الشفاعات للمسلمين، وإصلاح ذاتِ بينهم.

وكان على جانبٍ من الصلاح، وحسن الأخلاق، عظيم التواضع، سخي النفس، وكانت له يد طولى في جميع العلوم؛ كالحديث والتفسير، والفقه والتصوف، والأصلَيْنِ والفرائض والحساب، والنحو والصرف، واللغة والمعاني والبيان، والهيئة والفَلَك، والشعر والتاريخ، والأنساب والعروض، وصنف في كثيرٍ من هذه العلوم، وله نظمٌ حسنٌ.

ومن مناقبه: أن بعض الأخيار رأى النبي ﷺ في المنام، كسا عبدَ الملك صاحبَ الترجمة قميصاً، بعد أن عرض عليه كراساً من تصنيفه.

وبنو دعسَين قبيلةٌ مشهورةٌ باليمن، اشتهر منهم جماعاتٌ بالولاية والعلم، حتى إن صاحب الترجمة أفردهم بتأليفٍ سماه: «قرة العين بمعرفة بني دعسَين».

ومن مصنفاته: «منحة الملك الوهاب بشرح ملحة الإعراب» للحريري، وشرح معارضة بانت سعاد المسمى: «إعداد الزاد شرح ذخر المعاد في معارضة بانت سعاد»، وشرح قصيدة ابن ناصر الدين ابن بنت الميلق التي أولها: من ذاق طعمَ شرابِ القومِ يدريه، شرحاً بديعاً، سماه: «جواهر السلوك المتحلي بها جِيدُ حال السلوك إلى ملك الملوك»، وهو شرحٌ نفيسٌ في غاية الحسن، على قدر جهده واستطاعته، وحسب علمه وإحاطته، لكن بين الشرح والمتن بونٌ كبيرٌ.

ومن ثَمَّ لما قيل للسيد العارف حاتم الأهدل: إن الفقيه شرع في شرح

قصيدة ابن بنت الميلق، فقال: وما عسى أن يقول في شرح هذا؟ وذكر المصراع الأول.

وصاحبُ الترجمة أول من شرح هذه القصيدة شرحاً حافلاً جامعاً، نعم كتب عليها قبله العارفُ الولي عبد القادر بن الجنيد المشرع الزبيدي، شرحاً كالتعليق، مختصراً في أوراقٍ قليلةٍ نحو الكراس، إلا أنه نحا فيه منحى الصوفية، على قدر رتبة الشارح ومشربه فيه، لا على قدر مقام صاحب القصيدة.

ولم يزل مستعيناً بالصبر والصلاة، مقرباً بحسن العمل إلى خالق الموت والحياة، إلى أن سقاه كأس الوفاة، **فانتقل إلى رحمة الله**، لعشر بقين من ربيع الأول، سنة ست بعد الألف، وعمره أربع وسبعون سنة، بمدينة المخا، من أرض اليمن الشهير، وعمت مصيبته الكبير والصغير، ـ رحمه الله، وبلّ بوابل الرحمة ثراه ـ.

ومن نظمه قوله ملغزاً:

ما ذُو بناءٍ حوى جمعاً من البشر ... نصيفُه اسمٌ لوادٍ أخضرٍ نَضِرِ
إن أنتَ ضعَّفتَ هذا النصفَ جاءك ... في تضعيف تركيبه نوعٌ من الحجرِ
وما بقي إن تضعِّفه أتاك بتضـ ... ـعيفٍ له جبلٌ يدريه ذو الفِكَرِ
معكوسُه إن تصحِّفْه رأيت به ... طيراً يغرد بالآصالِ والبُكَرِ
وإن تزلْ من جميع الاسم أوله ... بدا بباقيه قومٌ طالبو سَفَرِ
فقلوبُهم إن تحقق منه جملته ... يكن معيناً على الإدلاج في السَّحَرِ
وإن تُزل آخراً للاسم تلقَ بعكـ ... ـس ما يبقى اسمَ ذي طعمٍ من الشجر
يأتيك في صفةٍ من كان لازمها ... فهو المعظَّم بين البدوِ والحضرِ

أجابه الشمسُ محمد العجمي بقوله:

ركبت من لغزك الجاري على خطر وغصتُ من حله في لُجَّةِ الفِكَرِ

ومرَّ بي نصفُه لما عبرتُ على روضٍ هناك مريحٍ رائقٍ نَضِرِ

صقلتُ فكرتيَ الدَّكنا بمرمَرِه حتى رأتْ كبكبَ العالي على النظرِ

وغرد الصبُّ من وجدٍ به طرباً كبلبلٍ صاحَ بالألحانِ في الشجر

أَشجى بنغمته أهلَ الغرام فكم من سابحٍ في الهوى يجري على غررِ

قد شدَّ بكر هواه والهاً غزلاً ونال غايةَ ما يرجو من الوَطَرِ

وحازَ من ساكني وادي النقا كرماً وعادَ في مركبِ الإقبالِ بالظفرِ

[١٣٠٤] عبد الباقي بن أحمد الشامي العدوي الحنفي، الشهير بابن السمان[1].

الشاب الفاضل، الأوحد العلامة، الصدر الأسعد، ذو البحث والتحرير، والأدب الرائق، والذهن المتوقد الفائق، المتفنن في ضروب العلوم، الكارع في مشارع الفهوم، الشاب الأديب، والألمعي الأريب، عبد الباقي بن أحمد الشامي العَدَوي الحنفي الشهير بابن السَّمان ـ رحمه الله تعالى ـ.

كان صديقي، وشقيق روحي، لا أكاد أفارقه ويفارقني في غالب الأوقات.

نشأ ـ رحمه الله ـ بدمشق، وبها **وُلد** سنة خمس وخمسين وألف، وطلب بها العلم، وبرع وتأدب، حتى صار من رؤوس العلماء، وأعيان الأدباء

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٦١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٢٧٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٢٣٥) (١٤)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٢٧١).

ومقدميهم، وذوي النباهة فيهم، وضرب في علومٍ كثيرةٍ، وصار له في الأدب والشعر مادة غزيرة، ولاقى في أول أمره صعوبةً من الإملاق، وكابد شدةً من عدم الارتفاق، إلى أن جذب بصنعة فائق علمه وأدبه، وبلغ إلى غاية أربه.

ورحل إلى الروم، وصار من المقربين إلى سلطانها، والملازمين لحضرته، حتى حسده بعض حفدته، فأبعده عن حضرته، ثم رحل إلى مصر المحروسة، فأخـذ عن جمعٍ من شيوخ الأزهر الأنور، منهم: شيخنا علامة العصر علي الشبراملسي الشافعي، والسيد السند العلامة أحمد بن مكي الحموي الحسيني الحنفي، والشيخ زيني بن علي اليشبكي، والشيخ عبـد البـاقي المقـدسي، وغيرهم، وأجازوه.

وتوجه إلى الديار الرومية، ومكث بالقسطنطينية نحو سنة، ورجع إلى دمشق، وعقد بجامع بني أمية درساً، ثم توجه ثانياً إلى القسطنطينية، فعظمت مكانته عند الملك المنصور السلطانِ الأعظم محمد بن إبراهيم خان ـ أيده الله بنصره ـ، فأحسن إليه وأحبه، وكان يحضر الدرس السلطاني، ويجتمع بالسلطان كثيراً، ولما كثر اجتماعه بالملك، أرسل إليـه حضرة الصدر الأعظم الوزيرُ أحمد باشا، ومنعه من الدخول على السلطان، وتوعده على الدخول لأمرٍ ما، ثم عين له مصرفاً يقوم به، وسلك طريق القضاء على طريق الموالي.

ولم يزل يترقى في طريقهم، حتى قضى نحبه، وتوفي ـ رحمه الله ـ وقد ناهز الأربعين، سنة ثمان وثمانين وألف بالقسطنطينية ـ رحمه الله تعالى، وأسكنه الفردوس الأعلى بمنه وكرمه ـ.

ولما وصل إلى القسطنطينية، كتب إليّ كتاباً مشتملاً على قصيدةٍ مطلعها:

تَنَـشَّقْ ريـاحينَ الـسلامِ فإنمـا ... أَفُـضُّ بهـا مـسكاً عليـكَ مختَّمـا

بطيب تحياتٍ كما الـروض جـادَهُ ... من الغيثِ هَتَّانٌ وكالشمس مبسما

ونـشرِ ثنـاءٍ لـو تعطَّـر طيبـهُ ... على وجهِ أعمى زالَ عن وجهه العمى

لعطَّرَ وجـهَ الأرض شـرقاً ومغربـاً ... وترفعُه أيدي القَبـول إلـى الـسما

أخصُّ أخصَّ الناس بـي وأعـزَّهم ... لـديَّ وأرقـاهُم مقامـاً وأعظمـا

ومَـنْ صـدَّعَ الأكبـادَ داعـي فراقِـه ... وأظهـرَ مكنـونَ الـدموع المنظمـا

وضاقت عليَّ الأرضُ حتى كأنمـا ... خُلقـت وإياهـا سـواراً ومعـصما

ولكـنْ لنـا فـي رحمـة الله مطمـعٌ ... وقد يجمعُ الله الـشتيتينِ بعـد مـا

يظنَّـانِ كـلَّ الظـنِّ أنْ لا تلاقيـا

وله «تذكرةٌ» أودعها من كل علمٍ مشكله، ومن كل فنٍّ أفضله.

ومن شعره ـ رحمه الله ـ في مليحٍ له بخده خالان:

وكـأنَّ خالَيْـه اللَّـذَيْن بخـدِّه ... والـراحُ فـي وجَناتِـه لـم تعـزُبِ

نَجْمانِ قد كسَفَتْهما شمسُ الـضحى ... أو نُقطتـا حِبْـرٍ بطِـرْسٍ مُـذْهَبِ

وشعره كثيرٌ رقيقٌ، في غاية الانسجام، وله موشحاتٌ لطيفةٌ، ورسائل حسنة، وله «تذكرةٌ» لطيفةٌ، جمع فيها من كل غريبةٍ، وأخبرني بعض أصحابنا: أنه ألف كتباً عديدةً بالقسطنطينية، وهو حري بذلك ـ رحمه الله تعالى ـ.

ومن شعره مودعاً للعلامة أحمد البياضي، حين سافر من مدينة حلب معزولاً عنها:

بقيـةُ نفـسٍ ودَّعـت ولـكَ البقـا   وجسمٌ لطولِ البينِ لا يعرفُ اللقا

ودمعٌ يكاد السحبُ تحكي غروبَه   وطـرفٌ يبيـت الليـل بـاكٍ مؤرقـا

ومـا كنـتُ أرجـو أن يـؤمَّ ركـائبي   ســواك ولا بـــالقربِ أن نتفرقـــا

ولكنمـــا الأقــدارُ تُبــدي عجائبًـا   ومـا الـدهرُ إلا فرقـةٌ ثـم ملتقـى

ومـن كَلَّـفَ الأيـامَ صـفوًا فإنمـا   يريدُ من الأعداء في الحربِ سُبَّقا

وربَّ فـراقٍ كـان للقـرب حيلـة   وهجـر لـوهم اللائمـين مُحَقّقـا

سقاكَ الحيا يا منزلَ السعدِ وابـلاً   وجـادك مـلآنَ الحيـازيمِ مغـدقَا

ولا زلتِ يا دارَ اللوى مرتَع الـصِّبا   وخَيَّمَ فيك القطرُ يا روضـةَ النقـا

ودامَ علـى أهليـكِ أفـضلُ نعمـةٍ   على نعمةٍ ما اخضرَّ غصنٌ وأورَقا

أريدُ سَرِيَّ المجدِ أجودَ مـن سـما   إلى الغاية القُصوى وأمجدَ من رقى

وبدر[اً] أضاء الكونُ من نور وجهه   فزحـزحَ ليـلَ الكفـر عنـه ومَزَّقـا

وأشرقَ صبحُ العدل من ليلِ خَطِّـه   فأصبح وجهُ الأرض بالحقِّ مشرِقا

ورَوَّعَ أربـــابَ المواضـــي يراعُـــه   وجمَّـعَ مـن أهـوائِهم مـا تفرَّقـا

فلو مرّت الريحُ العصوفُ بأرضِـه   لعادت رُخاًء مـن عواديـه مـشفقا

ولو عائذُ الأرواح ضاقتْ صدورُها   عليها وألفتْ واسعَ الأرضِ ضَيـِّقا

فـلا تـستطيعُ الـشمسُ إلا بإذنـه   طُلوعًـا ولا يـسطيع بـرقٌ تَألُّقـا

وإن رمتُ عنه السرَّ نادتْ جوانحي   ألا فـي جـوار الله حبـرًا محققـا

وأستودُع الرحمنَ بحرًا من الهدى   زلالُ النـدى مـن راحتيـه تَـدَفَّقا

أمـولايَ والجبـارِ جـلَّ جلالُـه   ولـيس وراء الله للعبـدِ مرتقـى

لأنت مُنَى روحي على القربِ والنوى وذكرُك وِرْدي مدى البين واللِّقا

أَسيرٌ وقد حَمَّلتني عبء منّة بما لو أقلَّ الطود وهناً تشققا

وقيدتني بالجود حتى تركتني أنادي على نعماك بالشكر مطلقا

وما كلُّ من أوليتَ فضلاً بشاكرٍ ولا كلُّ مجدٍ شامخِ المجدِ يُرتقى

ومن يشكرِ النعماءَ يُشكَرْ بمثلِها ومن يكفرِ النعماءَ يحرَمْ ويُتَّقى

وإني لَشَكَّارٌ أياديكَ دائمًا بعقدٍ إذا ما أظلم الليلُ أشرقا

فلا زلتَ ممدوحاً لمثلي بمثلِها تُصاغ لك الأفلاكُ والزهرُ مَنْطِقا

مدى الدهرِ ما أفنى التنائي متيماً يؤمِّلُ جمعَ الشمل من واجبِ البقا

واتفق أني كنت وإياه في زمن الشبيبة، في بستان تفاوحت بنوافح المسك أنواره، وتعارضت بغرائب النطق أطياره، ومعنا مغنٍّ غناؤه يأخذ بمجامع القلب، ويمتزج بأجزاء النفس، يحق أن يتمثل به بقول الشاعر:

غَنَّى فلم يُبقِ فيَّ جارحةً إلا تمنّت بأنها أُذُنُ

وبين يدينا غلمان، كأنها خاصمت الولدان في الجنان، وهربت من رضوان، صورُهم تجلو الأبصار، وتُخجل الأقمار، فهزته أريحية الطرب، وكان ـ رحمه الله ـ كريماً، والكريم طروب، وأنشد بديهةً:

عذب الرضاب يلذُّ لي تصريبه وهو المتيمُ حيث حلَّ حبيبه

وقال لي: أجزه، فقلت:

والوصلُ غاية ما يرجِّيه فتى نارُ الغرام من البعاد تُذيبه

فقال:

والحبُّ كالصهباء يعذُب أولاً ... ويعود غولاً للنفس عقيبه

فقلت:

والعاشق الولهان كم يخفي الجوى ... ويُذيعه بين الأنام نَحيبُه

فقال:

وأشدُّ ما يَلقى المعذَّبُ في الهوى ... صدُّ الحبيب وبعدُه ورقيبُه

فقلت:

ولَكَمْ يقاسي الصبُّ أنواعَ الجَفا ... وإلامَ يبخل باللقا محبوبُه

فقال:

ومتى تعودُ ليالياً كانت لنا ... شحرورُها والعندليبُ يُجيبُه

فقلت:

في روضةٍ زُرَّتْ على جَنَباتها ... حللٌ من القيصومِ زاكي طيبهُ

فقال:

فسقى معاهدَها التي سلفت حيًا ... ينمو بهاتيك الرحابِ خصيبُه

وبيني وبينه من هذا القبيل أشياء كثيرة.

[١٣٠٥] عبد الحميد بن أحمد بن يحيى بن عمرو بن المعافى[1].

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٢٥).

ذكره أحمد بن صالح بن أبي الرجال في «تاريخه»، فقال: كان من عيون الزمان، وأفراد الوقت، بليغاً منطقياً، ناظماً ناثراً، من بيتٍ معمورٍ بالفضل والكمال، من بني عبد المدان؛ كما صرح به النسابون، وصرح به ابن عقبة، وذكره هذا العلامة في منظومةٍ له، وفيهم العلم والرياسة، واستمرت لهم الإمارة، وعلو الكلمة مع الأئمة، فكانوا علماء أمراء، تنفذ أحكامهم بجهتهم.

ولم يزالوا كذلك، حتى تولى منهم الأمير عبدالله بن المعافى للأروام، وزاد في عتوه، وبالغ فيما لا يليق بمنصبه، فكان أمير الأمراء مع الترك، ولي أكثر ذلك الإقليم، إلى نواحي الأهنوم، ووادعة، وعُذَرَيْن، وغير ذلك، فمالت به شهواته، حتى غازى الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد، فكان ما كان، وختام ذلك قتله بغارب أثْلَة.

ولما جاؤوا برأسه إلى الإمام، قال: لو جئتم به أسيراً، ولوّح إلى أنه كان يريد مكافأته، وهمّ بطعنه من خلفه غدراً، والأمير عبدالله مقابل له، فأمسك على لحيته، يشير إلى أن الغدر غير لائق، وكيف يقتله وهو في أمن من قبله؟ فكف عنه، وبعض خاصة الإمام المحبين له يشاهد ذلك، فذكره للإمام، فأراد مكافأته على ذلك.

ثم إن الأمير ذكر للإمام أن الأتراك قد أحاطوا بها، وبعث معه من الرجال من يركن عليه، حتى انفصل عن بلاد السودة، ثم كان من أمره ما كان، وختام ذلك: قتلُه بغارب أثْلَة، في الحرب المشهور هنالك، فتضاءل منصب القضاة المذكورين على جلالتهم.

وفيهم بقيةٌ صالحةٌ، وأحيا مآثرهم صاحب الترجمة؛ فإنه كان أحد

العلماء، [لا] سيما في العربية، شَرَح «الملحة»، وكتب حواشي وأجوبةً مفيدةً في النحو، وشرح «الهدايـة» في الفقه، ولا أعرف هل تيسر له التمام أو لا، وشرح «الأزهـار» بشرحٍ اعتنى فيه بموافقـة إعراب الأزهـار؛ فإن شرح ابن مفتاح قد لا يتناسب إعراب المتن مع الشرح، إلا بتحويل المتن من رفعٍ إلى نصبٍ ونحو ذلك.

وله شعرٌ جيدٌ، وخطٌّ حسنٌ، وكان يتأنى في الكتابة، فيجيد في الإنشاء كثيراً، وله تخميس قصيدة الصفي:

فيـروزجُ الـصبحِ أم ياقوتـةُ الـشفقِ

ومن شعره في راية الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم ـ رحمهما الله ـ:

أيا رايةً أصبحت فـي الحـسن آيـةً ... وفاقَ على الأعلامِ حسنُك عن يدِ

قُرِنْتِ بنصر الله حـين صُـنعتِ للْـ ... إمـام أميـرِ المـؤمنينِ المؤيَّـدِ

إمـامٌ حـلا جيـدُ الكمـالِ بجـوده ... محمـدُ بـنُ القاسـمِ بـنِ محمـدِ

ومما اتفق له: أنه لما مات السيد العلامة إبراهيم ابن الإمام المتوكـل على الله إسماعيل، وكان من حسنات الأيام حفظـهُ، قـد ألمّ بكل غريبةٍ من علوم القراءة، والنحو، وأشعار الحكمة، والأدعية.

وبالجملة: فكان من أوعيـة العلم، مع كونـه أَكْمَـهَ، وكان من أصلح الناس، على صغر سنـه، وكان من جملة من اتصل به الفقيه العلامة صلاح الذنوبي، وغذاه بالفوائد؛ فإنه كان وحيداً، فلما مات، عظم الخطب، فكتبت أنا إلى الإمام أبيات الإمام شرف الدين التي أولها:

حَمِــدْتُ اللهَ رَبِّـــي يــا بُنيَّــا ... علــى عَلَــم نعيــت بــه إليّــا

نفــضتُ حــشاشتي والــروحَ لمــا ... نفــضتُ تــرابَ قبــرِكَ مــن يَــدَيَّا

ولمــا أن ختمــت الــذكر غيبًــا ... قــدِمت بــه علــى البــاري صَبِــيًّا

وكنــا فــي زفــافِ الخــتم نــسعى ... وقــال الــربُّ زفَّتــه إليَّــا

لإحــدى عــشرةٍ مــع نــصفِ عــام ... وطئــت بهمــة هــامَ الثريَّــا

وكنـت قـد امـتلأت مـن المعـالي ... ولـم تتـرك مـن الإحـسان شَـيَّا

يقــول الــصبرُ للزفــراتِ مهــلاً ... وقــال اللاعــجُ الأســفيُّ هيّــا

ولمّــا لــم أجــدْ لــي عنــه بــدّاً ... صــبرتُ تكلُّفــا بعــد اللتيَّــا

وماتيَّــا بتــصغيرٍ لهــا مــن ... رزيــة هالــكٍ حــرَّى لتيّــا

ومهمــا رام قلبــي الــصبرَ كيمــا ... أثــاب كــواه عنــد الوجــد كَيَّــا

فكيــف يُــلامُ ذو حــزنٍ علــى مــن ... تميــز فــي الــصِّبا رشــدًا وغَيَّــا

وكــم يــومٍ مــلأت بمــا أرى مــن ... مخايــلَ فيــكَ صــالحةٍ يــديَّا

ومنها:

فلا زالتْ ركابُ الشكر تطوي الْــ ... ـقــضا لله ذي الملكــوت طَيّــا

وأولُهــا يحــطُّ لديــه وفــرًا ... وآخرهــا تحمــل مــن لَــدَيَّا

ثم لم أشعر إلا بكتاب إلى الإمام من عبد الحميد المترجم بالأبيات، فعجبت من توارد الخاطر على التمثل، ثم ذكرت قضيته لهذه الأبيات، وهي أنه لما مات ابن الإمام شرف الدين، المسمى بعبد القيوم، وكان من سادات العترة، ولم يبلغ عمره إلا إحدى عشرة سنة ونصفاً، وقد كان يجاري العلماء،

ويستحق أن نذكره، ونفرده بترجمة، وقبره في القبة قبلي الجراف.

[ومما يروى: أنه حضر في مسجد الحسحوش بالجراف][1]، والعلماء يخوضون في مسألة البهائم، إذا تم سؤالها وحسابها، أين تصير؟ فذكروا المقالات، ولم يذكروا أشهرها وأحسنها، وهو: أن الله تعالى يخلق لهن رحبةً في الجنة، فلما كثر الخوض، قال السيد عبد القيوم: وما يشكل عليكم من أمرهن؟ لعل الله يخلق لهن رحبة يتنعمن فيها، فأعجب الحاضرون بذلك، وكتبوه عنه.

قلت: ولما مات عبد القيوم المذكور، أنشد والده هذه القصيدة، وأكثرها من شعر الأمير صلاح الدين الأربلي، وفيها بيت مشهورٌ متقدمٌ على الأمير صلاح الدين وهو:

حمــــدت الله ربـــي يـــا بنيـــا

فإن أصله: حمدت الله ربي يا عليا، مما قاله بعض الناس في أمير المؤمنين علي ـ كرم الله وجهه ـ، وهذه الألف في قوله: يا عليا ألفُ الندبة، فلما أخرج الإمام القصيدة، أخرج السيد العلامة عبدالله بن القاسم العلوي القصيدة أيضاً، فاتفقت خواطرهما، وذلك من العجائب.

توفي عبد الحميد في شوال، سنة إحدى وتسعين وألف، ودفن بالسودة، عند بابها القبلي عند القبة ـ رحمه الله ـ.

[١٣٠٦] عبد الرحمن بن عبدالله بن داود بن إبراهيم بن أحمد بن

---

(١) ما بين [] من «خلاصة الأثر» للمحبي.

سليمان بن محمد بن عبدالله بن علي بن سليمان بن محمد بن عبدالله بن دعيش ابن عيثان بن محمد، الشعبي، ثم الخولاني، ثم الحرازي[1].

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: العلامة المحدث، المجتهد العابد، السائح المتألـه، شيخ الشيوخ، وإمام الرسوخ، صاحب العبـادة والزهادة، والسياحة، والأمر بالمعروف، وكان لا يُلحق في علم الكلام، إماماً في العربية، مفسراً للقران.

صنف «تفسيراً»، وكتبه في مصحف، جمع فيه صناعات المصاحف، وصيره إماماً يقتدى بـه، واستقصى على ما في المصحف العثماني، وجمع فيه ما لا يوجد لغيره، واصطنع الكاغد بيده؛ ليكون طاهراً بالإجماع، والحبر، وخدمه خدمةً فائقةً، وهو مرجع قد كتب عليه بعض العلماء مصحفاً.

وأمر الإمام بكتابة مصحفٍ ـ أيضاً ـ يجمع ما فيه، ولم أتيقن تمام ذلك، وصار هذا المصحف بيد السيد صفي الدين أحمد ابن الإمام القاسم، استهداه من ابنة العلامة المذكور، فإنها عاشت مدةً مواظبةً على العبادة.

وكـان صاحب الترجمـة يسيح في البلاد، ويمضي في مواقف العلماء والهجـر، ويصحح النسخ، ويحشِّي عليهـا، إذا مـرّ بخزانـة كتبٍ في بعض الهجر، أقام حتى يمر عليها، ويصحح ما فيها مع اطلاعه، فكل كتاب قد مرّ عليه، فهو إمامٌ غير محتاجٍ إلى أستاذٍ، وكان يلبس الخشن، ويحمل معه آلة النجارة، ويصلح بها أبواب المساجد ونحوها، ولعله يسترزق منها.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٣٦٠)، «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٥٥٦) (٣٣١)، «هدية العارفين» (١/ ٥٤٧)

وكان في الحديث إماماً جليلاً، وكان شيخنا الوجيه عبد الرحمن بن محمد يثني عليه، إلا أنه زعم أنه حفظ المتون حفظاً عظيماً، ولم يطلع على شروح الحديث، وله كتبٌ نافعةٌ، من مشهورها: «رسالته في نظر الأجنبية»، وتضعيف الرواية عن الفقهاء الشافعية والحنفية بجواز ذلك، واستظهر بالأدلة، وبأقوال الفريقين، وأحسن ما شاء، ولا جرم أن تلك الرواية غلط عنهم.

وقد حرر الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم سؤالاً إلى شيخ الشافعية محمد بن الخالص بن عنقا، فأجاب بجوابٍ بسيطٍ، حاصله: ما ذكرناه، وإن لم أطلع عليه، أفادنيه شيخي شمس الدين، وصاحب الترجمة شيخ الإمام القاسم، وشيخ العلامة عبد الهادي الحسوسة.

وكانت **وفاته** ـ رحمه الله ـ في ثالث عشر شوال، سنة ثلاث بعد الألف، وقبره بجربة الروض، وهو مكان غربي صنعاء، وهو يلتبس برجلين من الحيمة[1]، أحدهما: القاضي العلامة عبد الرحمن بن عبدالله، الآتي ذكره، والعلامة الكبير عبد الرحمن بن محمد الحيمي[2]، يعرف بابن منشل، شيخ المعقول والمنقول، كان حافظاً، ولم يكن له قوة إدراكٍ في النقد والاستنباط، وتعلق بكتب الأشاعرة، وحفظ منها كثيراً، قرأنا عليه، فهو أحد شيوخنا في «المنتهى»، و«العضد» إلى المقاصد، وفي كتاب «شرح الكافية» لنجم الأئمة إلى التوابع، و«المغني» إلى اللام، و«الألفية» للحافظ العراقي، و«الألفية» للسيوطي.

---

(١) في الأصل: الخيمة.

(٢) في الأصل: الخيمي.

وكان والده محمد ـ فيما حكاه سيدنا سعد الدين والد القاضي أحمد ـ من صالحي العلماء، ومن أهل المـودة لعترة رسول الله ﷺ، قرأ عليه سيدنا سعد الدين في الفرائض، وتوفي شيخنا عبد الرحمن بن محمد في. . .[1]، ودفن بجربة الروض أيضاً ـ رحمه الله ـ.

[١٣٠٧] أبو الوجاهة عبد الرحمن بن عيسى بن مرشد العمري الحنفي المكي، الشهير بالمرشدي[2].

شيخ الإسلام، خاتمة العلماء الأعلام، مفتي الأنام ببلد الله الحرام، وخطيب المشاعر العظام، ترجم نفسه في تاريخه «زهر الروض المقتطف ونهر الحوض المرتشف»، فقال بعد أن ذكر اسمه، وهو أنه يدلي من جانب والده إلى مشايخ باغ نعا العمريين الشيرازيين، وجده القريب الشيخُ مرشد العمري، تلميذُ الجلال الدواني، بلا واسطة، وله «حاشيةٌ على البيضاوي» لم تكمل، وله «شرحٌ على التهذيب» ومؤلفاتٌ عديدةٌ، تفرقت بعد موته في أيادي طلبته؛ لكونه مات عن أطفال، منهم: والده، فلم يبق عندهم إلا بعض تلك المسودات، ويدلي من جانب والدته إلى مصدر أفندي، أولِ قضاة الموالي الأروام بمكة، المترجم في آخر «الشقائق النعمانية»؛ فإنه جدها بلا واسطة.

وأنـه وُلد ليلة الجمعـة، خامس جمادى الأولى، سنة خمس وسبعين

---

(١) بياض في الأصل.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٣٦٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٦٠) (٢٧٥)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٦٥)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٨٥)، «منائح الكرم» للسنجاري (٤/ ٢٣)، «الأعلام» للزركلي (٣/ ٣٢١).

وتسع مئة، وجاء تاريخ ولادته بحساب الجمل: (شرف المدرسين)، فلقب به بمكة المشرفة، وبها نشأ، فحفظ القرآن العظيم، وصلى به التراويح إماماً في المسجد الحرام غيرَ ما مرة، وحفظ «الألفية»، و«الأربعين الحديث للنووي»، و«كنز الدقائق للنسفي» إلا القليل منه، و«الجزرية»، وقطعة من «الشاطبية»، وقطعة من منظومة التلخيص المسمى بـ: «عقود الجمان» للسيوطي، وقطعة من «ألفية مصطلح الحديث» للعراقي، وقطعة من «منظومة التهذيب» للشيخ عبد الرؤوف المكي.

وشرع في الاشتغال بالعلم في حدود سنة تسع وثمانين وتسع مئة، فلازم الشيخ عبد الرحيم بن حسان؛ لأخذ علم العربية عنه، فقرأ عليه «الأجرومية وشرحها للفاكهي»، و«مقدمة الشيخ محمد الحطاب» و«شرح القواعد الصغرى للشيخ خالد الأزهري»، و«شرح القطر للمصنف»، وقطعة من «الألفية لابن مالك»، و«المنهل الصافي للدماميني»، ما عدا شيئاً يسيراً منه، و«شرح التصريف للسعد التفتازاني»، مع «حاشية للغزي واللقاني»، وفي الفقه: «منية المصلي»، و«ربع العبادات من شرح النقاية للشمني»، وقطعةً من «شرح الكنز للعيني».

وأخذ عن الشيخ علي بن جار الله بن ظهيرة الفقهَ والفرائض، فقرأ عليه قطعةً وافرةً من «شرح الكنز للعيني»، وقطعةً من «صدر الشريعة»، وقطعةً من «شرح المنار في الأصول»، و«شرح النخبة لابن حجر العسقلاني»، و«شرح السراجية في الفرائض للسيد باد شاه الحنفي».

وقرأ على الملا عبدالله السندي «آداب البحث»، وعلى السيد غضنفر القاضي «شرح إيساغوجي في المنطق»، وقطعةً من «شرح الشمسية»، وعلى

الشيخ عبد السلام وزير اللار قطعةً من «شرح الشمسية».

وأخذ علمي العروض والقوافي عن الشيخ محمد بن علي الدكروك الجزائري، فقرأ عليه «شرح الخزرجية للسيد الغرناطي «وأجازه به مع رواية «الصحيحين»، و«الموطأ»، و«الشفا» عنه، وكذلك روى «صحيح البخاري» عن الإمام العلامة شمس الدين محمد بن أحمد الرملي الشافعي، وأجازه، وروى «الصحيحين» مع غالب الكتب المشهورة بأيدي الناس، من سائر الفنون، حسبما هي مفصلة في كتاب الإجازة، عن الشيخ المعمر المسند الملا حميد السندي.

وقرأ قطعةً من «شرح ألفية الحديث للعراقي» على الشيخ أحمد الشربيني، وروى عنه «الصحيحين»، وأجازه، وروى «الحديث المسلسل بالأولية» عن الشيخ محمد النحراوي، وحل «الشاطبية»، وجود القرآن[1] على الملا علي الهروي قارئ مكة المشرفة.

وولي تدريس مدرسة المرحوم محمد باشا، في حدود سنة تسع وأربعين وتسع مئة، فدرس بها «صحيح البخاري»، وأملى عليه شرحاً، بلغ فيه إلى باب: رفع العلم وظهور الجهل، فعزل عنها حينئذٍ، ووليها متوليها الأول.

ونظم منظومةً في علم التصريف، عدتها خمس مئة بيتٍ من بحر الرجز، سماها: «ترصيف التصريف»، وشرحها شرحاً نفيساً سماه: «فتح اللطيف»، وشرح كتاب «القوافي في علمي العروض والقوافي»، سماه: «الوافي بشرح الكافي»، وألف رسالةً بديعةً مسماةً بـ: «براعة الاستهلال فيما يتعلق بالشهر

---

(١) في الأصل زيادة بعد وجود القرآن: فجمع لأهل سما.

والهلال»، ونظم رسالةً متعلقةً بمنازل القمر، موسومةً بـ: «مناهل السمر»، وشرحها شرحاً لطيفاً، وألف رسالة تتعلق بآية الكرسي، تسمى بـ: «الفتح القدسي»، وكتب قطعةً «على الخزرجية في علم العروض».

وولي التدريس بالمسجد الحرام، في حدود سنة خمس بعد الألف، فدرس به في أوائل ربيع، من السنة الثانية، في علوم عديدة، وشرع في جمع هذا التاريخ، سنة سبع بعد الألف، وشرع في كتابة «شرحٍ على كنز الدقائق» مجردٍ عن نقل الخلاف غير المذهب، وذلك حسبما يقرأ عليه، فشرح كتاب النكاح جميعه، وكتاب الرضاع، وأفرد كتاب الحج بديباجةٍ مستقلةٍ، فصار كتاباً مفيداً في المناسك، سماه: «فتح مسالك الرمز بشرح مناسك الكنز»، وذلك سنة ثمان بعد الألف، وسئل عن عبارةٍ وقعت في تفسير آخر سورة المائدة، من «تفسير الجلالين»، فكتب عليها رسالةً موسومةً بـ: «تعميم الفائدة بتتميم سورة المائدة»، وذلك في شوال، سنة ثمان بعد الألف.

وتعاطى خدمة الفتوى، على مذهب الإمام الأعظم أبي حنيفة، بعد وفاة شيخه القاضي علي بن جار الله بن ظهيرة، وهو عام اثني عشرة بعد الألف، وباشر ذلك وشيخه في قيد الحياة، واستفتي في مسألةٍ متعلقةٍ بالوقف، فأفتى فيها بما هو المختار للفتوى فيها، وهو قول الإمام أبي يوسف: إن الوقف يتم بمجرد التلفظ به، كغيره من العقود، من غير حاجةٍ إلى حكم حاكمٍ، أو تسليمٍ لمتولٍّ، وبدخول أولاد البنات في الوقف على الذرية.

فخالفه في ذلك بعض القضاة، فألف رسالةً في ذلك سماها: «وقوف الهمام المنصف عند قول الإمام أبي يوسف»، وأرسلها إلى مصر، فأيده

علماؤها، وأكدوا على جوابه، وصوبوه، وخطؤوا قول المخالف له في ذلك، وكان ذلك في سنة ثمان عشرة بعد الألف.

وشرح «عقود الجمان في المعاني والبيان» للحافظ السيوطي شرحاً حافلاً، مزج فيه عبارة النظم، بشرحٍ فاق على شرح مصنفها بكثير، وجرى في مجلس قاضي مكة، ذكر المسألة التي ذكرها قاضي خان في فتاواه، وهي: ما لو قال قائل: إن كان الله يعذب المشركين، فامرأتي طالق، قالوا: إنها لا تطلق، فألف فيها رسالة سماها: «الجواب المكين عن مسألة إن كان الله يعذب المشركين».

وولي إمامة المسجد الحرام وخطابته، والإفتاء السلطاني، بعد الشيخ أكمل الدين القطبي، سنة عشرين بعد الألف، فباشر جميع ذلك، وكانت مباشرته للإمامة يوم الاثنين، سادس المحرم، من السنة المذكورة، ووافق ذلك اليوم النوروز، الذي هو انتقال الشمس إلى برج الحمل، وكان أول فرضٍ بمقام السادة الحنفية، ظهر اليوم المذكور، إقتداءً برسول الله ﷺ؛ حيث كان أول صلاةٍ صلاها بعد الافتراض هي الظهر، ومباشرة الخطابة، في السابع عشر من الشهر المذكور.

ومشى الأعيان بين يديه ذهاباً وإياباً، وأفاض عليه سلطان مكة حينئذٍ، وهو الشريف إدريس بن الحسن بن أبي نمي بن بركات الحنفي، خلعةً سلطانيةً، بعد فراغه من الخطبة والصلاة، ووردت إليه في آخر سنة ثلاث وعشرين بعد الألف، الخلعةُ السلطانية المحولة لمفتي مكة في كل عام، صحبةَ أمير الركب المصري، فلبسها في المحل المعتاد الذي يلبس منه شريف مكة،

ومن جرت العادة باللبس معه، وكان ذلك بعد انقطاعها نحواً من خمس سنين، وذلك بموجبٍ سلطاني وردَ إلى صاحب مصر، يتضمن الأمر بتجهيزها على الأسلوب السابق، وإفاضتها عليه، وكان ذلك يوم الأربعاء، سابع ذي الحجة الحرام، من السنة المذكورة.

ثم ولي تدريس المدرسة السليمانية الحنفية، التي أنشأها المرحوم السلطان سليمان خان، بجوار المسجد الحرام، برسم علماء المذاهب الأربعة، وكانت هذه المدرسة أسست برسم العلماء الحنفية، فكان أول من وليها منهم ودرس فيها، مفتي مكة، الشيخ قطب الدين بن علاء الدين الهروي الحنفي، ثم وليها بعده خير الدين أفندي الرومي الحنفي، ثم قررها بعد وفاته شريف مكة وسلطانها الشريف حسن بن أبي نمي بن بركات، لشيخنا المرحوم مفتي مكة، علي بن جار الله بن ظهيرة الحنفي، فدرس بها.

ثم ورد فيها مصلح الدين أفندي الرومي الحنفي، ثم بعد وفاته في أواخر سنة ثلاث عشرة بعد الألف، تقرر فيها القاضي يحيى بن أبي السعادات بن ظهيرة، خطيب مكة الشافعي، وغفل عن كونها مشروطةً لعلماء الحنفية، وعند وفاته في خامس رجب، سنة سبع وعشرين بعد الألف، قررها شريف مكة وسلطانها يومئذٍ، وهو السيد إدريس بن الحسن، لصاحب الترجمة، وكان ذلك في سابع عشر رجب، من السنة المذكورة، وباشر الدرس فيها في سادس شعبان منها، وافتتح الدرس في تفسير القاضي البيضاوي من قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣]، وحضر مجلسه فيها يومئذٍ جميع العلماء والأعيان، وكان يوماً مشهوراً مشهوداً.

وورد إليه في غرة ذي الحجة، سنة إحدى وثلاثين بعد الألف، تفويض النظر في قضاء مكة المشرفة وأعمالها، من لدن قاضيها يومئذٍ رضوان أفندي ابن عثمان، المنفصل عن قضاء مصر؛ لتخلفه عن الوصول إلى مكة، ففوض إلى صاحب الترجمة النظر في ذلك، فباشره، وأقام أخاه القاضي أحمد نائباً بمكة، وأقام بجدة القاضي أبا سعيد بن علي الجمر، وبالطائف القاضي محمد ابن الخليل الأحسائي لتعاطي الأحكام بها.

ووقف هو بالحجيج تلك السنة، ووافق يوم عرفة يوم الجمعة، وكان هو خطيب يوم التروية أيضاً تلك السنة، وخطيب الجمعة في شهر ذي الحجة، وكان اتفق له نظير ذلك سنة عشرين بعد الألف، حين تولى قضاء مكة صالح أفندي بن الخواجة سعد الدين معلم السلاطين.

فإنه ورد إليه في ذلك العام أمرٌ سلطانيٌّ بإقامته مقام صالح أفندي المشار إليه، في النظر في الأحكام الشرعية بمكة وأعمالها، فقام مقامه، وفوض إذ ذاك أمر النيابة في تعاطي الأحكام بمكة إلى أخيه القاضي أحمد المذكور، إلا أنه لم يتفق له في ذلك العام ما اتفق له في هذا العام من الوقوف بالحجيج؛ لانفصاله من النظر في القضاء بأحمد أفندي الأياشي؛ فإنه وصل صحبة الركب المصري متولياً قضاء مكة، فوقف بالناس.

ومما اتفق له في هذه الولاية الثانية: أنه ورد من سلطان الهند خرم شاه جهان بن سليم شاه جهان كير بن جلال الدين الأكبر، صدقةٌ إلى فقراء الحرمين، فأُنيط توزيعها بنظره، فوزعها بين أعيان مكة وفقرائها، ذكوراً وإناثاً، واستوعبهم استيعاباً شاملاً، وخطب بمسجد نمرة بعرفة.

وتولى ديوان الإنشاء، حال ولاية الشريف محسن بن حسين بن الحسن بمكة، وذلك يوم الخميس، رابع محرم، عام أربعة وثلاثين بعد الألف، واستمر إلى انتهاء دولته، في يوم الأحد، سابع عشر رمضان، عام سبعة وثلاثين، فتولى مكة السيد أحمد بن عبد المطلب بن حسن، خالعاً للسيد محسن، وتوجه السيد محسن إلى جهة اليمن، ومات بها.

فقبض السيد أحمد بن عبد المطلب على صاحب الترجمة، أواخر رمضان من السنة المذكورة، بعد نهب داره واستخفائه، ووضع بالسجن، ثم أطلقه السيد أحمد المذكور إلى الديوان، في شهر شوال من السنة المذكورة، في مجلسٍ شهده الخاص والعام، وعاتبه أشد العتاب.

فكان الشيخ المذكور صاحب الترجمة يجيبه بجَنانٍ حاضرٍ، ولسانٍ طلقٍ، أحسن جواب، بأفصح عبارة، ثم أعاده إلى السجن، واستمر فيه إلى يوم النحر، من العام المذكور، وخنق في الليلة الحادية عشرة من ذي الحجة، سنة سبع وثلاثين بعد الألف، وغسل ودفن بالشبيكة، وقبره معروفٌ بها، وله من العمر إحدى وستون سنةً وستة أشهرٍ وأيام، وأعقب ولداً صالحاً، ورعاً ديناً عفيفاً، اسمه حنيف الدين، تقدمت ترجمته.

[١٣٠٨] عبد الرحمن بن محمد بن عبد الرحمن بن يوسف بن أحمد ابن محمود الذهبي الدمشقي(١).

صاحبنا الفاضل الأديب، الضارب في كل علم بسهم مصيب، والآخذ

---

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (٢/ ٤٧) (٢٨١)، «سلك الدرر» للمرادي (٢/ ٣١٨)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٤٩٩).

من الأدب بحظ وافر، ومن الشعر الرائق بما يبهر النظر، ويجلو الخاطر.

وُلد بدمشق، في سنة خمس وخمسين، وبها قرأ القرآن، واشتغل بالعلم، وأخذ عمن بها من العلماء المحققين؛ كالشيخ أيوب، وإبراهيم الفتال، وغيرهما من العلماء الراسخين.

ورحل إلى الشهباء، ومكث بها سنين، وأخذ بها عن السيد موسى الرام حمداني، وفاضل عصره محمد الكواكبي، وغيرهما، ودخل الروم، واجتمع بمن بها من عظمائها وعلمائها؛ كالقاضي أحمد البياضي، وشيخ الإسلام يحيى المنقاري، وله فيه مدائح، وحج مراراً بيت الله الحرام، وتكررت زيارته لسيد الأنام ـ عليه من الله أفضل الصلاة والسلام ـ، وبيني وبينه صداقةٌ قديمةٌ، ومودةٌ أكيدةٌ.

ومما كتبه إليّ مادحاً بقوله:

شوق لزَنْدِ الغرامِ يقدحْ	سهد لدامي الجفون قُرَحْ
من حرّ وجدٍ بظبيٍ إنسٍ	أمسى بروض الجمال يمرحْ
غصنٌ بماء الشباب نراه	له نسيمُ الدلال رَنَّحْ
خشفٌ رشيقُ القوام أحوى	ريمٌ عذيب الكلام أصبحْ
بليغُ نطقٍ بدرٌ لفظٍ	عن منعِ رشفِ الرضابِ أفصحْ
حديثُ حورِ اللحاظِ منه	صحيحٌ راوي الوصال يجرحْ
مشهورُ وُدِّي له عجيب	يروى لديه ولا يُصَحَّحْ
ضعيفُ نقلِ العذولِ عني	غدا لديه هو المرجَّحْ
يروي بأني سلوتُ عنه	يا ربِّ لا كان ذاك إن صَحْ

غريبُ عشقي غدا شهيرًا وحسنُ صبري بذاك صرَّحْ

تصريح دمعي عن ذاك مُغْنٍ وكيف يخفى والسقمُ أوضَحْ

فهل لشرع الغرام قاضٍ مرفوعَ حالي لديه يشرحْ

يقضي لضعفي من جورِ غرٍّ غدا بسلبِ العقول يمزحْ

فريدُ لطفٍ كحيلُ طرفٍ بغير عطفٍ تراه يسمحْ

وحيدُ عصرٍ شنيبُ ثغرٍ نحيلُ خدٍّ والقدّ أرجحْ

حليفُ بُعدٍ شَرودُ وُدٍّ له سُويدا الفؤادِ مسرَحْ

زكيُّ أصلٍ شريفُ طبعٍ كريمُ خلقٍ بالمال يمنحْ

لو شامَ وجهًا له جميلاً صغيرُ سنٍّ لقال ذا دحْ

أو لو رآه الجمالُ نطقاً لحسنِ صنعِ الإله سَبَّحْ

أتيتُ أشكو إليه يومًا وفيضُ دمعي في الخدِّ يسفحْ

فقال تبغي لديه قربًا فقلتُ قصدي بذاك أربحْ

فقال وصلي ترى عزيزًا وليس فكري لذاك يسنَحْ

فقلت جُدْ لي بلثمِ نعلٍ لعلَّ وجدي الشرير يرضحْ

من شامَ حالي وذل قالي فقال خدي للَّثمِ أصلَحْ

فقلتُ من لي فدتْكَ روحي فقال أدنو فلستُ مَنْ شَحّ

قطفت باللثمِ وردَ خدٍّ غدا بدر الحيا مرشَّحْ

وردٌ جنيٌّ وليس يُجنى إن تدنُ منه في الحال فَتَّحْ

كأن ماءَ الجمالِ يسقي رياضَ وجهٍ بالحسن يطفَحْ

فقد مضى لي زمانُ وصلٍ ... وطيرُ حظي يشدو ويصدَحْ

أُديرُ كأسَ الرضابِ جهرًا ... ولستُ أُصغي لعذلِ من لَحّ

حتى بدا لي رقيبُ سوءٍ ... ثقيلُ روحٍ كئيبُ أجلَحْ

أشاعَ عني ما ليس يعني ... من قبحِ نقلٍ راويه أقبَحْ

فبان ذاكَ الحبيبُ عني ... ونارُ حرِّ الفراق تقدَحْ

فبتُّ أرعى النجومَ ليلاً ... عسى لبابِ الوصلِ أفتحْ

أضاعَ عقلي فراقُ خِلّي ... فخلِّ عذلي فالوجدُ أفصَحْ

فيا مليكَ الجمالِ رفقًا ... بعبدِ رقٍّ رضاكَ يطمَحْ

وارحمْ غريباً أمسى كئيبًا ... به أليمُ البعادِ بَرَّحْ

لو كنتَ تدري خَفِيَّ أمري ... لكنتَ تغنم أَجري وتربَحْ

عذِّبْ فؤادي وطلْ بعادي ... وخذْ رقادي فلستُ أربَحْ

إن رمتَ هتكي وزدتَ فتكي ... غدوتُ أشكو حالي وأشرَحْ

بعدلِ مولًى له الموالي ... من جورِ ظلم الحسانِ تكدَحْ

قاضي قضاةِ الغرامِ عشقاً ... من أمّ قصدًا حِماه ينجَحْ

المصطفى الندبُ ذو الأيادي ... عن قصرِ مدحِ الصديقِ يصفَحْ

من سادَ بذلاً وطاب أصلاً ... بَرٌّ فسيحُ الرحابِ أسمَحْ

قد حاز فضلاً مذ كان طفلاً ... له عيونُ السعود تلمَحْ

شهمٌ كريمٌ له مساعٍ ... بالجود يسطو وليس يجمَحْ

أمسى بعشقِ الكمال مُغْرًى ... كما ببذلِ النوالِ أصبَحْ

حـــوى جميـــعَ الفنـــونِ طُـــرّاً علمًـــا وفهمًـــا لـــه مـــنقَّحْ
إن رمـــتَ راجـــي النـــضار تغنـــي بكنـــز جـــودٍ لـــديك يفـــتَحْ
فاقـــصدْ حِمـــاه فلـــن تـــراهُ لغيـــر صـــدرِ الفخـــار يـــصلحْ
ولـــيس شـــيء عليـــك طبـــعٌ إن قلـــت شـــعرًا ســـواه تمـــدَحْ
بـــه عيـــونُ الأنـــام قَـــرَّتْ كمـــا صـــدورُ الكـــرامِ تُـــشْرَحْ
فيـــا إمامًـــا ســـما مقامًـــا حـــوى نظامًـــا للـــدرِّ يفـــضَحْ
خـــذْها عروســـاً حكـــتْ شموســـاً بهـــا فـــؤادُ الأديـــبِ يفـــرَحْ
تـــسبي عقـــولَ الرجـــالِ حُـــسناً كمـــا لقلـــب الحـــسودِ تجـــرَحْ
مـــشتْ بمِـــرْطِ النظـــامِ تزهـــو منهـــا عبيـــرُ البَـــشامِ يـــنفَحْ
مـــن فكـــرِ نـــائي الـــديار صـــادٍ لهـــا ببِـــكْـــرِ المعـــاني يلقَـــحْ
واقبـــلْ نظـــامي وزنْ كلامـــي عـــسى مقـــامي لـــديكَ يـــرجَحْ
وطـــلْ خطـــابي ودعْ عتـــابي وعـــن جـــوابي إيـــاكَ تـــصفَحْ
واســـلمْ بقيـــتَ الزمـــانَ مـــولى مـــن فـــيضِ فـــتحِ الإلـــه تمـــنَحْ

فأجبته بقولي:

أروضـــــةٌ زهرُهـــــا تفـــــتَّحْ أم غـــــادةٌ قَـــــدُّها تـــــرنَّحْ
وفـــتْ بوعـــدٍ مـــن بَعـــدِ بُعـــدٍ وَافَـــت سُـــحيرًا والطيـــرُ يـــصدَحْ
أم زهـــرُ أفـــقٍ فـــي جُـــنحِ ليـــلٍ أم بـــدرُ تَـــمٍّ بالـــسعدِ أصـــبَحْ
أم طيـــبُ وصـــلٍ مـــن بعـــد هجـــر أحيـــا مـــشوقاً للـــدمع قـــرحْ
أم مـــاءُ ثغـــرٍ أم وردُ خـــدٍّ أم ذا لجـــينٌ للتبـــر يفـــضَحْ

أم سحرُ لفظٍ هاروتُ منه تعلَّمَ السحرَ ثم صَحَّحْ

أم درُّ نظمٍ من خيرِ خِلٍّ عن خالصِ الودِّ منه أفصَحْ

يشكو الهوى وجوْرَ ظبيٍ نحيلِ خصرٍ باللحظِ يجرَحْ

كأنَّ وردَ الخدودِ منه راحٌ كشمسٍ بالنار تقدَحْ

كأنَّ ليلي به صباحٌ فلستُ أدري أمسى أم اصبَحْ

حديثُ وَجْدي به قديمٌ له إمامُ الغرامِ صَحَّحْ

وسهمُ لحظيه راشَ هدبًا أبانَ عن قتلي وصرَّحْ

فكم أُداري الوشاةَ فيه وحبُّه زادَ بي وبرَّحْ

أذوبُ عشقاً يزيدُ هجرًا أغضبُ من صَدِّهِ فيفرَحْ

أقولُ مهلاً يقولُ كَلاَّ أرومُ وصلاً يقولُ تمزَحْ

فهل لداءِ الغرامِ راقٍ أشكو له قصتي وأشرَحْ

كما شكا لي أعزُّ صحبي فرطَ غرامٍ به وأوضَحْ

حليفُ كلِّ الكمالِ طبعاً ماذا عسى فيه أمدَحْ

شقيقُ روحي مذ كنتُ طفلاً خيرُ صديق إليه أجنَحْ

فريدُ نظمٍ وحيدُ نثرٍ حديثُ فضلٍ عندي مصحَّحْ

يزهو على عمرو ذي الأيادي إنْ قِيسَ قُسٌّ به ترجَّحْ

منها:

وهاك يا بنَ الكرام بِكرًا تجرُّ ذيلَ الحميا وتمرَحْ

واسبلْ حنانَيْكَ ذيلَ سترٍ عليّ واعذرْ والسترَ فامنَحْ

فبحـرُ شـعري قـد جـفَّ منـي وكنـتُ مـن قبـلُ فيـه أسـبَحْ
وقـد تماديـتُ فـي جـوابي لقـصرِ بـاعي والعـذرُ أقـبَحْ

منها:

بقيـتَ مـا غـردَتْ سُـحيرا وَرْقـاءُ تـشدو والـشوقَ تـشرَحْ
واسـلمْ ودمْ فـي هنـاءٍ لـك المـوالي تـدنو وتمـدَحْ

وكتبت إليه مادحاً بقولي:

مـا للحبيـبِ ومالِيَـهْ أفديـه بـي وبمـا لِيَـهْ
قـد صـدَّ عنـي نائيـاً منـي وغَيَّـرَ حالِيَـهْ
أتـرى يجـودُ بوصـلهِ وأشـمُّ منـه الغالِيَـهْ
وأقبِّـلُ الثغـرَ الـذي منـه شِـفا أَسـقامِيَهْ
يـا قـاتلي بـصدودهِ أشـغلْتَ منـي بالِيَـهْ
أشـكو إليـكَ صـبابتي والعـينُ منـي باكِيَـهْ
وقيـامَتي قامـتْ علـى تلـك الخـدودِ القانِيَـهْ
فـإلامَ تهجرُنـي بـلا ذنـبٍ لـديك بـدا لِيَـهْ
وعـلامَ تمطلُنـي فقـد أَشْـمَتَّ بـي عُذَّالِيَـهْ
وأتـى الهـوى منـي علـى مـا لـم يمـرّ ببالِيَـهْ
وجفـاك بـدري لـم يكـنْ فـي فكرتـي وحـسابِيَهْ
سـقيًا لـدهرٍ قـد مـضى فـي جِلَّـقٍ والجابِيَـهْ

وعهـــود أنـــسٍ قـــد مـــضت وقطوفُهـــا لـــي دانِيَـــهْ
ذكـــرى لهـــا لا ينقـــضي مـــع أنهـــا لـــي ناسِـــيَهْ
حيـــثُ المُـــدامُ يـــديرُها ظبـــيٌ رقيـــقُ الحاشِـــيَهْ
ونعيمُنـــا لـــثمُ الخـــدو دِ مـــن الغـــواني الغالِيَـــهْ
والـــروضُ بـــاكَرَهُ الحَيـــا والـــوردُ فيـــه حياتِيَـــهْ
والمـــاءُ يجـــري فوقَـــه مثـــلَ اللجـــينِ الـــصافِيَهْ
والـــوُرْقُ فيـــه تُعيـــد لـــي ذكـــرى العهـــودِ الماضِـــيَهْ
والـــريحُ تعبـــثُ بالغـــصو نِ أبثهُّـــا أحوالِيَـــهْ
وتَبُـــثُّ لـــي ذكـــرَ الهـــوى فتثيـــرُ لـــي أشـــجانِيَهْ
يـــا حـــاديَ العـــيس التـــي فيهـــا البـــدورُ الزاهِيَـــهْ
قـــفْ بـــي قلـــيلاً نحـــوَهم واشـــرحْ لهـــم أشـــواقِيَهْ
وانـــشدْ هنالـــكَ غـــادةً مـــن أهـــلِ تلـــكَ الناحِيَـــهْ
واذكـــرْ لهـــم مـــا قـــد جـــرى يـــومَ النـــوى مـــن جارِيَـــهْ
قـــد أقـــصدَتْ قلبـــي وكـــا نَـــتْ لـــي بلحـــظٍ رامِيَـــهْ
وَثَـــوتْ صـــبابَتُها بقلــــــ ـــبي ثـــم شـــبتْ نارِيَـــهْ
ولحاظُهـــا المَرْضـــى شِـــفا أمـــراضِ قلبـــي الرابِيَـــهْ
وَعَـــدَتْ مُحِبّـــاً قُبلَـــةً فوفَـــتْ وأعطـــتْ ثانِيَـــهْ
ثـــم انثنـــتْ تيهًـــا وقـــا لَـــتْ لـــي أهـــذي كافِيَـــهْ
فأجبتُهـــا بتوجُّـــعٍ أفـــديكِ هـــذي الـــشافِيَهْ

ومــــرتْ وخَلَّفَـــتِ الفـــؤا دَ رهـــينَ عـــينٍ باكِيَــــهْ

لـــم يبـــق منـــي لغيرِهـــا وأبيـــك أدنـــى باقِيَــــهْ

لكـــنْ فـــؤادي قـــد ســلا بمـــديحِ خيـــرِ صِحابِـيَــــهْ

مـــن كنـــتُ مـــن زمـــنِ الـصِّبا والـــذاتُ منـــه ذاتِيَــــهْ

الفاضـــلُ اللَّـــسِنُ الـــذي جمـــعَ الـــصفاتِ الباهِيَــــهْ

ذي المنطـــقِ العَـــذبِ الـــذي فيـــه ومنـــه دوائِيَــــهْ

عبـــدِ الـــرحمنِ غُـــذي دَرَّ العلـــومِ العالِيَــــهْ

وتفجَّـــرَتْ منـــه ينـــا بيـــعُ الكمـــالِ الـــضافِيَهْ

ورقـــى بـــذروةِ شـــعرِه هـــامَ الـــسِّماكِ الـــسامِيَهْ

وســـما بهمَّتِـــهِ ومـــا أدراكَ مـــا هـــي ماهِيَــــهْ

شـــاعَتْ لعمـــرُكَ بيننـــا فـــي حـــضرِنا والبادِيَــــهْ

مـــع فكـــرةٍ وقَّـــادَةٍ وســـريرةٍ هـــي صـــافِيَهْ

فخـــرًا لـــه فليَهْنِـــهِ هـــذي العلـــومُ الزاهِيَــــهْ

ســـبحانَ مَـــنْ جعـــلَ الفـــصا حَـــةَ فيـــه طبعًـــا بادِيَــــهْ

والحمـــدُ للهِ الـــذي بلغْـــتُ فيـــه مُرادِيَــــهْ

ورأيـــتُ بحـــرًا زاخِـــرًا بعيـــونِ علـــمٍ جارِيَــــهْ

أنـــسى بفـــضلِ يَراعِـــهِ أهـــلَ العـــصورِ الخالِيَــــهْ

وحـــوى الفـــضائلَ والفـــوا ضـــلَ والنُّهـــى فـــي ناحِيَــــهْ

والـــدينَ والمعـــروفَ فـــي أُخـــرى وليـــستْ خافِيَــــهْ

وإليكَهــــــا شـــــــامِيَّةً	أضــــحَتْ بمكــــةَ ســـامِيَهْ
واعـــــذرْ فـــإنَّ قريحتـــــي	جَمَـــدَتْ وعـــادت خاوِيَـــهْ
والـــشعرُ عنـــي بـــانَ مُـــذْ	قـــد بِنْـــتُ عـــن أحبابِـيَـــهْ
وتركتُــــه قـــصدًا علــــى	أنـــي ملكْـــتُ قوافِيَـــهْ
وهجـــرْتُ إخـــوانَ الـــصَّفا	ولزمْـــتَ بـــابَ الزاوِيَـــهْ
إلاكَ يـــا بـــنَ مـــودَّتي	وشـــقيقَ نفـــسي العانِيَـــهْ
فاســـلمْ ودمْ متمتعــــاً	فـــي عيـــشةٍ لـــك راضِـــيَهْ
وصـــلاةُ ربـــي دائمـــاً	تغـــشى رســـولَ إلهِيَـــهْ
مـــع آلـــهِ وصِحـــابِـــه	أهـــلِ العهـــودِ الوافِيَـــهْ
مـــا هـــبَّ مـــن نجـــدٍ صَـــبا	مـــع شـــمألٍ ويمانِيَـــهْ
والعبـــدُ عبـــدُك مـــصطفى	يرجـــو الـــدعا بالعافِيَـــهْ

وتوفي عام ثلاثة وعشرين بعد مئة وألف، ببيت الفقيه ابن عجيل ـ رحمه الله ـ.

وله مجموعٌ في أدباء العصر، وسمه بـ: «الفوائح المكية والروائح المسكية»، ورسالة «غاية المرمى في علم المعمّى»، ووقف جميع كتبه على المسجد النبوي، فأرسلت إلى مكة ـ شرفها الله ـ، وتعرض لها بعض الظلمة، وحبسها عنده حتى هلك، فكان ذلك سبباً في إيصالها إلى محلها، والحمد لله على ذلك.

[١٣٠٩] عبد الرحمن بن عبد العظيم بن محمد بن تقي الدين الأشموني الشافعي.

صاحبنا الشيخ الفاضل، الصالح الورع، التقي النقي، العمدة المفنن، قرأ بالروايات على شيخنا سلطان المزاحي، وحضر دروسه في الفقه وغيره، وأخذ عنه كثيراً من العلوم المتداولة بمصر، وأجازه بمروياته لفظاً وكتابةً، وحضر دروس الشهاب أحمد القليوبي، ومحمد البابلي، وعلي الشبراملسي، وكثير، وجد واجتهد، حتى حصّل الكثير الطيب من العلوم.

وأقام بالجامع الأزهر، في خيرٍ وعلى خيرٍ، ملازماً للجماعة والطاعة، وكتابة الكتب، وزيادة التحري في ضبطها، واستغراق غالب أوقاته في ذلك طلباً للحلال، وهو أحد أخداني وأترابي، في زمن شبابي ـ بلغه الله أمانيه في الدارين ـ.

وله «حاشيةٌ على الفتاوى المنثورة لابن حجر الهيتمي» جمعها لما قرأها على شيخنا خاتمة المحققين علي الشبراملسي.

توفي سنة ألف ومئة وثلاث بمصر، ودفن بتربة المجاورين.

[١٣١٠] السيد عبد الرحمن بن الحسن القاسمي الحجّافي[1].

قال القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في «تاريخه»: من أهل البراعة والفهم، والحافظة والعلم الغزير، والتمكن من الفضائل، يضرب به المثل، قرأ العلوم وحققها، ودرس «العضد» على الإمام الناصر الحسن بن علي بصعدة، بمسجد النزاري، وحضر ذلك المجلس علماء الوقت، وأدرك المجلس طفلاً شيخُنا الحسن بن شمس الدين، وكان الإمام وحيداً في العلم، [لا] سيما في علم الأدوات.

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤١٢) (٢٢٤).

وأما المنطق، فإليه الغاية فيه، قرأ على رجلٍ من شيراز، وجوّد وحقق، وأما التفسير، فهو إمامه، وكان يدرس السادة المذكورين في «العضد»، ويأتي بغرائب وعجائب، والسيد عبد الرحمن كثير الصمت.

وكانت له علقة بالسيد الأمير المفضال أحمد بن الحسين المؤيدي، فكان يسمر عنده، ويأتي للقراءة من غير درس، فلامه الأصحاب، ونسبوه إلى التفريط، وعدم الحفظ لما أملاه الإمام، فقام واتكأ إلى السارية التي يتكئ إليها الإمام عند التدريس، وقال: اسمعوا مني معشراً من جميعها غيباً، فقرأ لهم الدرس كما أملاه الإمام، لم ينقص حرفاً، ولما وصل إلى حرفٍ من الكلام قطعه الإمام عند الإملاء؛ لِشَرْقَةٍ بريقه، تشارق السيد بريقه، وقطع الحرف من حيث قطعه الإمام، فقال له الإمام: يا عبد الرحمن! اسْمُر عند أحمد بن الحسين كيف شئت.

وكان الإمام يذكره بالحافظة والذكاء، ولما دخل بلده جبور، أوصى السادة بالعلم، وقال: يا سادة! اللهَ اللهَ في العلم؛ فإني أعرف فيكم رجلاً ليس له نظير، وهو السيد عبد الرحمن بن الحسن.

وبالجملة: فالعبارة تقصر عن وصف حاله تحقيقاً.

وله شعرٌ حسنٌ، منه قوله:

أولَى وأحْرَى بالمَلامةِ لُوَّمي ... منّي وأجْدَى بالجِدالِ المُبْرَمِ
لامُوا على أن ظلَّ دمعِي ذارِفاً ... والحقُّ أن أبكى دُموعاً من دَمِ
بل لو بكَيْتُ دماً لَقَلَّ لحادثٍ ... أضْحَى لديْه كلُّ ذي نظرٍ عَمِي

ومنه: قوله في السيد الرئيس علي بن إبراهيم بن حجاف، المدفون في

ظاهر جبل الأهنوم، وكان من عيون الزمان، وأهل الكمال الواسع :

ألا أيُّها البرقُ الـذي لاح مـن بُعْـدِ   فهيَّجَ أشْجاني وجدَّد لـي وَجْـدِي
ومِيضُك من قلبي وغَيْثُـك أدمُعِـي   ومن زفَراتـي والبُكـا حَنَّـةُ الرعـدِ
وقد أنْحلتْ جسمي مَرارةُ مُهجتِي   ومُنْهمرُ الأعْيانِ قد خَدَّ في خَدِّي
عَساك إلى الأحْبابِ تُهْدِي تحيَّتـي   وتُخْبرني عن دارِ هندٍ وعـن هنـدِ

منها :

ففِي مُهْجتي من طولِ ذا البعدِ والنَّوى   بنارٍ وقـد ذاب الفـؤاد مـن الفقـدِ
فيا ليت أحبابِي لِمـا بِـيَ شـاهَدُوا   ويا ليت شِعْرِي كيف حالُهُمُ بَعْدِي

ومنها :

مَنـامِي طَرِيـدٌ مـن فِـراق أحبَّتِـي   وقلبيَ لا يقْوَى وُقِيتُم على الـصَّدِّ
فهـل عنـدكُمْ للعهـدِ عنـد وَداعِنـا   وفاءٌ فـإنِّي لا أحُـول عـن العهـدِ

منها :

ومَنْ أرتجيـه بعـدَ ربِّـي لمطلبـي   ومَنْ ارتجيه في أموري وفي قصدي
جمالُ الهدى محيي المروءة والندى   وكاتـبُ أنـواعِ المفـاخرِ والمجـدِ

منها :

علـيٌّ محـبُّ الوافـدينَ كأنمـا   يجـود لـه قُـصَّادُهُ بالـذي يُجـدي
فـإن شـئتَ أن تُهـدي إليـهِ فأهـدِهِ   سؤالاً تجدْه عنده خيرُ مـا يُهـدي

توفي [المترجم] ـ رحمه الله تعالى ـ سنة ثلاثين وألف ـ رحمه الله تعالى ـ، وقبره في ثُلا.

[١٣١١] **عبد الرحمن بن حسن بن عيسى الحفصوي التواتي المغربي المالكي.**

أصله من المغرب، من بلاد أوكرب، من بلاد تيجوران[1]، وشهرته بالتواتي، وقد جال في المغرب، وقرأ على كثيرٍ من علمائه؛ كسيدي الصغير ابن المنيار التادلي، ودخل فاساً، وقرأ بها على سعيد بن عبد الوهاب بن عاشر وغيره.

ثم ارتحل إلى المشرق، بعد سنة أربعين وألف، ودخل القاهرة، وأتقن القراءة على مقرئها وأستاذها سلطان المزاحي، وختم عليه إحدى عشرة ختمةً، وأجازه بالقراءات السبع، بل وبالعشر، وكتب له خطه بذلك.

ثم انتقل إلى الحجاز، وحج، ثم استوطن الطائف أعواماً كثيرةً، وتزوج امرأة من أهله، ورزق أولاداً، وصار له عند أهلها مكانةٌ عظيمةٌ، ومنزلةٌ جسيمةٌ، وكان يحج في كل سنة، ويحضر الموسم، وله أسانيد في الحديث عليّة.

ولم يزل مقيماً بالطائف، على خيرٍ وفي خيرٍ، وانتفع به خلقٌ لا يحصون في علم القراءة، وكان كريم النفس، رقيق الطبع، حتى توفي بالطائف، في نيف وثمانين وألف، ودفن بقرب تربة ابن عباس رضي الله عنهما.

---

(١) في الأصل: يتجورارن.

[١٣١٢] عبد العزيز بن محمد بن يحيى بن بهران التميمي البصري ثم الصعدي[١].

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: القاضي العلامة، كان متضلعاً من كل العلوم، قال شيخنا أحمد بن يحيى حابس: إنه كان يعرف جميع علوم الاجتهاد علمَ إتقانٍ، لكنه لا يستنبط الأحكام، وهو شيخ الشيوخ في الحديث والتفسير.

ومن كراماته: أنه كان في آخر عمره لا يستضيء إلا العلم، حكى تلميذه السيد داود بن الهادي ـ رحمه الله ـ: أنه كان يقرأ عليه في «الزبد» بصعدة، فكان يومئذٍ ينظر في حواشي في الكتاب، لا يميزها إلا حاد البصر، وأدرك ذلك، ثم خرجا، فأصاب جملاً يحمل لحماً وحطباً، فقال له في ذلك، فقال مقسماً: ما ميزته.

وله في الفقه قدمٌ راسخةٌ، وهو الذي أجرى القوانين في آبار صعدة في المساني، وقدر الأحباب المعروفة من الماء، وجعل المغارم تابعةً للعروض[٢] ـ أيضاً ـ، وذلك أنه عرف جميع الضياع تحقيقاً، وذرع الماء على الطين، ثم إنه كتب شيئاً من الحجج، فمدحه ابن عمر الضمدي بقوله:

لله درُّك يا عبدَ العزيزِ لقد وضعتَ هذا الدَّوا في موضعِ الوَجَعِ

الأبيات، بعد أن كان ابن عمر منعه من المناظرة.

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٥٦٦) (٣٤١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٢٤).

(٢) في الأصل: للعروفين.

ومما يروى: أنه تشارع إليه بعض العتاة أهل السطوة، فلما أراد الحكم على ذلك الطاغي، أشار إليه أنـه سيغير إليه عنبه، إذا حكم، قال القاضي: أجـروا الحكم، ثم طلـب بعض النـاس، وباع منـه العنب جميعـه، وطلب الخصم، وحكم عليه، وقال له: العنب قد بعناه من فلان، لا تغلط.

توفي - رحمه الله - يوم الأربعاء، ثامن شهر رجب، عام ستة عشر بعد الألف، بمدينة صعدة.

[١٣١٣] عبد العزيز بن محمد بن النعمان الضمدي(١).

قاضي القضاة، الإمام العلامـة، طـود العلم المنيـف، وعضـد الدين الحنيف، ومالك أزمة التأليف، الباهر بالرواية والدراية، الرافع لخميس الكلام أعظم راية، وأحد قضاة العدل باليمن الميمون، ومن الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون.

وُلد بوادي ضمد، سنة ثلاث عشرة بعد الألف، وبه نشأ، وأخذ باليمن عن القاضي أحمد بن حابس الصعدي، وبمكة عن العلامة المحدث محمد علي بن علان، ورحل إلى العارف بالله أحمد بن محمـد القشاشي المدني، بأمر من شيوخـه باليمن، ولازمـه بالمـدينـة سنتين وأشهراً، وأجازه بجميع مروياته، وأجازه عامة شيوخه، وتضلع من علوم المعقول والمنقول، وكان من أفراد وقته.

ولي القضاء بتهامة، في المخلاف السليماني، ودخل زبيد مراراً، وولي بها القضاء، ثم تركها لأمر استنكره، واستمر على القضاء ببندر المخا المحروس،

---

(١) «البدر الطالع» (١/ ٣٥٧)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٧).

وحمدت طريقته وعفته، فإنه كان من ذلك بمحل، وكان حليف القرآن، يؤديه بتأديةٍ تسهي التركيب، وله مشايخ كثيرون باليمن، وأكثر قراءته بصعدة.

وكان حسن الخط، ولما ضُربت يده اليمنى، من بعض المردة في الطريق، عند المعنّق، وهو متوجهٌ إلى صعدة للقراءة، تعذرت عليه الكتابة بيمينه، فكتب بيساره، فأجاد وأحسن.

وله مؤلفاتٌ، منها: «شرحٌ على الخُبَيْصي شرح الكافية»، وله «السُّلَّم على معيار الأصول» للإمام المهدي، وعدة رسائل ومقالات، وله «تخريج أحاديث شفا الأمير من الصحاح الستة»، وغيرها، وأراد شرحه ـ أيضاً ـ.

وكان الإمام المؤيد بالله محمد بن إسماعيل بن القاسم، أمرَ القاضي الفاضل الحسينَ بنَ ناصر المهلا، حين اجتمع به بمدينة السودة المحروسة، عقبَ عودته، واتفاق أهل الحل والعقد على إمامته، أن يكمل ما ينص له القاضي من تخريجه، فتيسر له كثيرٌ من ذلك، وأرسله إلى الإمام، وحرض عليه في إرسال ما بقي.

وله نظمٌ ونثرٌ رائقٌ، **ومن شعره**: ما كتبه إلى السيد أحمد بن صلاح قوله:

قلبي من الوجدِ والتبريحِ في قَلَقِ	وناظري من غزيرِ الشوق في غَرَقِ
شوقًا لأهلِ ودادٍ ما ذكرتُهُمُ	إلا شرقْتُ بريقي غايةَ الشَّرَقِ
حملتُ من حبِّهم ما لو تَحَمَّله	جبالُ رضوى على التحقيق لم تُطِقِ
أهواهُمُ والهوى عذبٌ لذائقِهِ	فاطعمْهُ تلقَ الذي استحليتُه وذُقِ

تـالله لا ملـتُ قلبـاً عـن محبـتهم ... يومًا ولو لم تدعْ منهم سوى رمقـي
ولـي إلـيهم حنينُ الـسقبِ أفـردَهُ ... عن أمه السومُ في مُخْلَولِكِ الغَسَقِ
يـا عـاذلي فـيهمُ دعنـي مطاولـةً ... فإنَّ عذلك لي من أعظـم الحمـقِ
ومعملَ العيسِ فـي البيـداءِ طاويـةً ... صحفَ العلا بسريعِ الوخـدِ والعنـقِ
يَمِّمْ بهم ساحةَ الساداتِ في شرفٍ ... أعني صفيَّ الهدى والدينِ خير تقي
لله مــن سـيدٍ قــد نــالَ مرتبــةً ... فاقت علينـا بـلا ريـبٍ ولـم تفـقِ
يا أحمد بن صلاحٍ أنت في شـرفٍ ... أعلى وفي الشرفِ الأعلى لدى حُذُقِ
فخصَّ لي الناصرَ المشهورَ من شمخَتْ ... به الفضائلُ في مجـدٍ بـذاك رقـي
كذاك عبدَ الحفيظ البحرَ من ظهرت ... له المكارمُ مثلَ الشمس في الأفقِ
أسـنى الـسلامِ وأسـناهُ وألطفـه ... يحف من فضله بالعارض الغـدقِ

فأجابه القاضي الناصر بن عبد الحفيظ المهلا المذكور، نيابةً عن السيد ـ رحمهم الله تعالى ـ:

مـا بـالُ قلبـكَ لا ينفـكُّ فـي قلـقِ ... وما لعينك طـولَ الليـل فـي أَرَقِ
أمـنْ مفارقـةِ الحـسناءِ رائقـةِ الـ ... ـجمالِ فائقةٍ في اللطـفِ والمَلَـقِ
بقامـــةٍ كغـــصونِ البـــان قائلـــةٍ ... تعلَّمي اللين مني واسلُكي طرقـي
تبـدو بوجـهٍ يفـوق البـدرَ منظـرُه ... ما الريمُ يشبهها في العين والعُنُـقِ
أمن فراقِ جليلِ القدرِ صدرِ ذوي الفـ ... ـخار مَنْ عرضُه عما يـشينُ نقـي
عبدِ العزيز الـذي سـارت فـضائلُه ... في الخافقينِ سيرَ الشمس في الأفقِ

أبقاه ربِّـيَ فـي خيرٍ وفـي دَعَـةٍ وصِينَ عن كلِّ شـرٍّ دائمًـا ووُقـي
أم بُعد صنويَ مـن فاقـتْ شـمائلُه فمـا يماثلـه فيمـا حـواه تقـي
صنوي محمدٍ المحمودِ فـائقِ أهــ ـلِ الفخرِ والفضلِ في خَلْق وفي خُلُقِ
من دوّخ الشامَ بالرأي الأصيل وبالسْـ ـسَيفِ الصقيلِ وبـالأتراس والـدَّرَقِ
وبالجيوشِ التي كالسيل إن وردَتْ لم ينجُ منها مُعاد غـابَ فـي نفـقِ
لله دُرُّكَ يـا عبـدَ العزيـزِ لقـد وضعتَ هذا الدَّوا في موضعِ الحرقِ
بردْتَ نـارَ اشـتياقي وهـي حاميـةٌ بما نظمتَ وما سَطَّرت في الوَرَقِ
الله أكبـرُ مـا أحلـى عبارَتـهُ ذا فضلُ مَنْ خلقَ الإنسانَ من عَلَقِ
بالانـسجامِ أتـى والغيـثُ منـسجمٌ في حالـةٍ فاجتلينـا كاعـبَ الألَـقِ
هذا وسرَّحْتُ طرفي فـي معاطفِـه مـا بـينَ مؤتلِـفٍ منـه ومتفـقِ
فقلت نرجو من الـرحمن يجمعُنـا ولا نبيـتُ علـى هَـمٍّ ولا قلـقِ

[١٣١٤] عبد العزيز بن محمد الفِشْتالي المغربي[١].

الذي كان أوحد عصره في سائر الفنون، حتى إن سلطان المغرب مولاي أحمد كان يقول: إن الفشتالي نفتخر به على ملوك الأرض، ونباري به لسان الدين بن الخطيب، وقد أطنب في ذكره، وعليٍّ قدره العلامةُ أحمدُ المَقَّرِيُّ في تاريخه «نَفْح الطيب».

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم: (٥٧٤)، «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٣٦٥) (٥١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٢٥)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٦).

وذكره الخفاجي في «الريحانة»، وقال: إنه قدم رسولاً من سلطان المغرب إلى سلطان الروم، واجتمع به بالقسطنطينية، وجرى بينهما محاوراتٌ ومراسلاتٌ.

قلت: وتوفي عام ثلاثين وألف.

[١٣١٥] عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن تقي الدين بن عبد العزيز بن أحمد، الحُبَيْشي ـ بالتصغير ـ، التعزي، الشافعي، الشهير كوالده بالمفتي[١].

إمام العلم والأدب، وترجمان العرب، ومن تنسل إليه أبكار المعاني وعُونُها من كل حَدَب، رئيس الشافعية باليمن، وواحد هذا الزمن، القائد ما صعب من العلوم بزمامه، الذي نبه راقد الفكر بكلامه، ذو المحل الجسيم، والفضل العظيم، بحر البيان الزاخر، وحبره الذي بذل ما تركه الأول للآخر.

أفكاره بكشف الرموز الخفية وفية، وإبراز المعاني الجلية ملية، امتطى في طلب العلوم كل مطيه، وصرف للعلم بُكَره والعشية، حتى انتهت إليه في بلده الرياسة، وجمع بين شرف النفس والنفاسة.

قرأ في بدايته على أحمد بن عمر الحبيشي، وعلى إسحاق بن جعمان، وأخذ عن العلامة محمد بن شريف الكوراني، وغيرهم، وتصدر للإقراء، حتى صار عمدةً في جميع العلوم ببلده، وهو الآن شيخ ذلك الإقليم ـ نفع الله به ـ.

توفي ـ رحمه الله ـ، يوم الجمعة، سلخ رجب، سنة ألف ومئة وعشر،

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ١٥٠٢) (٨٥٩).

ببلده تعز ـ رحمه الله ـ.

[١٣١٦] عبد الغني[١] بن إسماعيل بن عبد الغني بن إسماعيل بن أحمد بن إبراهيم بن عبدالله بن محمد بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن عبد الرحمن بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكناني المقدسي النابلسي الدمشقي الحنفي[٢].

فرعٌ نما كأصله العريق، وغصنٌ نابتٌ في رياض الفضل والتحقيق.

وُلد بدمشق، وبها نشأ، وأخذ عن العلامة إبراهيم الفتال، ومحمد المحاسني، وكثير، وأفنى أيامه في تحصيل أنواع الفضائل، وسهر لياليه في حل مشكلات ما استعضل من المسائل، فصار له على كثير من العلوم كمال الاطلاع، لا سيما علم الكلام والمشرَب، فإنه أبدع فيه غاية الإبداع وأغرب.

وألف في فنون العلم وصنف، وقرط آذانَ أولي الفضل بدرٍّ ألفاظه وشَنَّف، قدم مكة حاجاً في موسم سنة خمس عشرة ومئة وألف، واجتمعت به، وأجازني بمروياته، وحصل بيني وبينه أكيد المودة الصافية.

ومن مؤلفاته في علم حقيقة الشريعة: «جواهر النصوص في شرح كلمات الفصوص»، وكتاب «المعارف الغيبية بشرح العينية الجيلية»، وكتاب «مفتاح المعية شرح رسالة النقشبندية»، وكتاب «إطلاق القيود شرح مرآة الوجود»، وكتاب «خمرة الحان ورنّة الألحان شرح رسالة الشيخ أرسلان»، و«لمعة النور المضية شرح الأبيات السبعة من الخمرة الفارضية»، وكتاب «رد

---

(١) في الأصل: عبد النبي.

(٢) «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ١٣٧) (٧٢)، «سلك الدرر» للمرادي (٣/ ٣٠).

المفتري في شرح كلام الششتري».

وكتاب «الفتح الرباني والفيض الرحماني»، و«التنبيه من النوم في حكم مواجيد القوم»، و«قطرة سماء الوجود ونظرة علماء الشهود»، و«كوكب الصبح في إزالة ليل القبح»، و«بداية المريد ونهاية السعيد»، و«زيادة البسطة في بيان العلم نقطة»، و«النظر المشرف في معنى عرفتَ أم لم تعرف»، و«الصراط السوي شرح ديباجات المثنوي»، و«تحقيق الذوق والرشف في مخالفة الواقعة بين أهل الكشف»، و«إيضاح المقصود من معنى وحدة الوجود».

و«لمعات البرق النجدي شرح تجليات محمود أفندي»، و«الشمس على جناح طائر في مقام الواقف السائر شرح قصيدة الشيخ محيي الدين بن عربي»، و«السر المختبي في ضريح ابن عربي»، و«الرد المتين على منتقص العارف محيي الدين»، و«رفع الريب عن حضرة الغيب»، و«العقود اللؤلئية في بيان الطريقة المولوية».

و«رد الجاهل إلى الصواب في جواز إضافة التأثير إلى الأسباب»، و«القول المختار في الرد على الجاهل المحتار»، و«دفع الإيهام ورفع الإبهام»، «وجمع الأشكال ومنع الإشكال»، و«اللؤلؤ المكنون في حكم الإخبار عما سيكون»، إلى غير ذلك.

ومنها في علم طريقة الشريعة: كتاب «الحديقة الندية شرح الطريقة المحمدية»، وكتاب «زهرة الحديقة في بيان رجال الطريقة»، وكتاب «المطالب الوفية شرح الفرائد السنية»، و«الأنوار الإلهية شرح المقدمة السنوسية»، و«نور الأفئدة شرح المرشدة لأبي الليث»، و«قلائد المرجان في عقائد الإيمان»،

و«القول الأبْيَن في شرح عقيدة أبي مدين»، و«الكوكب المتلالي شرح قصيدة الغزالي».

و«وسائل التحقيق ورسائل التوفيق»، و«الكوكب الوقاد في حكم الاعتقاد»، و«لمعات الأنوار في المقطوع لهم بالجنة والمقطوع لهم بالنار»، و«كنز الحق المبين في أحاديث سيد المرسلين»، و«تكميل النعوت في لزوم البيوت»، و«مخرج المتقي ومنهج المرتقي»، و«زبدة الفائدة في الجواب عن الأبيات الواردة»، و«النفحات المنتشرة في الجواب عن الأسئلة العشرة»، و«الأجوبة البتة عن الأسئلة الستة».

و«إزالة الخفا عن حلية المصطفى»، و«رفع الاشتباه عن عَلَمية اسم الله»، و«تنبيه من يلهو على عَلَمية الاسم هو»، و«فتح المعيد المبدي شرح منظومة المولى سعدي»، و«تحريك سلسلة الوداد في مسألة خلق أفعال العباد»، و«صرف الأعنة إلى عقائد أهل السنة».

وكتاب «توريث المواريث في الدلالة على مواضع الأحاديث»، وهو أطراف للكتب السبعة، وكتاب «المجالس الشامية في مواعظ أهل البلاد الرومية»، و«توفيق الرتبة في تحقيق الخطبة»، و«إيضاح الدلالات في سماع الآلات»، و«اشتباك الأسنة في الجواب عن الفرض والسنة»، وغير ذلك.

ومنها في علم فقه الشريعة: كتاب «قلائد الفرائد وموائد الفوائد»، وكتاب «نهاية المراد شرح هداية ابن العماد»، و«صدح الحمامة في شروط الإمامة»، و«تحفة الناسك في بيان المناسك»، و«كشف الستر عن فرضية الوتر»، و«الصلح بين الإخوان في حكم إباحة الدخان»، و«كفاية الغلام في أركان

الإسلام»، وشرحها المسمى بـ: «رشحات الأقلام شرح كفاية الغلام».

و«الغيث المنبجس في حكم المصبوغ بالنجس»، و«تحصيل الأجر في حكم أذان الفجر»، و«إتحاف من بادر إلى حكم النوشادر»، و«إشراق المعالم في أحكام المظالم»، و«غاية الوجازة في تكرار الصلاة على الجنازة»، و«نزهة الواجد في حكم الصلاة على الجنائز في المساجد»، و«تشحيذ الأذهان في تطهير الأدهان»، و«تطييب النفوس في حكم المقادم والرؤوس».

و«الكواكب المشرقة في حكم استعمال المنطقة»، و«الأجوبة السنية عن الأسئلة القدسية»، و«بذل الصِّلات في بيان الصلاة»، و«كشف النور عن أصحاب القبور»، و«بغية المكتفي في جواز المسح على الخف الحنفي»، و«الرد الوفي على جواب الحصكفي»، و«الجوهر الكلي شرح عمدة المصلي» المعروفة بالكيدانية.

و«رسالةٌ في احترام الخبز»، و«سرعة الانتباه لمسألة الأشباه»، و«إبانة النص في مسألة القص»، و«خلاصة التحقيق في بيان حكم التقليد والتلفيق» و«تحقيق القضية في الفرق بين الرشوة والهدية»، و«المقاصد الممحّصة في بيان كي الحمصة»، و«الأبحاث المخلَّصة في حكم كي الحِمِّصَة»، و«إسباغ المنة في أنهار الجنة»، إلى غير ذلك.

ومنها ما يتعلق بفن الأدب وغيره: كتاب «سلوى النديم وتذكرة العديم»، و«النسيم الربيعي في التجاذب البديعي»، و«مليح البديع في مديح الشفيع»، وهي بديعيةٌ في مدح النبي ﷺ، و«نسمات الأسحار في مدح النبي المختار»، وهي بديعيةٌ أخرى، وشرحها المسمى بـ: «نفحات الأزهار على نسمات

الأسحـار»، و«الروض المعطار بروائق الأشعار»، و«عيون الأمثال العديمة الأمثال».

و«تعطير الأنام في تعبير المنام»، وكتاب «العبير في التعبير»، و«حلاوة الآلا في التعبير إجمالا»، و«النوافح الفائحة بروائح الرؤيا الصالحة»، و«القول العاصم في رواية حفص عن شيخه عاصم»، وشرحها المسمى بـ: «صرف العنان إلى قراءة حفص بن سليمان»، و«كفاية المستفيد في معرفة التجويد».

و«حلة الذهب الإبريز في رحلـة بعلبك والبقـاع العزيـز»، و«الحضرة الأنسية في الرحلة القدسيـة»، و«الحوض المـورود في زيارة الشيخ يوسف والشيخ محمود»، و«إتحاف الساري في زيارة الشيخ مدرك الفزاري»، و«الأبيات النورانية في ملوك الدولة العثمانية»، وبعض هـذه المصنفـات مقـدار ثلاث مجلداتٍ كبار، وبعضها مقدار مجلدين، وبعضها مجلد واحد، وأدناها كراسة، وما بين ذلك.

وأما طبعه في القريض، فهو الروض الأنيق الأريض، له ديوانٌ سماه: «ديوان الدواوين وريحان الرياحين في تجليات الحق المبين على جميع أنواع الصيغ والتلاوين» جعله أربعة أبواب.

الباب الأول: ديوان الحقائق ومجمـوع الرقائق، في صريح المواجيد الإلهية، والتجليات الربانية، والفتوحات الأقدسية، وهو الأنهار من خمرٍ لذيذٍ للشاربين، وطعمة للسالكين، المجذوبين الجاذبين.

والباب الثاني: نفحة القبول في مدحـة الرسول ﷺ، وشرّف وعظم، وهو المدح المرتب على حروف المعجم، المرفوع القوافي، المرفوع الجاه

والقدر، في العرب والعجم، وهو الأنهار من لبنٍ لم يتغير طعمه للذائقين، وقد عذب شربه للمشتاقين، ورضعته أطفال القدرة من ثدي اليقين، فعظم قسْمه، وشرف اسمه ورسمه.

والباب الثالث: هو الديوان المسمى بـ: رياض المدائح، وحياض المنائح، ونفحات المراسلات، ونسمات المساجلات، وهو الأنهار من الماء غير آسن، الجامع لأنواع اللطائف والمحاسن.

والباب الرابع: وهو ديوان الغزل، المترجم للسان المعاني الأدبية عن حضرة الأزل، المسمى بـ: خمرة بابل، وغناء البلابل، وهو الأنهار من عسلٍ مصفى، وهو الذي يحيل نار الصبابة نوراً من مقام إبراهيم الذي وفى... [١].

[١٣١٧]... [٢] [عبد الغني] بن صلاح الدين الخافي الحلبي الحنفي [٣].

نزيل المدينة المنورة، أحد من اتَّزر بالأدب وارتدى، واكتسب بالفضائل عزاً وسؤددا، وممن نمت فضائله، وعمت فواضله، إلى ما حوى من جميل الشكالة، وجليل الأصالة، ووفور الحرمة، وظهور الحشمة، والجمع بين فضيلتي السيف والقلم، وإظهار العلم عند أهله كالعلم، والمثابرة على الاجتماع بأهل الفضل والأدب، والمثول بين يديهم على الركب، وتبليغ من قصده

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا ربع صفحة بياض».

(٢) جاء في الحاشية: «ترك أول هذا السطر بياضٌ يسع ثلاث كلمات»، وما بين [] من «خلاصة الأثر» للمحبي.

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٣٤).

منهم غاية القصد ونهاية الأرب.

وُلد سنة ثمان وأربعين بعد الألف بحلب، وقرأ القرآن العظيم ببلاده، واشتغل بما يكفيه لمعاشه ومعاده، وأخذ عمن بها من المشايخ، ورحل لكثيرٍ من البلدان للتجارة، ودخل مصر والشام، والروم واليمن والعراق، وتكرر دخوله للحرمين للحج والزيارة.

ثم ترك الأسفار وغبارها، واشتغل بدقائق العلوم وأسرارها، وأخذ عن أخيه، ومربيه العلامة قاسم، وبه تخرج، وقرأ عليه كثيراً من مؤلفاته، واتفق له: أنه أمره أن يطالع بعض رسائله ألف مرةٍ، فامتثل أمره.

ثم جاور بالحرمين مدةً مديدةً، وسنين عديدةً، إلى أن توطن طيبة الطيبة، وأقام فيها، فأكب على تحصيل العلم بناديها، وانهمك على الأخذ عن كل قاصٍ وداني، ولازم بها شيخنا فريدَ عصره إبراهيمَ الكردي الكوراني، وأخذ عنه الطريق السليم، ولحظه بإكسير نظره الفخيم، حتى ألف «الرسالة اللطيفة في الفنون المنيفة».

وتولى بالمدينة المناصب السنية، وصار له بها المنزلة العلية، وبيني وبينه مودةٌ قديمةٌ، وعهودٌ قويمةٌ، وحقوقٌ عظيمةٌ، وصحبةٌ كريمةٌ، ولما جاورت في بعض السنين بالمدينة، كان بها أحد أخداني وأترابي، وأعز خلاني وأصحابي، لا يفارقني ولا أفارقه في غالب الأوقات.

وهو يدير أكؤس الأبحاث الرائقات، ويجلي علي عرائس المحاورات، في أيامٍ لا عيب فيها سوى أنها قصيرة، وأوقاتٍ كلها أصائل وأسحار منيرة، حتى فرق بيننا الزمان، وحال عنه تنائي الدار، وبيني وبينه مكاتباتٌ رائقةٌ،

ومراسلاتٌ فائقـةٌ، أنساهـا بُعـد الديار، وتكرر الأسفار، وأشعاره كثيـرةٌ، ومكاتباته غزيرةٌ.

وكانت وفاته ثاني عشر صفر الخير، سنة خمس وتسعين بعد الألف، بالمدينة المنورة، بعد رجوعه من مصر، وكان أقام بها سنين، وكيلاً عن أهل المدينـة، فيما لهم من المرتبات السلطانيـة العثمانيـة، ودفن بالبقيع الفرقد ـ رحمـه الله رحمـة الأبرار، وجمعنا بـه في دار القرار، مع عباده الصالحين الأخيار ـ.

[١٣١٨] عبد الغني[1] بن محمد العبادي الحنفي.

عالم الحنفية بمصر، توفي خامس شوال، سنة أربع عشرة بعد الألف بمصر.

[١٣١٩] عبد القادر بن المعروف بن عبد القادر بن محمد بن عبد القادر ابن الجنيد بن أحمد بن موسى المشرع بن علي بن أحمد بن علي بن محمد ابن علي بن محمـد أخي سيدي الفقيـه أحمد بن موسى بن عجيل المشرع الصوفي.

أحد الصوفية السالكين طريق أسلافهم الكرام، والمتمكنين في المعرفة، الملازمين للقيام والصيام، وكان ممن كمله الله في خَلقه وخُلقه، وكرم طبائعه، وحسن طرائقه وآدابه، وكانت له مهابةٌ في القلوب، وجلالةٌ في النفوس، وله خلقٌ جميلٌ وأدبٌ، وبراعةٌ وإحسانٌ وفراسةٌ.

---

(١) في الأصل: عبد النبي.

وكان المنكرون عليه، إذا سقطت أعينهم عليه، يفرون منه فرار الوحوش من الأسد، ولا يسلك معهم إذا بلغه ذلك، إلا الفعلَ الأَسَدّ، وله ثباتٌ على ظهور المقربات، ويد طولى عليه في عليّ المقامات، وأُثرت منه الكرامات، التي هي على فضله آيات بينات، وكان متواضعاً، حسن المعاملة للمسلمين كافتهم، ولا ينزل نفسه منزلتها، ولـه عنايةٌ بكتب الصوفية، ومحبـةٌ للعلوم الشرعية.

وكان قائماً بخدمة منصب آبائه، وله في بيت جده الفقيه أحمد بن موسى العجيل ظهورٌ يحسده البدر في سنائه، ومنزلةٌ عليةٌ عند الخاص والعام، ونفوذ كلمةٍ عند الأمراء والحكام، وكان من الكرم في ذروته العالية، ومن المروءة في مكانتها السامية، وتُلتمس بركته من الأقطار النائية.

وكان من الملازمين للصلاة على النبي ﷺ في خلواتـه وجلواته، على طريقة جده؛ فإن له فيها طريقاً راسخةً، وشاهد منه ﷺ أحوالاً مشهورةً باذخةً، وسنده فيها أبوه المعروف، الذي هو بكل فضلٍ موصوف.

وكانـت **وفاتـه** ـ نفع الله بـه ـ في نيف وستين بعـد الألف، ببلده بيت الفقيه ابن عجيل، ودفن بقبـة آبائه، وخلفه في منصبه تلميذُه صاحبنا الشيخ عبدُ الرزاق العجيل، وهو ممن اجتمعتُ به في بيت الفقيه ابن عجيل، وكنت ملازماً لحضرة ذكره، ومجامعه الخيرية، وكان كبير الحال، له صوتٌ حسنٌ يأخذ بمجامع القلوب، وخشوعٌ حالَ ذكر علاّم الغيوب.

وأخبرني: أنه نابه أمرٌ عظيمٌ، حصلت لـه منـه شدةٌ، فذهب إلى قبـر والده، وسأله عن الخلاص من هذا الحال، فأجابه من قبره بلفظه وصوته الذي

يعرفه: المخلّص من هذا الأمر كذا وكذا، فكان كما قال، كذا أخبرني من لفظه، وكان من الصدق والتقوى والدين بمكان مكين ـ رحمه الله، ونفع به ـ.

[١٣٢٠] السيد عبد القادر بن الطاهر بن عبد القادر بن أحمد بن حسن الأهدل.

وبقية نسبه في ترجمة السيد عبد الباري.

كان على قدمٍ كاملٍ من الخير والصلاح، ومجانبة العالم، **توفي** ليلة الاثنين، ثاني عشر ذي الحجة، سنة تسع وثلاثين بعد الألف، وقبره بالمراوعة، عند آبائه.

[١٣٢١] عبد القادر الخيّاط الصنعاني(١).

قال في حقه صاحب «طوق الصادح»: ممن رتق حلل القريض بفكرته، وعرف جمله وتفاصيله بفطنته، التي جبل عليها من فطرته، فكم قصّ على الشعراء من مقاطيعه أحسن القصص، ومدّ ذراع فكرته لإدارة كؤوس نظمه فتجرعت منها حساده أعظم الغُصص، على أنه لم يغذ بلسان العربية، ولم يسرح بصره في رياض العلوم الأدبية، قائلاً في ظل حانوته، ليس له إلى طلب فوائدها نشاط، قائلا للأئمة: ليس بيني وبين العلوم جامع حتى يلج الجمل في سَمِّ الخياط، فقلّما يسلم نظمه المطرب عن اللحن.

فمن شعره: قوله في مليحٍ يسمى النور:

قد سَمَرْنا مع الأحبة حتى ... مزّق الصبحُ حُلَّة الدَّيْجورِ

---

(١) «طيب السمر» للحيمي (١/ ٦٥٠).

ليلــةً قــد أتــت بكــلٍّ عجيــبٍ   وأرتْنــا فــي الليــل يــومَ النــور

وقوله، وقد قدم عليه غلامٌ يلقب بالغيثي، ورحل عنه غلامٌ يلقب بالطل:

يــا أيهــا الإخــوانُ لا تيئــسوا   مــن رحمــةٍ تــأتي علــى رَيْــثِ
إن قــام عنــي الطــلُّ فــي وقتــه   فربُّنــا قــد جــادَ بالغيــثِ

وقعد إلى جنبه غلامٌ، فجاءته ريحٌ، فتنحى عنه حياءً، فقال:

قــد نــأى عنــي حبيــبٌ   فيــه قــد أحــسنتُ ظنــي
قــدُّه كالغــصن لكــن   ميّلَتــه الــريحُ عنــي

توفي بصنعاء، سنة ألف ومئة وخمس ـ رحمه الله ـ.

[١٣٢٢] عبد القادر بن حمزة التهامي اليَبَهي[١].

ـ بياءٍ موحدةٍ تحتيةٍ مثناةٍ، بعدها باءٌ موحدةٌ، ثم هاء ـ نسبةً، إلى «يبه»: قريةٌ من قرى حلى، يمرّ بها الحاج اليماني، قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: كان عالماً زاهداً، محققاً في الفروع، صاحب عدةٍ من الكتب، انقطع في اليمن، وتزوج، ثم انقطع إلى التخلي، وأقام بعاشر، من مخلاف خولان العالية.

وقرأ عليه الناس، وحققوا عنه، وله تلاميذ أجلاء، من جملتهم ـ فيما أحسبه ـ: القاضي عامر، ولا أُثبت ذلك يقيناً، ومنهم يقيناً: والدنا العلامة علي بن أحمد بن أبي الرجال ـ رحمه الله ـ، وخلقٌ كثيرٌ، ومن شيوخه: ابن

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (١/ ٥٧٠) (٣٤٣).

زاوع، وله «حاشيةٌ على الأزهار» مفيدةٌ، و«فتاوى مبوبة على أبواب الفقه»، وكان من عباد الله الصالحين.

ولما دخل سنان باشا إلى بلاد خولان العالية، مرّ بـه وهو متوجه إلى القبلة للعبادة، وقد كان أُلقي إلى سنان: أنه يتناول الزكوات ويصرفها، وأنه يثبط عن الأروام، وكان مثل ذلك موجباً لفرار الفقيه، لكنه لجأ إلى الله سبحانه، فلما مرّ به سنان، أرسل إليه، ثم دعا بالرسل، وقال: اتركوه، فتركوه.

توفي ـ رحمه الله ـ في عاشر شهر ربيع الأول، سنة أربع عشرة وألف، وقبره بالقبة التي فيها القاضي عامر، وأصاب التهامي آخر أيامه طرشٌ قويٌّ، وعُمِّر حتى أدرك دعوة الإمام القاسم بن محمد، وكان يقول: احملوني على قعّادةٍ أو نعشٍ، مع من يجهـز للقتال، حول صنعـاء، من أصحـاب الإمام، وكان من عجائبه: كثرة التسعّط بالسَّمن؛ بحيث إنـه يروى: أنه كان يتسعّط بنحو ربع رطلٍ صنعاني.

[١٣٢٣] عبد القادر بن علي المُحَيْرِسي[١].

نسبة إلى «المُحَيرس»: قريةٌ من جيل تيس بكوكبان، قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: القاضي العلامة الفقيه، أكثر قراءته في الفقه، ولذلك كان يقال له: حنش الفقه، وتمكن منه، و«شرح الأزهار» بشرحٍ مبسوطٍ تكلم فيه على شرحها لابن مفتاح، وأورد فيه مسائل حسنةً.

وكان من المجاهدين، وأهل السبق في نكايـة الأعداء، شجاعاً يقـود عساكر من الخيمة، كما كان والده، فإنـه كان يستقل بحرب الأمراء الكبار،

---

(١) «البدر الطالع» (١/ ٣٧٠)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٤١).

واستشهد في حروبٍ كانت بينه وبين الأمير صاحب كوكبان، وله علمٌ وفضلٌ.

وكان معه هيكلٌ لا يمسه سوءٌ وهو معه، وكان يمارس الحرب، ولا يصيبه شيءٌ، فاحتالوا في أخذه، وأصيب، وأظنه رجع إلى ولده، وسمعته يذكر ذلك، وقد سأله بعض الأعيان عن سلامة مكانه في الحمى عن الحريق، وقد عمَّ، لم يبق إلا مكانه، وقد أطاف به الحريق، وكان مطعاماً منفقاً، صادعاً بالحق. وذكر لي القاضي العلامة الحسن بن أحمد الخيمي: أنه كان له صاحبٌ من مؤمني الجن، يصلي معه جماعةً.

توفي ـ رحمه الله ـ ببلده المُحيرس، في عشري شهر رجب، سنة سبع وسبعين وألف، كذا أخبرني صاحبنا الفقيه صالح محب الدين النزيلي ـ سلمه الله ـ، وكان المترجم قاضياً بالشاحذية، معظماً عند ملوك اليمن، خصوصاً الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وممن أخذ عنه، وبه تخرج: القاضي العلامة زيد بن عبد الوهاب المَسْوَحي.

[١٣٢٤] عبد القادر بن محمد بن الحسين الذماري، ويقال له: الهِرّاني، وكلا النسبتين صحيح؛ لأنه من هِران ذمار[(١)].

قال القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في «تاريخه»: كان عالماً عاملاً، بليغاً متيقظاً، نشأ مع الإمام عز الدين بن الحسن، فكان في سرعة البادرة، وجودة النادرة، يشبه السادة[(٢)]؛ فإن لهم في ذلك ما ليس لغيرهم، وله إلى الإمام أشعارٌ يستنهضه للقيام، ومن ذلك: ما قاله في قصيدةٍ إلى والد

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٥٣٩) (٢٥٧).

(٢) جاء في الحاشية: «إذا أطلق السادة أهل اليمن في كتبهم، فمرادهم: بنو الوزير».

الإمام، وذكر فيها الإمام يستنهضه:

فيــا بحــرَ ديــنِ الله بــادرْ بــدعوةٍ ... فكــلٌّ لهــا مــن نحــوكم متوقِّــعُ

فإنــا لنرجــو أن تجــاب وإنهــا ... يكون لها مـن حـين تظهـرُ موقِـعُ

ولما نهض الإمام، كان كاتبه، ومتولي مهماتٍ كثيرةٍ للإمام، وكان ملياً بذلك.

ومن ملاطفاتـه مع الإمام: أنـه اتفق أحدهما بالآخر في الصعيد، من أعمال صعدة، وهو راكبٌ على حمارٍ، فقال له بديهةً:

أتركـبُ فـي الـصعيدِ علـى حمـارٍ ... وأنــت مــن الجحاجحــةِ الكبــارِ

فأجابه بديهة:

ركبتُ علـى الحمـار ولـيس عـاراً ... فقــد ركــب النبــيُّ علـى الحمـار

وممـا ذكر عنهما: أنهما خرجا من صعدة راكبين على حمارين، فقال الإمام للفقيه: يتأخر عنه؛ لأنه فضلة، فأجابه: إنه عمدة كالفاعل، وإن تأخر لفظـاً، فهـو مقـدَّمٌ رتبـةً، وكان العلماء من السادة ـ رحمهم الله تعالى ـ إذا استنكروا في كتاب غلطاً، قالوا: يكشط بكشطـة عبـد القادر، يلمحون إلى ما كان يقوله، إذا لقي غلطاً عند أحدٍ من الطلبة، فإنه يقول: اكشط هذا الغلط بحافر بغلتي.

وله عجائب حسنة، وكان سريـع الإنشاء للكتابـة والشعر، ومن ملح مكاتباته إلى الإمـام: ما روي: أن الإمـام لما طاف البلاد، كمـا وصفـه في القصيدة الدالية، وصل إلى ألهان، في بلاد آنس، فتلقاه جميع أهلها بالإكرام،

وأمر إليه القضاة الجلة آل عقبة، الساكنون بهجرة الأديم، وسط جهة بني خالد، بضيافاتٍ سنيةٍ هنيةٍ.

واستأذن خواص الإمام لأنفسهم أن يبقوا عند القضاة المذكورين، فأذن لهم، فأقام عندهم صاحب الترجمة، ويحيى بن محمد بن صالح بن حنش، والقاضي الزعيم محمد المنقري، وغيرهم، ثم كتب العلامة عبد القادر إلى الإمام هذا الكتاب:

يا حبذا الليلةُ مرَّت لنا	في هجرة الشُّهم بني عُقْبَهْ
رعيًا لها من بلدةٍ ما مضى	مثلٌ لها في هذه الغُربهْ
وحبذا الأديمُ من بلدةٍ	صحيحة الأهواء والتربهْ
واهًا لها واهًا لها إنها	من جنة الخلد لها نسبهْ
قصورُها حُفَّت بجناتها	تجري بها أنهارُها العذبهْ
وجَوُّها منخرِقٌ واسعٌ	للقلب في السكنى بها رغبهْ
طابتْ بها أنفسنا وانجلت	عنها غمامُ الغمِّ والكربهْ
خيَّم بها عصبةٌ دأبُهم	أن يُكرموا الأضياف في الكربهْ
سقى فروَّى مصلحاً هامعاً	من الحيا أفياءَها الرحبهْ
فيا أميرَ المؤمنين الذي له	سمتْ فوق السُّهى رتبهْ
ائذَنْ لنا باللبثِ يومين في	أوطانِهم أيتها العُصبهْ
وابسطْ لنا العذبَ وإن لم يكنْ	فراقُكم من مقتضى الصحبهْ
لا زالَ ملكُ العصر في نعمةٍ	ولا رأى في دهره نكْبَهْ

سلامٌ ساطعٌ نوره، متضاحكٌ نَوْره، أعذب من بارد سلسبيل أفواه الأنهار، وأطيب من رشاف سلاف أفواه الأبكار، وأعبق من شميم الزهور الندية، وألذّ من تقبيل خدود الخرائد الوردية، ورحمة الله المتفجرة عيونها، المثمرة شؤونها، وبركاته الواسعة الأفياء، الكافلة ببلوغ المُنى على مولانا أمير المؤمنين الهادي إلى الحق المبين، عزّ الدين بن الحسن ابن أمير المؤمنين.

أما بعد: فإنا لما سرنا من المخيم المنصور، والمقام المحجوج المزور، وصلنا إلى هجرة لا يحيط بوصفها المقال، ولا يبلغ إلى كنهها تصور الخيال، جمعت غرائب العجائب، وعجائب الغرائب، وتعرّت عن المساوئ والشوائب، وحُميت عن سطوات المحن والنوائب، رياضها مفترَّة، وغياضها مخضرَّة، وأنهارها متدفقة، وأحوالها منتظمة متسعة، طيبة المثوى والمستقر، أنيقة المرأى والمنظر، فهي تنشد بلسان حالها مطربة، متبجحةً ببديع مقالها معجبة:

أنا خيرُ الأرض ما لي ... شِعْبُ بَوَّانٍ يُداني

لا ولا الغوطةُ مثلي ... أنا من بعضِ الجِنانِ

فعيوني جارياتٌ ... كلَّ حينٍ وأوانِ

وقُطوفي دانياتٌ ... يجتنيها كلُّ جانِ

جانبي أضحى منيعًا ... فحلولي في أمانِ

كلَّ من حلَّ بربعي ... فلقد نالَ الأماني

نعم، وحين كانت هذه لغتها، ألحقت المقام النبوي، الإمامي المولوي، بشرح شيءٍ من تلك الصفات، وذكر طرف من هاتيك السمات، لم تعرفه من تطلعه ـ أبقاه الله إلى مثل ذلك ـ، وإن لم نستطع استقصاء ما هنالك، والمأمول

من طوله ـ أيده الله تعالى ـ: القبول والاحتمال، وشر ما يقف عليه من الاختلال، تفضلاً وتطولاً، والسلام.

وله «منظومةٌ في آداب الأكل» سائرةٌ في الفقهاء، وهو مصنف «السّلوك»، وهو كتابٌ عظيمٌ نافعٌ.

ومن شعره في الإمام عز الدين بن الحسن:

يا أيُّها المولَى الذي شَأْوُه	في المجدِ أسْمَى من مَدارِ الفَلَكْ
أنتَ الذي مَن يمتثِلْ أمرَه	يُهْدَى ومَن لم يمتثلْهُ هَلَكْ
فأغِثْنِي إنِّي مُقِلٌّ فقد	أعْطاك مَن للأمر ذا أهَّلَكْ
وأَوْلِني منك الذي أرْتجِي	فإنّ ما جَمّلنِي جَمَّلَكْ
واقْضِ دُيونِي يا مَلاذِي وقُلْ	أبْشِرْ سنقضِي عنك ما أثْقَلَكْ
ولا تَدَعْنِي مُعْدِماً مُقْتِراً	وقُلْ سنُعْلِي في الورَى مَنْزِلَكْ
وإن يكُنْ ذاك ولي لائقٌ	أولا فإنّ الأمْرَ والرَّأْيَ لَكْ

توفي بمدينة ثُلاَ، في صرح مدرسة الإمام، وعنده ـ أيضاً ـ ولده الخطيب الإمام شرف الدين ـ رحمهم الله ـ.

[١٣٢٥] عبد القادر بن عمر البغدادي[1].

شيخنا الإمام الفاضل، واللوذعي المحصل الكامل، جامع العلوم الأدبية، والبارع في فنون اللغة والعربية، الأديب الأريب، ذو الحذق الغريب، والحفظ

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٨٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٥١)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٤١).

العجيب، والصدر الواسع الرحيب، والضارب في جميع العلوم بسهمٍ مُصيب، كان من عجائب الدنيا في علوم اللغة والأدب، واجتمع عنده من خزائن الكتب النفيسة، في كل فن ما هو مشهور.

وُلد ببغداد مدينة السلام، سنة ثلاثين بعد الألف، ونشأ بها، ورحل إلى دمشق ونواحيها، وجبالها وضواحيها، فقرأ ـ كما أخبرني من لفظه ـ على عالم الشام نجم الدين الفرضي، في العربية، ثم رحل إلى مصر المحروسة، وقدمها سنة خمسين وألف، بعد فتح السلطان مراد بغداد، وأخذ علوم الأدب والعربية عن جمعٍ، من أجلِّهم: شهاب الدين أحمد بن محمد الخفاجي المصري، والمحقق سري الدين الدروري، وإبراهيم المأموني، وياسين بن زين الدين الحمصي، وغيرهم من شيوخ العصر.

وبرع في العلوم العربية، خصوصاً في اللغة، ومعرفة أشعار العرب، وأخبارهم وأمثالهم، وفنون المحاضرة الغريبة، والفصاحة العجيبة، وحفظ من أشعار العرب المتقدمين والمولدين والمتأخرين، والأخبار والنوادر اللطيفة، والحكايات البديعة الظريفة.

مع التثبت في النقل، وزيادة الفضل، والانتقاد الحسن، ومناسبة إيراد كل شيءٍ منها في موضعه، مع اللطافة وقوة المذاكرة، وحسن المنادمة، وطيب المسامرة، وحفظ اللغة التركية والفارسية، والأشعار الحسنة منها، وأخبار الفرس، وبراعته في جميع ذلك، وإنفراده فيه بالديار المصرية، بل في عصره.

وكان العلامة الشهاب أحمد بن محمد الخفاجي ـ مع عظمته وجلالته ـ يراجعه في المسائل الغريبة؛ لمعرفته مظنتها، وسعة اطلاعه، وطول طَوْله

وباعه، ويعتمد عليه في نقل الغريب من اللغـة، ولا يكاد يفارقـه في غالب أوقاته، وكان يقول في شأنه: إنه من زينة الدنيا.

واتفق: أني قلت له؛ لِما رأيته من سعة حفظه واستحضاره: يا سيدي! ما أظن هذا العصر سمح برجل مثلك، فقال لي: جميع ما حفظته قطرةٌ من غدير الشهاب، وما استفدت هذه العلوم الأدبية إلا منه ـ رحمه الله تعالى ـ، ولو رأيت الشهاب، لما عددتني في الناس.

واجتمع عنـده من كتب الأدب وغيره ما لم يجتمع عند غيـره من أهل العصر.

ولما تولى الوزير إبراهيم باشا ملكَ مصر المحروسة، اتخذه بها نديمه وسميره، ووقع منه الموقع التام، في القبول والإكرام، لما تقدم من أوصافه الحسنة، ولمـا عـزل الوزيـر المذكـور عن مصر، طلب منه التوجه معه إلى القسطنطينية العظمى، فتوجه ثمة.

واجتمع بالصدر الأعظم، والوزير المشير الأفخم أحمد باشا، والوزير محمد باشا الكُبُرلي، فقابله بالإجلال والإعظام، والعزة والاحترام، وألف باسمه «شرحاً على بانت سعاد»، أجاد فيـه وأحسن وأفاد، وتعقب فيه على من تقدمه من شراحها الأمجاد؛ كالعلامة ابن هشام.

وألف باسم السلطان الأعظم، ناشرِ أجنحة الأمن على رؤوس الأمم، الملكِ المنصور المعظم، المظفر المعان، السلطان محمد بن إبراهيم خان، شرحَ شواهد شرح الكافيـة لنجم الأئمة الرضي في مجلدين، لم يسبقه أحدٌ من شراح الشواهد إلى مثله، وسماه: «خزانة الأدب».

ثم رجع إلى مصر المحروسة، ورتب له فيها معاليم، ووظائف جسيمة،

واجتمعتُ به بعد ذلك، وقرأت عليه من بعض كل من الشرحين المذكورين، وأجاز لي رواية باقيهما، وقرأت عليه طرفاً من «شرح مقصورة حازم» للشريف الغرناطي، وبعض شيءٍ من الكتب الأديبة، وغير ذلك.

وحصل بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، ومحبةٌ شديدةٌ، وما رأيت فيمن رأيت من شيوخنا أحفظ منه للشعر ونوادر اللغة، ولطائف النكات، وإيراد الحكايات المستحسنات، والشواهد الغريبات.

وكانت **وفاته** في شهر ربيع الأول، سنة ثلاث وتسعين بعد الألف بمصر، وصُلي عليه بالجامع الأزهر ـ رحمه الله، وأسكنه فسيح الجنان ـ.

ومن مصنفاته: «شرح شواهد المغني»، وهو شرحٌ ممتعٌ، في نحو ثمانين كراساً، بالقطع الكامل، و«شرح شواهد شرح الشافية للرضي»، وغير ذلك من المجاميع الأدبية، والرسائل اللطيفة، ومن محفوظاته: «المقامات الحريرية»، وغيرها من دواوين العرب وغيرهم.

وبالجملة: فهو في عصرنا منفرد بعلم الشعر وفنونه، وأخبرت أن له شعراً حسناً، لكني لم أسمع منه شيئاً، ولم أقف على شيءٍ منه، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

وأنشدته يوماً قول بعض العصريين من أهل بغداد، وكانت له زوجةٌ أديبةٌ منادمةٌ:

بُليتُ بها معشوقة العجمِ والعربِ ... تناشدني في الصرف والنحو والأدبْ

تقولُ وهذا مستطيل وساقُها ... على منكبي هذا هو العجبُ العجبْ

لم ارتفعَ الساقان والفعلُ واقعٌ ... بهنَّ وهذا فاعل فيمن انتصبْ

فقلت لها قَرِّي جُعلتُ لك الفدا ألم تعلمي أن الزمانَ قد انقلبْ
يكون يزيدٌ في البلاد خليفةً وسبطُ رسولِ الله يُنفى من العربْ

فقال لي: أصل هذا المعنى: قولُ أمية بن أبي الصلت يهجو ابن جميع اليهودي:

يا بن جُميعٍ أصبحتَ تنتحل النْـ ـنَحوَ ودعواكَ فيه مجهولَهْ
أمك ما بالها فعل واجب مرفوعة الساق وهي مفعولَهْ
فاعلُها الأيرُ وهو منتصبٌ مسائلٌ قد أتتك مجهولَهْ
والعينُ عُطْلٌ وعينُ عصعصِها بنقطة الخصيتين مشكولَهْ

ثم قال: قوله: مسائل أتتك مجهوله، ليس كذلك، فإن نصب الفاعل، ورفع المفعول، يجوز عند ظهور المعنى، قالت العرب: كسر الزجاجُ الحجرَ، وقرأ عبدالله الطّوّال ﴿فَتَلَقَّىٰٓ ءَادَمُ مِن رَّبِّهِۦ كَلِمَٰتٍ﴾[البقرة: ٣٧]. قوله: والعينُ عطلٌ مسلَّم، وأما نقطة عين عصعصها، فعارضٌ يرجع لأصله بزوال العارض. انتهى.

ووفر الله له من المال ما لم يكن لأحدٍ من أقرانه مثلُه، ورُزق من الجاه ما يطول شرحه، ولم يحرم من الانهماك على الإكباب على القراءة والتأليف، في علوم الأدب، وإقبال الطلبة من كل حدب، إلى أن وافاه الحِمام، وانتقل إلى جوار الملك العلام.

[١٣٢٦] عبد القادر بن حمد بن ميمي البصري الحنفي[1].

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٦٩).

كان إماماً عالماً فاضلاً، أخذ عن علماء بلده، وقرأ على شيخنا إبراهيم الكوراني رسالة في المنطق، وأخرى في العروض، وأخرى في الصرف، و«حاشيةً على تلويح السعد»، و«رسالةً في المد والجزر».

توفي سنة خمس وثمانين وألف بالبصرة.

[١٣٢٧] السيد عبد القادر بن الناصر بن عبد الرب بن علي بن شمس الدين ابن الإمام يحيى شرف الدين[١].

الذي تنحفض همم الأقوال عن بلوغ أدنى فضائله ومعاليه، ويقصر جهد الوصف عن أيسر فواضله ومساعيه، المعتلي صهوات سابقات العلا، المالك أزمة الفخار التي هي عاليات النجوم علا، قريع صفات الأدب، وضجيع دفاتر العلم التي التقط من درها نخبة النخب، زعيم أهل الزعامة، ونجل الأفضلين الحائزين منصبي الملك والزعامة، وجيه الإسلام، وبقية الأماجد الكرام.

مولده بكوكبان، وبها نشأ، وقرأ القرآن، وأخذ عمن بها من أكابر العلماء الأعيان، ولم يزل يكتسب الفضائل، ويجد في تحصيل دقائق المسائل، حتى نال ما ناله من العلم الأماثل، ثم تولى بعد والده كوكبانَ، وما والاها من البلدان، وصارت حضرته مطلع الجود، ومقصد الوفود، وقبلة الآمال، ومحط الرحال، ومجمع الأدباء، وحلبة الشعراء، وهمته مقصورة على مجد يشيِّده، وإنعام يجدِّده، وفاضل يصطنعه، وخامل وضعه الدهر فيرفعه.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٦٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٣٠١) (٢٠٢)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٧٤).

وبالجملة: فإنه فاق في عصره باليمن على الأقران، وساد الأعيان، فلا يدانيه مُدان، وليس يجاريه في مضمار الجود جواد، ولا يباريه في ارتياد السيادة مرتاد.

ما كلُّ من طلب المعالي نافذًا فيها ولا كلُّ الرجالِ فحولا

مع ما يضاف إلى ذلك من منظر وسيم ونجر كريم، وخلائق رقت وراقت، وطرائق علت وفاقت، وفضائل صفت مدارعها، وشمائل صفت مشارعها، وسؤدد تثنى به عقود الخناصر، ويثني عليه طيب العناصر.

ولما وردت الركبان إليَّ بأخباره، أحببت أن أطلع على بعض آثاره، فكتبت لسيدنا الفاضل العلامة القاضي أبي الفضل عماد الدين يحيى بن الحسن الحيمي - حفظه الله - من مكة إلى محروس كوكبان، أطلب منه أن يكتب لي نسب المذكور إلى النبي ﷺ، وبعض شيء من أشعاره؛ لأطرز بها حُلل هذا الكتاب، وتبقى له ذكراً باقياً بين أولي الألباب.

فنقل لي في ذلك أرجوزة الفقيه العارف صالح بن الصديق النمازي الخزرجي - رحمه الله - التي سرد فيها نسب جده الإمام المتوكل على الله يحيى شرف الدين بن شمس الدين، وأضاف القاضي يحيى المذكور من نظمه هذه الأبيات، وضمَّنها نسبَ صاحب الترجمة إلى الإمام شرف الدين، وهي:

أقولُ بعد الحمدِ في مقالي والشكرِ للخالقِ ذي الجلالِ

وبعدَ أن أهدي الصلاة سرمدا ثم السلام قاصداً محمدَا

فإنه قد جاءني كتابُ لاح لنا من لفظه الصوابُ

مــن ماجــدٍ بــرّز فــي العلــومِ ... وبــارعٍ فــي النثــرِ والمنظــومِ

ســيدِنا الــشيخ النبيــه اللغــوي ... عينِ الوجـود مـصطفى الحَمَـوي

أيــــده الله تعــــالى وحمــــاه ... ورده إلــــى حِمــــاه وحَمــــاه

مــسائلاً عــن نــسبٍ مسلــسلِ ... إلـى البتـول والوصـيِّ الأفـضلِ

لمــن عــلا فــي العــالمين ذكــرُه ... ومـن سـرى فـي الخـافقينِ سـرُّهُ

ومــــن لــــه اللهُ علــــى البرايــــا ... شَــرَّفَ إذ خُــصِّصَ بالمزايــا

بحــرِ العلــوم ثابــتِ الروايــه ... لــيس لبحــر علمــه مــن غايــهْ

معطي الجزيـل ذي النـوال الغـامر ... مـولاي عبـد القـادر بـنِ الناصـرِ

سـليلِ عبـدِ الـربِّ ذي المكـارم ... نجـل علـيٍّ صـفوةِ الأكـارمِ

سـليلِ شـمس الـدين ذي الكمـال ... رافـعِ بيـتِ المجـد والمعـالي

ابـنِ الإمـام الحبـرِ ذي العلـوم ... كهـفِ اللهيـفِ كافـلِ اليتـيم

يحيى بنِ شمس الدين من ساد الورى ... ومـن حـديثُ مجـدهِ لـن يُفتـرى

هيهـاتَ أن تُحْـصى لـه مكـارُم ... أو أن تكــون مثلَــه الأكــارمُ

دعــا إلــى الله بعــزم صــادق ... وقـام بـالفرضِ وحـقِّ الخـالقِ

ومَهَّــدَ الأقطــارَ والــبلادا ... وأصــلحَ اللهُ بــه العبــادا

أحيا من العلم بدرس مـا انـدرس ... واتبـع النـاسُ هـدى ذاك القـبس

وهــاكَ مــا أوردتُ فــي إيجــازي ... متممــاً مــا نظــم النمــازي

وأرجوزة النمازي المسماة بـ: «سلسلة الإبريز في النسب العزيز»، وهي:

الحمــدُ لله العلــيِّ الأحــدِ ... القــادرِ الفــردِ العزيــزِ الــصمدِ

ذي الطَّـوْل والإجـلال والإكـرام والفـضلِ والإحـسان والإنعـامِ

أحمـــدُه علـــى تـــوالي الـــنعم وأســـتمده صـــنوفَ الحكـــمِ

وبعــــدَه فأفــــضلُ الــــسلامِ علـــى النبـــيِّ ســـيدِ الأنـــام

محمــــــدٍ وآلـــــهِ الكـــــرامِ ســـفنِ النجـــاةِ أنجـــمِ الظـــلامِ

وهــــذه أرجــــوزة شــــريفه نظمـــتُ فيهـــا نـــسبَ الخليفـــهْ

الجـــوهرِ الفـــردِ فـــي الكمـــال لمـــا حـــوى مـــن أكمـــلِ الخـــصالِ

فـــي ذاتِـــه العظمـــى وفـــي الأصـــول وفـــي حواشـــيه وفـــي الفـــصول

فمـــا لـــه فـــي النـــاس مـــن نظيـــرِ شـــهادةً مـــن عـــارفٍ خبيـــرِ

ألبـــسه الله حُلـــى الخلافـــه فـــصانها بالعـــدل والعفافَـــهْ

مـــا أســـقط الفـــرض علـــى البريـــه بمنـــصب الإمامـــة الـــسنيهْ

لـــشرطها المـــأثور فـــي الأخبـــار ســـواه بالنـــصوص والآثـــارِ

فهـــو الإمـــامُ المرتـــضى الهمـــامُ البَـــيْهَسُ الصَّمـــصامَةُ المِقـــدامُ

الحيـــدريُّ النبـــويُّ الفـــاطمي الحَـــسَنيُّ الهَـــدويُّ القاســـمي

ابـــنُ الإمـــامين الإمـــامِ المنتظـــر كـــم فيـــه مـــن علـــم ســـمعْنا وأثـــر

أعظمُهـــا ســـماعه الخطابـــا مـــن قِبَـــلِ الله وقـــد أجابـــا

بـــأنْ رضـــينا عنـــكَ مـــع أمـــورِ تطـــول بـــالمنظومِ والمنثـــورِ

وكـــان هـــذا فـــي منـــامٍ صـــادقِ موافـــقٍ لأمـــرهِ مطـــابقِ

كعبـــةُ أهـــل الفـــضل والعلـــوم وحجـــة الله علـــى العمـــوم

آلــف بــين العلمــاء طــرّا ... وزادهــم منــه يــدًا وبــرا

فكــان تــصديقًا لمــا حكــاه ... فــي قــصة النجــوم فــي رؤيــاه

أحيــا بــه اللهُ أمــورًا جَمَّــهْ ... مــن درجــاتِ الآل والأئِمَّــهْ

وكــم لــه مــن آيــةٍ وحجَّــهْ ... دعــا بهــا النــاسَ إلــى المَحَجَّــهْ

ليهتــدوا فمــنْ أجــابَ الــداعي ... فَهْــوَ علــى الحــقِّ بــلا دفــاعِ

وفَّقــه الــرحمنُ للإجابــه ... ولقبــولِ الحــقِّ والإنابَــهْ

ومــن عــصاه فــي شــقاءٍ ســرمدي ... فــي هــذه الــدنيا وفــي يــومِ غــدِ

مــا بــينَ مقتــولٍ ومــستهانِ ... وبــين مطــرودٍ مــدى الزمــانِ

وهــذه مــن أعظــم الآيــات ... عنــد جميــع العلمــا الأثبــاتِ

فــي كــل حــين منــه يــستفاد ... علــم بــه يتــضحُ الرشــادُ

فــي كــل يــوم رفــدهُ يزيــد ... وجيــشُه يغــزو ويــستفيدُ

بوجهــه يُــستمطر الغمــام ... بنــوره يَنكــشف القَتــامُ

بحلمــه تنفــرجُ الهمــومُ ... بفهمــه تُــستخرج العلــومُ

بكفِّــه يغتــبطُ العــديمُ ... بريقــه ينتــشِطُ الــسليم

راياتُــه محفوفــة بالــسعد ... يحيى بنِ شمس الدين نجلِ المهدي

أحمدَ أعني نجل يحيى الحجَّه ... نجل الإمام المرتضى المحجّه

ابنِ الجوادِ أحمدَ بن المرتضى ... ابنِ مفضل بن منصور الرضا

ابن مفضل بن حجاج العلي ... لله من قومٍ أولي فضل جلي

ابنِ عليٍّ نجلِ يحيى الكامل ... وذاك نجلُ القاسمِ الحُلاحِلِ

نجلِ الإمام يوسفَ الداعي إلى ... هدي الإله نجل يحيى ذو العلا

ابن الإمام الناصر بن الهادي ... يحيى إمام الحق والرشادِ

ابن الحسين بن الإمام القاسم ... سليلِ إبراهيم ذو المكارم

سليل إسماعيلَ ذي الذكر الحسن ... سليل إبراهيم أعني ابنَ الحسنْ

هو المثنى نجلُ سبط المصطفى ... ابن أمير المؤمنين المقتفى

أعني سليلَ الدُّرَّةِ البَتول ... بنتِ النبيِّ المصطفى [الرسول][1]

محمدٍ خيرِ الأنام طُرّا ... أكرمْ به من نسبٍ أَغَرّا

وسمتُه سلسلةَ الإبريز ... والجوهر المرتفع العزيز

ورقية لكل داء معضل ... في الدين والدنيا فخذها تعتلي

وقد سألت الله بالجميع ... وبالنبي المصطفى الشفيع

سؤالَ من يستيقن الإجابه ... ويرتجي في ذلك الإثابَهْ

العفوَ والقبولَ والإنابه ... والفهمَ والتوفيقَ والإصابَهْ

وجملاً مضمرةً في النفس ... مقدورةً قطعاً بغير لَبْسِ

والله ذو الجلال والإكرام ... يعلمها ويعلمُ اعتصامي

بهؤلاء السادة الأعلام ... أولي البها والنيل والأحلام

حاشا جلال الله أن يردا ... يداي[2] صفراً بعد أن يمدّا

---

(١) ما بين [] منقولة من «خلاصة الأثر»، وكتبت في النص: «البتول» تكرارٌ، وسبقُ قلمٍ من الناسخ ـ رحمه الله ـ.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: يَدَيَّ.

وقد تشفعتُ بخير الخلق ... تشفُّعا مؤكَّداً بالصدقِ

وحسنُ ظني فيه أن يُجيبا ... في كل ما أمّلته قريبا

ثم الصلاةُ والسلامُ السرمدي ... على النبيِّ المصطفى محمدِ

وآلهِ الأبرارِ والذريَّهْ ... فكم لهم في الناس من مَزِيَّهْ

وشرحَ هذه الأرجوزة شرحاً لطيفاً وجيزاً، السيدُ العلامة أحمد بن عبدالله بن أحمد بن إبراهيم بن الوزير، جمع فيه سير المذكورين فيها، وبعض فضائلهم ـ رحمهم الله ـ، وقد استوفى أخبار الإمام شرف الدين السيدُ عيسى ابن لطف الله بن المطهر ابن الإمام شرف الدين في تاريخٍ لطيفٍ سماه: «روح الروح»، وذكر وقائعه مع الترك ومجرياته.

قلت: نرجع لما نحن بصدده من ذكر المترجم، **توفي** ـ رحمه الله ـ في شهر محرم، سنة سبع وتسعين بعد الألف بكوكبان، وكان مرضه ثلاثة أيام.

ومن شعره قوله:

قد طار قلبي إلى من لا أسميه ... وإن تناسى الوفا فاللهُ يحميهِ

مهفهفٌ ما دَ من تيهٍ ومن جَذَلٍ ... فكاد قدُّ قضيب البان يحكيهِ

بدرٌ تكاد بدورُ التمِّ تشبهه ... والظبيُ حاكاه لكن ما يساويهِ

ذو مقلة يعرَفُ السحرُ الحلالُ بها ... قلبي بها يتقلّى في تلظّيهِ

كم أكتمُ الحبَّ في قلبي وأضمره ... لكن مدامعُ عيني ليس تُخفيهِ

أبيتُ أرعى نجومَ الليلِ منزعجًا ... ألتاعُ شوقاً وفي قلبي الذي فيه

لي نار وجد وأشواقٌ أكابدها ... لله قلبيَ فيه كم يقاسيهِ

البــرقُ يُذهلُــه والــريحُ تُدهــشه والــشوقُ ينــشرُه حينــاً ويطويــهِ

[١٣٢٨] عبد القادر ابن العلامة الفرضي مصطفى بن يوسف بن سليمان ابن يوسف الصفّوري بلداً، الدمشقي منزلاً ووطناً، الشافعي[1].

شيخ الشافعية في عصره بدمشق، وخاتمة من فيها من العلماء المحققين.

وُلد سنة عشر بعد الألف بدمشق، وقرأ بها على والده، وعلى إبراهيم الحلبي الإمام، وعلى الإمام علي الكردي الحيدري، وعلى كمال الدين العيثاوي، وعلى الشرف الدمشقي، وعلى الشمس الميداني.

وسافر إلى مصر، وجاور بالجامع الأزهر، وأخذ عن الشيخ المعمَّر البركة، أبي عبدالله محمد الميناوي[2]، تلميذِ النجم الغيطي، وعن العلامة المرشد شهاب الدين أحمد بن عبد الرحمن بن محمد بن عبد الوارث الصديقي، وعن الإمام الحافظ إبراهيم اللقاني، وإسماعيل السنجيدي، والمحدِّث محمد البابلي.

وعن شيخنا خاتمة الفقهاء سلطان المزاحي، والشمس محمد بن النقيب البيروتي، والعلامة النور علي بن إبراهيم الحلبي، وعن العلامة أحمد المَقَّري المغربي، وعن الشيخ الوليّ نور الدين علي بن عبد الواحد الأنصاري المغربي، رأيته بدمشق وأنا صغير، وكان ملازماً لمسجد بني أمية، ومجلسه دائماً تجاه الكلاسة ـ رحمه الله ـ.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٦٧).

(٢) كذا في الأصل، ولعلها: النياوي.

[١٣٢٩] عبد القادر بن حسن، الشيخ العلامة أبو عبدالله محيي الدين ابن القاضي بدر الدين البكري الصديقي، المصري الأصل، الدمشقي المنشأ والمولد، الشافعي[١].

قال النجم الغزي في «الذيل»: كان من أهل العلم والديانة، وكان فقيهاً نبيهاً، يحب العزلة عن الناس، وله تحرٍّ في العبادة والطهارة، حضر دروس شيخ الإسلام البدر الغزي، وقرأ على ولده شهاب الدين الغزي «شرح المحلى» مشاركاً لصاحبه تاج الدين القرعوني، مع مطالعة «حاشية الوالد الصغرى» عليه، ومع مراجعة «شرح الوالد الصغير على المنهاج»، ولازمه في غير ذلك، ولازم الشيخ نور الدين السَّنَفِي، ولعله أول من قرأ عليه، وكان من أولياء الله، عليه نورانية الصالحين، وأبهة العلماء العاملين.

مات في أوائل سنة ثلاث بعد الألف، ودفن بمقبرة الشيخ أرسلان، عند والده ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٣٣٠] عبد الكريم مدرس السليمانية بدمشق، والمفتي الحنفي بها[٢].

كان من أهل العلم والدين، مكث في دمشق سنين، وكان كثير الصمت، عليه جلالة العلم، وسكينة الفضل، ووقع بينه وبين الشمس بن المنقار،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٢٨) (٢٠٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٣٩).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٣١) (٢٠٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٣)، «عرف البشام» (٣٩) (١٠).

بسبب مسألةٍ تخالفا فيها، وكان ابن المنقار يتبجح وينشد:

أنا صخرة الوادي إذا هـي زوحمـت

فكتب له المترجم رسالةً لطيفةً قال فيها: بلغني أنك تفتخر، وتنشد: أنا صخرة الوادي، وفي الحديث: «المؤمن هين لين».

وحج من دمشق، ثم عاد إليها، وقد ترك شعر رأسه بعد حلق النسك، فلم يحلقه، ثم صار يضفره، ثم سافر إلى القسطنطينية، وأقام بها سنين، ثم **توفي** بها بُعيد الألف ـ رحمه الله ـ.

[١٣٣١] عبد القادر بن أحمد الغُصين ـ بالتصغير ـ الغزي الشافعي[١].

أحد الفضلاء المذكورين، والأئمة المشهورين، نتج في العلم مرباه، ونشأ في الفضل مثواه، فعلا على أقرانـه ذكراً وسبقاً، ومدّ باعاً له به ترقى، كان إماماً عالماً بالفقـه والأصول، فاضلاً في النحـو، ماهراً في المعقـول، صالحاً مجتهـداً في العبـادة، كثير الاشتغال، ذا رياسةٍ وسيادةٍ، سخياً سليم الباطن، صحيح الفكرة، قليل الخلطة بالناس، مع الشهرة.

وُلد عام عشرة بعد الألف بغزة، وبها نشأ، وحفظ القرآن وجـوده، ورحل إلى مصر، وأخذ عمن بها من أكابر العلماء؛ كالعلامة علي الحلبي، وإبراهيم اللقاني، وشيخنا سلطان، وشيخنا محمد البابلي، وغيرهم.

ثم رجع إلى بلده، وأقام فيها على نشر العلم، وبنى له زاويةً، يجتمع فيها طلبة العلم والفقراء، وينفق عليهم من ماله، ويأكل معهم كواحد منهم،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٣٧).

هذا دأبه إلى أن توفاه الله إلى رحمته ببلده، عام أربعة أو خمسة وثمانين بعد الألف.

وقد اجتمعت به بمكة، وسمعت منه الحديث «المسلسل بالأولية»، وقال: إنه أول حديثٍ سمعه من الشيخ فتح الله البيلوني الحلبي، بسنده المذكور في إجازاته.

[١٣٣٢] عبد القادر بن أحمد بن عبد القادر بن علي بن محمد بن عبدالله بن جمال الدين يوسف بن إدريس بن أبي الغنايم غنيم بن سلامة بن علوي بن عبد الخالق بن خضر بن موسى بن عيسى بن عثمان بن عامر بن سعد بن سعدان بن سعادة بن كثير بن مكنون بن نصر بن منصور بن ناصر بن داود بن سليمان بن سلام بن سلامة بن قيس بن سعد بن عبادة الخزرجي الأنصاري، الشافعي، الشهير بالغنيمي، الشيخ العلامة زين الدين.

صاحب التصانيف العديدة، كان عالماً عظيماً، ذكره الإمام عبد القادر الطبري في «إنباء البرية بالأبناء الطبرية»، وأنه أحد شيوخه الذين أخذ عنهم لما قدم مكة، وجاور بها، سنة تسعين وتسع مئة، وكتب له إجازةً حافلةً، ذكر فيها أسانيده وشيوخه.

[١٣٣٣] عبد القادر بن جلال الدين المحلي البكري، خطيب الجامع الأزهر الشافعي[1].

الشيخ الإمام العلامة، الفقيه المفسر، أخذ عن والده، وهو والد صاحبنا

---

(١) «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٥١٠).

الشيخ العلامة أبي الحسن خطيب الأزهر، بعد والده، كان من المشهورين بالديار المصرية بعلم التفسير، وكان يحيي الليالي الفاضلة بقراءة ما يتعلق بها من الفضائل، ويملي علوم التفسير بالجامع الأزهر في الأشهر الثلاثة: رجب وتالييه، قراءةً حسنةً، جامعةً لأنواع الفوائد، مشتملةً على تقرير فنونٍ من العلم.

وكان خطيب الجامع الأزهر، مجللاً عند عامة الناس وخاصتهم، وله رسائل في التفسير مفيدة.

توفي سنة أربع وسبعين وألف بمصر، ودفن بالقرافة، بتربة السادة البكرية، وله مؤلفاتٌ منها: «شرح منظومة البيقون[1] في مصطلح الحديث».

[١٣٣٤] عبد القادر بن المعروف بن عبد القادر بن محمد بن عبد القادر ابن الجنيد بن أحمد بن موسى المشرع بن علي بن أحمد بن علي بن محمد ابن علي بن محمد أخي سيدي الفقيه أحمد بن موسى بن عجيل المشرّع الصوفي.

أحد الصوفية السالكين طريق أسلافهم الكرام، والمتمكنين في المعرفة، الملازمين للقيام والصيام، وكان ممن كمله الله في خَلقه وخُلقه، وكرم طبائعه، وحسن طرائقه وآدابه، وكانت له مهابةٌ في القلوب، وجلالةٌ في النفوس، وله خلقٌ جميلٌ وأدبٌ، وبراعةٌ وإحسانٌ وفراسةٌ.

وكان المنكرون عليه إذا سقطت أعينهم عليه، يفرون منه فرار الوحوش من الأسد، ولا يسلك معهم إذا بلغه ذلك، إلا الفعل الأسد، وله ثباتٌ على

---

(١) في الأصل: البيقوتن.

ظهور المقربات، ويد طولى عليه في عليّ المقامات، وتواترت منه الكرامات، التي هي على فضله آياتٌ بيناتٌ، وكان متواضعاً، حسن المعاملة للمسلمين كافتهم، ولا ينزل نفسه منزلتها، وله عنايةٌ بكتب الصوفية، ومحبةٌ للعلوم الشرعية.

وكان قائماً بخدمة منصب آبائه، وله في بيت جده الفقيه أحمد بن موسى العجيل ظهورٌ يحسده البدر في سنائه، ومنزلةٌ عليةٌ عند الخاص والعام، ونفوذ كلمةٍ عند الأمراء والحكام، وكان من الكرم في ذروته العالية، ومن المروءة في مكانتها السامية، وتُلتمس بركته من الأقطار النائية.

وكان من الملازمين للصلاة على النبي ﷺ في خلواته وجلواته، على طريقة جده؛ فإن له فيها طريقاً راسخةً، وشاهد منه ﷺ أحوالاً مشهورةً باذخةً، وسنده فيها أبوه المعروف، الذي هو بكل فضلٍ موصوف.

وكانت وفاته ـ نفع الله به ـ في نيف وستين بعد الألف، ببلده بيت الفقيه ابن عجيل، ودفن بقبة آبائه، وخلفه في منصبه تلميذُه صاحبنا الشيخ عبد الرزاق العجيل، وهو ممن اجتمعت به في بيت الفقيه ابن عجيل، وكنت ملازماً لحضرة ذكره، ومجامعه الخيرية، وكان كبير الحال، له صوتٌ حسنٌ يأخذ بمجامع القلوب، وخشوعٌ حالَ ذكر علاّم الغيوب.

وأخبرني: أنه نابه أمرٌ عظيمٌ، حصلت له منه شدةٌ، فذهب إلى قبر والده، وسأله الخلاص من هذا الحال، فأجابه من قبره بلفظه وصوته الذي يعرفه: المخلّص من هذا الأمر كذا وكذا[1]، فكان كما قال، كذا أخبرني من

---

(١) وهل هذا إلا من تلعب الشيطان الرجيم بعقول هؤلاء المنحرفين عن سواء السبيل، =

لفظه، وكان من الصدق والتقوى والدين بمكان مكين ـ رحمه الله، ونفع به آمين ـ.

[١٣٣٥] عبد القادر بن محمد بن سوار العاتكي[١].

شيخ المُحَيَّا النبوي بدمشق، قال النجم الغزي في «الذيل»: كان والده من الصالحين، يأكل من عمل يده في الحياكة، ثم إن المترجم كان يسافر للتجارة إلى مصر، فحضر بها مجلس الصلاة على النبي ﷺ، وشيخه ـ إذ ذاك ـ الشيخ شهاب الدين البلقيني، فوقع عمله في خاطره.

ثم رجع إلى دمشق، فكان يعمل المحيا في ليلة الجمعة، بجامع البزوري، بمحلة قبر عاتكة، ومعه رجلان أو ثلاثة من جيرانه، فحضرهم ذات ليلة الأخ الشيخ شهاب بن البدر الغزي، وكان قد رأى مجلس الصلاة على النبي ﷺ بمصر، لما دخلها حاجاً منها، صحبةَ والده شيخ الإسلام البدر الغزي، في سنة اثنتين وخمسين وتسع مئة، استحسن فعل الشيخ عبد القادر، وكان يعاوده في ليلة المحيا وكان ابتداء عمله المحيا، في جامع البزوري، في رجب سنة سبعين وتسع مئة[٢].

فلما صحبه الشيخ شهاب الدين، وتردد إلى مجلسه، ذكر ذلك لوالده،

= وكيف لأهل القبور بمخاطبة الأحياء، وإنما ذلك تلبيس الشيطان على هذه الطائفة وأمثالهم، نعوذ بالله من الخذلان.

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥١٧) (٢٠٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٥٤).

(٢) وكل هذه الأعمال لا أصل لها في الدين، ومن بدع المتصوفة.

فاستحسنه، وأمره أن يأتي به إليه، فلما جاء إليـه، قال له: اعمل المحيا في الجامع الأموي، بالمشهد المعروف بزين العابدين، فامتثل أمره، وقوي قلبه.

وكان ابتداء عمل المحيا بالجامع الأموي، سنة إحدى وسبعين ـ بتقديم السين ـ وتسع مئة، لمنام رآه الشيخ عبد القادر، ورآه رجلٌ يقال له: بركات العقرباني، موافقين لإشارة شيخ الإسلام الوالد.

قال النجم: وحدثني الشيخ عبد القادر: أنه في أوائل عمل المحيا، دخل عليه الشيخ صالح خير الدين المصري الحنفي، فقال: رأيت رسول الله ﷺ، ومعه الشيخ علي الشوني، وهو أول من عمل مجلس الصلاة على رسول الله ﷺ بمصر، والشيخ شهاب الدين البلقيني، وهو خليفته في المجلس، فقال لي رسول الله ﷺ: تعرف الشيخ عبد القـادر إمامَ الجامع البزوري؟ فقلت لـه: نعم، فقال: اذهب إليه، وقل له يعمل المحيا على طريقة الشيخين، وأشار إلى الشوني والبلقيني.

ثم رأى الشيخ عبد القادر نفسُه رسولَ الله ﷺ في النوم، فقال له: استعن على مجلسي بأصحابك، فالتمس من أصحابه مساعدته، فلم يطعه منهم أحدٌ، وقالوا: لا قدرة لنا على سهر الليل، فرأى رسول الله ﷺ مرةً ثانيةً، فقال له: أما قلت لك استعـن على المجلس بأصحابك؟ قال: فقلت لـه: ما أطاعني أحد، فقال له: أرسل إليك جماعـةً يعاونونك، قال: فبعد أن رأيت ذلك، يسر الله لي جماعة[1].

---

(١) هكذا تنشأ الخرافة وتتطور البدعة، من دون أصل في الدين القويم، ولا أساس من السنة الصحيحة، وإنما تُصنع بدعوى الخير، ثم يزخرفها الشيطان ويزينها في عقول =

قال النجم الغزي: وأخبرني الشيخ عبد القادر، عن الشيخ عبدالله ابن الدَّرَّة، وكان من جماعة شيخ الإسلام البدر الغزي، وكان يلازم المحيا: أنه كان يقول للشيخ عبد القادر: وعزة ربي! ما ولدتك أمك إلا ليلة القدر.

قال: فسألت والدتي عن مولدي، فقالت: ولدتُك ليلة دخل السلطان سليم إلى دمشق، بعد أن أخذ مصر راجعاً منها، قال: فسألت الشيخ يحيى ابن النُعَيْمي عن دخوله، فقال: رأيت في تاريخ أبي: أنه دخل دمشق في الحادي والعشرين من رمضان، سنة اثنتين وعشرين وتسع مئة.

قلت: وكذا في «تاريخ ابن طولون»، وأنه كان يوم الأربعاء.

وكان المترجم من أحسن الناس قراءةً للقرآن، وقال لي مراراً: أنا أفتخر بثلاثة شيوخ: والدِك شيخ الإسلام البدر الغزي، وشيخِ الإسلامِ أبي الحسن البكري، والشيخِ العلامة شهابِ الدين الطيبي الكبير أحمدَ بن بدر، والدِ شيخ الإقراء الشيخ شهاب الدين أحمد بن أحمد بن بدر الدين.

وكان شيخ الإسلام الوالد يساعد الشيخ عبد القادر في عمل المحيا غايةَ المساعدة، وبهمته قام المحيا إلى الآن، ولما عمل الشيخ محمد الحجازي ـ المتقدم في المحمدين ـ معارضاً للشيخ عبد القادر، في المشهد المقابل لمشهد المحيا، غربي الجامع، وكان يعرف بمشهد النائب، وكان يتردد إلى مجلس الحجازي بعض سفهاء العوام، فربما ترددوا بين المشهدين، فيحصل منهم لغطٌ ونحوه، مما ينكر في الجامع.

= أصحابها، حتى تصبح من عادات الناس، التي يصعب التخلص منها، ويظنون أنها من الدين والخير، وإنما هي من البدع المستحدثة.

ووصل خبر ذلك إلى نائب الشام مصطفى باشا، فمنع من عمل المحيا في الجامع، فاستشار الشيخ عبد القادر شيخَ الإسلام الوالد في الترك، فقال: بل احضر وأنا أجلس في المجلس، وأشار الوالد بأن يعمل المجلس تلك الليلة تجاه شباك الكاملية، بمجلسٍ هناك، فجلسوا، ولم يروا بأساً، وترك الحجازي المجلس، فلم يعد إليه أصلاً، وبقي مجلس المترجم مستمراً، وكان يقول لي: والله! لولا بركة والدك، تركت، ولكن كان بقاء المجلس ببركته.

وحدثني الشيخ عبد القادر: أنهم لم يكونوا يقرؤون في التكرار، إلا سورة الكوثر، وسورة الإخلاص، قال: فقال لي شيخ الإسلام الوالد: لو قرأتم سورة الانشراح، وكررتموها، فقال: نمتثل ونقرؤها، ولكن كم نقرؤها مرة؟ قال: فسكت ساعةً، ثم قال لي: كررها إحدى عشرة مرةً، بعدد ضمائر الخطاب فيها، قال الشيخ عبد القادر: فنحن نكررها إحدى عشرة مرةً.

قال النجم: ورأيت في «تاريخ ابن طولون» بخطه هذه الأبيات منسوبةً للشيخ عبد القادر:

لولا ثلاثةٌ لم أرد عيشةً ... أعيشُ فيها مدةَ العمرِ

مُحَيَّا رسولِ الله ذخرِ الورى ... مَنْ نورُه أسنى من البدرِ

وصحبةُ الإخوان لي دائماً ... بالصدقِ والإخلاصِ والذكرِ

وتوبةٌ تمحو الذي قد مضى ... في الزمن الماضي من الوزرِ

فأسأل الرحمنَ تيسيرَها ... فهو إلهي مالكُ الأمرِ

فسألت الشيخ عبد القادر، وقلت له: رأيت بخط ابن طولون هذه الأبيات منسوبةً لك، فقال لي: ليست لي، وإنما هي لأخيك الشيخ شهاب الدين

الغزي، وظن ابن طولون أنها لي، ثم رأيتها كذلك بخط الداودي منسوبةً لأخي، قال: ومن لطائف أخي الشيخ شهاب الدين ـ أيضاً ـ قوله:

إماتَةُ نفسي في مطالعة الإحيا　　وإحياءُ روحي في مشاهدة المحيّا
فيا ربِّ هذا دأبُ عبدِكَ دائمًا　　ودَيْدَنُه ما دامَ في هذه الدنيا

ولا يخفى ما في قوله في مشاهدة المحيا من التورية العظيمة؛ إذ مراده: مشاهدة وجه الله الكريم بقلبه، مورياً بمشاهدة مجلس المحيا.

وكان الشيخ عبد القادر يرى رسول الله ﷺ في المنام كثيراً، ويحدث عن رؤياه، فربما وقع بعض الضعفاء فيه، حتى اتفق أن الشيخ بدر الدين محمد البكري رأى رؤيا ذكرها في ترجمته، دلت على صدق الشيخ عبد القادر فيما يدعيه، من كثرة الرؤيا للنبي ﷺ في المنام.

وحدثني الشيخ عبد القادر: أنه رأى النبي ﷺ في المنام، فقال له: يا شيخ عبد القادر! أخبرْنا بمن تحبه حتى نحبه، قال: فقلت له: الشيخ عبد الباسط، والشيخ أبو الفتح، وهما من رؤساء المؤذنين بدمشق، قال: فلما استيقظت، تعجبت من نفسي، فإني أحب الشيخ بدر الدين الغزي، وولده شهاب الدين أكثر منهما، فما لي أجبت رسول الله ﷺ بما أجبته؟.

قال: فقصصت هذه الرؤيا على الشيخ شهاب الدين، فقال لي: يا شيخ عبد القادر! رؤياك تدل على أن أول مجلسك فتح، وآخره بسط، قال: ثم ذكر ذلك الشيخ شهاب الدين لوالده، فاستحسن التعبير.

توفي سحر ليلة الأحد، ثامن عشر جمادى الأولى، سنة أربع عشرة بعد الألف، عن إحدى وتسعين سنةً، وستة أشهرٍ، وعشرين يوماً، وصلى عليه

شيخُنا أحمد العيثاوي بالتوريزية إماماً بالناس، ودفن بمقبرة الدقاقين، شرقيها من جهة القبلة، بمحلة قبر عاتكة ـ رحمه الله ـ.

ومما اتفق للشيخ الفاضل حسن بن عبد القادر البكري: أنه كان ينكر على الشيخ عبد القادر المترجم، إخبارَه بكثرة رؤيا النبي ﷺ، قال: فبينا أنا نائم في بعض الليالي، رأيت في المنام: أن الجامع الأموي ملآن من الناس، وهم ينتظرون، فقلت ما تنتظرون؟ قالوا: ننتظر رسول الله ﷺ.

فبعد ذلك دخل عليهم النبي ﷺ، فأقبلوا عليه يقبلون يديه، وكنت فيمن قبّل يديه، وقلت له: من أنت يا سيدي؟ قال أنا رسول الله ﷺ، الذي يقول الشيخ عبد القادر بن سوار كثيراً: إنه يراني في منامه، وقد جئت لحضور مجلسه، قال: فلما استيقظت، تبت عن الإنكار، ولازمت مجلسه.

ثم مات حسن المذكور قبل المترجم، في أوائل جمادى الأولى، سنة اثنتي عشرة بعد الألف، ودفن بجانب أبيه، بمقبرة الشيخ رسلان، عن بضعٍ وثلاثين سنةً، وهو مكبٌّ على الاشتغال بالعلم ـ رحمه الله ـ.

وذكر النجم في «الكواكب السائرة»، في ترجمة السيد محمد بن عبد الرحيم ابن خليل الدمشقي الشافعي: أن الشيخ عبد القادر لما أراد عمل المحيا بالجامع الأموي، قال له السيد محمد: أنت مجنون، تريد أن تتصدر بالجامع الأموي، والله! تقتلك رجال الشام.

قال: فذكرت ذلك لشيخ الإسلام ـ يعني: الوالد ـ فقال: افعل، ما عليك منه، قال: فلما كان أول ليلةٍ عملنا فيها المحيا بالجامع، قلت: هاتوا لي السيد محمد، قال: فبعث إليه الشيخ شهاب الدين ـ يعني: أخي ـ، فحضر

تلك الليلة، وحصل له أنسٌ، وكان ذلك ببركة شيخ الإسلام.

قال: وكان عندنا بمجلس المحيا ذات ليلة، وكنا نعمل المحيا تلك الليلة بالرواق، قال: فسمعنا وجبةً في الصحن، قال: فالتفتَ إلي السيد محمد، وقال لي: ما بقيت أخاف عليك بعد هذه الليلة، هذا رجلٌ جاء يريدك، فدفعه الله عنك، فسقط، وكان السيد محمد من أكابر الأولياء ـ رحمهم الله تعالى ـ.

[١٣٣٦] عبد القادر بن عبد الهادي العمري الشافعي الدمشقي(١).

أحد أفراد الدهر في الفنون العملية، اشتغل بالعلم، وجدّ فيه حتى صار منقطع القرين، في تدقيق الكلام وتزويقه، وتصفيقه وتنميقه، إلى ما حواه من فصاحة العبارة، ودقة الإشارة، وحلاوة الإيراد، وعلو الهمة في كل واد، ورأى من قبول الناس ما لم يره أحد من أمثاله.

وُلد بدمشق، وبها نشأ، وقرأ القرآن، وحفظه وجوده، وأخذ العلم عن شيوخٍ كثيرينٍ، منهم: ابن عمه الشيخ العارف بالله محمد بن عبد الهادي، والعلامة علي القبرزي الصالحي، ومحمد بن بلبان الحنبلي، ومحمد بن محمد العيني، ومحمد الخباز، وعبد الباقي الحنبلي، والسيد محمد النقيب، وإبراهيم الفتال، وأخذ عن شيخنا يحيى الشاوي، قدم دمشق، وصحبه، واختص به.

ولازم العلامة محمد بن سليمان المغربي لما قدم دمشق، وتوجه معه إلى الديار الرومية، وأخذ عن العلامة الملا محمد أمين اللاري نزيل دمشق، وعن شيخنا محقق عصره إبراهيم بن حسن الكوراني، وعن شيخنا السيد

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٣٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٥٨٦) (٥٩).

العلامة محمد البرزنجي، وأجازه عامة شيوخه، وشهد له بالفضل أكابرُ العلماء، واشتهر ذكره، وبرع في سائر العلوم، خصوصاً الفنون العقلية، وكتب بخطه كتباً كثيرةً، وسرعته في الخط غريبة.

وألف مؤلفاتٍ كثيرةً مفيدةً، تلقاها بالقبول أكابر المحققين، منها: «شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي»، و«ألفيةٌ في علم الكلام»، و«نظم رسالة الوضع للعضد».

وبالجملة: فهو عزيز المثل في هذه الأعصار، عظيم العلم والوقار، وله تعلقٌ بطريق القوم، واشتغالٌ بعلوم الحقائق، واعتقادٌ للصوفية ـ نفع الله بهم ـ، وشعره كثيرٌ حسنٌ، وبيننا وبينه صداقةٌ قديمةٌ، وصحبةٌ قويمةٌ.

[١٣٣٧] عبد القادر بن مصطفى الصفّوري الشافعي الدمشقي[1].

أحد أكابر علماء دمشق، كان جملةً من جُمل الكمال، رحلة الوقت بعلوم السنة والقرآن، ذكي الفهم، فصيح اللسان، أخذ بدمشق عن الشمس الميداني، والنجم الغزي، وغيرهما، وبمصر عن علي الحلبي، ومحمد البابلي، وسلطان المزاحي[2].

[١٣٣٨] عبد القادر الجعدي اليمني.

أصله من العجم، ونزل بقرية الجعد، تجاه «تعز» باليمن، وسلك عند الشيخ محمد فُقَيَّه، ولازمه مدةً كبيرةً، فبرع في الطريقة اللامتية، وصار مرشداً

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٦٧).

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا أربعة أسطرٍ بياض».

كاملاً، عارفاً بالله تعالى، وصاحب تصرفاتٍ عظيمةٍ، ومكاشفاتٍ ظاهرة، وكراماتٍ باهرة.

روي: أن حسن باشا نائب السلطنة باليمن، كان يحبه، ويدعوه إليه، فلا يجيبه، فوقع قتيل في قريته، وأخذ الوالي أهلها؛ ليحضروا عند الباشا، فلما سمعه الشيخ، خرج من خلوته، وقال للوالي: أنا القاتل، فما لهؤلاء خبر، فخلى الوالي سبيلهم، وأحضر الشيخ بين يدي الباشا، واعترف بالقتل عنده ـ أيضاً ـ.

وقال: إن ترد القصاص أو الدية، فلك، قال الباشا: أما القصاص، فلا، وأما الدية، فعليك بسبعة آلاف دينار، والحبس عندنا إلى أن تدفع الدنانير لنا، وأراد من هذه الحيلة أن يسكن الشيخ عنده مدةً، فقبله الشيخ، وسكن عنده نحو سبع سنين، إلى أن دفع إليه الذهب تماماً، وأستأذن للصلة، فقالوا: بشرط العودة، قال: إن شاء الله، فلما جاء إلى وطنه، مات بعد أيام، وذلك سنة ثلاث بعد الألف تقريباً.

[١٣٣٩] عبد القادر بن علي اليمني.

كان ساكناً ببلدة «حيس»، من أعمال غربيه، وكان شيخاً عالماً عاملاً، فاضلاً كاملاً، صالحاً ورعاً، منجمعاً عن الناس، مشتغلاً بالعبادة وتكميل النفس، مكملاً في العلوم الكلية، خصوصاً في علم الأسماء وسر الحروف، والوفق والجفر، وغير ذلك، وله تصرفاتٌ عظيمةٌ.

[١٣٤٠] عبد القادر بن محمد الطرابلسي الشافعي[1].

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥١٤) (١٩٨).

الشيخ الفقيه، قال النجم الغزي في «الذيل»: كان أحد تلامذة شيخنا أحمد العيثاوي، وكان يحفظ «الإرشاد»، ويستحضر مسائله، وإذا سئل عن مسألةٍ، قرأ عبارة «الإرشاد»، واستخرجها منه منطوقاً ومفهوماً، وكان فقيراً ديناً، وتوفي طاهراً ومطهراً من أدناس الدنيا.

واتفق له: أنه رأى في المنام شيخَ الإسلام البدر الغزي، وكان قد أدركه، وحضر دروسه، قال: فسألته عن مسألةٍ، فقال: اسأل ولدي، فقلت له: شهاب الدين؟ فقال: بل نجم الدين، قال النجم: وكنت ـ إذ ذاك ـ دون العشرين سنةً، وأنا في الطلب، فقصّ رؤياه على شيخنا، فسرّ بها، وجاء به إلي باكياً، فقال لي: جاءنا اليوم الشيخ عبد القادر ببشارةٍ عظيمةٍ من والدك، رآه في النوم، وقصّ القصة، وقال: في هذا إذن من الشيخ لكم بالإفتاء فأفتِ، فقلت له: مع وجودكم لا ينبغي لي ذلك.

توفي سنة إحدى بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٣٤١] عبد القادر أبو السعود بن علي بن الحسن بن يوسف أبي المحاسن بن محمد الفاسي المالكي[١].

العلامة المحدث، المفسر الصوفي، البارع في سائر العلوم، كان عديم المثل والنظير في وقته وأوانه، وأوحد المشايخ والعلماء في زمانه، وشيخ الشيوخ على الإطلاق، وحائز قصبات السبق بالاتفاق، لم يسمح الدهر بمثاله، وأعجز من بعده أن ينسخ على منواله، سلطان علم الزمان، ومالك أزمة هذا الشان، جامعاً بين العلم الظاهر والباطن، وحاوياً لجميع المحامد والمحاسن.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٤٤).

اشتهر ذكره بين مشايخ عصره من حال صغره، وبالغوا في الثناء عليه، وأجمعوا على كمال فضله، وبُعد صيته في مشارق الأرض ومغاربها، وكثر أخذ الناس عنه؛ بحيث إن تلامذته لا يحصون عدداً، بعضهم قاضٍ، وبعضهم مدرسٌ، وبعضهم مفتٍ، وبعضهم مصنفٌ، لم يحرم أحد منهم من العلم؛ لسرٍّ فيه، وفي آبائه، وبركتهُ مشهورةٌ؛ بحيث إن الطلبة تقصده من البلاد النائية لذلك، وقد جرب ذلك، واشتهر عند أهل المغرب.

وكان عظيم الحفظ، عجيب الإقراء، إذا قرأ كتاباً، استوفى ما فيه، فإن وجد فيه مسألةً ناقصةً، تممها، أو شيئاً مستغلقاً، شرحه، أو طويلاً، اختصره، دون أن يخل بشيءٍ من معانيه، أو مسائل مختلطةً، رتبها، أو وجد فيه خطأً، بيّنه بغاية الأدب؛ بحيث لا ينتقص مصنفه.

وكان من الحلم والبذل والصبر بحيث فاق أقرانه في ذلك، خصوصاً مع ندرة ذلك في أهل المغرب، وكان من الهيبة بحيث تخافه الملوك، وتخشى سطوته الأمراء، وكانت العلماء والعامة منقادين لأمره فيما يرومه، مع وقوفه عند حده في سائر شؤونه، وأدب نفسه ولسانه، إلى ما هو عليه من حسن اللقاء، وجميل المعاملة، والإكرام لجليسه، وكان لجماله، وبداعة وجهه، وحسن صورته، لا يملأ الناس منه نظرهم.

أفرد لترجمته ولده عبد الرحمن مجلداً حافلاً سماه: «تحفة الأكابر بمناقب الشيخ عبد القادر»، ذكر فيه أخلاقه، وعلومه اللدنية والمكتسبة، ومنازلاته وكراماته، وأسراره ومعاملاته مع ربه سبحانه وإشاراته؛ مما ذكره بلسانه، أو كتبه، أو قرره في آيةٍ من كتاب الله ﷻ من عند نفسه، أو من حاصل ما حفظ ونقل، وما تكلم به في بعض الأحاديث النبوية، أو في بعض الحقائق

المنقولة عن أحدٍ من الصوفية، وبعض كلامه في الحكم والحقائق، وما قاله من الشعر، أو قيل فيـه؛ مما يتضمن ذكر الطريق وأهلها، إلى غير ذلك مما يتعرف منه مبنى طريقه، وتبريزه في المعرفة والعلم وتحقيقه.

فقال: **وُلد** ﷺ بالقصر الكبير، عند زوال يوم الاثنين، ثاني رمضان، سنة سبع وألف، وتسمى هذه السنة بالمغرب: سنة الفيل، وسبب ذلك: أن في هذه السنة، في رمضان منها، بعث السلطان أبـو العباس المنصور لولده المأمون هديةً من مراكش إلى فاس، اشتملت على تحف، وبعث معها فيلة، خرج أهل فاس كلهم للقائهـا، بمئـة ألـفٍ أو يزيدون، فعظم وقعها، وكثر التعجب منها.

ونشأ في حجر والده، مصوناً عن عبث الصبيان، ولهو الأقران، ملازماً لدار جده، وبها ولد ورُبي، محفوفاً بالتدريج الرحماني، والتوفيق الرباني، فقرأ على والـده، وتعلم القرآن، وحفظـه على معلمـه الرجل الصالح غانم السفياني، ثم لازم القـراءة على أخيـه الإمـام أبي العباس أحمـد مدةً، وقرأ ـ أيضاً ـ على الفقيه محمد الزيات، ومحمد الرفاس، وعبد القوي، كلهم من فقهاء القصر.

قال: ثم رحل إلى فاس بقصد القراءة، في أوائل رجـب، سنة خمس وعشرين وألف، فنزل بالمدرسة المصباحية، وأكب على التعلم والاجتهاد، وتحصيل الفوائد التي يهجر في طلبها النوم والرقاد، فكان كثيراً ما يجد نفسه في الطريق سائراً، لتعلق قلبه بمجالس العلم، وحنينـه إلى أماكن القراءة في وقتها، وفي غير وقتها، فانتفع في أقرب مدةٍ، وحصَّل في الزمن اليسير من

العلم ما لم يحصله غيره في الزمن الكثير.

وقرأ على جماعةٍ من الأشياخ، منهم: عم أبيه الشيخ العارف أبو محمد عبد الرحمن بن محمد، ثم قرأ على غيره من علماء فاس؛ كالشيخ أبي القاسم ابن أبي النعيم الغساني، والإمام الحافظ أبي العباس أحمد بن محمد المقري التلمساني، وأبي عبدالله محمد بن أحمد الجنان الغرناطي، وأبي محمد عبد الواحد بن أحمد بن عاشر، وأبي الحسن بن الزبير السجلماسي.

وقرأ ـ في خلال ذلك وبعده ـ على عمه العلامة أبي حامد محمد العربي، ولازم في أول أمره بفاس أبا الحسن علي بن أبي القاسم ابن القاضي، في كثيرٍ من الأمهات النحوية، والرسمية والعروضية والحسابية، وقرأ ـ أيضاً ـ في المنطق وغيره على القاضي أبي الحسن علي بن محمد المربي الشريف التلمساني.

وجوَّد بفاس القرآنَ على الأستاذ المقرئ أبي عبدالله محمد الخروبي، وأخذ العشر لنافع عن الفقيه أبي مهدي عيسى الشرفي، وعن الأستاذ أبي عبدالله محمد بن أحمد السوسي، وعن الفقيه الأستاذ أبي زيد عبد الرحمن بن أبي القاسم القاضي، وأخذ «الشاطبية» بمضمنها سماعاً على ابن عاشر المذكور.

ونشأ منذ صباه مستقيم النفس على التزكية بالطاعات، والطهارة من ظلمة الطبائع وكدر العادات، فيسر الله له القراءة والتعلم، حتى كان يحفظ دون كثير قراءةٍ، فحدثنا من كان يقرأ معه في الصغر: أنه كان ينظر في اللوح، ويحرك شفتيه، من غير أن يُسمع له صوت، ثم يعرض لوحه كما ينبغي.

ودخل في طريق القوم، والحنين إلى الفقراء وأذكارهم، وكان يحضر

حزب أخيه أبي عسرية وغيره، ثم دخل فاس، فلازم عم أبيه قراءة[1]، وطلب منه الدخول في حزب أصحابه، مع جماعةٍ ممن يقرأ معه، فأشار بالقبول، ولكن شرطَ عليهم حلقَ الشعر، وكان للشيخ شنتوف إذ ذاك، فبادر إلى حلقه، وغفل غيره احتقاراً للشرط.

فلما أكمل القراءة، طولب بالرجوع إلى وطنه، بعد كتبه الإجازة عن شيخه أبي النعيم، وأستاذه عم أبيه، وذلك في جمادى الأولى، سنة اثنتين وثلاثين وألف، فقال له الشيخ: لو كنت وحدك، ما أطلقتك، ولكن سِر، فلما وصل، بعث إليه بالفور؛ ليأتيه وحده، فاختص به، وكان يطالعه سائر يومه، وربما خرج ليلاً بحسب ما يحدث له من حال يبثه، أو علم ينشره، ولم يزل يلازمه إلى وفاته، مع ما كان ينوه به، ويثني عليه، ويشير إليه بالخصوصية.

ثم ظهر بعده الشيخ العارف الشهير محمد بن محمد بن عبدالله معان الأندلسي، بإخراج الجماعة له، بعد افتراقهم، والتماسهم المشيخة عند من لم تكمل له، حتى سقطوا عليه، فاستخرجوه؛ جمعاً لأمرهم، وضبطاً لحالهم، فصادفوا الإذن له في ذلك، فأظهر ما كان خفي، ولاحت أنواره، وتوفرت آياته وأسراره.

ونزل له صاحب الترجمة، فخدمه إلى وفاته؛ جمعاً للآراء، ودفعاً للمراء، ولم يزل الشيخ محمد يتيمن بعلم المترجم، ويشير إلى توفيقه، واختصاصه من بين أهله، ما هو أقوى من التصريح بتقديمه بعده، فهمه وعرفه من سلم من شين الحسد، واكتفى به من لا حقد له على أحد.

---

(١) في الأصل: فزاة.

وأخذ غيره بعموقاتٍ لا تفيد شيئاً؛ كقوله: الوقت غالب، وليس هذا وقت فقر، إنما نطلب أن نموت مسلمين، وما علم أن هذا قاله الشيخ المجذوب قبله، وقاله من المتقـدمين كثير، بل والشيخ وأشياخنا كانوا ينفون المشيخة عنهم، وعن أهل وقتهم.

ثم قال: كان ﷺ أعلم أهل زمانه، وأثبتهم وأضبطهم، وأكثرهم تحريراً للمسائل، في كل فنٍّ من غير تكلف لما تقتضيه طهارة النفس، وصقاله مرآتها، فكان العجب العجاب في التحصيل، وحفظ ما يسمع، لا يعتريه نسيان منذ زمن قراءته، وكان لا يدع مشكلاً في علمٍ يسأل عنه، ولا يُتكلم معه في نازلةٍ إلا ويفكها، ويخرج من ظلام إشكالها بيسير إلى نور العلم بها.

ولا تتكلم معه في علمٍ إلا ويفيدك ثمرته عن رويةٍ، لا يتكلف مطالعة، ولا تردد، بعبـارةٍ سهلةٍ لا يتكلف لها تأنقاً، ولا يلتزم لها خروجاً عن لسان الوقت، بل كان تدريسه على ذلك تارةً بعبارة الوقت، وتارةً بالعربية المحضة، فإذا كتب، ظهرت الفصاحـة والبلاغـة على الوجه الذي يبلغ من استحسانه كل مبلغ.

وما رأينا تحصيلاً أتمَّ من تحصيله، ولا أشدَّ استحضاراً منه لما سمع، فكانت مقروءاته ومسموعاته ومحفوظاتـه نصب عينيه إلى آخر عمره، حتى كنا نسمع منه المسائل مراراً متعددةً، فلا تبقى على بالنا، وهو لم ينسها منذ سمعها، مع التبحر في العلوم، والجمع لأدوات الاجتهاد، وكان يميل إليه، إلا أنه يوفق بين آرائه وآراء أهل المذاهب، حتى يصيره قولاً جارياً على مشهور المذاهب، ولا يقنع في أجوبته بما يراه بنظره، بل يستخرجه من النصوص، ويرده إلى مفهومها.

قال: وكان له ﷺ التمكين العظيم، مع قوة التضلع بالعلمين، سابحاً في بحر القرآن، مستخرجاً منه اللؤلؤ والمرجان، وفي بحار السنة، مستخرجاً منها الجوهر والعقيان، متلقياً من القرآن أنوار التحقيق، وحقائق المعارف، وأنوار التجليات بالحقيقة التي أبرزها الله في القرآن، وله في حفظ الحديث، ومعاني الكتاب والسنة، اليدُ الطولى، فلا يُجارى في شيءٍ من ذلك، وله في التصوف المؤيد بذلك اليدُ البيضاء.

أما العربية، فهو أبو عذرها، حتى كان يقول تلميذه الإمامُ العلامة أبو العباس أحمد بن جلال: كل من يحسن النحو بفاس، ويزعم أنه أخذه عن غير سيدي عبد القادر، فهو كذاب.

وأما الأصول والمنطق والبيان، فكان أيضاً يقول تلميذه المذكور: مارسنا العلماء، فكان إذا أشكل علينا في «المحلى»، أو «السعد»، أو غيرهما شيءٌ، أتينا شيخنا أبا العباس أحمد بن عمران، وهو المشار إليه معه في ذلك، فسألناه، فيأخذ الكتب من أيدينا، فيتأملها، ثم يجيبنا، وإذا أتينا سيدي عبد القادر، وسألناه، أجابنا على البديهة، دون تأمل كتاب.

وقد نفقت بضاعة سائر العلوم في عصره ببركته، فتضلع بها تلامذته، وتلامذة تلامذته، حتى صاروا يلقون من يأتي بشيءٍ منها مسارعين، وأدرك من ذلك ـ أيضاً ـ الصغار الذين لم يدركوا قراءتها عليه، وانتشر ببركته من العلوم ما لم يكن، وبرع من أصحابه من يرجع إليه؛ لما مارسوه من حسن ملكته؛ فإن تحصيله كان مما لا يُجارى، وعلومه طوع يده من غير منازع.

وكان لما يسمع منه تأثير في القلوب، ورسوخ فيها؛ لطهارة النفس

وتزكيتها، وقد أفلح من زكاها، ولقد قال لـه بعض الفقهاء يوماً: يا سيدي! هذا الذي تقول يدخل في قلوبنا، ونجد له فيها صولةً وأثراً، فقال له: إن الذي تسمعون منا، ليس العلم وحده، وكأنه يعني: العلم المؤيد بالنور.

وكان له ﷺ المثـل السائر في العلوم والعمل ولوعـاً بفصل القضا في الفضا، لا يعلّم من العلم إلا ما يقرب إلى الله، ويدل عليه، ويفيد الخشية في التصوف، ولا يأخذ منه إلا المحض الخالص من الشبه، والصفو الخارج من الآراء، ويستعيذ من علم يصرف عن الله، ويشغل الهمة بما سواه، فإذا احتاج إلى مدافعة الشبه عن الدين، والضرر اللاحق للإسلام، وجده في المذاهب والآراء، كأنه استودع ذلك عند مولاه لوقت الحاجة، فإذا احتاج إليه، فتح الله عليه بما يحتاج إليه.

فكان محفوظَ الأوقات والحركات والسكنات، مؤيداً بالصدق والبرهان، والفراسة والسكينة، والإصابة القاطعة، والزيادة الموهبية، ومتابعة الحكم، وامتثال العمل، والأنوار والأسرار، والعناية الربانية، وانشراح الصدر، والهداية والتخصيص والتوجه، وصفاء الوقت والإخلاص، والعتق عن رق الأكوان، وأنوار التعظيم، وسر الخطاب، وسر الاستماع، وسر الفهم، والهيبة والذوق والفتح، والفهم عن الله تعالى.

وكان يلتمس المخارج لسائر العلماء مطلقاً، فإن عرض عليه إشكالهم غير منسوب، حله بما استودع من علمـه عند ربه لوقت الحاجة، فإذا نسب الإشكال، وكان غير قادحٍ في الدين أو العقيدة، ولا مما تدعو إليه الضرورة، رآه جديراً بالاستشكال؛ تأدبـاً معهم، والتمس وجـه استشكالهم كالمعتـذر عنهم، وفي نحو هـذا قال الملالي ـ رحمـه الله ـ: سمعت الشيخ السنوسي

يقول: ما هو العالم على الحقيقة إلا من يستشكل الواضح، ويوضح المشكل. انتهى.

وكان ﷺ الآية العظمى في اللغة والتاريخ، وأما الشعر، فقد تخلى عنه في أثناء أمره، بعد إجادته وإحكامه، وشهادة أهله بالمسير منهم تحت راياته وأعلامه، ومن جملة أبياتٍ مدحه بها الفقيه الأستاذ أبو عبدالله محمد بن أحمد الجامدي السوسي، أيام القراءة بالمدرسة المصباحية، حيث يقول في شأنه:

تظلُّ منه قوافي الشعر خاضعةً   يقودُها بزمامٍ من بديهاتِ

وكان يحكي عن شيخه سيدي عبد الرحمن: أنه كان يقول: الشعر يشغل عن القراءة، وكان ذلك ـ والله أعلم ـ مما أكد تخليه عنه.

وأما التآليف، فلم يكن يتصدى لوضعها، اكتفاءً بكثرة تآليف من قبله، وما يوجد من المنسوب له، فإنما وضعه بسؤالٍ له من متعلمٍ يتعين له إرشاده أو يندب، ومنه ما هو ملتقَطٌ من كلامه، وأما أجوبته، فكثيرة، في الفنون شهيرة.

وكان ﷺ يقسم أوقاته على ثلاثة: إما صلاة، أو ذكر، أو تعليم علم، هذا دأبه في آخر أمره، ولم يكن يزيد عليها في أول أمره إلا الكتابة، وهي من جنس العبادة، قد اشتملت على العلم والذكر، وزادت على النافلة بنشر العلم والاجتهاد في السبب، فكانت هذه عمارة وقته، قياماً بالحق على أي نوع قامت به الأنفاس، بعد الضروري الذي هو حق الله تعالى، ومن حق الله حقُّ نفسه وعياله، فإنه لله، ومن ذكر الله وما والاه، وظيفة من أحيا الله جسمه بقوةٍ روحانيةٍ، وأسقط عنه نيران الشهوات، وموت الطبع.

وكان عمله ديمةً، ثابت المركز على أساس الجمع على الله، وبذل الوسع في الطاعة بحسب ما يمكن، فعمل الباطن هـو الأصل، ويتفرع عنه في كل وقت ما يقتضيه، كالثمار كل في إبانها، ولكل فاكهةٍ إبان، والشجرة ثابتة على أصل الإيمان والإحسان ﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ﴾[الطلاق: ٧] الآية.

فتارةً ينفق من سعة العلم، بحسب ما يقيمـه الله به، وينفق مما آتاه الله في الباقين، وتارةً لا يكون لأحدهما وقت، فيكون فيه كالمعسر ينتظر الفرج ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا﴾[الطلاق: ٧]، وانتظار الفرج عبادة، وما أقامه الحق فيه هو المطلوب، ومن قام بالثلاثة، قام بالحمد والشكر والذكر، ومن قام بالثلاثة، سخَّر الله له الأكوان، والعالمَ جميعَه.

[قال]: وأما زهده، فمن الواضح البيّن الشهير، الثباتُ في كل موطن؛ استغناءً بربـه الغني، وكان الشيخ الإمام سيدي محمـد أبي[1] بكر المجاطي يقول فيـه: الشاب التائب، العالم الزاهد منذ أول أمره، لا يألو بإقبال الدنيا ولا بإدبارها، كلما أقبلَتْ، أعرض عنها، مستوحشاً من خطور غير الله تعالى بباله، صحيح المعاملة مع ربه، وهو يأتيـه بها راغمـة، ويغنيه به عنها وعن أسبابها فقط، ما تناول منها حظه، ولا بنى ولا غرس مدخلاً فيما لا بد منه، غير داخل، ومقامًا غير قائم إليه، مع رقيب النفوس، والحفظ والحماية.

وأما زهـده في الرياسة، فقـد سارت بـه الركبـان، واشتهر على طول الأزمان، ومن زهده: عدم استطلاع ظاهره وباطنه في الرزق، فكان يشتغل في النساخة، وقط ما جعل لمكتوبه قيمة، إلا أنـه يأخذ ما أُعطي، حتى إني

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أبو.

رأيته كتب «دلائل الخيرات»، فأعطي فيه أوقيتين، وكتب آخر، فأعطي خمس أواق، فقبل ذلك كله، ولما مات، أعطي في نسخة بخطه نحو مئة أوقية، فلم يسمح بها صاحبها، مع افتقاره إلى قيمتها، ووجود أخرى عنده.

وأما حلمه، فكان لا ينتقم لنفسه، ولا ينتصر لها، ولا يعادي لدنيا، ولا يصادق لها، ولا تهزه رياح العداوات من أهلها.

وأما شهادة أشياخه فمَنْ دونهم له بالمزية، وإرثه لمقام شيخه سيدي عبد الرحمن، وما أعطاه ربه من المرتبة العلية، فقد حدثني بعض أهل النسك والديانة، يومَ موت الشيخ محمد بن عبدالله: أنه رأى وادياً عظيماً يمر بالبلاد، من اللبن الحليب، وقائلٌ يقول في المنام: هذا هو الأمن والإيمان، سيدي عبد القادر، وسمعته ﷺ وقد ذكر شيخه سيدي عبد الرحمن يقول: أنا وارث علمه الصحيح، وسمعته يقول ـ أيضاً ـ: كنت معه أحضر إذا غابوا، وأحفظ إذا سمعوا، إشارةً إلى حال أبي هريرة معه ﷺ.

وذكرت له يوماً الشيخ محمد بن عبدالله، فقال: أنا أعرَف الناس به، ولا يعرفه غيري مثلي، وحدثني شيخنا الفقيه الثقة القاضي الخطيب أبو العباس أحمد بن عبد الرحمن بن جلال، عن شيخنا الفقيه الحافظ القاضي أبي العباس أحمد بن محمد الزموري ـ رحمهما الله ـ: أنه سمع سيدي الشيخ عبد الرحمن يقول: ما بين أقصى سوس والإسكندرية لا يوجد مثل عبد القادر هذا في زمانه.

وأما بعد ذلك، فكان السيد الشريف العالم المحدث الأستاذ محمد ابن عبدالله بن علي بن طاهر الحسيني يقول: طفت بالمشرق والمغرب،

فما رأيت مثل سيدي عبد القادر، ولا أبهى من مجلسه.

فسئل عن هذا، بعد هذا، الفقيه الرحلة الراوية أبو سالم عبدالله بن محمد ابن أبي بكر العياشي ـ رحمه الله ـ، فقال: وأنا أقول مثل ذلك، على كثرة ما لقي من المشايخ، واستقصى أفاضلهم وأكابرهم، وكان يقول: ما رأت عيني مثل سيدي الشيخ عبد القادر شرقاً وغرباً، وكان يقول: من أبغض سيدي عبد القادر، فقد أبغض السيرة النبوية، ومن كرهه، يُخشى على إيمانه، فإنما يكرهه لكره في الدين.

وسمعت القاضي الخطيب العلامة محمد بن الحسن المجاصي يقول: أي فقيهٍ وأي طالبٍ في هذا الزمان، ليس لسيدي عبد القادر عليه يد؟.

وكتب بعض المشارقة إلى الشيخ الإمام العلامة الرحلة، المحقق الصوفي، الملا إبراهيم بن حسن الشهرزوري، نزيل المدينة الشريفة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ قائلاً: إني طفت مصر والشام، وبغداد والكوفة والبصرة، فما وجدت مثل الشيخ عبد القادر، فأجابه الملا إبراهيم، بأنه لكذلك.

وقفت عليه في كتابه بخطه، فكان شهادةً من هذا العالم، الذي جال في العراقين، إلى مصر والشام والحجاز، مع كثرة من لقي بالموقف وغيره من المشايخ بالأقطار، وكان يكتب فيه: قطب المغرب عماد الدين الشيخ عبد القادر، على غير ذلك من الأوصاف.

وحدثنا الثقة عن خالنا: أن أباه عبد الرحمن بن محمد مسح رأس والدتنا وهي صبية، وجعل ينظر إليها، فقالت له أمها: مالك تمسح رأسها، وتكثر

النظر إليها؟ فقال: إنها تتزوج عالماً كبيراً، من شأنه كذا وكذا، وتلد أولاداً من شأنهم كذا وكذا، وسمعه[1] منذ نحو أربعين سنةً، بعضُ أصحابه المنتسبين إليه يقول: سأل فلان سيدي الشيخ عبد الرحمن، لا أذكر الآن، هل قال: عند موته أو قبل، فقال: من ينال هذا الشيء يا سيدي؟ قال: ذلك الذي تحبه، يعني: سيدي عبد القادر.

وكان أخوه الشيخ الفاضل، البركة الظاهرة، والحجة الباهرة، محمد أبو عسريه يقول فيه: منذ صباه عبد القادر ولي الله حقاً، وكان يقول: لا يموت عبد القادر حتى يسقى منه الإنس والجن، وظهر مصداق ذلك عياناً، فشوهد من الجن من يحضر مجالسه، ويأتيه للاستفادة منه.

ودق يوماً بابه رجلٌ، فخرج، وصار مَنْ في الدار يسمع كلاماً غريباً، فتعجب من ذلك، ثم سأله مسائل، ورجع الشيخ، فما كان إلا أن أصيبت امرأةٌ بدار بعض قرابته، على بُعدٍ من الحومة، فعولج ما بها، فتكلم، وأخبر بأنها ألقت عليه نجساً، فقيل له: وهل أنت مسلم وأنت تضر المسلمين؟ فقال: أنا مسلمٌ، اسمي فلان، بشهادة سيدي عبد القادر، فإني لما زرته، وسألته عن كذا وكذا، وتبركت به، فلم ينكر ذلك الشيخ، وصحت القضية، وصح انتفاع الجن منه، وبشهادته له.

ووقع من ذلك كثير، وكان يرى أشخاصهم في مجلسه كل حين، تنكر معرفتهم، وربما قعدوا في أثناء المجلس بعد روايتهم، حدثني بذلك من رأى منهم غير مرةٍ، وكان الشيخ مرض مرةً، فكان من يقوم يهيئ له الفطور من

---

(١) في الأصل: وسمعته.

آخر الليل، فيجد على الإناء الذي يأكل فيه الدراهم، وربما يجد الدنانير الصغار من الذهب، فيصرفهم في أموره، فلما كان ذات يومٍ، أخبرته الوالدة بذلك، فانقطع، وعلم أن ذلك من قبل الجان.

وكان يقول: إن الجان تشعر بالولي قبل الإنس، وتشهد الزيادة فيه، والأنوار اللائحة قبل بني آدم، ومع ذلك كان يقول: لا خير في صحبتهم، ويذكر ذلك عن شيخه سيدي عبد الرحمن، وأنه يرد جماعةً أقبلوا عليه.

وكان شيخنا الإمام الخطيب المفتي القاضي محمدُ بنُ سودة يقول فيه: سيدي عبد القادر هو الغزالي ظهر في زماننا، ويترجمه بأزكى أهل فاس.

وكان أخوه الشيخ الفقيه العالم الحافظ أحمد بن علي الفاسي يقول فيه: لا يوجد مثله، وكان يقول: لا عالم إلا هو، لم يبق في زماننا غيره.

وكان عمه الإمام المحقق المتبحر أبو حامد محمد العربي لا يألو في وصفه بالتحقيق والتقدم، والسبق في العلوم، وقال في بعض مكاتباته له: ولو لم تكن ابن أخي، بل أقول: ابني، لسررت غاية السرور بوجود مثلك في علماء المسلمين، فكيف وأنت مني في محل قلبي من جسدي؟ فقرت بك عيني، ووري بك زندي، فلله الحمد على ما منح، خصوصاً وعموماً من ذلك.

ونسأله سبحانه أن يديم لنا ما يقر أعيننا بك، وأن يمنحنا بركة الأب الذي وعد بذلك في ذريته، وأن يجعله مدداً متصلاً، بجاه سيدنا محمد ﷺ، وقد كنت كتبت هذا عن غاية العجل؛ لأني لم أعرف بسفر حامله، حتى كان في شروعه فيه، وإلا، فالمقام يقتضي الإطناب، والحمد لله حمداً يوافي نعمه، ويكافي مزيده، قاله إثر جوابٍ أجابه عن مسألةٍ سأله عنها.

وكان الشيخ محمد بن عبدالله يقول في شأنـه: هـو رجلٌ عاقلٌ، ولم يعط الله العقل إلا لأعز الناس عنده، ورأيت في كتاب بخطه يقول فيه: وسيدي عبد القادر عالمٌ، وعلمه لا يستغني عنه أحدٌ، وكان يقول: إنه كالمشموم من الورد، لا يمل من شمه، ويقول: ما في ذوي فلان غيرُه، إلى غير ذلك من شهاداته فيه، وكان يقول: إن له علماً مصحوباً بالتوفيق، ومن رزق التوفيق، فقد رزق الخير كله.

وكانت تقع له فتاوى أهل الوقت، فلا يأخذ منها بشيءٍ حتى يستشيره في المسألة، ويطلب منه كتب ما عنده في المسألة، فإذا اجتمع الناس، قال: اقرؤوا الحق، واسمعوا العلم الذي لم يُشَب بشيءٍ، إلى غير ذلك مما سمعه منه الجم الغفير.

وكان شيخه سيدي عبد الرحمن يقول فيه: صاحب العلم الموفق، وكان شأنه إذا سأل عنه، يقول: هو عالم ـ بمدّها مَدّاً مشبعاً ـ، وهذا المد لسبب معنويٍّ، وهو التعظيم.

وكان الرجل الصالح الورع الزاهد أبو العباس أحمد بن علي البشتوكي البوسعيدي يأوي إليـه كثيراً، ويحضر قراءتها لـ «الألفية» منذ كان بالمدرسة المصباحية، ولا يزال يستفيد منه دون غيره؛ تيمناً بـه، وتوسماً للخصوصية فيه، وكان يصحبه في المشي إلى شيخه سيدي عبد الرحمن، ويحضر معه، ثم دام في صحبتـه بعد ذلك، فكان يأتي من المدرسة، يصلي وراءه كثيراً، ولا سيما في تراويح رمضان، مع بعد المسافة.

ولما أشرف على الولي الصالح سيدي محمد بن إبراهيم الخلطي، زائراً

ببلده، مع بعض إخوانه، جعل يقول: المصابيح، المصابيح، حتى أقبل عليه، ولقيه سيدي علي المصيمدي، وهو صبي، فناولـه ست حباتٍ من العنب، وقال: خذ ستين حزباً.

وله مع كثيرٍ من أهل الأحوال شؤون وإشارات، فكان يوماً داخلاً في حزب سيدي أبي القاسم بن الزبير، في صغره بالقصر، وما شعر بأصحـاب جده، وهو الحاج الشهير بالأحوال الغريبة، والآثار العجيبة، سيدي علي بن مسعود، حتى خرج من وسط الناس فرحاً به، وهو يقول: ابن الحبيب هذا، وحمله على رأسه، وألقاه حتى جرى دمه وسال.

وكان هذا السيـد آيـةً من آيات الله تعالى، شاهدناه وأدركناه، يتحرك على الدوام، ويلقي نفسه من العلو الكثير، فلا يتأثر منه شيءٌ، وكان مرةً بالباب الحمرا من فاس، على السطح، فقال: ها هو الخمار، ها هو سيدي يوسف، وألقى نفسه من السطح، ونهض وما به قلبة، ولا تأثر جلده وجسمه بشيء، ولـما سقط، تبعه بعض المدَّعين، فألقى نفسه وراءه، فانكسر.

وكان الشيخ أبو المحاسن، لما أكبّ عليه العامة والخاصة، وبلغ مبلغاً لم يعهد مثله؛ من خدمـة أبناء الدنيا والآخرة، وترددهـم إلى بابه، يقول في معرض ذلك: ما نال أحدٌ مثل ما نلنا، وسيناله من ذريتنا من تشد إليه الرحال، سمعنا من بعض كبارنا: أن الإشارة إلى شيخنا بذلك، وأنهم فهموه من قرائن حال في الوقت، وأمارات هي ظاهرة العيان.

وقد سمعنا من بعض خواصه: أنه أسر إليه في أمره أنه الوارث، وقال: عبد القادر عرضت عليه أحوالنا وهو في الأربعين، فلم يقنع حتى ازداد، وذكر

عن بعض أصحابه: أنـه سمعـه يقـول فيـه: لابد أن يرث علم الظاهر وعلم الباطن.

وسمعت من أكبّ على محبته وخدمته، من أهل الدين المتين، قال: أخبرني سيدي علي بن عبدالله، من أصحاب الشيخ أبي المحاسن: أنـه كان مع الشيخ بالقصر زائراً، فأتى شيخنا صغيراً، وقال: هذا ولد ابنك؟ فما زال يضمه، ويفرح به، ويقول: ابني، ابني، وتفل في فيه؛ تنبيهاً على كماله في المعنى.

كما فعل الشيخ عبد الرحمن المجذوب، حيث خص ولديه: محمداً، وعلياً من بين أولاده، وقال: هذان ولداي؛ إشارةً ولمحاً للولادة الروحانية، المحمية من الفنا، الموجودة من شجرة الخلد، وهي شجرة العلم، لا شجرة الحنطة.

وكان الشيخ في آخر أمره يشير إلى اتساع دائرته، وإرثه من غير أشياخه زيادةً، واستمداده ما لم يكن منهم.

وسمع رجلاً يقول: ما كنا نفعل هذا مع سيدي عبد الرحمن، فقال: هذا شغلٌ آخر، وشيءٌ آخر، لا يعرفه سيدي عبد الرحمن، ولا سيدي يوسف، ونحو هـذا ما قالـه القطب الشاذلي: كنت أنتسب إلى الشيخ عبد السلام بن مشيش، واليوم أعوم في عشرة أبحر.

وسمعنا منه ﷺ، عن سيدي أحمـد الصباغ من أصحاب والـده: أنـه حدثـه عنه، فقال: قال سيدي علي: أرأيت هذا الصبي عبد القادر؟ سيقف الناس على بابه للزيارة ثلاثة أيامٍ وأكثر، ولا يجدون نوبةً فيه.

وسمعنا منه ـ أيضاً ـ: أن سيدي الحاج الحزام قال يوماً: رأيت سيدي يوسف، وولداً في النوم بين يديه هو هذا ـ يعني: سيدي عبد القادر ـ، وقائلاً يقول بعد كلام:

سـرُّ الهـوى قـد لاح والفجـرُ بـان إحـسان

يشير إلى ظهوره، وأعلام جذبه وتبشيره، ومن الغريب: أن الشيخ قط ما أخبرنا بمقالته إلى قريب وفاته في مرضه، فكان ظهور ما قاله أبوه في أيام موته، فازدحم الناس على جنازته، ثم صبيحة الأيام بعد، فلم يصلوا إلى قبره، وكانت آيةً عظمى له ولأبيه، الذي أخبر بذلك وهو صبي، وكانت آية أخرى في إخباره بذلك قرب موته، إشارةً إلى إبان ذلك.

ومن أدل الدليل على كمال تهذيبه ـ قدس الله روحه ـ على يد شيخه سيدي عبد الرحمن: أن الشيخ سيدي محمد، ما رد عليه شيئاً من قولٍ ولا فعلٍ، مدةَ صحبته إياه، كما رأيناه من مكاتباته ومراجعاته، وقد قال لي يوماً بعض السادة الأشراف: أبوك ما ربّاه إلا النبي ﷺ، فهو شيخه، وكان الشيخ كثيراً ما يشير إلى هذا، ويشيد به في المجالس، ويذكر ذلك عن الشيخ الجزولي وغيره.

وقد رأى في أول أمره النبيَّ ﷺ، وحوله رجلٌ يقال له: عاصم، وفيه من الإشارة إلى أنه ﷺ هو العاصم له، الحافظ باتباع سنته وشرعه، وكان قصها على الشيخ سيدي محمد بن عبدالله، فقال له: عاصم رجلٌ شرعيٌّ أو حقي، فأشار بإيماء ما ذكر.

وحدثني بعض خواصه: أنه قال: ذلك الاعتصام بالكتاب والسنة ـ إن

شاء الله تعالى ـ.

وذكر شيخنا في الإذن له أولاً: أن شيخه سيدي عبد الرحمن أتاه ـ بعد موت سيدي محمد بن عبدالله ـ بكتابٍ في الطب، فقال لـه: يا عبد القادر! اخرج به فداو الناس، قال: فثقل ذلك عليّ كثيراً، فأخذ طرف الكتاب، وقال: ابدأ لهم بهذا، ثم إن الشيخ سيدي محمد بن عبدالله حضر، فدخل طعامٌ له، فكسر منه خبزاً، وقال: ابـدأ بخبزنـا هـذا، فخرج الشيخ بحضور الحزب، وكان لا يخرج إليـه بعد المطالبة في الخروج إليه على يدي، وامتنع، وقال لي: لا إذن عندي، ثم أنه خرج بالقرب، وذكر الحكاية.

وحدثنا عنه تلميذه الرجل الصالح سيدي محمد بن موسى الزرهوني، من ذرية سيـدي موسى بن علي، صاحب الصخرة: أنـه أخبره: أنـه وجـد النبي ﷺ يقظةً بين الدار والزاويـة، فأوصاه بالخلق، وألزمـه الصبر عليهم، والقيام بحقهم، هذا معنى ما ذكره.

وكان مرةً صدرت منه فتوى في أمرٍ وقع فيه اختلاف أهل الوقت، وطال نزاعهم، فرآه ﷺ يقول له: يا عبد القادر! القلب ليس له إلا جهة واحدة.

وكان يزور ـ مع شيخه وبعده ـ سيدي عبد السلام بن مشيش، وأخبره سيدي محمد بن عبدالله مرةً وهم في زيارته: أنه خرج يتلقاهم، أو يشيعهم نازلاً من الجبل.

وكان يحب طريقة ابن عباد، وقراءة كتبه، وتقرير ما فيها، تطبيقاً على أمور الوقت وأهله، وسمعت بعض من خالطه كثيراً من مشايخنا يقول: ما رأينا أشبه بحاله من الشيخ ابن عباد، وهو المقول فيه:

ومن علمِه أن لـيس يُـدعى بعـالـم ومن فقره أن لا يُرى يشتكي الفقرا
ومن حالـه أن غـاب شـاهدُ حالـه فلا يدعي وصلاً ولا يشتكي هجرا

ومتابعته للسنة في الأقوال والأفعال والأحوال إلى الغاية، وكثرة صلاته على النبي ﷺ، وأمره بها، يحقق أن طريقته محمديـة، إلا أنـه كان لا يتقيد بوردٍ معينٍ، إلا ما عينته آداب السنة، والعمل على المحبة، وكثرة تلاوة القرآن بالحضور مع الحق، والغيبة عما سواه، والفناء فيه، والجمع عليه، واختيار الصحو، والتبري من الدعاوى، والحظوظ واللحوظ، وتعلق الروح بالجلال والجمال، والنظر بالبصيرة، والاتصال القلبي، واستحضار العظمة على بساط العبوديـة المحضة، مع الخروج من رعونـات النفس، والاستتار بالأعمـال الباطنة، والأحوال القلبية، والاحتجاب بستر العوائد، وعدم التميز بشيءٍ زائدٍ على الفرض والسنة المعتادة في العامـة، حال كثيـرٍ من الملامتية الظاهرين بوصف الفقراء.

وكان ﷺ خفي السر كثيـراً، إنما يتميز بالاستقامة لمن ليس له بصيرة كاشفة عن باطنه، فيحسبه الناسك ناسكاً، والفقيه فقيهاً فقط، إلا أن الموفق يشم منه رائحة الزيادة من قريب، والمحب يظن به كل خير وتقريب، وعلى قدر التفاته عن بشريته تجلو عرائس صفات معناه، من قباب الأسرار، على أعين الاعتبار، إما لمجرد الغيبة عن عين الرأس، وقوى الحس، وإما بنفوذ إلى رؤية المعنى من ممارسة أحوالٍ ربانيةٍ، أو فتوحاتٍ عرفانيةٍ.

وكان يقول السلطان مولانا الرشيد، لما دخل فاس، وتأمل حال أهلها: كنت من بعيد ما أفعل فعلاً، إلا مع ملاحظة سيدي عبد القادر، والخوف منه

أن تضربني شوكته من بعيـد، حتى دخلت فاس، رأيـت أهلها لا يعرفونـه، ولا يلقون إليه بالاً، يعني: لاحتجابه باستقامة الظاهر، كحال من في المجاهدة، وإنما يفتق مسك سره في جيب ثياب الأرواح الملكية، ويشاهد ببصائر جُليت عيونها بشيافات نورانية.

وبالجملة: كان كلٌّ فيه على قدر نظره، واعتصامه بالكتاب والسنة، مع ذلك عنوان يظهره، فما يجـد كل ناظر ما ينكر، وإن لـم ينفـذ لغير ما ظهر، ولظهوره كذلك شهـد الخاص والعام، بثبوت موطئه، ورسوخ قدمه، زمان غربة الدين، وعزة من يثبت إلا ذو تمكين.

ومن كلامـه ﷺ: خير ما يطلب العبـد المعرفة بالله، وهي خلق علم ضروري، حتى لو كُشف الغطاء، ما ازداد يقيناً، وغاية أهل العبادات إذا لـم ينتهوا إلى هذا النوع، أنهم يأتون بالطاعات مخلصة من نظر الفقه، في الأجزاء والامتثال.

وكان يقول في حديـث: «الناس معادن كمعادن الذهب والفضة»: إن من النفوس ما هو مستعد، أو قريـب الاستعداد، ومن هو بعيد الاستعداد، يحتاج إلى غسلٍ كثيرٍ، وتنقيةٍ كثيرةٍ؛ كالنحاس والرصاص؛ لكثرة ما بها من الأوساخ.

وكان ﷺ كثيراً ما يدل على الإخلاص، وكان عمله دائراً عليه، ويقول: لا يقبل الله إلا العمل المخلص، الذي لـم يَشُبه شيء، ولا يقصد به غير الله، وكان كثيراً ما يحض على التقوى، وربما لا يزيد على أن يقـول إذا قيل له: أوصني، قـال تـعـالى: ﴿وَلَقَدْ وَصَّيْنَا ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَإِيَّاكُمْ أَنِ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ﴾[النساء: ١٣١]، وإذا قيل له: ادع لأولادي، يقول: ﴿وَلْيَخْشَ ٱلَّذِينَ لَوْ

﴿تَرَكُواْ مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَٰفًا خَافُواْ عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٩] الآية، وإذا ذكر له الأخوة في الله، قال: ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى ٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ ... وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [المائدة: ٢] الآية.

وكان يقول: الفقر العبودية، والإنسان مملوك لله، والمملوك يتدر أمر العبودية، وكان يقول للناس: يظنون أن الولي شريك مع الله، يعطي ويمنع، وإنما هو عبدٌ يختص بالرضا بما يبرز من عند الله.

وسمعته يقول: ليس هذا الجذب الذي تراه في كثيرٍ من فقراء الوقت، الجذب الذي يذكره القوم، وإنما هو في الغالب لشدة محبته في شيخه وتعلقه، أو في ربه، أو في النبي ﷺ، فلذلك يظن به الخير على كل حال.

وقد قال سيدي الشيخ علي الصنهاجي في وصف المشايخ: استوى ظاهرهم وباطنهم سواء، فهم لكل عاشقٍ دواء، ولكل محبوبٍ كيمياء، وسمعت شيخنا ﷺ يقول: كل من لم تربّه الشيوخ، لابد أن يلبس عليه الشيطان ـ يعني: في الأحوال ـ.

وأما في المجاهدة، فلا، والذي كان يراه، ويصرح به: أن صاحب المجاهدة، وتصفية النفس ربما يستغني عن الشيخ، ومن فتح عليه في شيءٍ من الحقائق، لا بد له من شيخٍ على تفصيل في ذلك، محصله ما أفتى به ابن خلدون عن سؤال فقراء الأندلس، من ملخص ما قلناه باختصار، هذا مع الضرورة؛ كالتيمم عند فقد الماء، وإلا، فصحبة الشيوخ هي الكيمياء، ولو لم يكن إلا التأدب بآدابهم، والاستضاءة بأنوارهم، لكان من المغنم الذي لا يعدله شيءٌ.

وكان كثيراً ما يتمثل بقول ابن المبارك: نحن إلى قليل من الأدب أحوجُ

منا إلى كثيرٍ من العمل.

وطريقته رضي الله عنه مبنيةٌ على الأدب، بالإقبال على الله تعالى بكليته، وإعراضه عما سواه جملةً؛ تأسياً بأكمل الخلق ﷺ، إذ أخبر ربه ـ سبحانه وتعالى ـ عن حسن أدبه بقوله: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ﴾[النجم: ١٧]، ما التفت إلى ما أعرض عنه من الدنيا بحظوظها، والآخرة بحظوظها، وتوجه إلى ربه، وخلف ما سواه وراء ظهره.

وكان مفزعاً لمن في طبقتـه، ومن هـو مـع شيوخه، وأكابر أصحاب شيخـه، يستمدون من رسوخـه، ويلجؤون إليه في حل المشكلات، وفتح المقفلات، وإيضاح المبهمات، وفك المعضلات، وفتح النوازل المرتقبات.

وبالجملة: فكلٌّ من عاصره، وأرخى عنان السير إليه من غير مكابرة، فهو مستمدٌّ منه، ومفتقرٌ إليه، ومعوِّلٌ في دينه وعلمـه، وعوارض تصرفاتـه عليه، من ذي تعلم أو تعليم، أو استقامةٍ أو تقويم، إما بالأخذ والمراجعة، أو باللجأ في المهمات المتوقعة أو الواقعة، حتى دخل في طريقـه أكثر ممن كان لشيخه على عظم شأنه، واشتهر به شيخه، وعلمه وتآليفه، أكثر مما كان في زمانه.

وسارع إليه الناس من أقاصي البلاد، وأقبلوا مسرعين إليه من كل وادٍ وناد، حتى انتشرت في الآفاق الأصحاب، وأصحاب الأصحاب، وظهرت علوم الشيخ في كل لسان وكتاب، وزاد بأن أطال الله عمره، فألحق الأحفاد بالأجداد، ولم يبق في آخر أمره بفاس وما يليها إلا تلامذته في البلاد، وصار أوحد زمانه؛ رجاحـةً وجلالةً، وقولاً بالحق، وعملاً به، وكان يستجاز من أدنى البلاد وأقاصيها، شرقاً وغرباً؛ رغبةً في الرواية عنه، واغتناماً لعلو إسناده،

والانخراط في سلك طريقته واستمداده.

ولم يزل كذلك حتى توفي إلى رحمة الله تعالى، بعد أذان العصر، من يوم الأربعاء، ثامن رمضان، سنة إحدى وتسعين وألف، وغسله أهله بإذنه، ودفن ضحى يوم الخميس، بزاويته بموضعه الذي كان يدرس فيه، بوصيةٍ في حياته، وفي مرضه، وعند احتضاره.

وتزاحم الناس على جنازته، حتى إنهم كانوا يكنسون الأزقة، وظهرت الآيات العظيمة، وشاهدنا الثياب التي قبض فيها، فوجدنا بها رائحةً طيبةً لم نعهد مثلها، ولكن علمنا أنه معنى ﴿تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ﴾[النحل: ٣٢]. انتهى كلام ولده العلامة عبد الرحمن. وقد ذكر كثيراً من كلامه، وأحواله وكراماته، وما قيل فيه من الشعر، وغير ذلك، واخترت منه المهم، فنقلته، والله ـ سبحانه وتعالى ـ هو الموفق.

ومن شعر صاحب الترجمة قوله(١):

محاسنُ الشام جلَّتْ ... عن أن تُقاس بحدِّ

لولا حمى الشرع قلنا ... ولم نجاوزْ لحدِّ

كأنها معجزاتٌ ... مقرونةٌ بالتحدِّي

وتتبعه النجم الغزي، فقال:

---

(١) جاء في الحاشية: «وجد بالهامش ما يأتي: (قوله ومن شعر صاحب... إلخ، هكذا وجد في ورقةٍ ملتصقةٍ بالترجمة المذكورة، للشيخ عبد القادر، والله أعلم بحقيقة الحال، وفي النفس شيءٌ من ذلك)».

محاســـــنُ الـــــشام جلَّـــت عــــن أن تُحَـــــدَّ بحـــــدٍّ

عــــن حــــسنِها فحـــــدِّثْ وعـــــن ســـــواها فعـــــدِّ

واللهِ لــــــــولا فناهـــــــا لقلـــــتُ جنــــةُ خلــــدِ

وتبعهما عبد الباقي الحنبلي، فقال:

محاســـــنُ الـــــشام قالـــت كـــــلُّ المـــــدائن جُنـــــدي

فـــــلا تَقِـــــسني بغيــــري واتـــــركِ اليـــــوم التعـــــدِّي

ومثله لصاحبنا علي البجع:

محاســـــنُ الـــــشام نــــادَتْ أنـــــا الفريـــــدةُ وحــــــدي

وكــــــلُّ حــــسن لغيــــري فإنمـــــا هـــــو بعـــــدي

ومن شعر صاحب الترجمة أيضاً قوله[1]:

أمـــــا دمــــــشقُ فحَـــــضرةٌ لعبـــــتْ بألبـــــابِ الخلائـــــقْ

هـــي بهجـــةُ الـــدنيا التـــي منهـــا بـــديعُ الحـــسن رائـــقْ

لله منهـــــــا الـــــــصالحيْـ ـــيَة فــاخرت بــذوي الحقــائقْ

والروضــــــةُ الغنـــــاءُ حَيْـــــ ــــيَتْ بـــالورودِ وبالـــشقائقْ

---

(١) جاء في الحاشية: «وجد بهامش أيضاً ما يأتي: (الظاهر أن هذا لا يتعلق بالشيخ عبد القادر)».

قلت: انظر ترجمة أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر القرشي المقري الفاسي المالكي رقم (٤٥٣) في الجزء الأول من الكتاب.

والنهـــــرُ صـــــافٍ والنــــسيـ	ــمُ اللــدنُ للأشــواقِ شــائقْ
والطيـــــرُ بالعيــــدان أبـــــ	ـــدَتْ فـي الغنـا أحلـى الطرائـقْ
ولآلـــئُ الأغـــصان حلَّـــتْ	جيــــدَ ظبـــيٍ راح فـــائقْ
ومـــــراودُ الأمطـــــارِ قـــد	كحلـت بهـا حـدق الحـدائقْ
لا زال مغناهـــــا مـــصو	نــاً آمنـــاً كـــلَّ البوائِـــقْ

[١٣٤٢] عبد القادر بن الطاهر بن عبد القادر بن أحمد بن حسن الأهدل.

وتقدم بقية النسب في ترجمة السيد عبد الباري.

كان على قدمٍ كاملٍ من الخير والصلاح، ومجانبة العالم.

توفي ليلة الاثنين، ثاني عشر ذي الحجة، سنة تسع وثلاثين بعد الألف، وقبر في المراوعة، عند آبائه.

[١٣٤٣] السيد عبد القدوس بن محمد الوزير.

كان إماماً فاضلاً متوجهاً، وكان فيه توكلٌ، لا يدخر لغده شيئاً، وكان لعامة أهل صنعاء فيه اعتقادٌ عظيمٌ، ويصلونه بالنذور وغيرها، وعُمر نحو ثمانين سنةً، وله من المكاشفات ما يخرق العادات، ومات في أوائل عشر السبعين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[١٣٤٤] عبد القادر بن عبد الرحمن النزيلي.

كان رجلاً ناسكاً، مشاركاً في العلوم، واقفاً على قدم الفقه.

توفي في شهر ذي القعدة، سنة تسع وعشرين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[١٣٤٥] **عبد القيوم بن عبد القديم النزيلي.**

كان من أعيان قومه وفقهائهم، ومن الأولياء المشهورين، سكن الصاية، من قرى محويت كوكبان، سنة. . .[١].

[١٣٤٦] **عبد الكريم بن أحمد بن محمد بن مسعود الحميري الحوالي.**

ذكره ابن أبي الرجال في تاريخه فقال: كان إماماً علامةً، متولياً للقضاء، مَرضِيَّ الفصل، وكان له تثبتٌ في الفتيا وتأنٍّ، أثنى عليه عبدالله بن المهدي، وتوفي في شهر ربيع الأول، سنة خمس وأربعين وألف.

[١٣٤٧] **عبد الكريم بن صلاح الحيمي.**

كان فاضلاً عابداً صالحاً، طلب العلم بصعدة المحروسة، وبها توفي، وقُبر بجوار الكيسع، وهو مَزورٌ مشهورٌ، وما أعرف مقدار ما حصَّله من العلم، غير أني رأيت له قصائد، ورأيت تعلقَ الفضلاء بزيارة قبره.

فمما كتبه إليه القاضي العلامة علي بن محمد بن سلامة: قوله:

أيا عبدَ الكريم حماكَ ربِّي	وسَلَّمَكَ المُهَيمنُ كلَّ حرب
وحقِّكَ إن لي شوقاً عظيماً	أَذابَ جوانحي وأذابَ قلبي
ترجَّيْتُ اللقا والقربَ يومًا	فلم أسعَدْ بإسعادٍ وقربِ
فيا ليتَ الزمانَ يجودُ صدقاً	بقربِ أحبتي ويزولُ كَرْبي
أُعاني ما أُعاني من نَواكُم	وأضنى والنوى يُضني ويَسبي
فرفقًا بي ولا تصلوا التنائي	وحسبي مدةُ الهجرانِ حسبي

---

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر التاريخ».

متى شمسُ الهدى يروي ظماي بإقبالٍ وأبياتٍ وكتبِ
جفا وأطال قطعَ الكتب دهرًا بلا سبب لذلك غير عَتبي
عليكُم ما سرى برقٌ سلامٌ يحاكي الوبلَ في سَكْب وصَبِّ
ولا بَرِحَتْ تحياتٌ عظامٌ تخصُّكُمُ على بعدٍ وقربِ

قلت: وأراد بشمس الهدى: العلامة أحمد بن علي بن أبي الرجال.

فأجابه أحمد المذكور بهذه الأبيات:

أتى المسطورُ من تلقاء نَدْبِ يخبرُ عن براعته ويُنبي
جمالُ الدين دامَ مدَى الليالي معافًى في صَفَا عيشٍ وخِصْبِ

إلى آخر الأبيات، وعلي بن محمد بن سلامة المذكور: من فضلاء الوقت، عارفٌ له «شرح الفصول اللؤلئية»، و«شرح الهداية»، وله سماعاتٌ عدة، وهو الآن في الوجود ـ أطال الله بقاءه ـ.

ولما توفي عبد الكريم المترجم، كتب شيخنا السيد العلامة محمد بن الهادي بن حجاف إلى الوالد شمس الدين أبياتاً، منها:

الموتُ لا والدًا أبقى ولا ولدَا والمرءُ إن لم يمتْ في اليومِ ماتَ غدا
الموتُ حوضٌ وكلُّ الناس وارِدُه فهاتِ شخصًا لحوضِ الموتِ لن يردا

ومنها:

مات النبيُّ أَجَلُّ الناسِ مرتبةً وكان أعظمَهم عندَ الإله يدا
فحينَ ذاق النبيُّ الموتَ كان لنا أقوى دليلٍ على أن لا يدع أَحدا

فعــزِّ نفــسَكَ عــن إلْــفٍ تودِّعــهُ ... وقـم بتحـصيل زادٍ بعـدُ مجتهـدا
فأنــتَ فــي إثــره واللهِ مرتحــلٌ ... فهيئ الزادَ إن حادي الرحيل حَدا

فأجابه شمس الدين بقوله:

أفاضَ دمعي وأوهى مِنِّيَ الجَلَدا ... علـمٌ أتـاني فـصبري عنـدَه نَفِـدا
مــن صــعدةٍ جـاءني رَقٌّ فـأرَّقَني ... ونَـدَّ نـوميَ عـن عينـيَّ وابتعـدا
رفعت يـا كائنـا مـا كنـتُ أحـذرُه ... من فرقة الإلفِ والحوض الذي وردا
وفـاة مـن كـان فـي الأيـام غُرَّتَهـا ... وكوكبًـا لـضياء العـالمين بَـدا
شـامَ الأنـامُ بروقًـا فيـه صـادقةً ... فأقصرَتْه المنايا عـن بلـوغ مَـدَى
ما لي أرى الموتَ لم تظهرْ فتاكَتُـه ... إلا بمن كان نورًا للـورى وهُـدى
يا ليتَ علَمك يا عبدَ الكريم طُوِي ... عني لأسلمَ حزنـاً فَتَّـتَ الكبِــدا
والحمدُ لله قد أمـضى قـضاهُ ومـا ... يلقى العبادُ عن المقدور ملتَحَـدا

[١٣٤٨] الملا عبد الكريم ابن العالم الولي أبي بكر، الشهير بالمصنف، ابن السيد عبدالله الحسيني الكوراني الشاهوني(١).

الشيخ الإمام، أخذ عن والده، ثم رحل إلى الفاضل ملا أحمد الكردي المُجلّي، تلميذِ الملا حبيب الله الشهير بميرزا خان الشيرازي، تلميذِ جمال الدين محمـود الشيرازي، تلميـذِ جلال الـدين محمـد الدواني، فقرأ عليـه «إثبات الواجـب»، و«شرح حكمـة العين»، و«شرح مختصر ابن الحاجب»

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٧٤).

للقاضي عضد الدين.

ثم عاد وأبوه موجود، وأقام على بث العلم ونشره، وطاعة الله وذكره، وله «تفسير القرآن»، وصل فيه إلى سورة النحل، في ثلاث مجلدات، و«كتابٌ في المواعظ»، وعنه: أخذ شيخنا الإمام إبراهيم الكردي، وكانت وفاته ـ نفع الله به ـ عام خمسين بعد الألف.

[١٣٤٩] عبد الكريم الوار داري[1].

قرأ على علماء عصره، وصار ملازماً لشيخ الإسلام حوي زاده، وصار مدرساً ببعض المدارس، ثم صار معلماً لسنان باشا الوزير، فلما ولي الشام، جُعل مفتياً بها، ثم لما بنى دار الحديث [الأشرفية][2]، عند تربته المعروفة بالقسطنطينية، شرط تدريسه عليه، فصار يدرس بها إلى آخر عمره، وكان شيخاً عالماً، صالحاً متديناً، صاحب حال، يقال: إنه سلك طريقة النقشبندية، توفي أوائل سنة ثلاث بعد الألف.

[١٣٥٠] عبد الكريم بن أكمل الدين بن عبد الكريم القطبي[3].

المتقدم ذكر والده[4].

كان من أعيان الفضلاء بمكة، ومن أجلاء الصوفية المجللين.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٤)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٥٧).

(٢) ما بين معقوفين ليس في الأصل.

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٧٤).

(٤) في الأصل: المتقدم ذكره.

ولد بها، وأخذ عن والده وغيره، وأخذ الطريق عن أحمد الشناوي، ولازم بعده تلميذه السيدَ الجليل سالماً بن[1] أحمد شيخان، وفتح الله عليه بفتوحاتٍ غيبيةٍ، وتحقق بمعرفة الوحدة الوجودية، التي عليها أكابر الصوفية.

وله «شرح على نصوص القونوي» وقفتُ عليه بخطه ـ رحمه الله ـ، واعتراه في آخر عمره جذبٌ يغيب فيه أحياناً عن حواسه، مع حفظ المراتب الشرعية.

توفي ليلة الأربعاء، بين العشاءين، عاشر ربيع الأول، سنة خمس وخمسين وألف بمكة، ودفن صبيحة يومه بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

[١٣٥١] عبد الكريم بن حسام الدين الأشتيبي المعروف بواعظ أمير.

كان فاضلاً نحريراً، تولى مشيخة الحرم النبوي سنة عشر بعد الألف، ولم يمكث، ورجع إلى الروم.

[١٣٥٢] عبد الكريم، مدرس السليمانية بدمشق، والمفتي الحنفي بها[2].

كان من أهل العلم والدين، مكث في دمشق سنين، وكان كثير الصمت، حسن السمت، عليه جلالة العلم، وسكينة الفضل، ووقع بينه وبين الشمس ابن المنقار، بسبب مسألةٍ تخالفا فيها، وكان ابن المنقار يتبجح وينشد:

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: سالمَ بن.

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٣١) (٢٠٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٣)، «عرف البشام» (٣٩) (١٠).

أنا صخرةُ الوادي إذا هـي زُوحمَـتْ

فكتب له المترجم رسالةً لطيفةً قال فيها: بلغني أنك تفتخر، وتنشد: أنا صخرة الوادي، وفي الحديث: «المؤمن هين لين»، وحج من دمشق، ثم عاد إليها، وقد ترك شعر رأسه بعد حلق النسك، فلم يحلقه، ثم صار يضفره، ثم سافر إلى القسطنطينية، وأقام بها سنين، ثم توفي بها بُعيد الألف ـ رحمه الله ـ.

[١٣٥٣] عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الفَكُّون(١).

ـ بفتح الفاء، وضم الكاف المشددة ـ أخذ عن والده، وعن أبي زكريا يحيى بن سليمان الأوراسي.

[١٣٥٤] عبد الكريم بن محب الدين بن أبي عيسى علاء الدين أحمد ابن محمد بن قاضي خان ـ وهذا قاضي خان غير صاحب الفتاوى ـ ابن بهاء الدين يعقوب بن إسماعيل بن علي بن القاسم ابن الفقيه محمد بن إبراهيم بن إسماعيل، العَدَني ثم البيجابوري، ثم النهرواني الحنفي، القادري الخرقاني، ثم المكي، الشهير بالقطبي، مفتي مكة، الشيخ العلامة بهاء الدين(٢).

كان إماماً فاضلاً، له اشتغالٌ تامٌّ بالعلم، وخـطٌّ حسنٌ، ونسخ بخطـه كتباً، وله حفظٌ جيدٌ ومذاكرةٌ، وكان عارفاً بالفقه، خبيراً بأحكامه وقواعده، مع طلاقة الوجه، وكثـرة السكون، والإحاطة بجميع الفنون، وأما الأدب،

---

(١) «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٥١١) وذكر وفاته في ١٠٧٣هـ، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٥٦).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٨).

فكان فيه فريداً، يفهم نكته، ويذوق غوامضه، ويستحضر من الأخبار والوقائع، وأخبار العلماء قاطبةً، جملةً كثيرةً، وكان من أذكياء الناس، ذا إنصافٍ في البحث.

وُلد ضحى يوم الاثنين، تاسع عشر شوال، سنة إحدى وستين وتسع مئة، بأحمد أباد، من بلاد الهند، وكُني بأبي الفضائل، وهو تاريخ ولادته، وقدم مكة مع والده، ونشأ بها، وحفظ القرآن، ولازم عمه وأستاذه قطبَ الدين الحنفي مفتيَ مكة، وبه تفقه وتخرج، واستفاد وأفاد، ودرس وأجاد.

وقام بعد عمه في الإفتاء، وآلت إليه جميع مخلفاته من الأموال، والكتب الكثيرة، ونمت معه[1]، حتى بلغت كتبه أربعة عشر ألف كتاباً[2]، ما بين مجلد واثنين وثلاثة فأكثر، وكانت الكتبة ملازمين لبيته، يكتبون له ما يريد من الكتب، مع الاعتناء بتصحيحها وضبطها، وبذلها لمستحقها.

وبالجملة: كان فريداً في عصره ـ رحمه الله ـ.

وأخذ ـ أيضاً ـ عن الشيخ عبدالله السندي، وعن العلامة الشهاب أحمد ابن حجر الهيتمي ـ كما رأيته بخطه، رحمه الله ـ، وألف مؤلفاتٍ لطيفةً، منها: تاريخٌ سماه: «إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام»، وهو مختصر تاريخ عمه المذكور، زاد فيه أشياء حسنةً مهمةً، مما يُحتاج إليه، وما حدث بعد تأليفه، منبهاً عليه.

وكانت **وفاته** قبل غروب شمس يوم الأربعاء، خامس عشر ذي الحجة،

---

(١) في الأصل: وسمعت منه.

(٢) كذا في الأصل، والصواب: كتابٍ.

عام أربعة عشر بعد الألف، ودفن بالمعلاة، بتربة أسلافه.

ومن مؤلفاته: شرحٌ على البخاري، ممزوجٌ لم يكمله، سماه: «النهر الجاري على البخـاري»، وقفت على قطعةٍ منـه بخطه ـ رحمه الله تعالى ـ، ورأيت بخطه ـ رحمه الله تعالى ـ: إني كتبت ما يسَّره الله تعالى، على «صحيح البخاري»، درساً بدرس، مع مذاكـرة جمعٍ من الإخوان الأجلاء، الفضلاء العلماء.

منهم: مولانا الشيخ عبد الرحيم بن أبي بكر الحساني، ومولانا الشيخ أبو البقاء الغمري الأنصاري، ومولانا الشيخ بدر الدين البرميال، ومولانا محمد جمال الدين الأوغاني، والشيخ عبد الملك بن جمال الدين العصامي، وممن أخذ عن المترجم: السيد عمر بن عبد الرحيم البصري.

وتولى إفتاء مكة سنة اثنتين وثمانين وتسع مئة، وتولى ـ أيضاً ـ المدرسة السلطانية المرادية بمكة.

ونقلت من «تاريخ الإمام علي الطبـري»: أن صاحب الترجمـة شارك في حدود التسعين وتسع مئة أئمـةَ المقام الحنفي في إمامتـه، وهم: السادة البخاريون، فإنهم أقدمُهم، ثم من بيت الشيخ أبي سلمة، وكانوا لا يزيدون على أربعة أنفار غالباً.

فكان حافظاً للمقام، وصائناً له عن تطرق مشاركٍ في الإمامة؛ بحيث إنه ورد عام ثلاثة عشر بعد الألف وظيفة إمامة مستجدة للملا مكي بن فروخ، فمنعه صاحب الترجمة، بما بيده من الأحكام السلطانية؛ لأنه كان قد يستخرج خطوطاً سلطانيةً بعرض صاحب مكة، أن لا تتجدد وظيفة بالمقام المذكور،

فتشفع فروخ والـد مكي ببعـض الأروام، فبلغ المتـرجم ذلك، فبين الحال للمتشفع، فامتنع من الوجاهة في ذلك حينئذٍ.

فلما توفي صاحب الترجمة، قام بهذا الشأن ولده أكملُ الدين، وحفظ النظام، ثم جرى عليه القضاء والقـدر، فمـات شهيداً، في عام عشرين بعد الألف، بعد قصةٍ طويلةٍ، فحينئذٍ انفتح الباب في الإمامة، فلم يزل التزايد، إلى أن بلغوا في زمننا أربعة عشر إماماً. انتهى [إمامة].

قلت: وقد بلغوا الآن نحو أربعين.

وصاحب الترجمـة هـو الذي سعى في إحداث معلومٍ من بندر جدة، يكون في مقابلة خدمة إفتـاء الحنفية بمكة، وأُجيب إلى ذلك، وجُعلت لـه خلعة تحمل مع الركب المصري، يلبسها في يوم العرضة، ثم أحدث له في مقابلة ذلك ـ أيضاً ـ صوفان من الديار الروميـة، وفي ضمنها مئة دينار سكة حمراء، واستمر ذلك إلى الآن لمفتي مكة.

وروى «صحيح البخاري» عن شيخ الإسلام شهاب الدين أحمد بن حجر الهيتمي، وأجاز عبد الكريم ولده أكمل الدين ـ كما رأيته بخطه، رحمهما الله ـ.

[١٣٥٥] عبد السلام بن عبد الملك بن حسين النزيلي.

كان غنيّ قومه، له المروءة التامة، والإحسانات العامة، والفقه الغزير، ويكفيه شرفاً: أنه قرأ «صحيح مسلم» في ثلاثة أيام، وكان وجّاداً للمسائل، مجيباً للسائل بأحسن جواب وأوضح دلائل، وقال في كتاب «الآداب» لجعفر ابن سناء الملك بن شمس الخلافة: لا يجتمع الشعر الفصيح، والبلاغة في الكلام في رجل.

ولو رأى هـذا الرجل، لعرف اجتماعهمـا، فكان لـه الشعر الحسن، والبلاغـة العجيبـة، والنظر الدقيق في الاستدلالات، ونشر العلم، وإحيـاء دروسه، وكان تلاّءً لكتاب الله تعالى لا يفتر، قواماً آخر الليل.

وهاجر لأمرٍ ما إلى حُفاش، وطلع له الشيخ علي بن محمد مطير، وردّه بنفسه، فرجع إلى بيته، بهجرة الضُّرَبى، ومات بهـا، في شهـر محرم، سنة خمس وثلاثين بعد الألف، وخلف خير خلف.

[١٣٥٦] عبد الصمد بن عبدالله باكثير[١].

خاتمـة مُفْلِقي الشعراء بحضرموت وباليمن، ونابغـة العصر، وباقعـة الزمن، ينتهي نسبه إلى كندة، وهو نسبٌ تقف الفصاحة قديماً وحديثاً عنده، وكان كاتب الإنشاء للسلطان عمر بن بدر ملكِ الشحر، وشاعره الذي تنفث في مدائحه سحر البيان وبيان السحر، وله ترسُّلٌ وإنشاء، تصرَّف في إعجازهما كيف شاء، و«ديوان شعرٍ» مشهور، تتلو محاسنَه ألسنُ الأيام والشهور.

ولم يزل كاتباً للسلطان المذكور في عهده، ثم لولده عبدالله بن عمر من بعده، حتى انقضى أجله وعمره، وخوى من أفق الحياة قمره، فتوفي بالشحر، عام خمسة وعشرين بعد الألف، وكان قد عمّر طويلاً، ولبس من العيش ثوباً جميلاً.

ومن شعره: قوله من قصيدة:

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم: (٤٥٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤١٨)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٥٤٦) (٢٦٠)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ١٠).

رعيًا لأيامٍ تقضَّتْ بالحمى	فُزْنا بها ووشاتُنا غُفَلاء
جاد الزمانُ بها وأسعفنا بمن	نهوى ولم تشعرْ بنا الرقباءُ
ومنادمي بدرٌ على غصن على	حقفٍ له قلبي العميدُ خباءُ
عذبُ المقبَّلِ عاطرُ الأنفاس در	ياقُ النفوس شفاهُه اللَّعْساءُ
متبسِّمٌ عن أشنبٍ شنبٍ له	مهما تبسَّم في الدجى لألاءُ
ما مسكُ دارينَ بأطيبَ نكهةً	منه وقد ضاعت له ريَّاءُ
بحر النسيم يجر فضلَ ردائه	فحبتْهُ من كافورها الأنداءُ
فتعطرت من طيبِ فائحِ نشرِه	أرواحُنا وسرتْ عليها ديمةٌ وطفاءُ
حتى يراها الطرف أبهج روضة	فيروقه الإصباحُ والإمساءُ
والطيرُ عاكفةٌ بكل حديقة	فكأنها بلحونها قراءُ
والروضُ مبتهجُ الحيا فكأنما	واراه من غمرِ الندى دأماء(1)

وقوله في أخرى:

هذي المرابعُ والكثيبُ الأوعس	وظِبا الخيامِ الآنساتُ الكُنَّسُ
قفْ بي عليها ساعةً فلعل أن	يبدو لي الخشفُ الأغَنُّ الألعسُ
فلطالما عفت الكرى عن ناظري	شوقاً إليه ومدمعي يتبجَّسُ
ينهلُّ سحّاً مثلَ منهمرِ الحيا	فوقَ المحاجر مطلقاً لا يُحْبَسُ
وأغنّ ناعسُ طرفِه سلبَ الكرى	عني فطرفي ساهرٌ لا ينعسُ

---

(1) في الأصل: إيماء.

أشــتاقه مــا لاحَ صــبحٌ مــسفرٌ   فـي أفقـه أو جـنَّ ليـلٌ حنـدسُ

منها:

يـا عـاذلي دعنـي وشـأني إن لـي   قلبـاً بغيـر الحـبِّ لا يـستأنسُ
لـك قـدرةٌ أن لا تلـومَ ولـيس لـي   صـبرٌ بـه دون الـورى أتلـبَّسُ
كيـف الـسلوُّ عـن الأحبـة بعـدما   دارت علـيّ مـن الـصبابة أكـؤسُ
نقـل الـصَّبا نـشرَ الحبيـب وحبـذا   نـشرٌ بـه ريـحُ الـصَّبا تتـنفسُ
آهـاً ولا يُجـدي التـأوُّهُ والأسـى   فالـصبرُ أجمـلُ والتحمـلُ أَكْـيَسُ

وقوله أيضاً:

جــادَ الغمــامُ مراتــعَ الغــزلان   ومرابــعَ الرشــأ الأغــنِّ الغــاني
وسرى عليهـا كـلُّ أسـحمَ هاطـلٍ   غــدقٍ يــسحُّ بوابــلٍ هَتَّــانِ
يُحيي ربوعاً طالما لعبـتْ بهـا الـ   ـغيدُ الحـسانُ نـواعسُ الأجفـانِ
مـن كـلِّ فاتنـةِ اللحـاظِ إذا رنـتْ   سلبتْ بسحرِ اللحـظ كـلَّ جَنـانِ
فكأنهـا الأقمـارُ تطلُـعُ فـي دجـى   ليــلٍ مــن المترسِّــلِ الفَيْنــانِ
وكأنمــا تلــك القــدودُ إذا انثنــت   قُـضُبٌ تمايـلُ فـي رُبـى الكثبـانِ
وبمهجتـي خـشفٌ أغـنُّ مهفهـفٌ   أصــمى فــؤادي إذ رنــا فرمــاني
ظبـيٌ مـن الأَعـرابِ فـي وجناتـه   قـوتُ القلـوبِ وسـلوةُ الأحـزانِ
بــاللهِ مــا طالعــتُ طلعــةَ وجهــه   إلا ورحْــتُ براحــةِ النــشوانِ
مــاءُ الــشبيبةِ فــوقَ وردِ خــدودِه   يجـري علـى متلهِّـبِ النيـرانِ

ذابتْ عليه حُشاشتي وجداً به وصبابةً وجفا الكرى أجفاني

لم أنسَ أيامَ التواصلِ واللقا والشملُ مجتمعٌ بوادي البانِ

ومُنادِمي مَنْ قد هَوِيتُ وبيننا الصْـ ـصِرْفُ الكُمَيْتُ تُدار في الأَدنانِ

شمسٌ مطالعُها سُعودُ كؤوسِها بينَ الندامى في بروجٍ تَهاني

في روضةٍ مفروشةٍ أرجاؤها بالوردِ والمنثورِ والريحانِ

يتراقصُ الندماءُ من طربٍ بها بتراجعِ النغماتِ والعيدانِ

لم لا يواصلُنا السرور ونحن في الـ ـفردوسِ بين الحورِ والولدانِ

وقوله من أخرى:

أشتاقُ من ساكني ذاك الحِمى خِيَما لأجلِها زادَ شوقي في الحشا ونَمَا

ولاعجُ الشوقِ والتبريح من كمد أجرى من العين دمعًا يُخجل الدِّيَمَا

ما جنَّ ليليَ إلا بِتُّ من كلفٍ أرعى النجومَ بطرفٍ يستهلُّ دَما

لولا هَوَى شادنٍ في القلبِ مرتعُه ما اشتقت وادي النقا والبان والعلما

نفسي الفداءُ لظبيٍ وجهُه قمرٌ وبرجُه في سما قلبي العميدِ سما

يُصمي فؤادي بنبلٍ من لواحظِه عن قوسِ حاجبِه مهما رنا ورمى

في ثغره الدرُّ منظومًا فيا لك من ثغرٍ شنيبٍ يريك الدرَّ منتظِما

جلَّ الذي صاغَه بدرًا على غُصُن على كثيبٍ فأبداه لنا صَنَما

لم يكسُه الحسنُ ثوبًا من مطارفه إلا كسا جسدي من عشقِه سَقَما

وقوله أيضاً:

بنَشْرِ وادِي الغَضَا نَشْرُ النسيمِ سَرَى فأفْهَمَ الصَّبَّ عن أهلِ الحمَى خَبَرَا

أهْدَى التحيَّةَ من أهلِ الخيامِ إلى ... حليفِ وَجْدٍ يُقاسِي الوجدَ والسَّهَرَا

لكنَّه جَدَّ في وجدِي وأذْكَرَني ... تلك الرُّبوعَ وبانَ الحَيِّ والسَّمُرَا

منها:

ولِي من العُرْبِ ظَبْيٌ ما رأَى بَصَرِي ... شِبْهاً له في الورى بَدْواً ولا حَضَرَا

كالبدرِ وَجْهاً ونَظْمِ الدُّرِّ مُبتسَماً ... والظَّبْيِ جِيداً وغُصْنِ الْبانِ إن خَطَرَا

كم ليلةٍ زارني فيها على وَجَلٍ ... مستوفِزاً خائفاً مستعجِلاً حَذِرَا

يمْشِي الهُوَيْنَى حِذارَ الكاشِحين وقد ... أرْخَى السُّتُورَ ظلامُ الليلِ واعْتَكَرَا

قبَّلْتُ مَبْسَمَه عَشْراً على عَجَلٍ ... فقام منِّي إلى التَّوْدِيعِ مُبْتدِرَا

فكدتُ أشْرَبُه لَثْماً وأهْصِرُه ... ضَمّاً وأثْنِي عِناقاً قَدَّه النَّضِرَا

وقوله أيضاً:

يا مولعاً بالصَّدِّ والإخلافِ ... متعمِّداً بصدوده إتلافي

ما كان ضرَّكَ لو وَصَلْتَ وجُدْتَ لي ... قبلَ التلافِ من اللِّقا بتِلافي

كلَّفتني أرعى النجومَ ومدمعي ... كالعارض المُتَهَلِّل الوَكَّافِ

متمزقَ الأحشاءِ من ألمِ النوى ... هل عطفةٌ يا مائِس الأعطافِ

أمْ هلْ تجودُ على الكئيبِ من اللمى الـ ... ـعذبِ الرضابِ بأولِ الأعرافِ

قسماً بمنظركَ المنيرِ وقدِّك اللَّـ ... ـدْنِ النضيرِ وردْفِكَ المُتَجافي

إني بعشقِك صرتُ مشتركَ العنا ... بين اللمى والقَدِّ والأردافِ

وقوله من أخرى:

عـاذلي فـي الغـرام مهـلاً فقلبـي حمّلتـه الأحبـابُ مـا لا يُطيـقُ
كيـف يـصغي إلا اللـوائم صَـبٌّ فـي حـشاهُ مـن الفـراقِ حريـقُ
سـلبتْهُ اللـواحظُ البابليـا تُ وأودى بـه القـوامُ الرشـيقُ
وسَـبَّاهُ أَغَـنُّ أحـوى رداحٌ يـسندُ العـشقَ حـسنهُ المعـشوقُ
قـد كفـاه عـن المهنَّـدِ لحـظ وعـن الـرمح قـدُّه الممـشوقُ
روضُ خدَّيـهِ جنـةٌ لاح فيهـا جُلَّنـارٌ وسوسـنٌ وشَـقيقُ
ولـه مبـسمٌ يـضيءُ سـناه عـن شـنيبٍ حكـاه دُرٌّ نَـسيقُ
ظَلْمُـه فـي لَمـاه شـهدٌ مُـذابٌ فـي سُـلافٍ ريـاه مـسكٌ فَتيـقُ
خصرُه يشتكي من الردف فاعجب كيـف يقـوى عليـه وهـو رقيـقُ

وقوله:

جَـاد وَبْـلُ الغَمـامِ شِيحاً وضَـالاَ ورِياضـاً بالـسَّفْحِ مَـدَّتْ ظِـلالاَ
لا جَفاهـا الْحَيَـا فلِـي ثَـمَّ رَبْـعٌ لـم أزَلْ مُكْثِـراً عليـه الـسُّؤالاَ
تـسْحبُ الغِيـدُ فـي رُبـاه ذُيـولاً تتَهـادَى مـن النَّعِـيمِ اخْتِيـالا
ورَشِـيقِ القَـوامِ مـا مـاسَ إلاَّ أخْجَـلَ الغُـصْنَ قَامـةً واعْتِـدالاَ
مـا تثنَّـى إلاَّ ثَنَـى كـلَّ قلـبٍ نَحْـوَه تابِعـاً إذا مـالَ مَـالاَ
صـاد قلبـي لمَّـا تـصدَّى لِقَتْلِـي بِلِحـاظٍ يَـريشُ منهـا النِّبـالاَ
لَـوْعَتِي فـي هَـواه أذْكَـتْ غَرامـاً وأعـادتْ آنـاءَ لَيْلِـي طِـوالاَ
كلَّمـا لاح بـارِقٌ مـن زَرُودٍ فاض وَادِي عَقِيـقِ دَمْعِـي وسـالاَ

وقوله، وعجزُ كل بيتٍ معكوسُ كلماتِ صدره:

تَيَّمنـــي مـــن هويـــتُ واكمـــدي واكمـــدي مـــن هويـــتُ تيمنـــي
حيّرنـــي مـــن ســـناه حـــينَ بـــدا حـــينَ بـــدا مـــن ســـناهُ حيّرنـــي
تَرْشُـــــقني بالنبـــــالِ مقلتُـــــه مقلتُـــــه بالنبـــــالِ ترشُـــــقُني
عَـــذَّبني بالـــصدودِ واتلفـــي واتلفـــي بالـــصدودِ عَـــذَّبني
صَـــيَّرَني فـــي هـــواه ذا قلـــقٍ ذا قلـــقٍ فـــي هـــواه صَـــيَّرَني
يمطلنُـــــي باللقـــــا ويوعـــــدُني يوعـــدني باللقـــا ويمطلنـــي [1]

[١٣٥٧] عبد الصمد بن محمد المقدسي العلمي الحنفي[2].

كان فاضلاً صالحاً، جلس في حلقة الذكر، في زاويةٍ بدمشق، بعد والده، ثم رجع إلى بيت المقدس، وصارت له دنيا عظيمة، وكان ينفق على الفقراء الواردين، ملازماً للدروس العلمية والأوراد، مزيد الاعتقاد، مات سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف، وأبوه حي، تقدمت ترجمته.

[١٣٥٨] السيد عبد الرب بن علي بن شمس الدين ابن الإمام شرف الدين.

توفي تاسع صفر، سنة سبع وثلاثين بعد الألف بكوكبان، كان سيداً جليل القدر، عظيم الشهرة والذكر، له السيرة الحسنة في بلاده.

[١٣٥٩] عبد العزيز بن محمد بن عبد العزيز بن تقي الدين بن

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا أربعة أخماس صفحة بياض».

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥١١) (١٩٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٢١).

عبد العزيز بن أحمد الحُبَيْشي ـ بالتصغير ـ التعزي الشافعي، الشهير كوالده بالمفتي.

إمام العلم والأدب، وترجمان العرب، ومن تنسل إليه أبكار المعاني وعُونها من كل حَدَب، رئيس الشافعية باليمن، وواحد هذا الزمن، القائد ما صعب من الأمور بزمامه، الذي نبّه راقد الفكر بكلامه، ذو المحل الجسيم، والفضل العظيم، بحر البيان الزاخر، وحبره الذي بذل ما تركه الأول للآخر.

أفكاره بكشف الرموز الخفية وفيَّه، وبإبراز المعاني الجلية مليَّه، امتطى في طلب العلوم كل مطيَّه، وصرف للعلم بُكَرَه والعشيَّة، حتى انتهت إليه في بلده الرياسة، وجمع بين شرف النفس والنفاسة.

قرأ في بدايته على أحمد بن عمر الحُبَيْشي، وعلى إسحاق بن جعمان، وأخذ عن العلامة محمد شريف الكوراني، وغيرهم، وتصدر للإقراء، حتى صار عمدة العلوم ببلده، وهو الآن شيخ ذلك الإقليم ـ نفع الله به ـ.

توفي ـ رحمه الله ـ يوم الجمعة، سلخ رجب، سنة ألف ومئة وعشر، ببلده تعز ـ رحمه الله ـ.

[١٣٦٠] عبد العزيز بن محمد بن النعمان الضمدي[1].

قاضي القضاة، الإمام العلامة، طود العلم المنيف، وعضد الدين الحنيف، ومالكُ أزمة التأليف، الباهر بالرواية والدراية، الرافع لخميس الكلام أعظمَ راية، وأحد قضاة العدول باليمن الميمون، ومن الذين قضوا بالحق وبه كانوا يعدلون.

---

(١) «البدر الطالع» (١/ ٣٥٧)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٧).

وُلد بوادي ضمد، سنة ثلاث عشرة بعد الألف، وبه نشأ، وأخذ باليمن عن القاضي أحمد بن حابس الصعدي، وبمكة عن العلامة المحدث محمد علي بن علان، ورحل إلى العارف بالله أحمد بن محمد القشاشي المدني، بأمر من شيوخه باليمن، ولازمه بالمدينة سنتين وأشهراً، وأجازه بجميع مروياته، وأجازه عامة شيوخه، وتضلع من علوم المعقول والمنقول، وكان من أفراد وقته.

ولي القضاء بتهامة، في المخلاف السليماني، ودخل زبيد مراراً، وولي بها القضاء، ثم تركها لأمر استنكره، واستمر على القضاء ببندر المخا المحروس، وحمدت طريقته وعفته؛ فإنه كان من ذلك بمحل، وكان حليف القرآن، يؤديه بتأديةٍ تُسهي الركب، وله مشايخ كثيرون باليمن، وأكثر قراءته بصعدة.

وكان حسنَ الخط، ولما ضُربت يده اليمنى، من بعض المردة في الطريق، عند المعنّق، وهو متوجهٌ إلى صعدة للقراءة، تعذرت عليه الكتابة بيمينه، فكتب بيساره، فأجاد وأحسن.

وله مؤلفاتٌ، منها: «شرحٌ على الخُبَيصي شرح الكافية»، وله «السُّلَّم على معيار الأصول» للإمام المهدي، وعدة رسائل ومقاولات، ومنها: «تخريج أحاديث شفا الأمير من الصحاح الستة»، وغيرها، وأراد شرحه أيضاً.

وكان الإمام المؤيد بالله محمد بن إسماعيل بن القاسم أمر القاضي الفاضل الحسينَ بنَ ناصر المهلا، حين اجتمع به بمدينة السودة المحروسة، عقب عودته، واتفاق أهل الحل والعقد على إمامته، أن يكمل ما ينص له القاضي من تخريجه، فتيسر له كثيرٌ من ذلك، وأرسله إلى الإمام، وحرض

عليه في إرسال ما بقي.

وله نظمٌ ونثرٌ رائقٌ.

ومن شعره: ما كتبه إلى السيد أحمد بن صلاح قوله:

قلبي من الوجدِ والتبريحِ فـي قلـقِ ... وناظري من غزيرِ الشوقِ في غرقِ
شـوقاً لأهـل ودادٍ مـا ذكـرتُهُم ... إلا شـرقْتُ بريقـي غايـةَ الـشرقِ
حملْتُ من حبِّـهم ما لـو تَحَمَّلَـه ... جبالُ رضوى على التحقيقِ لم تطقِ
أهـواهُمُ والهـوى عـذبٌ لذائقـهِ ... فاطْعَمْهُ تلقَ الذي استحليتُهُ وذُقِ
تـاللهِ لا مِلْـتُ قلبـاً عـن محبـتهم ... يومًا ولو لم تدعْ منهم سوى رمقـي
ولـي إلـيهم حنينُ الـسقْبِ أفـردَه ... عن أمه السومُ في محلولِكِ الغسقِ
يـا عـاذلي فـيهمُ دعنـي مطاولـةً ... فإن عذلَكَ لي من أعظم الحمـقِ
ومُعْمِلَ العيسِ فـي البيـداءِ طاويـةً ... صحفَ العلا بسريع الوَخْد[1] والعَنَقِ
يَمِّمْ بهم ساحةَ الساداتِ في شرفٍ ... أعني صفيَّ الهدى والدينِ خيرَ تقي
لله مـن سـيدٍ قـد نـال مرتبـةً ... فاقَتْ علينـا بـلا ريـبٍ ولـم تُفَـقِ
يا أحمدَ بنَ صلاحٍ أنت في شـرفٍ ... أعلى وفي الشرفِ الأعلى لدى حُذُقِ
فخصَّ لي الناصرَ المشهورَ مَنْ شمخَتْ ... به الفضائلُ في مجـدٍ بـذاكَ رقـي
كذاك عبد الحفيظِ البحر من ظهرتْ ... له المكارمُ مثلَ الشمس في الأفق
أسـنى الـسلام وأسـناه وألطفَـه ... يحفُّ من فضله بالعارض الغَدقِ

---

(١) في الأصل: الوجد، والصواب ما أثبت، فالوخد: نوع من السير السريع.

فأجابه القاضي الناصر بن عبد الحفيظ المهلا المذكور، نيابةً عن السيد ـ رحمهم الله تعالى ـ:

ما بـالُ قلبك لا ينفكُّ في قلقٍ ... وما لعينك طولَ الليل في أَرَقِ
أمِنْ مفارقةِ الحسناءِ رائقةَ الـ ... ـجمالِ فائقةً في اللطفِ والملقِ
بقامةٍ كغصونِ البانِ قائلةٍ ... تعلَّمي اللينَ مني واسلُكي طُرُقي
تبدو بوجهٍ يفوق البدرَ منظرُه ... ما الريمُ يُشبهها في العين والعُنُقِ
أمْ منْ فراقِ جليلِ القدر صدرِ ذوي الـ ... ـفخارِ مَنْ عرضُه عَمَّا يَشين نقي
عبد العزيز الذي سارت فضائلُه ... في الخافقينِ مسيرَ الشمس في الأفقِ
أبقاه ربِّيَ في خيرٍ وفي دَعَةٍ ... وصِينَ عن كلِّ شرٍّ دائماً ووُقي
أم بُعدُ صنويَ من فاقتْ شمائلُه ... فما يماثلُه فيما حواه تقي
صنوي محمدٌ المحمودُ فائقُ أهـ ... ـلِ الفخرِ والفضلِ في خَلق وفي خُلق
من دوّخَ الشامَ بالرأي الأصيل وبالسْـ ... ـسَيفِ الصقيلِ وبالأتراس والدَّرَقِ
وبالجيوشِ التي كالسيلِ إن وردتْ ... لم ينجُ منها مُعاد غابَ في نفقٍ
لله دَرُّكَ يا عبدَ العزيزِ لقد ... وضعْتَ هذا الدوا في موضع الحَرَقِ
برّدتَ نارَ اشتياقي وهي حاميةٌ ... بما نظمتَ وما سطَّرت في الوَرَقِ
الله أكبرُ ما أحلى عبارتَهُ ... ذا فضلُ من خلقَ الإنسانَ من عَلَقِ
بالانسجامِ أتى والغيثُ منسجمٌ ... في حالةٍ فاجتلَيْنا كاعِبَ الأَلَقِ
هذا وسرَّحْتُ طرفي في معاطفِه ... ما بين مؤتَلِفٍ منه ومُتَّفِقِ
فقلتُ نرجو من الرحمنِ يجمعُنا ... ولا نبيتُ على هَمٍّ ولا قلقِ

[١٣٦١] **عبد العزيز بن محمد الفشتالي المغربي.**

كان أوحد عصره في سائر الفنون، حتى إن سلطان المغرب مولاي أحمد كان يقول: أن الفشتالي يفتخر به على ملوك الأرض[1].

[١٣٦٢] **عبد علي بن ناصر بن رحمة الحُوَيْزي[2].**

قال في «السلافة»: فاضلٌ قال من الفضل بظلٍّ وريف، وكاملٌ حل من الكمال بين خصب وريف، فالأسماع من زهرات أدبه في ربيع، ومن ثمرات فضله في خريف، إن أنشأ ينشي، أبدى من فنـون السجع ضرائب، أو طفق ينظم، أهدى الشفوف للأسماع، والعقودَ للسرائر، ومؤلفاته في الأدب أحلى من رشف الضَّرَب، بل أجـدى من نيل الأرب، ومتى جـاراه قـومٌ في كلام العرب، كان النبعَ وكانوا الغَرَب.

واتصل بحكـام البصرة وولاتهـا، فوصلتـه بأسنى أفضالهـا، وأهنـى صلاتها، وهبّت عليـه من قبلهم رخاءُ الإقبـال، وعاش في كنفهم بين نضرة العيش، ورخاءِ البال، ولم يزل بها، حتى انصرمت من الحياة أيامه، وقوضت من هذه الديار الفانية خيامه.

ومن مؤلفاته: «المعوَّل في شرح شواهد المطوَّل»، و«قطر الغمام في شرح كلام الملوك ملوك الكلام»، وغيـر ذلك، وله «ديوان شعر» بالعربية، وانتخب منه نبذةً سماها: «محلى الإفضال»، وأشعار بالفارسية والتركية.

---

(١) جاء في الحاشية: «سبق ذكره، فلم نتم ترجمته».

(٢) «سلافة العصر» لابن معصوم (٥٣٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٢٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ١٤٢) (١٤٢)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٣١).

ومن بديع شعره: قوله يمدح علي باشا بن افراسياب، حاكم البصرة، ويستأذنه في الحج، وزيارة النبي ﷺ، أولها:

لمعَ البرقُ في أكفِّ السُّقاة وبدا الصبحُ في سنا الكاساتِ

فالبدارَ البدارَ حيَّ على الرا حِ وهُبُّوا لأكملِ اللذاتِ

نارُ موسى بدت فأين كليم الذْ ذَاتِ يمحو بها حجابَ الصفاتِ

صاحَ ديكُ الصباحِ يا صاحِ بالرا حِ فواتِ الأفراحَ قبلَ الفواتِ

واصطبِحْنا اصطباحَ من راحَ لا يفْـ ـرقُ بينَ الشموسِ والذرَّاتِ

تلقَ فيها العقول منتقشاتٍ كانتقاشِ الأشخاصِ في المرآةِ

فهي الشربةُ التي عثر الخضـ ـرُ عليها في عينِ ماءِ الحياةِ

وتقصَّى الإسكندرُ البحثَ عنها فعدَاها وتاهَ في الظلماتِ

سكنتْ من حظائرِ القدسِ حانًا جلَّ عن أنْ يقاسَ بالحاناتِ

نورُ حَقٍّ بنفسِه قامَ ما احتا جَ إلى كَوَّةٍ ولا مِشكاةِ

قبسٌ أشعلَتْه أيدي التجلي فأضاءت به جميعَ الجهاتِ

حُجِبَتْ بالزجاجِ وهي عيان كاحتجابِ[1] البدور بالهالاتِ

يا نديمي اجلُ لي عرائسَ سِرٍّ بغواشي الكؤوس محتجباتِ

هات راحي ونادِ خذْها فإني لست أنسى يومَ اللقا خُذْ وهاتِ

فلقد هَدَّ ركنَ نحسيَ لمَّا سعدَتْ بالحبيب كلُّ جهاتي

هي شهدُ الشهودِ بل راحةُ الأر واحِ بل حسنُ طلعةِ الحسناتِ

---

(١) في الأصل: كاحتجاج، والصواب ما أثبت.

يا سُقاتي لا تصرفوا الصِّرْفَ عني | فحيـاتي فـي رشـفها يـا سُـقاتي
غيـرُ بـدعٍ ممَّـنْ حَساها إذا ارتـا | حَ وقـال الوجـودُ بعـضُ هبـاتي
قـام زيـنُ العبـاد مـن شـربها قطـ | ـباً عليـه دارت رحـى البينـاتِ
فتلاشـى بـشعلةٍ فَـتَحَ العيـ | ـنين منهـا إلـى عيـونِ الـذاتِ
وحظـتْ بالجنيـدِ لجـةُ بحـرٍ | غرقـت فيـه أكثـرُ الكائنـات
ورمـتْ بالحـسين حتـى ترقَّـى | بأَنـا الحـقُّ أرفـعَ الـدرجات
وأسمَعَتْنا من شيخ بسطامَ مـا أعـ | ـظمَ ذاتـي بـالنفي والإثبـاتِ
وقُـصارى خلـعِ العـذار بهـا نيـ | ـلُ مقـامٍ يقـاوم المعجـزات
ربَّ وفرِمنهـا يـصيبُ فتى المجـ | ـدِ علـيَّ العـلا سـريَّ الـسَّراةِ
فهـو فـي سِـرِّه المنـزَّهِ سـرى | وإن لـم يهـمَّ بجـوزِ الفـلاةِ
حـادَ عـن مـذهبِ التقـشُّفِ وانـ | ـحازَ إلى مذهب الحُمـاةِ الكُمـاةِ
وتـردّى بُـرْدَ البـواطنِ والأصـ | ـلُ خلـوصُ الأعمـالِ بالنيـاتِ
فهو في الـسرِّ خـادمُ الفقـرِ عـافٍ | وهو في الجهرِ ضَيْغَمُ المُلْكِ عاتي
ولـه فـي مراتـب الفـضل ذهـنٌ | هـو مفتـاحُ مُقْفَـلِ المـشكلاتِ
كتمْتـه أولـى الـدهور وأبدتـ | ـهُ علـى فتـرةٍ مـن المكرمـات
فأفـادَتْ بمجـده البـصرةُ الفيـ | ـحاءُ حُلى المعاهـدِ العـاطلاتِ
حـلَّ مـن حفـظ نفـسه للمـساكيـ | ـنِ سـنامَ المراتـبِ العاليـاتِ
أسـدٌ فـي ملاحـمِ الحـربِ غيـث | في الندى خضرمٌ بعلـمِ اللغـاتِ
كفُّـه مقلـة العـدوِّ فـلا ينـ | ـفكُّ عن كـل شيمةِ المرسـلاتِ

وكـذا فـي خيلُـه وأفئـدةُ الأعــ ـــداء سيانِ فـي رَحَـا العاديـاتِ

وكـــذا مالُـــه وأرواحُ مـــن عــا داه فـي كـونهنَّ فـي النازعـاتِ

إن يـضع وقـت مـن سـوايَ فـإني لــي بعليــاه أشــرفُ الأوقــاتِ

شـــملَتْني منـــه العنايـــةُ حتـــى قـد سَـمَتْ همَّتـي عـن النيـراتِ

يـا إمـامَ الكـرامِ يـا صـادقَ الوعــ ــد إذا لـم يـفِ الـورى بالعِـداتِ

وهمـا مـا تعـود الحلـم والجـو دُ وهاتــان أكــرمُ العــاداتِ

نلـتُ مـن جـودكَ العمـيم نـوالاً وجبـتْ فيـه حجتـي وزكـاتي

عرفَ النـاسُ فـي حمـاكَ وقـوفي فـأجزني الوقـوفَ فـي عرفـاتِ

ومــرادي لــكَ الثـوابُ وللرقْــ ــقِ قـضاءُ المناسـكِ الواجبـاتِ

طـوفُ بيـتِ الله الحـرام وتقبيــ ــلُ ثَـرى قبـرِ سـيدِ الكائنـاتِ

لـم أفـارقْ حمَـى العلـيِّ لبيـتٍ غيـرِ بيـت العلـيِّ ذي الـدرجات

وابقَ واسـلمْ علـى الرجـاء مليكـاً طوع ما يـشتهي الزمـانُ المـواتي

وقوله أيضاً، وهو من حر الكلام، وناصع النظام:

قام يجلوها وفي الأجفـان غمـضُ والنـدامى نُـوَّمٌ بعـضٌ وبعـضُ

والـضيا يرمـى بـه الفجـرُ الـدجى ولخيل الصبح في الظلماءِ رَكْضُ

وكـــأن الليـــلَ غـــيمٌ مقلـــع[1] لمعانُ الكأسِ فـي جنبيـه ومـضُ

فـي ريـاضٍ نـسجَتْ فيهـا الـصَّبا ولهـا فـي زهرهـا بـسطٌ وقـبضُ

---

(١) في الأصل: مقامع.

ضـــرَّجَ الـــوردُ بهـــا وجنتـــه ... والأقاحي ضُـحَّكٌ والآسُ غَـضُّ
وكـــأن النـــرجسَ الغـــضَّ بهـــا ... أعـينُ العـينِ ومـا فـيهن غمـضُ
وكـــأن البـــانَ قـــدٌّ مـــائس ... كلُّ غـصن منـه عـرقٌ فيـه نـبضُ
وكـــأن الأرضَ ممـــا أنبتـــت ... زَهَـراً جَـوُّ الـسَّما والجَـوَّ أرضُ
مجلـسٌ طُـلَّ دمُ الكـأسِ بـه ... ولـه ظِـلٌّ لـه طـولٌ وعـرضُ
نظمَـــتْ فيـــه اللآلـــي حَبَبـــاً ... حـين عنهـا صـدفُ الـدَّنِّ يُفَـضُّ
بـــي وبـــالراحِ الـــذي أجفانـــه ... تحسب[1] البيض صحاحاً وهي مُرْضُ
كيف ترجو البيض نحوي رسمهـ ... ـا ولهـا فـي حـدِّها ردٌّ ونقـضُ
مـــا وفَـــتْ دَينـــيَ منهـــا ولهـــا ... فـي فـؤادي أبـداً نـشرٌ وقـرضُ
يـــا حبيبـــاً قـــد غـــدا معتزلـــي ... ليس لي عن سنةِ العشاقِ رفضُ
إن يكـنْ قـد شِـيبَ دمعـي بـدمي ... حمـرةً فـالودُّ بالاحـشاءِ محـضُ
مـــستقر نهـــك العظـــم بـــه ... بعـد أن ذاب بـه لحـمٌ ونحـضُ
وبقلبـــي عقـــربُ الـــصدغ لـــه ... كلمـا هـبَّ الـصَّبا نهـشٌ وعَـضُّ
حَمَّلْـتُ جـسميَ أعبـاءَ الهـوى ... وهـو لا يمكنُـه بـالثوبِ نهـضُ

وكتب إلى القاضي تاج الدين المالكي المكي قوله:

وحـــقِّ مـــن أرتجـــي شـــفاعته ... يـوم تكـون الـسماءُ كالمُهُـلِ
ما سرتُ عنكُم ولي حَشًا بـسوى ... خيـالكمْ مـذْ نأيـتُ فـي شُـغُلِ

---

(١) في الأصل: تحسم.

يا تاج دين الإخاء ما أنا من يغفلُ عنكم ركائبَ الرُّسُلِ
لكنني قد جعلتُ معتمَدي ما أثبتته لنا يدُ الأَزَلِ
وخذْ على البعدِ ما همى مطر تحيةً من أخيكَ عبدِ علي

ومن شعره: قوله:

دعِ الدنيا ولا تركَنْ إليها فزخرفُها سيذهُب عن قليلِ
وإن ضحكتْ بوجهك فهو منها كضحكِ السيفِ في وجه القتيل(١)

[١٣٦٣] عبد الغفار بن عبد الباقي النزيلي.

كان رجلاً شهماً، وكان هو الذي يتولى أمور والده، **ومات بالقنفذة**، ودفن عند قبر الشيخ أبي حربة، يزار ويتبرك به، وقال رجلٌ: أراني الفقيه عبد الغفار البحر في كمه.

[١٣٦٤] عبد الغني بن محمد العبادي الحنفي.

عالم الحنفية بمصر، **توفي** خامس عشر شوال، سنة أربع عشرة بعد الألف بمصر.

[١٣٦٥] عبد اللطيف بن عبد الرحمن بن حسين.

كان من أجلاء آل نزيل، وكان تهابه العلماء في المجالس؛ لقوة حافظته وفهمه، فلا يستطيع أحدٌ التكلم بحضرته.

مات في عشر الثلاثين بعد الألف.

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا صفحة بياض».

[١٣٦٦] عبد اللطيف بن علي القُصَيْعي.

العلامة صاحب ذي عقيب، كان علامة الشافعية، ذا علمٍ غزيرٍ، وزهدٍ كاملٍ، وكان مجاب الدعوة.

توفي يوم السبت، ثامن عشر صفر، سنة تسع عشرة بعد الألف، ورجفت الأرض يوم موته، كما رجفت يوم موت شيخه الشيخ عمر بن سعيد، صاحب ذي عقيب، وقبره عند قبر الشيخ عمر بن سعيد.

[١٣٦٧] عبد الملك بن حسين ابن العلامة عبد الملك العصامي الشافعي المكي[١].

الفاضل الفهامة الأديب، الذي له في كل علمٍ سهمٌ مصيب، خصوصاً علوم الأدب والشعر، فإنه فيه مليك النظم والنثر، من أفراد أهل العصر، الذين قهروا السابقين، وبهروا اللاحقين، بكريم عنصر البلاغة، وصميم جوهر اليراعة.

مولده مكة، سنة تسع وأربعين وألف، وحفظ القرآن، واشتغل بضروب العلوم، وأتقن المنطوق منها والمفهوم، وهو الآن ـ حفظه الله ـ من أجلِّ خطبائها، وسراة رؤسائها، وقد اجتمعت به، فرأيته فاضلاً ملءَ برده، لطيفاً في حالتي هزله وجدِّه، يقطر من ألفاظه ماء الفصاحة، وتعبق من أخلاقه نفحة السجاحة، يذاكر في سائر الفنون، ويملأ بمحاسنه الآذان والعيون، ويشار إليه في معركة البحث بالبنان، ويتحامى جانبَهُ سائرُ فرسان هذا الميدان.

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٢٣) (٢٨٤)، «البدر الطالع» (١/ ٤٠٢)، «سلك الدرر» للمرادي (٣/ ١٣٩)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ١٥٧).

ومما جنيته من ثمار آدابه: قولـه ـ حفظه الله ـ مادحاً للشريف بركات أمير مكة، ومهنئاً له بالعيد:

سعدتْ بيُمنك والـسعودِ المقبـلِ | وانجاب عنها النحسُ بالخَطِّ الجلي
وتتابعتْ أيدي السرورِ تـرادف الـ | إقبــال بالبــشرى لكـلِّ مؤمِّــلِ
وأطــاع أمــر الله مــا تختــاره | وبـدورة فلـك الـسماء المعتلـي
لأبـي زهيـرِ مليكِنـا بركـاتِ را | عيها مملكِهـا الـشريفِ الأفـضلِ
ذاتٌ مطهــرةٌ ووصــفٌ ظــاهر | وتُقًـى كُـسي منـه لبـاسَ تجمُّـلِ
وفــضائلٌ لا حــدَّ يحـصرُها ولا | فكــرٌ يقرِّبُهــا لفهــمِ مخيّــلِ
فــإذا رآه المــرء قــال تعجبــاً | سبحانَ جامعِ ذا العلا فـي هيكـلِ
أضـحى يُرينـا مـن بـديع صـفاته | مـا لا سـمِعْنا مثلَـه فـي الأولِ
فاقــتْ يـداه فـي العطـا والـسطا | سحّ الحيا وسَطا المشِيح المشبِـلِ
ودّ الــذين تلــذَّذوا بمديحـــه | لـو بُـدِّلَتْ أسـماعُهم بـالمِقْوَلِ
عيني لدى ذكـراه تحـسدُ مـسمعي | والسمعُ يحسدُ فيه عينَ المجتلـي
كـفٌّ تعـذَّرَ كَـفُّ فـيضِ نوالهـا | وسحابُ فضلٍ غيمُهـا لا ينجلـي
خـضعت لعزَّتـه الملـوكُ بأسـرها | وعنتْ إليه من الدنيِّ إلـى العلـي
لِـمْ لا وجَـدَّاهُ محمـدُ مـع علـي | والفـرعُ نبتـةُ أصـلِه المتأصِّـلِ
لا الـدينُ يُلهيـه عـن الـدنيا ولا | دنيـاه تخـرجُ عنـه وصـفَ تبتُّـلِ
فــالله يُبقيــه يقــيمُ شــريعةً | ويحوطُهـا مـن كـل بـاغٍ مبطِـلِ
وينيـرُ كـلَّ مخوفـةٍ ويجـوب كلْـ | ـلَ تنوفةٍ في ظلِّ صـدرِ الجَحْفَـل

يا من يخاف من الحوادث فاقةً | زمَّ القَلوصَ إلى حماهُ وادخلِ
رحل جنيب العزم نحو جنابه | وبسوحه إن خفتَ ضيماً فاحْلُلِ
واقصدْ لنيلِ التبرِ أغزر معدن | واطلب لورْدِ الماء أروى منهلِ
هذا الشريفُ المتقي الميمونُ من | شهدت ببركته عقولُ الكُمَّلِ
هذا عفيفُ الذيلِ عما شانَهُ | هذا عفيفُ النفس عن طمع المَلي
تالله ما أنا في مديحي مفترٍ | زورًا عليه وما أنا بمزلِلِ
فاحفظْه يا مولاي في نفس وفي | ولدٍ وفي ملكٍ وفي مهما يلي
وأطلْ حياتي كي أفوزَ بمدحه | عمري ويعلو بالمدائح منزلي
لا زلتَ ترفُل في رداء معزةٍ | بلآلئ المدحِ الحسانِ مُكَلَّلِ
تحيا إلى أمثاله أبدًا إلى الـ | ـعُمر الطبيعيِّ الهنيِّ الأطولِ
حتى ترى الأبناء من أبنا بنيـ | ـكَ بدورها وبهم دُجاها ينجلي

وقوله:

أمالَ عِطْفاً وطُلاه لَواهْ | وأخْفَقَ الحسنُ عليه لِوَاهْ
عِطْفٌ حكى الصَّعْدةَ في صَدْعِها | والغُصنُ المائسُ يَحْكي انْثِنَاهْ
يَتْلوه لَحْظٌ نافِثٌ تالياً | سِحْراً فيا للهِ ما قد تَلاَهْ
في كلِّ يومٍ منه لي آية | لو أنّها للطَّوْدِ حصَبا ثَرَاهْ
وكم به كلّمني إذْ مضَى | فمذُ دَعاه القلبُ وَافَى وجَاهْ
فدَيْتُها من لَحْظةٍ لي بها | مرُّ المَنايا وشَهِيُّ الحيَاهْ
لا صبرَ لي عنها ولا طاقةٌ | عندي لها والأمرُ فيه اشْتِباهْ

مـن جنبهـا عَقْـربَ صُـدْغٍ بهـا ... قلبـيَ مَلْـدُوغاً ومـا مِـن رُقَـاهْ

دبَّــتْ لــه دَبَّ لذيــذِ الكـرَى ... فــي مُقْلَـةٍ أوْدَى بهــا الانْتبــاهْ

ثــم تحـرَّتْ فــي سُـوَيْداه أن ... تـــشُوكَه وَيْـــلاه وا ويْلتَـــاه

بــدرٌ ثنــانِي حبُّــه فاغْتــدَى ... فكــري بنَـاني دَيْـدَناً فـي ثَنـاهْ

ظَبْــيٌ وعنــه لــم يـزلْ ناهِيـاً ... كـلُّ جَهُـولٍ عارِيـاً عـن نُهـاهْ

في ثَغْـرِه العَـذْبِ وسِـلْكِ الجُمَـا ... نِ الرَّطْبِ فانْظُر للحُلَى في حُـلاَهْ

وفـي شِـفاهَ اللُّعْـسِ خمـرٌ حَـلاَ ... لكــنَّ لَحْظَيْــه همــا حَرَّمَــاهْ

بمنطـــقٍ ذِي غُنَّـــةٍ خِلْتُهـــا ... صَلِيلَ عَـضْبٍ فـي حَـشائي فَـرَاهْ

بجيـدِهِ جُـدْتُ برُوحِـي وبالآبـاءِ ... والبيْـــتِ ومـــا قـــد حَـــواهْ

فتَـــاهَ بالحُـــسْنِ ومـــا ضَـــرَّه ... لـــو أنَّ بالحُـسْنِ يُـواتِي فتَـــاهْ

لا غَـرْوَ أن تَـاه علـى مَـن لـه ... لــيلاً صَــباحاً بالــشَّجَى أنْتَــاهْ

لِــمْ يــا خليلـيَّ تلُومـا لِمَـا ... لُمَـا جَهُـولاً عـاذِلِي عـن لَمـاهْ

كــم ليلــةٍ أمــسيْتُ ذا جَــذْوةٍ ... تــسوءُ ظَنـي ولا عِجِـي لا عجَـاهْ

وســيِّــدي عَنِّـــيَ لأَهٍ ولـــم ... أُحِـرْ سَـداداً والحِجـا فيـه لاَهْ

آهــاً لقلبـــي آهِ آهـــاً لـــه ... آهِ لقلبـــــي آهْ آهـــــاً وآهْ

ذا لُــــؤلُئي ثغْـــره جِـــسْمُه ... ولُـــؤْلُئي الثَّـــوْبِ قلبـــي لَـــواهْ

يـــا رَشَـــأً بـــالكُمِّ عنِّـــي أرَاهْ ... يـــسترُ لَحْظـــاً فاتِكـــاً بالكُمَـــاهْ

أفْديكَ مـن خَجْـلانَ لا عنـك لـي ... مُـسْتَبْدَلٌ لا والعَلِـي فـي عُـلاهْ

صَـبْراً لهجْـري إن بـه تَـرْضَ لـي ... يومـــاً فيومـــاً ثـــم مَاهـــاً فمَـــاهْ

وهكـــذا يُقْــضَى زَمـــانِي بـــه ... لا حولَ لي ما شاءَ ربِّـــي قـضَاهْ

وكتب إلى السيد أحمد بن أبي بكر شيخان، مسائلاً **بقوله**:

أَلِقلبـــي عـــن ذا الغـــرام فـــراقُ ... أم لعقلـــي مـــن ذا الهيـــام فيـــاقُ

أم وثاقـــاً لا زلـــت فيـــه وحتـــا ... مَ وهـــلاً يفـــض هـــذا الوثـــاقُ

كم رأينـا ممـنْ تهتَّـكَ فـي الحبْـ ... ـــبِ ومأمولُـــه خَنًـــا وفـــساقُ

فـــاجتنى قـــصده وأقـــصى أمانيـــ ... ـــه وللحـــبِّ قـــال هـــذا طـــلاقُ

وعجيـــبٌ مـــن كـــان يتَّبـــع الـــشيـ ... ـــن ينـــل كـــلَّ مطلـــبٍ لا يطـــاقُ

ومحـــب الجمـــال منتحـــب الجـــسـ ... ـــم خدين الجـــوى شـــواه احتـــراقُ

يلتظـــي لاعـــجَ البعـــاد ويـــذري ... هامـــلَ الـــسحب دمعُـــه المهـــراقُ

هـــل لـــذا حكمـــةٌ أجبنـــي فـــلا زلـــ ... ـــتَ مـــرداً إليـــك المعـــالي تُـــساقُ

فأجابه بقوله:

يـــا قتـــيلاً صـــرعتْه الأحـــداقُ ... وأديبًـــا منـــه المعـــاني تـــساقُ

وعليـــا لـــه بـــأفق المعـــالي ... قِـــدَما عـــن آبائـــه إشـــراقُ

قـــد أتـــاني مـــن دُرِّ نظمِـــك عقـــدٌ ... لـــم تقلَّـــدْ بمثلـــه الأعنـــاقُ

مـــستجيزًا منـــي الجـــواب ولـــولا ... خيفـــةُ العـــقِّ لـــم يطعنـــي النطـــاقُ

فقـــدحتُ الفكـــرَ الكليـــلَ فـــأورى ... لـــي جوابًـــا عـــن الزهـــوق يعـــاقُ

إن أهـــل الغـــرام فيمـــا بـــدا لـــي ... لفريقـــانِ صـــالحٌ وفُـــساقُ

فمريـدُ[1] الخنـاءِ يخدمـه الـشيـ ـــخ فيحيـا مأمولـه فَيُـاق

ومحـبُّ الجمـال يمـيح بالهجـ ـــر وطعـم الوصـال لـيس يـذاقُ

وقوله أيضاً:

على مُهْجةِ المَعْمودِ والعاشقِ المُضْنَى أعِدْ نَظْرةً تَشْفِيه يا مَن له الحُسْنَى

بدا قَدُّكَ الميَّاسُ فـي حُلَـلِ الْبَهـا فألْبَسنِي جِلْبابَ سُـقْمِيَ والحُزْنَـا

دهشت بلألأ غرة الحسن أودعـت بها آيـة تـسبي الخـواطر والـذهنا

أنوب إلى الأعْتابِ في غَسَقِ الدُّجَى ومـا خِلْتُـه ألاّ يزيـدَني الوَهْنَـا

لـواءُ وَلائـي تحـت قَـبْضِ يَمينِـه وإن كان عن رِقِّي بغيري قد اسْتغْنَى

وَدِدْتُ لخدِّي تحت نَعْلَيْـه مَوْطِئـاً فيا ليْت أن يَرْضَى وَضعتُ له الجَفْنَا

هرى مهجتي من بين جفنيه صارم فيا ضعفه حـسناً ويـا بأسـه معنـا

أيُـشبه غُـصْنُ الْبـانِ لـينَ انعطافِـه فلا الصَّعدةُ السمراءُ تحْكِي ولا الغُصْنَا

بمرهَـفٍ لحـظ والقـوام بمهجتـي فذا مثخِنٌ صرمًا وذا مثخِنٌ طعنـا

أذَا ثغـرُه أم عقـدُ درٍّ مـنظم إذا افترّ عنه أم هو المبسم المغنـا

بـه فـي فـؤادِ الـصَّبِّ سُـقْمٌ مُبَـرِّحٌ فللـهِ سُـقمٌ مـا ألَـذَّ ومـا أهْنَـا

نَحيـفُ قَـوامٍ لا مـن الـسُّقْمِ رِقَّـةً بها صِـرْتُ رِقّـاً بـالنُّحُولِ لـه قِنَّـا

حريـقُ فـؤادي لا يـزال مُؤجَّجـاً ومَدْمَعُ جَفْنِي وابِـلُ السَّحِّ لم يفْنَا

سَـماحُ مُحَيَّـاه دليـلٌ علـى الـسَّخَا فما بالُه بالوصلِ عـن عَبْدِه ضَـنَّا

---

(١) في الأصل: فريد.

نَبِـــيٌّ جمـــالٍ مُعْجِـــزٌ بجمالِـــه ... ومُعْجِزُ لَحْظَيْه عن الكلِّ قد أغْنَى

إليـه إشـاراتُ المحِبِّـين حيثمـا ... تولّى وكـلٌّ فـي هَـواه بـه مُـضْنَى

به كلُّ أوصـافِ الجمـالِ تجمَّعـتْ ... فمِن أجْلِه في الحبِّ صرتُ له رَهْنَا

نَفَـى وَسَـنِي عنِّي وذَوَّبَ مُهْجتِـي ... وحَنَّ فـؤادي للوِصـالِ ومـا حَنَّـا

عُبَيْـدٌ لـه لا أبْتغِـي العِتْـقَ دائمـاً ... فيا ليْته يَرضَى حُلولِيَ في المَغْنَـى

لـه فـي حَـشايَ منـزلٌ ومَـودَّةٌ ... مُشيَّدةُ الأركـانِ مُحْكَمَـةُ المبْنَـى

يَهـيمُ بـه عقلـي فـسِرِّي تهتُّكِـي ... ورُشْدِي ضَلالي في هواه ولا مَنَّـا

أبُـثُّ لـه شـوقي فيَلْـوِي وينْثنِـي ... بتِيهِ تَـثَنٍّ يُخْجِـلُ الذّابِـلَ اللّـدْنَا

لماذا تُطيلُ الـصَّدَّ يـا غايـةَ المُنَـى ... ومُغْرَمُـك الوَلْهـانُ أفْنيْتَـه حُزْنَـا

نَهتْنِـيَ عُـذّالِي وبـي يتمَـسْخَرُوا ... يقولون يا وَلْهانُ إرْعَ لنا الظّعْنَـا[1]

زمانُـك يـا مجنـونُ ضـاعَ بحُبِّـه ... ولم تر أهلَ العشق مثلَك قد جُنَّـا

يُـصدُّ ويجْنِـي فـي فِراقِـك دائمـاً ... فقلتُ فعندي ذاك أطيبُ ما يُجْنَى

إلى كم جفَا حتى متى تَرْض باللِّقا ... وتُطْفِي لَهِيباً لاعِجاً مُهْجةَ المُـضْنى

دَهَتْني صفاتٌ لم أُطِقْ حصرَ عَدِّها ... فتلك إشاراتُ المحبِّ بهـا تعنـى

هنِيئـاً لقلبـي مـات فيـك مَحبَّـةً ... بما يُرْضِـي الرحمنَ والإِنْسَ والجِنَّا

ومـا عَـشْقتِي فيـه قَبـيح ولا خَنـاً ... ولكنّهـا للّـهِ خالـصةُ المعنَـى

[١٣٦٨] عبد الملك بن جمال الدين بن صدر الدين ابن العلامة عصام الدين الإسفرايني، صاحب «الأطول»، الذي عارض به «المطول»، وغيره

---

(١) في الأصل: الطَّعْنا.

من المؤلفات المفيدة، والتآليف السديدة، المكي الشهير بالعصامي، الشافعي، الملقب بخاتمة المحققين[1].

إمام العلوم العقلية والنقلية، وخاتمة علماء العربية، وعَلَم الأئمة الأعلام، وسيد علماء الإسلام، وبحر العلم المتلاطمة بالفضل أمواجه، وطود المعارف الراسخ، الناتجة لديه أفراده وأزواجه، وعلامة البشر، في القرن الحادي عشر، والرحلة التي ضربت إليه أكباد الإبل، والقبلة التي فُطر كلُّ قلبٍ على حبها وجُبل.

جمع فنون العلم، فانعقد عليه الإجماع، وتفرد بصروف الفضل، فبهر النواظر والأسماع، فما من فنٍّ إلا وله فيه القدح المعلَّى، والمورد العذب المحلى، إن قال، لم يَدَعْ قولاً لقائل، أو لم يأت غيره بطائل[2]، حتى قال فيه بعض علماء عصره: لم تر عيني عالماً تحت أديم الفلك مثلَ إمام الحرمين عبد الملك.

مولده بمكة، سنة ثمان وسبعين وتسع مئة، وجاء تاريخه: (نعم المولود ذا)، وبها نشأ، وأخذ عن والده، وعن عمه القاضي علي بن صدر الدين، الشهير بالحفيد، وعبد الكريم بن محب الدين القطبي، والسيد العلامة محمد الشهير بمير باد شاه، والشيخ العلامة عبد الرؤوف المكي.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٨٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١١٤) (٢٨١)، «سلافة العصر» لابن معصوم (١٢٢)، «البدر الطالع» (١/ ٤٠٣)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ١٥٧).

(٢) في الأصل: أوطأ الملك لم يأت غيره بطائل.

وعنه: العلامة محمد علي بن علان الصديقي المكي، والقاضي تاج الدين المالكي، وعبدالله بن سعيد باقشير، وعلي بن الجمال، والخطيب أحمد البري المدني، وغيرهم ممن يطول ذكره.

ولازم الإقراء والتدريس، في كل علم نفيسٍ، وجدد مغنَى العلم الدريس، واشتغل بالتصنيف والتأليف، وتخلى عن كل أنيس وأليف، حتى بلغت مؤلفاته الستين، من شرحٍ مفيدٍ، ومتنٍ متينٍ، مع زهد وصلاح، وتقوى أشرق نورها في أسرة وجهه ولاح، وإلمام بالأدب وافر، ظاهر للبادي والحاضر.

ومن مؤلفاته: «شرح الشذور لابن هشام»، و«شرح الإرشاد» في النحو ـ أيضاً ـ، و«حاشيةٌ على شرح القطر للمصنف»، و«حاشيةٌ على شرح القواعد لخالد»، و«شرحٌ على الخزرجية»، و«شرحٌ على منظومة الشمني» في أصول الحديث، و«منظومةٌ في الألغاز النحوية وشرحها»، و«بلوغ الأرب من كلام العرب»، و«شرحين[1] على رسالة الاستعارات للسمرقندي» كبير وصغير، و«شرح إيساغوجي»، و«الكافي في العروض والقوافي»، و«التسهيل في العروض».

ومن شعره: قوله مضمناً:

أُهدي لمجلسه الكريـ ـم فرائدًا تُهدى إليه

كالبحر يمطره السحا بُ وماله فضلٌ عليه

(١) كذا في الأصل، والصواب: وشرحان.

وهو من قول البديع هبة الله الإصطرلابي:

أُهـدي لمجلسِه الكـريمِ وإنمـا | أهدي لـه مـا حـزتُ مـن نعمائِـهِ
كـالبحرِ يُمطـره الـسحابُ ومالَـهُ | مَـنٌّ عليـه لأنـه مـن مائِـهِ

وكتب إليه القاضي تاج الدين المكي مسائلاً بقوله:

مـاذا يقـول إمـامُ العـصر سـيدُنا | ومَـنْ لديـه يـرى التحقيـق طالبُـهُ
في الدارِ هل جائزٌ تـذكيرُ عائـدِها | في قولنا مثلاً فـي الـدار صـاحبُهُ
ومـن إبانـة همـز ابـن أراد فهـل | يكـون موصـوفُه اسـمًا تطالبـه
أم كونـه علمًـا كـافٍ ولـو لقبًـا | أو كنيـةً إن أراد الحـذقَ كاتبُـه
أَفِدْ فمـا إن رأينـا الحـقَّ منخفـضاً | إلا وأنـتَ علـى التحقيـق ناصبُه

فأجابه بقوله:

يا فاضلاً لم يزل يُهدي الفرائدَ من | علومِـه وتروينـا سـحائبُهُ
تأنيثك الدارَ حتمٌ لا سبيل إلى التـ | ـتَذكير فامنعْ إذًا في الدار صاحبُهُ
والاسمُ موصـوفه عَمِّـمْ فـإن لقبًـا | أو كنيةً فارتكابُ الحـذفِ واجبُـهُ
هذا جوابي فاعذرْ إن تجـدْ خلـلاً | فمـصدرُ العجـزِ والتقـصيرِ كاتبـهُ
لا زلتَ تاجًا لهاماتِ العـلا علمـاً | في العلم يحوي بك التحقيقَ طالبهُ

[١٣٦٩] عبد الملك بن محمد بن محمد بن محمد بن أحمد بن عبد الرحمن السجلماسي المالكي المغربي.

الإمام العلامة المفنن، أخـذ عن مشايخ شتى، أولهم أخذاً وانتفاعاً:

والـده، وأخـذ عن أخيـه أحمد أبي العباس متوناً كثيرةً، سمـع عليـه جميع «صحيح البخاري»، وأخذ عن أخيه محمد، وأخذ عن حامل السنة وخادِمها أبي عبدالله محمد بن ناصر الدرعي، ولازم درسَه ما بين حديث وتفسير، وفقه وعربية، وغير ذلك.

وأخذ عن الشيخ أبي عبدالله محمد المرابط الدلائي، وطالما خاض معه في العلوم اللسانية، وأخذ عن ابن عمه محمد بن عبد الرحمن الدلائي، سمع منه جميع «صحيح البخاري» أزيدَ من خمس مرات، مع أجزاء كثيرة، ما بين حديث ولغة وأدب، وأخذ عن إمام المعقول والمنقول أبي العباس أحمد بن عمران، وعن قاضي القضاة أبي عبدالله محمد بن سودة الأندلسي الفاسي، ومشايخه أكثر من أن يحصيهم القرطاس.

قدم مصر سنة ثلاث وثمانين حاجاً، وتوجه إلى مكة، وجاور بها سنة، وعقد بها درساً، وجاور بالمدينة، وعقد بها درساً، ورجع إلى مصر، وعقد بها درساً، وحضرتُه في «تهذيب المنطق» للسعد، واجتمعت به، وتأكدت بيني وبينه الصحبة، ورجع إلى وطنه، وهو موجود ـ سلمه الله تعالى ـ.

[١٣٧٠] السيد عبد المحسن بن عبد الرحمن بن حسين الأهدل.

وتقدم نسبه في ترجمة ولده أحمد.

كان شيخاً جليلاً، قام بمحل آبائـه وزاويتهم أتم قيـام، ورزق القبول التام، عند الخاص والعام، وكانت له كراماتٌ مشهورةٌ.

مولده سنة ثلاث وثلاثين وتسع مئـة، ووفاتـه سنـة تسع ـ بالتاء ـ بعد الألف بزبيد، وقبر عند آبائه ـ رحمهم الله تعالى ـ.

[١٣٧١] **الشريف عبد المحسن بن الحسين بن الحسن بن أبي نمي.**

سلطان الحرمين، وحائز سيادة الشرفين.

وُلد في جمادى الأولى، سنة أربع وثمانين وتسع مئة بمكة، ونشأ في كفالة أبيه وجده، كان جده الشريف حسن يُنوه بقدره، ويقدمه لنباهته ونجابته، وظهور آثار الرياسة عليه في صعدة، وكان يقدمه في الحروب، فيرجع مظفراً منصوراً، وعدوه مخذولاً مقهوراً، جُبل على مكارم الأخلاق، وطار صيته في الآفاق.

ولما تولى عمه أبو طالب إمارةَ مكة، أحلَّه محل ولده، ونزله منزلة أفلاذ كبده، إلى أن مات أبو طالب، فشاركه عمه إدريس في إمرة مكة، ولبس الخلعة الثانية، ودعي له في الخطبة، وعقد له لواء الإمارة، وضُربت النوبة الرومية في بيته، ووردت الأوامر السلطانية برسمه، وأتت المراسيم إليه مع عمه.

واستمر شريكاً بالربع إلى أن أذن الله له بالاستقلال بولاية الحجاز، فجرى بينه وبين عمه حالٌ أدى إلى قيامه عليه، وتابعه جميع الأشراف على ذلك، فخلع عمه إدريس، واستقل بالأمر يوم الجمعة، الخامس من شهر محرم الحرام، سنة أربع وثلاثين وألف، فقام بالأمر أحسن قيام، وضبط البلاد، وأمّن السبل والطرق، وانتظم في سلك طاعته سائر الفرق العاصية.

ولما فارقه السيد مسعود، وعبد الكريم، ابنا إدريس بن الحسن، وغيرهما، جمعوا من أعراب نجد بعض القبائل، من سُبيع ومُطير وعَدْوان، فكان سبب خروج الشريف محسن إليهم، فالتقوا بمحلٍّ معروفٍ، فطُرح الشريف مسعود، ضربه الشريف محسن بالسيف، فأطار السيف من يد مسعود،

وطرحه، فاستنخاه، فمنّ عليه الشريف محسن وأطلقه.

وقيل: ضُرب مسعود حتى ملئ جراحةً وتهبّر، ولم يُعرض عنه إلا بعد أن لم يشك في موته، وانهزم من كان معه، وبقي هو، وتفرقت جموعهم، ثم أخذ الشريف مسعود، وملّ وعولج، فقطبت جراحته، وجبر ما تكسر منه، فعوفي، وعاش إلى أن ولاه مكة قانصوه باشا، بعد قتله للسيد أحمد بن عبد المطلب.

ولما كان في آخر صفر، سنة سبع وثلاثين وألف، وصل الوزير أحمد باشا متولياً الجهات اليمنية، فلما وصل إلى محاذاة جدة، بحيث يراها...[1].

[١٣٧٢] القاضي عبد الهادي بن المقبول بن عبد الأول بن أبي بكر ابن عبد الأول بن عيسى بن عبد الغفار بن عبد الأول ابن الأستاذ محمد بن عيسى ابن الشيخ العارف بالله أحمد بن عمر الزيلعي[2].

صاحب اللحية، وأمه مريم بنت عيسى بن يوسف بن أبي بكر بن يوسف ابن أبي بكر، صاحب الحال الأكبر بن محمد بن عيسى ابن الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي.

أحد العلماء الزهاد، الراضين من الزهاد باليسير، وممن جمع بين العلم والأدب الغزير، مع محبته للعلم وأهله، ومواصلة أهل الفضائل، واطلاع كبير، وذكاء وفطنه وقَّادة، وسؤال عما أشكل في مواضع الإفادة؛ بحيث لا يمر على المشكل، إلا بعد أن ينحل عقده، ويتضح معناه، ويظهر بين

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا ثلاثة أرباع الصفحة بياض».

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٩٤).

أرباب الفضائل دليله وفحواه.

وله مسابقةٌ إلى التماس الفوائـد، التي هي أحسن الصلات والعوائد، وإقبالٌ على ما به الشرف الديني والدنيوي، وهو العلم الشريف، الذي قرن الله أهله بملائكته المقـربين، في كتـابـه الكريم، حيـث قـال عـز مـن قائـل: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَأُوْلُواْ ٱلۡعِلۡمِ قَآئِمَۢا بِٱلۡقِسۡطِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾[آل عمران: ١٨]، وله في آل رسول الله ﷺ محبةٌ راسخةٌ، ومودة[١] بيوتها عاليةٌ شامخةٌ، عملا بقوله تقدس ربًّا: ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾[الشورى: ٢٣]، ولذلك حصلت لـه الجلالة والاحترام، عند الأئمة بني القاسم، وبينه وبينهم مكاتباتٌ رائقةٌ، ومودةٌ صادقةٌ.

مولده بجازان، في شهر محرم، سنة ثلاثين بعد الألف، وقرأ بالحجرين، وهي قريةٌ غربي صبيا «مختصر أبي شجاع»، و«شرحه لابن قاسم الغزي» على الفقيه محمد بن صديق الدياجي، وبصبيا «شرح المنهاج المحلي» على الفقيه أحمد بن علم الدين شافع، وعلى الفقيه إسماعيل بن محمد المحلوي «شرح الأجرومية لخالد الأزهري» و«شرح الرحبية لأبي مخرمة».

ثم رحل إلى الحرمين، وقرأ بجـدة على عبـد القادر بن أحمد الخلي «شرح الأزهرية لخالد الأزهري»، و«نزهة الحساب لسبط المارديني»، وبمكة عن شيوخٍ كثيرين، منهم: محدث عصره محمد علي بن علان، وشيخنا شيخ الإسلام محمد بن علاء الدين البابلي، وعبدالله بن سعيد باقشير، وصحب العارف بالله مهنى بن عوض بامزروع الحضرمي، وأخذ عنه الطريق، وتلقن

---

(١) في الأصل: ومودتها، والصواب ما أثبت.

الذكر، ولبس منه الخرقة.

ثم رجع إلى اليمن، وقدم اللحية، وأخذ بها عن شيخنا الجمال محمد صاحب الحال، وصحب عارف زمانه وليّ الله الفقيه مقبول بن أحمد المحجب، وكان يجله ويعظمه، ويميزه على ولده، ويقول له: من خلَّفَ مثلَك، ما مات، ويتمثل له بقول بعضهم:

لولا بكَ النفعُ ما أُخرجت من بلـدٍ إلى التي خصصت في سابقِ القدمِ

ورجع إلى بلده جازان، وصحب بها الشيخ سعيد بادهمج، زمنَ إقامته بها، معتكفاً بمسجـد بني عبد الأول، وكان لـه عنده مقام رفيع، ويشير إليه فيما يخطر لـه من الخواطر الرحمانية، ويقول له: أنت معان، ولا تقوم في أمرٍ إلا أعانك الله عليه.

وشيوخه بالسماع والإجازة كثيرون، منهم: شيخنا عالم اليمن القاضي حسين المهلا، وأحمد بن أبي بكر بن مَجْنَه الأقوى الكناني الشافعي، والفقيه أحمد بن صديق الحشيري، وبينه وبين العلامة السيد يحيى بن أحمد الشرفي وغيره من الأكابر مكاتباتٌ فائقةٌ، ومراسلاتٌ رائقةٌ.

وقد اجتمعت به باللحية، وتذاكرت أنا وإياه، واقتبست من نور مشكاة علمه، ما استنار به القلب وارتضاه، وأجازني بمروياته ومقروءاته ومسموعاته.

وله أشعارٌ حسانٌ، منها: قوله يرثي السيد يحيى الشرفي:

أفـل البـدرُ عـن سـماءِ الـسعودِ واختفى النُور عـن سـناهُ الـسعيدِ

وغـدا الـدهرُ لابـسًا ثـوبَ حـزنٍ أسـفاً منـذ غـابَ عـينُ الوجـودِ

لا رعـــى اللهُ لليـــالي ذمامًـــا إذ دَهتْنـــا بكـــل حتـــفٍ ســـديدِ

حين وافَتْ عينُ الخطوب بخطـبٍ ومُـــصابٍ مـــشيِّبٍ للوليـــدِ

وعلـى الـدهر والليـالي سـلامٌ بعد فقـدِ الحبيـب ذاكـي العـدودِ

صـــفوةِ الآلِ والمكـــارم يحيـــى معـدنِ الفـضلِ والوفـا بـالعهودِ

كلُّ صعبٍ سوى مـصابِك سـهلٌ لـيس فيمـا أقـولُ مـن ترديـدِ

غيــــر أن المــــرادَ لله فيمــــا يشا في الخلق مـن جميـعِ العبيـدِ

وهي طويلةٌ.

ومن مراسلات السيد القاسم ابن الإمام محمد المؤيد بالله إليه: ما كتبه مجيباً له عن كتاب أرسله إليه قوله: القاضي العلامة، الأوحد الفهامة، فخر الدين، وقوة الأفضلين، وعين العلماء العاملين، ومحب أهل البيت المطهرين، عبد الهادي بن المقبول العقيلي الطالبي ـ حفظه الله ورعاه، ومن جميع الأسواء والمكاره وقاه، وتولاه في جميع أموره ورعاه ـ. وأُهدي إليه أفضل السلام، وأعمَّ التحية والإكرام، ورحمة الله وبركاته على الدوام.

وبعد: حمـدًا لله على نعمِـه التوامّ، وأياديه الجسام، وأنعُمـه الوافرة الأقسام، وسؤاله الصلاة والسلام، على سيدنا محمد خير الأنام، وآله الصفوة الكرام.

فقد صدرت لإهـداء السـلام، بعـد ورود كتابكم الكريم، وخطابكم الفخيم، المتضمن للمعاهدة، والمؤدي لتهنئة الشهر الكريم، وميقات الفضل العميم، شهر رجب الأصب، الذي فيه البركات من الله ﷻ تنصبّ، فالله تعالى يهنئ الجميع بقدومه الميمون، ويجعله بسعادة الدارين على الجميع مقرون.

ويجعل الجميع فيه ممن عمل فيه بما يقرب إليه، ويزلف لديه، ويعيد هذه المواسم، التي هي بأنوار الفضل بواسم، أعواماً كثيرة العدد، موفورة المدد، ويجعلنا لديه من المقبولين، وعلى كرمه من المعولين، وهو الجواد الكريم، الرؤوف الرحيم، وما حققتم من أخبار القبلة والهجرة ـ زادهم الله شرفاً ـ، فأحسنتم، والله يحرسهما ويحميهما، ويعمرهما بالعدل والأمان، ويصونهما عن أهل الزيغ والطغيان، وصلى الله على محمد وآله وسلم.

توفي ـ رحمه الله ـ سلخَ ذي القعدة، سنة ثمان وتسعين بعد الألف بجازان، بعد الظهر، يوم الأربعاء.

[١٣٧٣] عبد اللطيف ابن القاضي محب الدين الحموي الحنفي[1].

مولده سنة ثمان وستين وتسع مئة، قرأ على والده، وشاركه في بعض مشايخه، وحضر دروس شيخ الإسلام البدر الغزي، وكانت له فضيلة تامة في فنون كثيرة، وكان انتمى إلى بعض موالي الروم، فصار له في صر مكة دينار ذهب في كل يوم، غير ما له من القمح المجهز إلى الحرمين من مصر.

وسافر بعد عوده من الروم، أواخر سنة ألف إلى مكة، بنية المجاورة، وجاور سنتين، وصحبه بمكة الشريف مسعود بن إدريس أمير مكة، وصار له حظوة عنده، ومدحه بقصائد، وتزوج ثمة، ثم اقتضى رأيه أن فرغ عن صره، وعاد إلى دمشق، ثم سافر منها إلى القسطنطينية، فسعى في القضاء، وولي قضاء حماة.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٣٣) (٢٠٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ١٨٤) (٧٩)، «هدية العارفين» (١/ ٦١٧).

وملك بالشام عقارات كثيرة وبساتين، ووقف ما أنشأه من العمارات والعقارات على قراء ومدارس، ومرض مدةً بوجع الكبد، وقال له بعض حذاق الأطباء: إياك من شيئين، كلٌّ منهما يقتل صاحب هذا المرض، التخمة والنكاح، فكان حذوراً من ذلك، حتى كان لا يأكل من الخبز إلا قليلاً لثقله.

فلما كان يوم الثلاثاء، ثامن وعشري صفر، سنة ثلاث وعشرين بعد الألف، ذهب إلى بستان له، كان اشتراه ببيت لهيا، وأخذ أولاده وأصحابه، وعمل لهم ضيافةً فيه، فأكل من الفاكهة، ونفيس الأطعمة أكثر من عادته، ثم عاد إلى بيته، **فمات** في أثناء ليلة الأربعاء، تاسع وعشري صفر المذكور، ويقال: إنه جامع تلك الليلة، فمات فجأةً وهو على حاله، ودفن في بيت صغير، عمّره بالخشابين، خارج باب الشاغور، وعمّر عنده مكتباً لطيفاً، وهو على طريق مقبرة باب الصغير، قريباً منها ـ رحمه الله ـ.

[١٣٧٤] عبد اللطيف بن عبد المنعم القاضي زين الدين، المعروف بابن الجابي الشافعي(١).

كان أبوه تاجراً بصاغة دمشق، ثم صحب المترجم الشيخ الإمام شهاب الدين أحمد بن أحمد بن أحمد بن بدر الطيبي، وأخذ عنه العربية والقراءات، حتى فضل وبرع واشتهر، وولي وظيفة الوعظ، فكان حسن التأدية فيه.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٣٩) (٢٠٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٧)، «نفحة الريحانة» للمحبي (١/ ٣٦٥) (٢٧)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٥٩).

ثم ولي نيابة القضاء، فصار نائباً شافعياً بالكبرى، ثم نقل إلى الباب، بعد موت القاضي تقي الدين الزُّهَيْري، ثم سافر إلى الروم، فجاء بنيابة الباب، وبتدريس الشامية البرانية، عن القاضي عبد اللطيف بن محب الدين، وكان مبتلًى بأكل البرش، حتى لقب بشباط، قال النجم الغزي: ومما جرى على اللسان، أن قلت فيه:

ما زال أشباطُ بكيفيةٍ	مختلَّةٍ في حالِ خباطِ
يَهذي على الناس كما يشتهي	والناسُ كانون بأشباطِ

وكانون في البيت ـ بفتح النون ـ: جمع كانٍ، قال في «الصحاح»: رجلٌ كانٍ، وقوم كانون، وهو من كنت عن الشيء: إذا أخبرت عنه، ولم تصرح باسمه.

[١٣٧٥] عبد القادر بن أحمد بن محمد بن فرج الشافعي المشرعي الجَدّي[١].

خطيب جَدَّة وعالمُها، والمقدم فيها بالعلوم الشرعية، والأخلاق النبوية، والخصال المرضية.

وُلد بجدة، وبها نشأ، وأخذ بمكة عن شيخ الإسلام الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي، وعن العمدة العلامة محمد بن أبي بكر الأشخر، وغيره من علماء عصره، وعنه أخذ جماعةٌ من العلماء، منهم: الشيخ العلامة أحمد بن محمد الخلي.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٢/ ٤٣٥)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٣٦).

وله مؤلفات، منها: «السلاح والعدة في فضل ثغر جدة».

وكانت وفاته في يوم السبت، سابع رمضان، سنة عشر بعد الألف، بجدة، وبها دفن ـ رحمه الله ـ.

ورأيت في بعض مجاميع المكيين، قال: اجتمع صاحب الترجمة ليلةً بالمسجد الحرام ـ زاده الله شرفاً وتعظيماً ـ مع جماعةٍ من أعيان الفضلاء للمذاكرة، فأنشد الشيخ العلامة برهان الدين إبراهيم بن علان الصديقي، من محفوظه لأمرٍ اقتضاه الحال، وذلك في شهر ربيع، سنة تسع وسبعين وتسع مائة:

بكتْ سلمى غداةَ البين لمَّا ... رأتْ طرفي خضيباً بالدماءِ

تعانَقْنا لتوديعٍ فقالتْ ... جه نبودي[1] كرنبودي اشنائي

وأنشد أيضاً من محفوظه:

ولما زم للترحال عيسٌ ... وأجرى الدمع كالماء السماءِ

تعانَقْنا لتوديعٍ فقالتْ ... جه نبودي كرنبودي أشنائي

فأنشد الشيخ نور الدين علي بن إبراهيم ابن الشيخ ولي الدين أبي زرعة على البديهة:

أحبائي أقيموا بالصفاءِ ... ولا تجفوا محبّاً ذا وفاءِ

ينادي منشداً حينَ التنائي ... جه نبودي كرنبودي أشنائي

(١) في الأصل: بودي، وذلك في جميع المواضع التي وردت فيها هذه الكلمة.

وأنشد العلامة برهان الدين إبراهيم ابن الإمام أبي اليمن الطبري الشافعي قوله:

ولما أن دنا التوديعُ ممن ... أُحبُّ وفاض دمعي بالدماءِ
وقالَ اكففْ دموعَك قلتُ دعْها ... جه نبودي كرنبودي أشنائي
بلى يا ليتها يقيتْ ودامتْ ... مودتُنا على رُغم السواء

وأنشد نور الدين علي الزرعة المذكور قوله أيضاً:

لقد أذكى سعيراً في حشائي ... فراقُ أحبتي أهلِ الولاءِ
فوا أسفي على قربي وجمعي ... بهم في خلسةٍ عن كل رائي
وواشوقي إلى أوقاتِ أنسٍ ... بهم تزهو على رغم العداءِ
وواظمئي إلى ذاكَ المحيَّا ... له عطشي ولُقياه روائي
أقول أسىً ولم يبقى بجسمي ... يرجى وصلهم غير الذماءِ
ودمعي في الخدود حكى نَجيعًا ... جه نبودي كرنبودي أشنائي

وأنشد الشيخ نور الدين علي بن أحمد الجَمَّ قوله:

وساجعة بلفظٍ أعجميٍّ ... تطارحني الهوى داءً بداءِ
تقول وقد تواعدنا إلهي ... جه نبودي كرنبودي أشنائي

وأنشد صاحب الترجمة قوله:

لحاكَ اللهُ يا يوم النواءِ ... ولا برحتْ شموسك في خفاءِ
لقد أجريتَ من عيني دماءً ... وقد أضرَمَت ناراً في حشائي

ومـذ رحـل الحبيـبُ وبـان بينـي دنـــا أجلـــي ودَبَّ إلـــيَّ دائـــي
وهِجْـتَ مـن التـألم يـا منـائي جـه نبـودي كرنبـودي أشـنائي

وأنشد الشيخ محمد ابن الإمام أبي اليمن الطبري قوله:

نـأى حبـي وخلانـي فريـداً بنـار أَسًـى تـسعَّرُ فـي حـشائي
فقلـتُ وأدمعـي تجـري دمـاءً جـه نبـودي كرنبـودي أشـنائي

وأنشد الشيخ محمد بن محب الدين بن أيوب المكي قوله:

أيـا مـن عـزَّ مـن لقيـاه صـبري وقلبـي ذابَ مـن فـرطِ التنـائي
ودمعـي كالـسيولِ يفـيض حزنـاً علـى خـدِّي دوامـاً كالـدماء
وجسمي صار من سقمي نحيلاً وأمـا الـروحُ أضـحتْ كالهبـاء
وشـوقي فـي ازديـادٍ والتـسلي حـرامٌ صـح فـي شـرعِ الهـواءِ
ونَـوْحي دائمـاً فـي كـل حـين كنـوحِ العنـدليب بـلا خفـاءِ
وقـولي للعـذول ومـن يلمنـي بحـب رشـاً يفـوق علـى الظبـاءِ
بـدورُ الـتمِّ تـشهدُ لـي بـصدقٍ وشمسُ الأفـق مـن كَبـِدِ الـسماءِ
بـأن معـذِّبي فـي الحـسن فـردٌ حـوى كـلَّ الملاحَـةِ والبهـاءِ
وزادَ علـى الغـصونِ بلـينِ قَـدٍّ وطيـب الأصـل منـه بـلا امتـراء
لـسانُ الحـال فيـه غـدا ينـادي وينشد فـي الـصباح وفـي المـساء
أيـا مَـنْ مهجتـي تلفـتْ عليـه جـه نبـودي كرنبـودي أشـنائي

وللشيخ أحمد بن محمد الجوهري ـ المذكور في حرف الحاء ـ وقد

قدم الحضرة المتوكلية، ووجد هناك القاضي شمس الدين أحمد بن صالح بن أبي الرجال، وحصلت بينهما ألفةٌ تامةٌ، فلما ارتحل من الحضرة المتوكلية، قال في ذلك:

أيا ابنَ أبي الرجال سلبت لـصحبة	بما قد جـرت مـن حـسن الوفـاء
سأنـــشدُ إن بـــدانا البـــينُ يومًـــا	جـــه نبـــودي كرنبـــودي أشـــنائي

[١٣٧٦] عبد القادر الصَّفُّوري الدمشقي الشافعي.

مولده بدمشق، عام عشرة وألف، ووفاته عاشر رمضان، سنة إحدى وثمانين وألف.

[١٣٧٧] عبد الواحد بن أحمد بن علي بن عاشر، الأنصاري نسباً، الأندلسي أصلاً، الفاسي منشأً وداراً[١].

ذكره تلميذه العلامة محمد بن أحمد بن محمد، الشهير بميارة، في شرحه على منظومة المترجم، المسمى بـ: «الدر الثمين والمورد المعين في شرح المرشد المعين على الضروري من علم الدين»، فقال: كان إماماً عالماً، ورعاً عابداً، متفنناً في علومٍ شتى، آيةً في الفهم والتحقيق في الفنون، مواظباً على العبادة والدين، ومع ذلك لم تفته دنياه، كما لم تفته أخراه، سبحان من خصه بذلك سبحانه.

قرأ القرآن على الإمام الشهير الأستاذ المحقق أبي العباس أحمد بن الفقيه،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٩٦)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ١٧٥)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٢٨٧).

والأستاذ عثمان اللمطي، وعلى غيره، وأخذ قراءة الأئمة السبعة عن الأستاذ المحقق أبي العباس أحمد بن الكفيف، ثم عن العالم الشهير مفتي فاس، وخطيب حضرتها أبي عبدالله محمد الشريف المري التلمساني، وغيرهما، ولا أشك أنه فاق أشياخه في التفنن في التوجيهات والتعليلات ـ رحم الله جميعهم ـ.

وأخذ النحو وغيره من العلوم عن جماعةٍ من الأئمة؛ كالإمام العالم المتفنن مفتي فاس، وخطيب حضرتها، أبي عبدالله محمد بن قاسم القصار القيسي، وكالإمام النحوي الأستاذ أبي الفضل قاسم بن أبي العافية، الشهير بابن القاضي، وكشيخنا الفقيه المحدث، المسند الراوية الأديب، الحاج الأبرّ، أبي العباس أحمد بن محمد بن أبي العافية، الشهير بابن القاضي ابن عم أبي الفضل المذكور قبله، وكالإمام العالم المحقق، قاضي الجماعة بفاس، أبي الحسن علي بن عمران.

وكالإمام العالم مفتي فاس، وخطيب حضرتها، أبي عبدالله محمد الهواري، وكالشيخ العالم العامل، الورع الزاهد، أبي عبدالله محمد بن أحمد التجيبي، شهر بابن عَزِيز ـ بفتح العين المهملة، وكسر الزاي ـ، وكان الناظم ـ رحمه الله ـ يذكر عنه كراماتٍ ـ نفعنا الله به ـ، وكشيخنا الإمام العالم، المتفنن المفسر المسند[1]، قاضي الجماعة بفاس، وخطيب حضرتها ومفتيها، أبي الفضل قاسم بن محمد أبي النعيم الغساني، وغيرهم من الأئمة.

وأخذ الحديث عن بعض من تقدم من الشيوخ الفاسيين؛ كابن عَزِيز،

(١) في الأصل: المسن.

والقصار، وشيخنا ابن القاضي، وعن غيرهم من المشارقة، لما حج، وذلك سنة ثمانية وألف، والله أعلم، وهو الإمام المعمر صفي الدين أبو عبدالله محمد ابن يحيى العِزِّي ـ بكسر العين المهملة، وكسر الزاي المشددة ـ الشافعي، وقرأ «موطأ مالك بن أنس» على الفقيه العالم المسن أبي عبدالله محمد الجنان، و«شمائل الترمذي» على شيخنا الإمام العالم المحدث أبي الحسن علي البطوي ـ رحمة الله علينا وعليهم أجمعين ـ.

وكان الناظم ـ رحمه الله تعالى ـ ذا معرفةٍ بالقراءات وتوجيهها، وبالنحو والتفسير والإعراب، والرسم والضبط وعلم الكلام، يحفظ نظم ابن ذكري، عن ظهر قلب، ويعلم الأصول والفقه، والتوقيت والتعديل، والحساب والفرائض، وعلم المنطق والبيان، والعروض والطب، وغير ذلك، وحج وجاهد واعتكف، وكان يقوم من الليل ما شاء الله ـ تغمده الله برحمته، وأسكنه فسيح جنته ـ.

ألّف تآليف عديدةً، منها: هذه المنظومة العديمة المثال في الاختصار، وكثرة الفوائد والتحقيق، وموافقة المشهور، ومحاذاة مختصر الشيخ خليل، والجمع بين أصول الدين وفروعه؛ بحيث إن من قرأها، وفهم مسائلها، خرج قطعاً عن رتبة التقليد، المختلف في إيمان صاحبه، وأدى ما أوجب الله عليه تعلّمه، من العلم الواجب على الأعيان.

ولذا قال فيها الفقيه الأجل، الأديب النحوي اللغوي، أبو محمد عبدالله ابن الشيخ الأجل، الولي الصالح، المجاهد المرابط بالثغور، والفتوحات العديدة، والمآثر الحميدة، أبو عبدالله محمد بن أحمد العياشي ـ أبقى الله وجوده ـ كهفاً للإسلام، وجلاءً لغياهب الظلام ـ ما نصه:

عليكَ إذا رُمْتَ الهدى وطريقَهُ		وبالدين للمولى الكريمِ تَدينُ
بحفظٍ لنظمٍ كالجمانِ فصولُه		وما هو إلا مرشدٌ ومُعينُ
كأن المعاني تحت ألفاظه وقد		بدتْ سلسبيلٌ بالرياضِ مَعينُ
وكيفَ وقد أبداه فكرُ ابنِ عاشرٍ		إمامِ هُدًى للمشكلاتِ يُبينُ
تضلَّعَ من كلِّ العلومِ فما لَهُ		شبيهٌ ولا في المَعْلُواتِ قرينُ
وأبرزَ رباتِ الجمالِ بفهمِه		فها هي أبكارٌ لديه وعُونُ
وأعملَ فكراً سالماً في جميعِها		فذلَّ له صعبٌ ولانَ حَرونُ
وأُنهي إلى قطبِ الوجودِ تحيةً		علينا بها كلُّ الأمورِ تهونُ

انتهى.

ومنها: شرحه العجيب على «مورد الظمآن في علم رسم القرآن»؛ فقد أجاد فيه ما شاء، وليس الخبر كالعيان، وأدرج فيه تأليفاً سماه: «الإعلان بتكميل مورد الظمآن»، في كيفية رسم قراءة نافع، من بقية السبعة، في نحو خمسين بيتاً، وشرحه، وابتدأ «شرحاً عجيباً على مختصر الشيخ خليل» ملتزماً فيه نقل لفظ ابن الحاجب، ثم لفظ التوضيح، وأضاف إلى ذلك فوائد عجيبة، ونكتاً غريبة، كتب منه من قوله في النكاح والكفاءة الدين والحال، إلى باب السَّلَم، والله أعلم.

وله طررٌ عجيبةٌ مفيدةٌ على المختصر المذكور، بعضها يتعلق بلفظ المختصر، وبعضها بلفظ شارحه الإمام التتائي، في شرحه الصغير، وله «رسالةٌ عجيبة في عمل الربع المجيب» في نحو مئة وثلاثين بيتاً من الرجز، وله تقاييد على العقيدة الكبرى للإمام السنوسي، وله طررٌ عجيبةٌ على شرح الإمام أبي

عبدالله محمد التنسي لذيل «مورد الظمآن» في الضبط، وله مقطعاتٌ في جمع النظائر، ومسائل مهمة من الفقه والنحو وغيرهما.

ومن نظمه ـ رحمه الله تعالى ـ، وكان يكثر من ذكره، عندما تكثر عنده الأسئلة الفقهية، ومن إملائه نقلت:

يُزَهِّدني في الفقه أني لا أرى ... بسائلٍ عنه غيرَ صنفينِ في الورى
فزوجان راما رجعةً بعد بتّةٍ ... وذئبان راما جيفةً فتسعرا

أصيب ـ رحمه الله ـ بالداء المسمى على لسان العامة بالنقطة، ضحى يوم الخميس، ثالث ذي الحجة الحرام، من عام أربعين وألف، ومات عند الاصفرار من ذلك اليوم ـ رحمه الله، ونفع به ـ، وإلى سنة وفاته أشرت بالشين والميم، بحساب الجمّل، من قولنا في جملة أبياتٍ في تواريخ وفيات جملةٍ من مشايخنا، والإشارة إلى بعض صفاتهم:

وعاشرٌ المبرورُ غزو أو حجةٌ ... إمامُ التقى والعلم شَمٌّ قرنفلِ

وقوله: بالشين والميم، هذا على حساب المغاربة، في ترتيب أبجد، حيث يقولون: ضغش، لا ضظغ، فيجعلون الشين بألف.

وممن أخذ عنه: العلامة محمد بن سعيد الميرغني المراكشي.

[١٣٧٨] السيد عطاء الله بن محمود الصادقي الحسيني الحلبي[1].

أحد القضاة الفضلاء، والأدباء النبلاء.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١١٣)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٥٩٢) (١٢١)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٣٣٩) (٩٩٧)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٣٦).

وُلد ونشأ بحلب، وأكثر اشتغاله بمطالعة كتب الأدب، فنظم الشعر الفائق، وكان موجوداً سنة سبع وسبعين وألف.

ومن شعره يمدح نقيب الأشراف بحلب:

أقسمتُ ما لاح بَرْقٌ من ثَنايـاكِ ... إلاّ وسَحَّ سَحاباً طَرْفِيَ الباكِي

وما تغنَّتْ حَمامـاتٌ على فَنَنٍ ... إلاّ وجاوَبها بالنَّوْح مُضْناكِ

يا فتنةً قابلتْ بالصَّدِّ وُدَّ فتًى ... ما مال في حبِّها يومًا لإشْراك

إن غبْتِ عن ناظِري ما غبتِ عن خَلَدِي ... وحيث كنتِ فإنَّ القلبَ مَثْواكِ

أبِيتُ فيك أُراعِي النجمَ من قلَقٍ ... ما كنتُ أرْعَى نجومَ الأُفْقِ لَوْلاكِ

وفيك لي قد حلا خَلْعُ العِذارِ لما ... طربتُ عند سماعي وَصْفَ مَعْناكِ

يا شمسَ حُسْنٍ بليلِ الشَّعرِ طالعةٌ ... لطَلْعةُ البدرِ جزءٌ من مُحَيَّاكِ

كذاك للريمِ سهمٌ فيك من مُلَحٍ ... وللصَّباحِ نصيبٌ من ثَنايـاكِ

لم أَلْتفتْ لسِواكِ غيرَ مَن بهرتْ ... علومُه كلَّ ذِي فضلٍ وإدْراكِ

أخي الفضائل مَنَّاحِ المسائلِ وهّـ ... ـهَابِ الجزائِل أَمْنِ الخائِف الشاكِي

مولًى بأعلَى أعالِي المجد رُتْبَتُه ... أضحتْ بأوْجِ المعالي فوق أفْلاكِ

به لقد نُسِخَتْ أخبارُ من دَرَجوا ... من الأكارِمِ من عُرْبٍ وأتْراكِ

إن سادَ كلَّ الورى فضلاً فلا عجَبٌ ... فإنه فَرْعُ أصلٍ طاهرٍ زاكِي

مِن قادةٍ ورِثُوا العلياءَ كُلُّهمُ ... وأصبحوا للمعالي أيَّ أمْلاكِ

ما منهمُ غيرُ نِحْرِيرٍ بمُصْطدَمِ الـ ... أبحاثِ يُلْفَى عليها أيَّ فَتَّاكِ

مبذِلِ المالِ والأيامُ عابسةٌ ... روَتْ أياديه عن بِشْرٍ وضَحَّاكِ

بُعْداً لمَنْ رامَ يحْكيهمْ بفيْضِ نَدًى   أَيُشْبه الغيثُ إبراهيمَ ذا الزَّاكِي

يا مُفْردَ العصرِ في خَلْق وفي خُلُقِ   وألطفَ الناسِ في فَهْمٍ وإدراكِ

حكاكَ فَيْضُ الحيا إذْ هلَّ منهمِلاً   لدَى العطاءِ وليس الفضلُ للْحاكِي

بصَحْبِها سُفْنُ آمالٍ لديك سرَتْ   فقال جودُك باسمِ الله مَجْراكِ

لا زلْتَ ترْقَى المعالي دائماً أبداً   على البريَّةِ من إنْسٍ وَأمْلاكِ

وقوله:

رأيت بخدِّهِ الورديِّ خالاً   فَتيتُ المسكِ منه قد بدا لي

غزالُ الإنسِ ما في ذاك بدعٌ   فإن المسكَ بعضُ دمِ الغزالِ

وكتب إلى السيد العلامة أبي بكر بن أحمد النقيب، ملغزاً في اسم نعمة:

يابنَ مَن أكْسبَ الفضائلَ في شَهْـ   ـبائنا والعُلاَ سَناءً وسَعْدَا

ما اسمُ شيءٍ حروفُه عددُ الأيا   مِ إن رُمْتَه حسابًا وعَدًّا

وهو اسمٌ نفَى المهيمنُ عنه   في الكتابِ العزيز أن يُعدًّا

صدرُه حاجبٌ لمن كنتُ مِن خَدَّ   يْهِ قبلَ الصدودِ أقطِفُ وَرْدَا

ويليه شمسٌ فميقاتُ مَن في   حالكاتِ الظلامِ آنَسَ رُشْدَا

وله أولُ الهدى كلَّ وقتٍ   آخِرٌ إن يكُنْ بلفظِكَ فَرْدَا

ومِن دُونه إذا صحَّفوه   يستميل النفوسَ أنَّى تبدَّى

واقْلِب النصفَ منه تنْظُرْه عن   كلِّ همامٍ يروي علاءً ومجدَا

فأجِبْ عنه وابْقَ في ظلِّ عيشٍ   كلُّ مَدْحٍ إلى جَنابِك يُهْدَى

فأجابه بقوله:

يـا قريـب الـذي بفـضل عـلاه لبسوا ذو الحجا من الفـضل بُـرْدا
دمْ سـليمًا مهنيًـا كـلَّ وقـتٍ وابـقَ فيمـا ألغزتنـي فيـه فـردَا

[١٣٧٩] عطاء الله العاني ثم الحلبي[1].

فاضلٌ لطيف الذات، كاملٌ حسن السمات، له في كل فنٍّ مشاركةٌ كلية، لا سيما في العلوم العقلية، انهمك بالعلوم من صغره، ولم يتركه في إقامته وسفره، ولازم بحلب مفتيها محمد الكواكبي، برهةً من الزمان، وصار أمين الفتوى.

وله أشعارٌ كثيرةٌ، منها: قوله:

بمواقـعِ الـسحرِ التـي مـن ناظريـك ضَـمينُها
وفواتـك الحـسن التـي مـن وجنتيـك كمينُهـا
وعوامـلُ القـدِّ التـي قلبـي لـديك طعينُهـا
إلا رثيـتِ لمغـرَمٍ دامـي الجفـون ثخينُهـا

[١٣٨٠] السيد علي بن صلاح العُبالي بن أحمد بن محمد ـ السيد القادم من أهل هذا البيت من محلاه من بلاد الحرجة إلى جهة عِبال حجة بن محمد بن أحمد بن الحسن بن يحيى بن علي بن الحسن بن عبدالله بن إسماعيل ابن عيسى بن عبدالله بن عيسى بن إسماعيل بن عبدالله بن محمد بن القاسم

---

(١) «ذيل نفحة الريحانة» للمحبي (٣٥١) (٢٥)، «سلك الدرر» للمرادي (٣/ ٢٦٢)، «إعلام النبلاء» لابن الطباخ (٦/ ٣٩٣) (١٠١٤).

ابن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن المثنى بن الحسن السبط[1].

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: كان وحيد وقته، وسيد أبناء عصره، بحراً يزخر عبابه بالفرائد، وتفيض جوانبه الفوائد[2]، حسبُه قول الإمام القاسم ابن محمد: إنه لا يتخوف على أهل اليمن وهو فيهم، وكان قد حقق العلوم على أنواعها، ويسرها الله له تيسيراً عجيباً، فحفظ الغرائب والعجائب والآداب.

ولما وجهه الإمام القاسم إلى العلامة يوسف الحماطي، يطلبه البيعة، قال: ما قد عرفت قدر ما عند الإمام من العلم، فلا بد لي من الإيراد عليه، وكان هذا القاضي من المحققين الكملة، فقال السيد المترجم: أوردْ شيئاً مما في نفسك، فأورد مشكلات، فسارع السيد إلى حلها في الحال، من غير تريث، فعجب القاضي، وقال: أنت محل هذا الشأن، امددْ يدك، قال: لا تفعل، فما علمي عند علم الإمام شيء، فاستثبت القاضي منه في تصحيح ذلك، واطمأنت نفسه، وبايع.

ولم يزل صاحب الترجمة بطانة للإمام، وتولى له القضاء العلامةُ علي ابن أحمد بن أبي الرجال الماضي ذكره، وكانت له عجائب ولطائف؛ لأن السيد ـ على جلالته ـ كان عذب الناشئة، لطيفاً ملاطفاً، غير متكبر ولا متغالي، يخلط نفسه بالناس ويلاطفهم، وكان واسع الشعر، يطاوعه الشعر على البديهة، وله أشعارٌ في معاني كثيرة ومقاطيع، وما رئي إلا متبسماً، إلا أن يكون

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ٧٥٢) (٤٦٤).

(٢) في الأصل: الفرائد.

المقام لله، فهو أغلظ الناس فيه.

ولقد كان يجري بينه وبين الإمام القاسم منه القول الجد، والمناصحة الصادقة، ما يظن الجاهل أنهما لا يرضيان الألفة بعدها، وكل منهما لا يزيده ذلك إلا حرصاً على الألفة، روي: أنه جرى بينهما مراجعةٌ في الليل، في أمرٍ يعم، فخرج السيد مغضَباً، وقد غلقت الأبواب، فطلب لنفسه موضعاً يبيت فيه عند ذي الشرفين بشهارة، فأرسل إليه الإمام ما يحتاج، وأصبح إلى الحضرة أول داخل.

ووقع في بعض المجالسة نحو من ذلك، فظن الإمام ـ أيضاً ـ كما يظن الناس: أن السيد قد تعب، فخرج إلى الباب، فصادف فيه بعض أهل الحاجات، فرجع في الحال، تكلم في شأنهم، فاعتنقه الإمام، ورضي عنه، ودعا له.

واتفق له بسبب مقامه الشريف، وعنايته بالإسلام، أذيةٌ من عبد الرحيم ابن عبد الرحمن بن مظهر ابن الإمام شرف الدين، وكان حال هذا الرجل غير سديد، ووقى الله السيدَ شرَّه، مع تسرع عبد الرحيم إلى الشر، وما قد فتحه من أبواب الشر، لا يغلقه حتى يبلغ منتهاه، وفتح على السيد أبواباً لم تبلغ النهاية، بل وقاه الله تعالى.

وله عقبٌ سادةٌ، أجلاء فضلاء، وقد تقدم ذكر ولده الحسن بن علي، وأما ولده الحسين بن علي، فكان من وجوه أهل البيت، يحفظ مذاهب العترة، ويقف عند نصوصهم، له «شرحٌ على الحاجبية» كمل به ما كان الشيخ لطف الله فعل، وله همةٌ في الخير، وصنوهما محمد بن علي من وجوه زماننا، على منهاج آل محمد ﷺ، يعرف نصوص الأئمة وأحوالهم وآثارهم، ولكل من

هؤلاء الثلاثة أولادٌ نجباء، والسيد محمد بن علي هو الآن موجود بصنعاء.

وكان صاحب الترجمة ميسَّراً له الشعر، ومنه قوله يهنئ الإمام القاسم عند فتحه لشهارة:

هنيئًا لهـذا الفـتح يـا بـن محمـدٍ ... وحمداً لمن أولاك سؤلي ومقصدي

على بُعد عهدٍ في الزمـان وموعـدٍ ... وبعـد إيـاس مـن ولـيٍّ ومعتـدي

وَثَبْتَ إلـى العليـا بـصدقِ عزيمـةٍ ... فنلتَ المنى والنصرَ والفتحَ عن يدِ

ورامَ جميعُ النـاس صَـدَّكَ دونَهـا ... ولـم تـستمعْ أقـوالَهم فـي التـردُّدِ

وكان جوابُ الكُـلِّ منكَ علـيهمُ ... دعـوني فـإني بـالحوادث مرتـدي

وقلت لهم بـالأمسِ كلمـةَ حـازمٍ ... فلا تيئسوا ما يحـدث الله فـي غـدِ

على أنني فيما مضى كنـت راجيـاً ... لنَيْلـك هـذا فـي مغيـبٍ ومـشهدِ

وصَـدَّق ربـي وعـدَه الحـقَّ إنـه ... يجيـب دعـاءَ العـالمِ المتهجـدِ

سقى الجبلَ المشهورَ جنبي شهارةٍ ... شآبيبُ جـودٍ مـصلحٍ غيـرِ مفـسدِ

لقد جاءهم نيلُ المنى يومَ جاءهم ... غياثُ الـورى وردَّ لهـم أيَّ مـوردِ

هُــدًى مــنَ الإلــهُ لنــا بــه ... نفى كلَّ ذي جَوْرٍ وذي عملٍ رَدِي

هو القاسمُ المنصورُ من آلِ حيـدرٍ ... هو العالمُ الفيَّـاضُ مـن آلِ أحمـدِ

نَشَا في التقى والعلمِ والفضلِ والنهى ... وأغنى اليتامى من نَدى كَفِّهَ الندي

ليهنـي جميـعَ العـالمين ظهـورُه ... على رغمِ قـومٍ مـن أَعـادٍ وحُـسَّدِ

هو الحجةُ الكبرى على أهلِ عصرِه ... خليفةُ الوفا والصدقِ في كلِّ موعد

أيا سيدي لا تنسَ لي فيك صـحبة ... وداداً قـديماً خالـصاً فـي التـودُّدِ

فــإني وأولادي وأهلــي ووالــدي	فداك من الأسوا وما ملكت يـدي

بحقِّكَ والسِّبطينِ منـك وصـحبتي	أغثنـــي فـــإني هنـــا كالمُقيَّـــدِ

وحقِّ سليلٍ منك في الحسنِ موثقٍ	وآخـرَ فـي بحـر العـدى متجلّـدِ

وبـادرْ بـوالٍ فـي الـبلاد معجـلاً	ولا تترَكْنـــي كـــالبعيرِ المقيّـــدِ

لقد كنتُ في الماضي على الضرِّ صابراً	رجــاءَ رضــاءِ الواحــدِ المتفــردِ

وبعد زوالِ الخـوفِ إنـي لعـاطشٌ	إلى الشربِ من حوضٍ لديك مصمَّدِ

بقيتَ بقاءَ الـدهرِ يـا غـوثَ أهلِـه	وهـــذا دعـــاءٌ للبريـــة عـــن يـــدِ

وفي آخر الأمر حصل له مرضٌ من الحمى الحادة، حصل معه غفلةٌ من شدتها، فسقط من طاقة داره، فمات ـ رحمه الله ـ، ودفن في مسجد الميدان بشهادة، وكانت **وفاته** في شهر رجب، سنة تسع عشرة وألف.

وقد أومأ في قصيدته هذه إلى فتح شهارة، وهذ إيماء منا باختصار إلى شيءٍ من ذلك، وهو أنه لما وفـدت محـاط الأتراك إلى شهارة، في شوال، سنة عشر بعد الألف، خرج الإمام إلى جبل برط، وصحبته، وصحبه من أولاده علي، والحسنان، وبقي ولده محمد في شهارة.

فألجأه الحال إلى الخروج برفاقة الشيخ عبدالله بن الرويس، من أصحاب الأمير أحمد بن محمد بن شمس الدين، وكذلك برفاقة من الأمير عبدالله بن المعافى؛ لأنه كان كثير الجيوش، من قتل الوزير حسن، وسنان باشا كان ـ إذ ذاك ـ كيخيا له، ولم يكن باشا.

فخرج الإمام محمد المؤيد بالله، ومعه صنوُه أحمدُ أبو طالب، ومعهما صالح بن عبدالله الغرباني، والسيد عبدالله بن محمد المحرابي، ومحمد بن

الحسن بن شرف الدين، وصنوه عليّ، والفقيه صلاح بن عبدالله بن داود الشظبي.

وكان الخطاب والمواضيع على يديه؛ لأنه كان أستاذ السيد عز الدين ابن ناصر، والسيد إبراهيم بن المهدي بن حجاف، فساروا مجللين مكرمين، حتى انتهوا بهم إلى الأمير أحمد بن محمد، إلى كوكبان، فأكرمهم وأجلهم، ومنعهم من الأتراك، وأنزلهم في المقصورة بكوكبان، وبعد دخولهم كوكبان، مات السيد إبراهيم المذكور، وقبر هنالك.

ثم إن الإمام القاسم نهض في شهر جمادى الآخرة، سنة ثلاث عشرة وألف، من برط إلى وادعة، فأطاعوه، وآووه، ونصروه، وأعمل الإمام النظر في دخول عبد الرحيم بن عبد الرحمن ـ السابق ذكره ـ في الطاعة، فلما كثرت سيئات عبد الرحيم إلى سنان، لاذ بالإمام، مع إضمار الخدع للإمام.

فبادر بمحطة إلى السودة، ومحطة إلى الصرحة، ما بين جرع وكحلان، وأرسل أخاه مطهر بن عبد الرحمن إلى جبل الأبرق من ظليمة، في عددٍ ليسوا بالكثير، لكنها واجهته الأهنوم وظليمة، وغُدر عند وصوله.

وكان الأمير عبدالله بن المعافى في حمومة، وولده إبراهيم في الهجر، فطلع إبراهيم إلى نجد بني خمرة؛ لأنه بلغه أن الفقيه علي الشهاري قد وصل في نحو أربعين رجلاً من وادعة، حتى وصل خاشف وقت المغرب، ونفذ في حينه إلى سيران.

وأصبح بني سعيد بِمَغْرَبَة الشاوري، وبقي أكثر نهاره ينتظر موعد الأهنوم بالموالاة، فتخلفوا عن الموعد؛ لقلة من معه، فسكن في محله إلى أول

المغرب، ثم كر راجعاً، وأهل وادعة رجعوا إلى بلادهم، فنفذ ابن المعافى من حمومة جيشاً كثيفاً إلى سيران، فصبّحوا سيران، فواجهوا من غير أن يقع فيهم جرح، وبعض محطته جبل شام الذي فوق الحبش، وخرج من في شهارة، فأباحوا بلاد بني سعيد ثلاثة أيام نهباً، وقتلوا جماعةً.

ثم إن مطهر بن عبد الرحمن بعد وصوله الأبرق ـ الذي ذكرناه آنفاً ـ أرسل أربعين رجلاً من الأهنوم، فحملوا على الفقيه إبراهيم بن المعافى إلى النجد، مع تجمع الأهنوم معهم، فانهزم إلى شهارة، وأخذت بقية محطته، ثم حازوه في شهارة، حتى بلغت وقية الملح إلى ثلاثة كبار.

ثم اجتازوا سنةً، أو تزيد قليلاً على السنة، فأرادوا التسليم، فطمع عبد الرحيم في تولي ذلك، فأعماه الله بشواغل وحروب، فجاء الإمام إلى الأهنوم بنفسه الكريمة، فتسلم شهارة، وأخذ السلاح، إلا ممن كان من حاشد وبكيل، وحبس الفقيه إبراهيم بن المعافى. انتهى.

[١٣٨١] علي نور الدين أبو الإرشاد ابن الإمام المحدث زين العابدين محمد، العلامة الشهير، الصادع بالحق، الذي لا يخاف في الله لومة لائم، خطيب الجامع الأزهر، ابن الشيخ عبد الرحمن الأجهوري[1].

ذكره الشيخ عبد الوهاب الشعراني في «طبقاته»، وجدُّه من قِبل أمه: العارفُ بالله، صاحبُ التصانيف الجليلة، الشيخ جلال الكركي، من ذرية السيد عيسى بن نجم، خفير البرلس، فهو شريف من قبل الأم، وقد أثبت

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٨٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٥٧)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٤٦٥)، «الأعلام» للزركلي (٥/ ١٣).

الشرفَ من الأم التلمسانيـون؛ كابن مرزوق، وبيّن أدلة ذلك صاحب كتاب «إسماع الصم في إثبات الشرف من قبل الأم».

الشيخ الإمام، شيخ الإسلام، علم الإرشاد، الموطأ المنهاج، وعَيْلَم الإمداد المتلاطم الأمواج، ورئيس المالكية بالديار المصرية، ومهذب مذهب إمام دار الهجرة، والمحصل من منتقى العرفان منتهى السؤال والأمل، والحائز من تمهيد مقدمات الإتقـان الشامل والأكمل، والباذل لطلاب الإفادات من مدونة التهذيب موائد التوضيح والبيان، والناشر لهم من ذخيرة التنقيح، ومعونة التلقين، الطرازَ المعلَمَ، بجواهر التبيان.

علامة العصر بلا نزاع باعتراف الموافق والمخالف، وإنسان عين المصر بلا دفـاع بوفاق المُصـادر والمساعـف، وناظورة ديوان المعـارف، في فك رموزها، وإزاحة إشكالها، والواقف من مقاصد مواقفها، ومواقف مقاصدها، على عين الإصابة، من نتائج أشكالها.

شيخ المشايخ الأئمة الأعلام، والآية المأثورة بأقلام الألسنـة وألسنـة الأقلام، ملحقُ الأصاغر بالأكابر، ووارثُ أعلاق السيادة كابراً عن كابر، سيد الدنيا على الإطلاق، وبركة الوقت المنتجع إليها من أعماق الآفاق، من هو من المتأخرين، وأربى على كثير من المتقدمين.

وُلد ـ رحمه الله تعالى ـ بمصر، سنة خمس وسبعين وتسع مئة، ونشأ بها على الاشتغال، والملازمة والحرص على طلب العلم؛ حفظاً للمتـون، وتفهماً للفوائد، ووقوفاً على الغرائـب، وبكـر للسماع على شيوخ الوقت، والاستجازة منهم، ممن لـه علو الإسناد؛ كالعلامـة الشيخ محمد بن أحمد الرملي، والحافظ نور الدين علي بن أبي بكر القرافي، إمام المسبحية، والبرهان

إبراهيم بن عبد الرحمن بن علي بن أبي بكر العلقمي، والعلامة المحقق صالح البلقيني، وشيخ الفنون العقلية أحمد بن قاسم العبادي، والشيخ العلامة أبي النصر الطبلاوي، والعارف بالله أحمد المتبولي شارح «الجامع الصغير»، وأبي الثناء محمود بن محمد الحلبي البيلوني الشافعيين.

وعن المسند الكبير سراج الدين عمر بن أُلجاي - بضم الهمزة -، وشيخ الإسلام علي بن غانم المقدسي، ومحمد النحريري، والعلامة المحدِّث بدر الدين حسن الكرخي الحنفيين، وتفقه بالعلامة شمس الدين محمد بن أحمد الفِيشي - بفاء مكسورة بعدها مثناة تحتية فشين معجمة -، وبتلميذ جده الشيخ عبد الرحمن، إمام عصره، الجامع بين العلم والعمل، شمس الدين محمد بن سلامة البنوفري، والقاضي بدر الدين محمد بن يحيى بن عمر القرافي، وكريم الدين البرموني، وعثمان العزي المالكيين.

وأخذ الطريق عن العارف بالله سيدي الشيخ محمد بن الترجمان، وكثير.

وبرع في الفنون فقهاً وعربيةً، وأصلين وبلاغةً ومنطقاً، ودرس وأفتى، وصنف وألف، وشرح وقيد، ونظم النظائر، ونثر الجواهر، وطار صيته، وعمّر أرجاء الربع المعمور ذكره، وانتفع الناس به، طبقةً بعد طبقة، من سائر المذاهب.

وانتهت إليه رياسة مذهب مالك على الإطلاق، وعمّر حتى صار العلم المفرد في علو الإسناد، ورحل الناس إليه من سائر الآفاق؛ للأخذ عنه، فألحق الأحفاد بالأجداد، وطوّق المنازل فضيلة علوِّ الإسناد، وتبادرت أفئدة العالَم إلى تلقي ما ينقل عن قلمه، أو ما به قد فاه، وتناثرت في جميع الآفاق عقودُ جواهِر بواهِرِ فتياه، باسطين لذلك يد القبول، جازمين بصدق ما ينسب إليه

من المعقول والمنقول، وانطبق عليه ما خرج مخرج المثل من الكلام: إذا قالت حذام... البيت.

وشهد له بذلك أهل الفضل التام؛ كالشيخ أحمد المقَّري؛ فإنه لما قدم من المغرب، اجتمع به، فقال: الحمد لله الذي جمعني على مالك الثاني.

وأخذ عنه جمعٌ من الأعلام، منهم: شيخنا خاتمة المحدثين محمد بن علاء الدين البابلي، وخاتمة المحققين علي الشبراملسي، وعبد المعطي المالكي، ومحمد الخرشي، وعبد الباقي الزرقاني، وموسى القليبي، وعيسى المغربي نزيل مكة، وكانت حلقة درسه كبيرةً جداً، يحضرها خلقٌ كثيرٌ، ورزق المحبة والقبول التام، عند الخاص والعام، [لا]سيما الحكام.

وبالجملة: فإنه كان من أعظم مشايخ مصر في عصره قدراً، وأعظمهم شهرةً وذكراً، لا يُضاهى ولا يُجارى، ولا يُحاكى ولا يُمارى، واسع الحفظ، كبير الإطلاع، هذا مع ما له من متانة الدين، وكمال النزاهة والتعفف، ورصانة الصيانة، وكثرة العبادة والصيام والقيام، والمحافظة على السنن النبوية، والاحترام للشريعة المحمية، والعمل بمقتضاها، والملازمة على الأذكار القلبية، ومحبة العلم وأهله، والإحسان إليهم، والصبر على الشفاعة والإصلاح بين الناس، والشفقة على المسلمين عموماً، مع سعة البال، وحسن الخلق، ولين الجانب، ومزيد الاحتمال، وسلامة الصدر، ونهاية التواضع مع الكبير والصغير، والجليل والحقير، ومكارم الأخلاق، ومحبة الجلوس مع الفقراء، وكثرة الصدقات الخفية، حتى على أهل الحرمين؛ فإنه كان يرسل في كل سنةٍ مبلغاً كبيراً بنظر بعض أصحابه، يفرقه على فقرائهما، إلى غير ذلك من الفضائل، والأوصاف الحسنة، والشمائل المستحسنة، والكرامات الكثيرة،

التي هي عند عموم الناس شهيرة.

منها: أن العلامة الشيخ إبراهيم الأبوتيجي أخبره بعض الصالحين: أنه رأى النبي ﷺ في المنـام، وسألـه عن العلماء، حتى أتى على ذكر[1] الشيخ علي، فقال النبي ﷺ: هو من علماء الآخرة.

ومنها: أنه جاءته طائفةٌ من البرابرة، فأعطوه كتاباً من الشيخ محمد بن عيسى عالم البربر، فيه: أنه رأى في المنام السيدة خولة أخت ضرار بن الأزور، وهي تقول: اكتبوا سلامي في مكتوبٍ، وأرسلوه إلى الشيخ علي الأجهوري، وأخبروه أني أسلم عليه، وأنه ولي الله.

وله التصانيف العديدة، المحكمة المفيدة، منها: «شروحه الثلاثة على مختصر خليل» كبيرٌ في اثني عشر مجلداً بالقطع الكامل، لم يخرج من المسودة، ووسطٌ في خمسة، وصغيرٌ في مجلدين، و«حاشيةٌ على شرح التتائي» للرسالة، و«شرح عقيدة الرسالة لابن أبي زيد» و«شرح على رسالة ابن أبي زيد ـ أيضاً ـ»، و«شرح ألفيـة السيـرة للزين العـراقي» و«ثلاث معاريج: كبيـرة، ووسـط، وصغير».

و«شرح مختصر البخاري لابن أبي جمرة»، و«شرح ألفية ابن مالك» لم يخرج من المسودة، و«شرح على التهذيب» للسعـد التفتازاني في المنطق، مبسوطٌ، وآخر مختصر، و«حاشيةٌ على شرح النخبـة» للحافـظ ابن حجر، و«منسك صغير»، و«كتابة على الشمائل»، ولم تخرج من المسودة.

و«عقيدةٌ منظومةٌ»، و«شرحها» شرحاً نفيساً، و«جزءٌ في مسألة شرب

---

(١) في الأصل: أتى الذكر.

الدخـان»، و«رسالـةٌ في فضل ليلة النصف من شعبان»، و«رسالةٌ في فضل عاشوراء»، وذكر فيها مشهد الحسين بن علي، وما وقع له مع يزيد، و«رسالةٌ في الشهداء» نظماً ونثراً، و«رسالةٌ في رسم الخط» نظماً ونثراً، و«رسالةٌ في مدح العدل وذم الجور»، و«رسالةٌ في القراءات»، وله «نظم فضائل رمضان»، وما يتعلق بآية الصيام، وشرحها شرحاً نفيساً.

وله عدة رسائل في الفقه، متعلقةٌ بمختصر خليل، منها: «رسالـة في الحجر»، و«رسالةٌ في النـذر»، و«رسالةٌ في الطلاق»، و«رسالةٌ في البيع»، و«رسالةٌ في الخيار»، و«رسالةٌ في الضمان»، و«رسالةٌ في القضاء»، و«رسالةٌ في كراء السفن»، و«رسالـةٌ في الخنثى المشكل» نظماً، وشرحها، و«شرح قطعةً من شرح القطر للفاكهي»، وله «رسالةٌ في المغارسة».

و«نظم جملةً من مسائـل مغنـي اللبيب»، ولـه «شرح إيساغـوجي في المنطق» مشتملٌ على نظم مسائل القياس، وضروبه المنتجة والعقيمة، على وجه سهل المأخذ، وله «إعراب لا إله إلا الله»، ونظم مسائل كثيرة في علوم متعددة، وغير ذلك من فوائد إفاداته، وموائد إمداداته، ورزق في كتبه الحظ والقبول، لا سيما بأرض المغرب.

وأصيب في يوم الأحد، سادس عشر ذي الحجة، سنة ثمـان وأربعين بعد الألف، بسبب غريب، وهو أن بعض تلامذته من المغاربة، ممن به سمت الصلاح في ظاهر حاله، وممن أراد الله به شراً، كان يحضر مجلسه في الجامع الأزهر، ولازمه نحو أربع سنين، وكان الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ دائماً يحسن إليه، وفي غالب الأوقات، وهو في بيت الشيخ يأكل ويشرب.

فاتفق أنه تزوج، ووقع بينه وبين زوجته مشاجرةٌ، فطلقها ثلاثاً، ثم أدركه الندم، فاستفتى الشيخ، فأفتاه بأنها لا تحل لـه إلا بعـد زوجٍ آخر، وطلب منه حيلةً في شأنها، فأبى الشيخ ذلك، فتوعّده، فلم يكترث الشيخ به وبكلامه.

فترك الشيخ يوماً حتى جلس للتدريس على عادته، وجاء وتحته سيفٌ، فاستله، ثم قدم رجلاً وأخّر أخرى، وقال: الله أكبر، ووثب في الهواء وهو قابض السيف بكلتا يديه، وضرب الشيخ على ظهره ضربةً شديدةً، ضج منها كل من كان في درسه، وكان على الشيخ ثيابٌ كثيرةٌ، فقطع ذلك كله، وجرحه قدر شبر، وضرب الشيخ ضربةً ثانيةً على عنقه، وقلب السيف، لكن بعد أن قطع في عنقه قدر ثلاثة قراريط في غرز اللحم، وأما في الطول، فقدر فتر، وقطّبه المزين أربعاً وعشرين إبرةً، وحماه الله من ذلك كله، وعافاه فيما بعد.

ثم إن الناس أحدقوا بالمغربي، وحجزوه عن الشيخ قهراً، وأحاطوا به، وليس معهم شيءٌ من السلاح إلا كتب العلم، فجرح ستةً غير الشيخ، منهم من جرحه بالسيف، ومنهم من جرحه بسكين كانت معه.

فأولُ من ضُرب بالسيف بعـد الشيخ في يده اليـسرى، شيخُنـا موسى القليبي، مقرئ درسه، وكذلك محمد المتلاوي، وهو الذي نزع السيف من يد المغربي، بعد أن جرحه، وأراد ضرب غيره، ورفع يديه بالسيف وضرب به، فاشتبك السيف في خشبةٍ من الخشب التي يعلقون فيه القناديل بالجامع الأزهر، وهي بالقرب من الختمة الشريفة، الموضوعة بالقرب من المحراب، على يساره، المسماة بالإنعام.

فعند ذلك حضنـه الشيخ محمـد المذكـور من وراء ظهره، وأخذ منه السيف، فكان مع المغربي سكين واضعها في حزامه، فسلّها، وضرب بها من

قَدَرَ عليه، فمنهم: الشيخ العلامة محمد البنوفري، من أعظم أصحاب الشيخ، في أصابع يده اليمنى، والشيخ محمد السندي في بطنه، والشيخ محمد البرلسي في ظاهر يده اليسرى، وغيرهم، وشفى الله الجميع من ذلك ـ أيضاً ـ، ورجع الشيخ إلى الإقراء.

وأما المغربي، فلم يزل الناس يضربونه، وسلط الله عليه شخصاً من غير أهل الدرس، ذبحه من قفاه بسكينه، التي ضرب بها الناس، وبعث الله له رجلاً من غير أهل الدرس ـ أيضاً ـ بيده فأسٌ من حديد، فدق رأسه بها، حتى مات، ثم ألقوه على باب الجامع الأزهر، وصار كل من مرّ به يسبه ويلعنه.

ثم إن والي البلد، الذي كان ذلك الزمن، أرسله الباشا ببعض إحسانٍ إلى الشيخ، وسأله: هل يُغسل ويُصلى عليه أو يترك؟ فقال الشيخ وهو في تلك الجراحة الشديدة: مذهبنا أن لا يكفّر أحدٌ من أهل القبلة بذنبٍ، فيُغسل، ويُصلى عليه، وحسابه على الله، فأتوا به إلى مغسل السلطان الغوري بالرميلة، فغُسل، وصلى عليه رجلٌ واحدٌ من أهل الرميلة.

ورئي بعد موته في المنام بأسوأ حال، فمن من الناس من رآه في جب من نارٍ، وهو يستجير ولا يجار، ونقل عن الشيخ المترجم: أنه قال: أظنه مات على غير الإسلام، ولما وصل الحاج إلى مصر، أتى بعض المغاربة إلى الشيخ، وقال: لما سمعنا خبر المغربي الذي ضربكم، قلنا: لا يفعل مثل هذا إلا أحمد المقدسي، وأخبروه أنه معتزلي، وقالوا له: قد قتل أربعة من العلماء في المغرب، ودق رأس الأخير منهم بفأسٍ من حديد، فلذلك سلط الله عليه من دق رأسه، والمجازاة من جنس العمل.

وسئل الشيخ ـ قدس سره ـ: هل كان بينه وبين هذا المغربي عداوةٌ سابقةٌ؟ فقال: لا والله! بل نفعته كثيراً، وكنت كثير الإحسان إليه، وخلصته من أصهاره لما طلق زوجته ثلاثاً، وطالبوه بحقها، فتشفعت له في تركه، فتركوه له.

وكان المترجم ـ رحمه الله تعالى ـ ممن ابتلاهم الله في الدنيا؛ لأجل رفع درجاتهم في الآخرة، وهذا دليل على زيادة إيمانه؛ لقوله تعالى: ﴿هُنَالِكَ ٱبْتُلِىَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[الأحزاب: ١١] الآية، ولأجل أن يحصل له المقام الأعلى في الآخرة، تصديقاً لقول النبي ﷺ: «لو علم أهل البلاء ما يحصل لهم من الثواب في الآخرة، لتمنوا أن الله تعالى يقرض جلودهم بالمقاريض».

وروي من حديث أنس بن مالك، قال: قال رسول الله ﷺ: «إن في الجنة لغرفاً، ليس لها معاليق من فوقها، ولا عماد من تحتها»، قيل: يا رسول الله! وكيف يدخلها أهلها؟ قال: «يدخلون أشباه الطيور»، قيل: يا رسول الله! لمن هي؟ قال: «لأهل الأسقام والأوجاع والبلوى» خرّجه أبو القاسم زاهر بن طاهر بن محمد بن محمد الشحامي، كما ذكره القرطبي في «تذكرته».

وفي «الجامع الصغير»، عنه ﷺ: «إذا سبقت للعبد من الله منزلةٌ لم ينلها بعمله، ابتلاه الله في جسده، وفي أهله وماله، ثم صبّره على ذلك، حتى ينال المنزلة التي سبقت له من الله ﷻ». انتهى.

وقد جمع الله للمترجم بين العلم والولاية والابتلاء، فمن جملة الأمراض التي كانت به: الصادع، فكان إذا أتاه، يمكث فيه اليوم واليومين، ويقاسي

منه الآلام الشديدة، وينقطع به عن الدرس، فلم يزل كذلك يأتي ويذهب مدةً طويلةً من السنين، حتى ذهب بصره سنة ست وأربعين.

وصار ـ بعد ذهاب بصره ـ يقرئ على عادته في الجامع الأزهر، ويقرر المذهب أقوى مما كان يقرره وهـو يبصر، حتى تتعجب تلامذته من ذلك، وهو من الصابرين المحتسبين، فدخل في قولـه ﷺ: «أشدكم بلاء الأنبياء، ثم الأولياء، ثم الأمثل فالأمثل».

والحاصل: أنه ممن اتفق على فضله وجلالته أهلُ المشرقين، وأنه من سعداء الدارين، وأنه المجدد للناس أمر دينهم؛ فإنه كان ممن له شهرةٌ تامةٌ في أواخر القرن العاشر، وأوائل القرن الحادي عشر، وقد قال ﷺ: «يبعث الله تعالى على رأس كل مئة سنة من يجدد للناس دينهم»، وكان آخر المحققين والمعمَّرين في مذهب مالك.

وأخبرني شيخنا علامة العصر أحمد البشبيشي: أن بعض الأولياء بشره بأنـه يعيش مئـة سنة، فبلغ من العمـر تسعاً وتسعين سنـةً، ومرض، وعرف بالقرائن الحالية أنه مرض الموت، فتعجب وقال: كلام الأولياء لا يتخلف. قال شيخنا المذكور: فلعله اشتبه عليه مولده، ويقال: ما قارب الشيء أُعطي حكمَه.

وكانت **وفاته** ـ نفع الله به ـ ليلة الأحد، غرة جمادى الأولى، سنة ست وستين بعد الألف، وبلغ من العمر تسعاً وتسعين سنة، وصلي عليه صبيحتها في الجامع الأزهر، ودفن بتربة سلفه، بجوار المشهد المعروف بإخوة سيدنا يوسف ـ عليه وعليهم الصلاة والسلام ـ.

ومن فوائده ﷺ: إنما اعتمد مالك ﷺ على أربعة أوجه، بمثلها تقوم الحجـة: نصٌ محكَمٌ، أو خبـرٌ عن رسول الله ﷺ، أو عملٌ من جميـع أهل المدينة، أو إجماعٌ من جميع أهل المدينة، أو أكثرهم بعد اختلافهم وتناظرهم، فهذه الأربعة هي أصول مذهب مالك.

أقول: الظاهر: أن هذا علمٌ[1] يختلف فيه الأئمة الأربعة.

ومنها: ما رواه بسنده عن الحافظ ابن حجر، بسنده إلى الإمام مالك بن أنس إمامِ دار الهجرة، عن أبيـه، عن جده، عن عمر بن الخطاب ﷺ، عن النبي ﷺ، قال «ثلاث يفرح لهن الجسد، فيربـو: الطيب، والثـوب اللين، وشرب العسل».

قال الخطيب: لا أعلم هذا روي عن مالك إلا من هذا الوجـه، وفيـه نظر، وأخرجه أيضاً في كتاب «الرواة عن مالك»، نقله الحافظ ابن حجر في «الإصابة». انتهى.

والأُجْهوري ـ بضم الهمزة، وسكون الجيم، وضم الهـاء ـ نسبـةً إلى أُجهور الورد: قريةٌ بمصر، بساحل البحر، من عمل القليوبية، ونسبة الشيخ إليها مجازيـة؛ لقربها ومجاورتها لبلده حقيقةً، وهي قريةٌ يقال لها: خراب فزارة؛ لأن أهلها في الحقيقة من فزارة. انتهى.

[١٣٨٢] علي بن محمد المصري الصوفي.

كان من أكابر مشايخ الطريق، وأجلاَّء أهل التحقيق، حالُه غزير، ونفحاتُ

---

(١) في الأصل: عالم.

سره طافحةٌ على الكبير والصغير، ورعاً زاهداً، مشهور الولاية، عظيم القدر، جامعاً بين الشريعة والحقيقة، حتى كان يقال في حقه: شعراني زمانه، أحيا طريق القوم؛ من الجد في طاعة الله وعبادته، لا يعتريه مللٌ ولا فتورٌ.

كان مقيماً بالمُنية، من صعيد مصر، وأهل ذلك الإقليم لا يصدرون إلا عن رأيه، وجميعهم كالعبيد له، ومن أطاع الله، أطاعه كل رطبٍ ويابسٍ، إلى يد طولى في العلوم الشرعية، والفنون العقلية، وملازمةٍ للتدريس، في كل علمٍ نفيس.

وألف المؤلفات النافعة المفيدة، منها: «الفتاوى المنثورة» جمع فيها من غريب الفنون كثيراً، في مجلدٍ كبيرٍ حافلٍ، ومنها: «تحفة الأكياس في حسن الظن بالناس»، و«رسالة الأنوار ومشارق الأنوار في بيان فضل الورع من السنة وكلام الأخيار»، وغير ذلك مما لا يحصى كثرةً.

توفي ببلده مُنية الخصيب، يوم السبت، رابع وعشري جمادى الأولـ[ـى]، سنة سبع وستين وألف.

ومن وصاياه لبعض مريديه، وهي من أنفع الوصايا وأوجزها: اقدر كلام الأولياء قدره، ولا تنظر إلى ظاهر عبارته، بل الحَظْ باطن إشارته؛ لأنه ليس مبنياً على العقول والأذهان، ولا على ترتيب النطق وفصاحة اللسان، بل على نور القلب، وقواعد العرفان.

فإن كنت من أهل هذا الشان، فسيغنيك الشهود والعيان، عن الدليل والبرهان، وإلا، فعليك بالتسليم والإذعان؛ فإنه أولى بأهل التثبت والإيمان؛ لئلا تقع في البعد والحرمان، وقد قيل:

لا تكــنْ وانيــاً فــثمَّ أمــورٌ لطــوالِ الرجــالِ لا للقــصارِ
وإذا لــم تــرَ الهــلالَ فــسلِّمْ لرجــال رأوه[1] بالأبــصار

فهؤلاء قومٌ لا يتكلمون إلا بالله ولله، كما قال قائلهم رضي الله عنهم:

فـإنْ تكلمـتُ لـم أنطِـقْ بغيـرِكُمُ وإن سـكتُّ فـشغلي عـنكمُ بكـمُ

فلا ينبغي للعاقل أن [لا][2] يقيس كلامهم على كلام غيرهم، بل يجعل له رتبةً من الفهم أخرى، ويعامله بالتسليم والإذعان، والقبول والإيمان، فإن لم يمن عليه بذلك، ولم يجد في نفسه قبولاً لأقوالهم، ولا تسليماً لغريب أحوالهم، فعليه بالترك لها، وعدم الخوض فيها، ولا يقابلها بتكذيبٍ ولا إنكارٍ.

ولا يعرض نفسه لمحاربة العزيز الجبار القهار؛ فإن الله ـ سبحانه وتعالى ـ يقول؛ كما أخبر عنه نبيه ﷺ: «من عادى لي ولياً، فقد بارزني بالمحاربة»، فما لك ولهذا؟ فعساك إن لم تحصِّل على الربح، لا تقع في الخسران، وإذا كان نهاك أن تتعرّض لمسلمٍ ما بتنقيصٍ أو عيبٍ، فكيف لا ينهاك عن التعرض لأوليائه وأصفيائه؟! فلك في غير ذلك شغل.

والطرق إلى الله تعالى كثيرة، وإن لم يكن لك قسمة من الله تعالى، فعليك سلوك ظواهر الأمور، والتعلق بالشرع العام، فلكل عمل رجل، فإن لم تصل أن تكون من المقربين، فاسلك سبيل أصحاب اليمين، وإياك أن

---

(١) في الأصل: رواه، والصواب ما أثبت.

(٢) ما بين معقوفتين ينبغي حذفه.

تسلك سبيل أهل الشمال الظالمين، فالله تعالى لا يسألك عن إنكار أحوالهم، وإن كانت غير صحيحة، بل يسألك عن إنكارها إن كانت صحيحة، فطريق الحزم والتقوى: أن تسلم رأساً برأس، إن لم تظفر بحسن الظن والإيمان.

ولا زال أهل العلم والأخيار والأكابر يلتمسون لكلام هذه الطائفة أحسن المخارج؛ لعلمهم أن بعض كلامها يرتقي عن دائرة العقول، ويشذ عن ظواهر المنقول، فإما تأويلٌ حسنٌ، وإما ظنٌّ حسنٌ، فما أمكن الإنسان أن يحسن الظن، ويلتمس مخرجاً لمن ينسب لولاية الله تعالى أَوْلى، وهذا فيمن أشكل ظاهره، فكيف بما لم يشكل، وهو ظاهرٌ جليٌّ، لمن تأمل.

وذكر أبو طالب المكي في «قوت القلوب» عن بعض السلف: أنه قال: إن الله تعالى شرف الكعبة وعظمها، ولو أن عبداً هدمها وحرقها، ما بلغ جرمَ من استخف بولي من أولياء الله تعالى، قِيل: مَن أولياء الله تعالى؟ قال: كل مؤمن، أما سمعت الله تعالى يقول: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾[البقرة: ٢٥٧]، هذا في عموم المؤمنين، فما ظنك بالأولياء المقربين؟! جعلنا الله وإياك ممن هدى إلى صراط مستقيم، وسلك المتقين، وشرح صدورنا بمعرفة أوليائه المقربين.

ومن شعره ـ نفع الله به ـ:

ومن عجبي أن الذين أُحبُّهم ... أراهمْ بعين القلب طولَ المدى معي

وتنظرُهم عيني وهم في سوادِها ... ويشتاقُهم قلبي وهم بين أضلُعي

جعلتُ لهم حتى الدوامِ حُشاشتي ... ومن غيرِهم أصلاً قطعتُ مطامعي

شكوتُ لقاضي الحبِّ جورَ أحبّةٍ ... جَفَوني وقالوا أنت في الحب مُدَّعي

فخذْ قصتي واحكمْ عليّ وملهم | فإني عليهم خائفٌ كيف أَدَّعي
وعندي شهودٌ أربعٌ يشهدون لي | سَقامي ووَجْدي واشتياقي وأدمُعي
وإن طلبوا مني حقوقَ هواهُمُ | أقولُ فقيرٌ لا عليَّ ولا معي
وإن سجنوني في شُجون هواهُمُ | دخلتُ عليهم بالنبيِّ المشفَّع

[١٣٨٣] عليّ بن أبي بكر بن علي بن أبي بكر بن عمر بن أحمد بن عبد الرحمن بن محمد المعروف بالجمال المصري، ابن أبي بكر بن علي بن يوسف بن إبراهيم بن موسى بن ضرغام بن طعان بن حميد الأنصاري المكي الشافعي[١].

كذا رأيت نسبه منقولاً من خطه طبق ما وجد في تواريخ الحافظ السخاوي، وابن فهد، وغيرهما.

الشيخ الإمام الفقيه، العالم العامل النبيه، الجامع بين المعقول والمنقول، المتضلع من علم الفروع والأصول، المتبحّر في علم الفرائض والحساب، الغني بالشهرة عن الإطناب.

كان ـ رحمه الله ـ صادعاً بالحق، عاملاً به، مجاهراً للولاة بالأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، لا تأخذه في الله لومة لائم، مهاباً عند جميع الناس، خصوصاً الولاة والحكام، متقشفاً، كثير العبادة والصيام والقيام، مواظباً لزيارة النبي ﷺ في غالب الأعوام، معتقداً عند الخاص والعام.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٠٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٢٨)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٦٧).

وكان الشريف زيد سلطان مكة، يُجلُّه ويعظمه ويحترمه، وإذا دخل عليه في حاجةٍ، يجلس بين يديه على الركب، ويبالغ في تعظيمه والأدب، وكان يقول: من الناس من يَخاف ويخاف الله، ومنهم من لا يخاف الله ويَخاف، وأما الشيخ علي ـ صاحب الترجمة ـ فيخاف الله، ولا يخافنا.

وُلد بمكة، سنة اثنتين بعد الألف، في حياة أبويه، ومات أبوه، وعمره أربع سنين، ونشأ يتيماً، وقرأ القرآن، وقيّض الله له الشيخ العلامة الولي أبا الفرج المزين، فاحتفل بتربيته، وأشغله بتحفيظ القرآن، والقراءة على الشيوخ، ودَرَّبه على السهر، والجد والقناعة باليسير.

وحفظ «الشاطبية»، و«الألفية النحوية»، و«البهجة»، و«الوردية» وغيرها، وقرأ ختمات على الشيخ أبي الحسن بن ناصر لنافع، وإلى سورة المائدة لأهل سما، وقرأ عليه مقدماتٍ في التجويد، وبعض «شرحي الشاطبية» لشُعلة، ولجده الشيخ علي بن ناصر.

ثم أكمل ختمة أهل سما على تلميذه الشيخ أحمد الحكمي، وقرأ عليه ـ أيضاً ـ للكوفيين، والشامي إلى آخر سورة هود، ثم ختمةً كاملةً للسبعة، ثم الفاتحة والزهراوَيْن للثلاث المتممة للعشرة، بمضمون الدرة والتحبير، وأجازه لفظاً وخطاً، بعد أن قرأ عليه «شرح الجزرية» للقاضي زكريا، وبعض «شرح الشاطبية» لشعلة، و«إنشاد الشريد» لابن غازي.

وأخذ علم القراءات عن جماعةٍ، منهم: الشيخ أحمد الخلي، والشيخ محمد الأنوري، والشيخ محمد باكراع، والشيخ عبد الباقي العدني، وقرأ على الشيخ محمد بن أحمد بيري الحنفي، وهو أول شيوخه في الحساب

والفرائض، والجبر والمقابلة، والمناسخات والتصوف، وتلقن منه الذكر على الطريقة العلوانية، ولازمه اثنتي عشرة سنةً، وأجازه سنة ثمان عشرة بعد الألف، وقرأ على الشيخ أحمد بن علان بعضَ «البهجة»، وحضر دروسه في المنطق، و«المواهب اللدنية»، ومواضع من «الإحياء»، وغير ذلك.

ثم لازم دروس السيد العارف بالله عمر بن عبد الرحيم البصري، سنين عديدة، في جميع ما يقرأ عليه من حديثٍ وفقهٍ وعربيةٍ وغيرها، وأجازه بمروياته، وبه تخرج، وببركة علومه انتفع، وكان يقرأ في أيام غيبة السيد بالطائف على الإمام محمد بن عبدالله الطبري، وأخذ علم العروضن عن الشيخ عبد الملك العصامي، قرأ عليه «زبدة التسهيل»، وحضر دروسه في النحو، وأصول الفقه، وقرأ عليه جملةً من مؤلفات، منها: «شرح الدماء».

وقرأ على الشيخ عبد الرحمن الخياري غالب «شرح العقيدة الهذلية» للرملي، وسمع عليه بعضَ «البخاري»، وقرأ عليه قطعةً من «شرح المنهج»، وأجازه، وجمع الروايات للسبعة، من الفاتحة وأول البقرة إلى ﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ على الشيخ الإمام محمد تقي المدني، وقرأ عليه حديث: «إنما الأعمال بالنيات» وأجازه بمروياته، وقرأ على الشيخ عبد الرحمن باوزير «الإحياء»، و«مختصره»، و«شرح الحكم» لابن عباد، و«روض الرياحين»، وبعض «القوت»، و«الرسالة القشيرية»، وحضر دروس الشيخ إبراهيم اللقاني حين قدم مكة.

وجدّ في الاشتغال، حتى صار من فحول الرجال، وتصدر للتدريس بالمسجد الحرام، وأخذ عنه علماء أعلام، منهم: شيخنا السيد الجليل محمد ابن أبي بكر الشلي باعلوي، والسيد أحمد بن أبي بكر شيخان، والسيد محمد

ابن عمر شيخان باعلوي، والشيخ عبدالله بن محمد الطاهر العباسي المكي، والشيخ أحمد النخلي الشافعيون، وشيخنا الحسن بن علي العجيمي الحنفي، وغيرهم.

وألف كتباً عديدةً مفيدةً، منها: على «... مناسك الإيضاح للنووي»، و«كافي المحتاج الوضاح لفرائض المنهاج»، و«النفحة المكية بشرح التحفة القدسية»، و«التحفة الحجازية في الحساب»، و«فتح الوهاب بشرح نزهة الأحباب»، و«شرح الرحبية»، و«شرحان على أبيات الإمام إسماعيل بن المقري في دماء الحج»، و«شرح أبيات السيوطي، التي أولها: يتبع الفرع في انتساب أباه»، ورسالة سماها: «النقول الواضحة الصريحة في عدم كون العمرة قبل النفر صحيحة».

وله مؤلفٌ سماه: «الانتصار النفيس لجناب الإمام محمد بن إدريس» رداً على بعض الحنفية في زمانه؛ حيث زعم أن حديث: «لا تسبوا قريشاً؛ فإن عالمها يملأ الأرض علماً» منزل على عبدالله بن عباس رضي الله عنهما، وزعم أن ما ورد في فضل قريش مخصوصٌ بالقاطنين بأم القرى، وألف رسالةً في ذلك، سماها: «تحفة القرى في فضل القاطنين بأم القرى»، ثم ألف رسالةً في ذم صاحب الترجمة.

وتفاقم الأمر، ثم اتفقوا على المناظرة بحضرة سلطان مكة الشريف زيد ابن محسن، والعلماء من أهل المذاهب الأربعة، فاجتمعوا، وتناظروا، فغلبه صاحب الترجمة، وأظهر الحق على يديه، ودحض ذلك الرجل، وعزر، وقامت عليه العامة، وضربته بالأرجل والنعال، وكاد أن يهلك، حتى أنقذه منهم بعض أولاد الشريف، ثم حبس إلى أن شفعوا فيه، فأخرج، وخرج من

مكة إلى جهة سواكن، ثم دخل مصر، ومكث بها سنين، ثم توجه إلى الروم في سفينـةٍ، فاحترقـت بجميـع من فيها ـ نسأل الله السلامـة من التكلم على العلماء ـ.

وانفرد صاحب الترجمة في الفقه بمسائل، لم يوافقه عليها أحدٌ من فقهاء الشافعية، منها: أن المصلي داخل المسجد بقبة ـ مثلاً ـ مبنيةٍ فيه، إذا صك عليه بابها، مع العلم بانتقالات الإمام، ولم يمكنه الوصول منها إليه؛ كمقام إبراهيم بالمسجد الحرام، فإن قدوته غير صحيحة، وصلاته باطلة.

ومنها في الحج: أن من وصل إلى جمرة العقبة، يوم النفر الأول، ناوياً النفر، ورماها، فهو عند وصوله إليها خارج منى، فيجب عليه بعد رميها الرجوع إلى حد منى، ثم ينفر عقبه؛ لأن الأول كان قبل استكمال الرمي، وأن ما عليه عمل الناس اليوم من سيرهم من منى، وإفاضتهم عقب رمي الجمرة العقبة، لاسيما النساء، غير صحيح، قال: كمـا تقتضيـه عباراتهم، [لا]سيما عبارة «التحفة»، هذا ما ظهر، فإن ظهر نقلٌ بخلافه، فالمعول عليه.

ولم يزل مكباً على العلم تدريساً وتأليفاً ومطالعـةً، حتى **وافاه الحمام المحتوم** يوم الاثنين، لثمـانٍ بقين من ربيـع الثاني، سنة اثنتين وسبعين بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة، قرب شيخه السيد عمر بن عبد الرحيم البصري ـ رحمهما الله ـ، ووقف جميعَ كتبه ومؤلفاته على طلبة العلم ـ جزاه الله عن ذلك خيراً ـ.

[١٣٨٤] السيد علي المعروف بالعالم الشرفي، ابن إبراهيم بن علي القاسمي بن المهدي بن صلاح بن علي بن أحمد ابن الإمام محمد بن جعفر

ـ ومحمد بن جعفر هذا، هو المقبـور في جبل حرام، من الشرق، مشهورٌ مزورٌ، عليه قبةٌ عظيمةٌ ـ ابن الحسين بن فليتـة بن علي بن الحسين بن أبي البركات بن الحسين بن يحيى بن علي بن القاسم بن محمـد بن القاسم بن إبراهيم بن إسماعيل بن إبراهيم بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ[1].

قل ابن أبي الرجال في «تاريخه»: هو أحد السادة المعروفين بالفضل، الموسومين بالخير، وكان السيد العالم صاحب الترجمة، والسيد العابد الآتي ذكره، فرسي رهان في الفضائل، وذكرهما ملأ الآفاق.

وكان السيد العابد قد رأى في النوم: أنه نزل بالمسلمين خطب عيَّنه في الرؤيا، لم يحضرني ما هو، فهرب الناس، ونجا هو بنفسه معهم، وأما السيد العالم، فاشتغل بإطلاع الناس من مواضع الهلكة إلى النجوة، فعرض الرؤيا عليه، فقال: الأمر كذلك، أنت مشغول بنفسك، وأنا بالمسلمين، وصاحب الترجمة أحد شيوخ الإمام القاسم.

مولده في يوم الخميس، ثالث عشر شهر صفر، سنة ثلاثين وتسع مئة، ونشأ ببلده هجرة الجاهلي، من الشاهل، ورباه عمـه السيد صلاح الدين بن علي بن المهدي، وكان السيد صلاح هذا من أعيان أعوان الإمام شرف الدين، وتولى القضاء بجهات الشرف، والأوقافَ للإمام، ثم ارتحل السيد علي بن إبراهيم المذكور إلى صنعاء لطلب العلم، وأقام مدةً حتى فتح الله عليه، بمعرفةٍ تامةٍ في القواعد الفقهية.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٢٥).

ثم رجع إلى بلده، وقد كادت تضعف دولة الإمام شرف الدين، فحصل على كثير من علماء صعـدة ما أوجب الهجـرة من أوطانهم؛ من تغلب أهل الجور، فوفد إلى السيد علي بن إبراهيم جماعةٌ من أعيان أهل التقوى والعلم، من بعض أهل علاف، وبعض بني عقبـة، فأفادوا السيد المذكـور علماً إلى علمه، وكان مورداً للطالبين، وكعبـة للمسترشدين، وشحاكـا للملحدين، وأباً باراً للضعفاء والمساكين.

وتخرّج على يديه جماعةٌ من أهل الفضل والعلم والعمل، منهم: السيد العلامة الهادي بن الحسن، من هجرة بني أسد، ومنهم: السيد رأس العباد، وعين الزهاد، وخاتمة أهل التقوى واليقين، شمس الدين صلاح بن يونس، صاحب هجرة أسلم، من أولاد المتوكل على الله، الإمام المطهر ابن الإمام يحيى شرف الدين، ومنهم: السيد العلامة أحمد بن الحسين بن علي، صاحب هجرة الخواقـع، من جبل الشاهل، تولى القضاء للإمام القاسم بن محمد. وغيرُهم من الفقهاء، من أهل هجر الشرف وغيرها.

ودرس في «شرح ابن مفتاح على الأزهار»، و«التذكرة»، و«البيان» مدةً مديدةً.

ولما مات السيد الأجل المجاهد المطهر ابن الإمام شرف الدين، ظهر بجهة الشرف من أنواع المنكرات، ما لا يقدر قدره، وذلك سنة ثمانين وتسع مئة، فوصل قبائل تلك الجهات إلى السيدين، العالم والعابـد الآتي ذكـره، يستغيثون بهما في دفع ما حصل من الظلم والجور، فلم يجدا عذراً عند الله في الترك.

ومن أعظم الأسباب في قيامهما: أن مرجان شاويش متوليَ تلك الجهة، من عمال غوث الدين بن المطهر بن شرف الدين، تظاهر بفعل المنكرات، وعسف وأفرط في ظلمه، فاجتمع من قبائل الشرف إلى السيدين، قدرُ خمس مئة مقاتل، فقصدا إلى المحابشة بمن اجتمع إليهما، إلى موضعٍ يقال له: جبل الفايش، وطلع مقدماتهم إلى حصن القاهرة من المحابشة، فلقيهم مرجان شاويش بمحطة من الجند، فناوشوهم القتال، فقتل من القبائل خمسة رجال، ثم انهزم القبائل، ولم يثبت معهم أحدٌ، وغدر أهل المحابشة بما قد تعاهدوا عليه من القيام بالأمر بالمعروف، ومعاونة السيدين.

ثم قصد مرجان شاويش المذكور، قبيلة الأُمْرُور، فقتل منهم عشرين رجلاً، فهاجر العلامة السيد علي بن إبراهيم العابد إلى عفار؛ للقراءة والإقراء، وأما السيد علي بن إبراهيم العالم، فلم يزل يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، ويدرس العلوم بهجرته، ثم هاجر بأهله وأولاده إلى حجور الأسلوم، ووصل إلى السيد غوث الدين بن المطهر إلى قفل مَدْوَم، فوضع له موضوعاً في الاستمرار على حالته من التدريس، واحترام جانبه، ومن يلوذ به.

حتى دعا الإمام الناصر لدين الله الحسن بن علي بن داود، فقام بها في تلك الجهة الشرفية، ولما أسر الإمام الحسن، أخذ السيد علي بن إبراهيم في معاونة الإمام المنصور بالله القاسم بن محمد على القيام بالإمامة، وجمع له من أموال فضلات الأوقاف والزكوات، ونذوراً كثيرة، وحشد له من بلده أهل السلا، قدر ستين رجلاً.

وكان الإمام القاسم المذكور ممن أخذ عنه العلم من صغره، وكان كثير تلاوة القرآن والعبادة، وله كرامات مشهورةٌ في حياته، وبعد وفاته.

مات ـ رحمه الله تعالى ـ، في شهر ربيع الأول، سنة ست بعد الألف، بعد ظهور دعوة الإمام القاسم، واستجاب الله دعاءه أن لا يميته إلا بعد ظهور قائم من أهل البيت، وقبر بهجرة الجاهلي، وعليه مشهدٌ مزورٌ.

وخلَّف ولدين: السيد العلامة الأوحد بدر الدين محمد بن علي، وكان عالماً نبيلاً، مدرساً للفقه والفرائض، وهو شيخ السيد الحسين بن القاسم في الفرائض، وتولى القضاء للإمام القاسم في الجهـات الشرفيـة، وأرسله إلى عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن المطهر، في الصلح الأول، وتم على يديه، واستمر على حاله؛ من الاشتغال بأمور المسلمين، وتدريس العلم، إلى أن اختار الله لـه ما عنده؛ من الانتقال إلى دار القرار، سنة اثنتين وثلاثين وألف تقريباً.

وعقبـه في هجرة الجاهلي، من الشاهل، وقتَ رقم هذه، سنة إحدى وثمانين، حول ثمانين رجلاً، منهم: العلماء العاملون؛ كالسيد العلامة أحمد ابن صلاح بن محمد بن علي بن إبراهيم، وأخذ العلم عن السيد محمد بن عز الدين المفتي بمدينة صنعاء، ثم رجع إلى بلده الهجرة، بعد أن أقام بصنعاء سبع سنين، فأخذ عنه جماعةٌ من الطلبة علمَ الفقه، بتحقيق قواعده، واستمر على ذلك إلى وقتنـا هـذا، وتولى القضاء بجهة الشرف الأسفل، مع مكارم أخلاقٍ، وإكرام للوافدين.

والولد الآخر من ولدَي السيد علي بن إبراهيم، هو: السيد صارم الدين إبراهيم بن علي، مات مهاجراً بمدينـة حوث، سنة اثنتي عشرة وألف، وله العقب الأطيب الأكثر، خلف ستة أولاد، منهم: السيد العلامة شرف الدين بن إبراهيم، وهو أكبر أولاده، وكان من أعيـان أهل البيت علمـاً وسعة صدر،

وتولى القضاء للإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، بعد وفاة عمه محمد بن علي، واستمر عليه إلى أن مات، سنة أربع وسبعين وألف، وعمره ست وثمانون سنة، وخلف أربعة عشر ولداً.

ومنهم: السيد العلامة المحقق في الأصول والفروع، شمس الدين بن إبراهيم بن علي العالم، كان من العباد الجامعين بين فضيلتي العلم والجهاد، ولم يترك شيئاً من الأعمال، إلى أن اختار الله له الانتقال إلى دار القرار، سنة أربع وخمسين وألف، وعمره خمس وستون سنة، وللسيد إبراهيم أربعة أولاد، غير هذين، وهم: السيد محمد بن إبراهيم، والسيد العابد أحمد بن إبراهيم، والسيد صلاح بن إبراهيم، والسيد الحسين بن إبراهيم.

وكلٌّ منهم خلف جماعةً من الأولاد، ذكورُهم ـ في تاريخ رقم هذه الأحرف ـ خمسة وسبعون، ما بين كهلٍ وشابٍّ وصغيرٍ، ولم يخل الله سبحانه أولادهم من التمسك بالعلم، وسلوك طريق سلفهم الطاهرين، هكذا نقله ولد ولد ولده، السيد أحمد بن الحسين بن إبراهيم بن علي العالم.

[١٣٨٥] علي بن القاسم العَنْسي.

الفقيه العلامة، كان مشهور الذكر باليمن، وله شعرٌ حسنٌ، وحظٌّ من علوم العربية، والخط الحسن، وكان مباركاً صالحاً.

توفي ـ رحمه الله ـ سنة خمس وأربعين وألف، في بَرَط.

[١٣٨٦] علي ابن الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم[1].

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٠٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٤٨)، =

وأمه فاطمة بنت السيد محمد بن حميد الدين بن علي بن محمد.

الإمام العلي المقام، سليل الأئمة الأعلام، وخلاصة الخلاصة من الآل الفخام، ملوك اليمن، وبهجة الزمن، الذي نشأ في حجر السيادة، وغذي بدَرِّ السعادة، وجمع بين الشرفين، وحاز الرياستين، وسرى ذكره في المشرقين، مسيرَ القمرين.

وخضعت الأعناق لفخره، واندرجت المعالي تحت نهيه وأمره، واستمدت الأدباء من عطره ونشره، وجنت من ثمره وزهره، وجلى في مضمار العلم والأدب، وأخذ بطرفي الكمال الغريزي والمكتسب، ومنحه الله من الفضائل، والأخلاق النبوية، والشمائل الكرام، الذي لا يقاس جوده بحاتم، والشجاعة التي كل أسدٍ لديها ساجم.

وُلد سنة خمسين تقريباً، وقرأ القرآن، واشتغل بالعلوم، وكرع في شارع الفهوم، وحج سنة سبعين وألف، ومعه جملةٌ من الأعيان، ولازم حضرة والده، التي كانت محط الرحال، ومنتهى الآمال، وقرأ على جمعٍ من الشيوخ، أهل التمكين والرسوخ، ورغب في الأدب، وأنفق عمره في الطلب، فبلغ الغاية القصوى في العلم عن كثب.

ولما تفرس فيه والده النجابة، وأشرقت عليه أنوار الفلاح والخطابة، قلده أعمال بلاد ضوران، وما حولها من البلدان، وكان والده ـ إذ ذاك ـ مقيماً بحصن شهارة، ولم يزل مقيماً على عمله، حتى توفي ابن عمه السيد الجليل

= «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٢٥٧) (١٩٦)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ١٠٣)، «نسمة السحر» للصنعاني (٢/ ٤٢١) (١١٥)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٦٤).

محمد بن الحسن بن القاسم.

وكانت اليمن منوطة بنظره، فاستخلفه والده على أعماله، وقلده ولاية ذلك الإقليم لحاله، واستقر به إلى أن توفي والده، وتولى الإمامة بعده الإمام أحمد المهدي بن الحسن، فأقرّه على ما كان في حياة والده عليه، وفوض جميع الأعمال اليمنية إليه، وغالب إقامته بتعز وميله.

ولم يزل محطَّ رحال الأدباء والفضلاء، ومناخ ركاب الأماثل والنبلاء، مع ما جبله الله عليه من محاسن الأخلاق، والشيم والحلم، والعلم والكرم، إلى أن توفي يوم الجمعة، ثالث شهر رمضان، سنة ست وتسعين بعد الألف، بمدينة إب.

وقد وقفت له على قطعةٍ كافيةٍ من شعره، مما حسن لفظه ومعناه، واستدل بفحواه على مغزاه، بل جميع ما فيه من ألفاظه ومعانيه، في نظام البلاغة، ما شك امرؤ أنه نظام فريد:

حُزْنَ مستعمَلَ الكلامِ اختياراً ... وتَجَنَّبْنَ ظُلْمَةَ التعقيدِ
وركبن اللفظَ القريبَ فأدركْـ ... ـنَ به غايةَ المرادِ البعيدِ

فمنه قوله:

أيكتُم ما به الصَّبُّ المَشوقُ ... وقد لاحتْ له وَهْناً بُروقُ
وهل يُخفِي الغرامَ أخو وُلوعٍ ... يُؤرِّقُ جَفْنَه البرقُ الخَفُوقُ
ويسلُو عن أُهَيل الجِزْعِ صَبٌّ ... جرَى من جَفْنِ عيْنَيه العَقِيقُ
إليكَ إليكَ عنِّي يا عَذُولِي ... فلستُ من الصَّبابةِ أسْتفيقُ

فلـي قلـبٌ إلـى بَانـاتِ حُـزْوَى　　طَـــروبٌ لا يَمَـــلُّ ولا يُفِيـــقُ
فـــإن سَـــمُومَها عنـــدي نـــسيمٌ　　وإنَّ أُجاجَهـــا عنـــدي رَحيـــقِ
فلـو ذُقْـتَ الهـوى وسـلكْتَ فيـه　　لمـا ضَـلَّتْ إليـه بـكَ الطَّريـقُ
بعيْشِكَ هـل تـرى زمَنـي بِسَلْعٍ　　يعـودُ وذلـك العـيشُ الأنِيـقُ
ويمْنحُنـي أُصَيْحابِـي بوصْـلٍ　　ويرجـع بعـد فُرْقتِـه الرَّفيـقُ
فهـا قلْبـي أسـيرٌ فـي هـواهمْ　　وهـا دمعِـي لبَيْـنِهمُ طليـقُ

وقد عارضه في هذه الأبيات جملةٌ من شعراء اليمن، أعرضت عن ذكرهم للاختصار، وله ـ وقد ضمن بيتي الحافظ الذهبي ـ:

صَبٌّ يكاد يذوبُ من حَرِّ الجوَى　　لـولا انْهمـاكُ جفونِـه بـالأدْمُعِ
وإذا تنفَّستِ الصَّبا ذكَـر الصِّبَا　　وليالِيـاً مـرَّتْ بـوادي الأجْـرَعِ
آهٍ علـى ذاك الزمـانِ وطِيبـهِ　　حيث الغَضا سكَنِي ومَن أهْوَى معِي
وليالِيـاً مـرَّتْ فيـا لِلّـهِ مـا　　أحْلَى وأملحَها فهل من مَرْجَعِ

إلى أن ختم بيتي الذهبي، على جهة التضمين البديع:

وحمامـةَ الـوادِي بـشرقِيِّ الغَـضَا

البيتان المشهوران.

وعارضه جماعةٌ من الأدباء في ذلك:

إن كنـتِ مُـسعِدةَ الكئيـبِ فرجِّعـي
إنَّـا تقاسـمْنا الغَـضا فغُـصونُه　　في راحتَيْكِ وجَمْرُه فـي أضْـلُعِي

ومنه: قوله يمدح أخاه السيد الحسين:

أكــــذا المـــــشتاق يؤرِّقـــــه تغريــــدُ الـــوُرْقِ ويُقْلِقُــــهُ
وإذا مـــا لاح علـــى إضَـــمٍ بــــرقٌ أشـــجاهُ تألُّقُـــــهُ
يُخفـــي الأشـــواقَ فيظهرهـــا دمـــعٌ فـــي الخَـــدِّ يرقرقُـــهُ
آهـــاً يـــا بـــرقُ أمـــا خبـــرٌ عـــن أهـــل الغـــورِ تحققُـــهُ
فيزيـــل جَـــوًى لأسـير هَـــوًى مـــضنًى قـــد طـــال تـــشوقُهُ
ريـــمُ الهيجـــاء ورَبْرَبُهـــا خمـــريُّ الثغـــرِ معتَّقُـــهُ
ممـــشوقُ القـــدِّ لـــه كَفَـــلٌ يتـــشكَّى الـــضعفَ ممنطَقُـــهُ
مُغْـــرًى بالعـــذلِ لعاشـــقه ويـــدرع الـــصبرُ يمزقُـــهُ
يـــا ريـــمَ الـــسفحِ عـــلامَ تـــرى ترضـــى الواشـــي وتـــصدِّقُهُ
رفقـــاً بالـــصبِّ فـــإن لـــه قلبـــاً بهـــواك تعلُّقُـــهُ
فعـــسى بالوصـــلِ تجـــودُ ولـــو فـــي الليـــل خيالُـــكَ يطرُقُـــهُ
أو مـــا ترثـــي لـــشيخ قـــد زا د بطـــولِ الليـــلِ تحرُّقُـــهُ
وأراد الـــــصد ليخرجـــــه مـــن أســـرِ الحـــبِّ ويطلقُـــهُ
فلـــه نفـــسٌ تـــأبى كرمـــاً يأتيـــه الـــنقصُ ويلحقُـــهُ
ولـــذاك ســـلت بتـــذكُّرِها لأخٍ بالمجـــــد تخلُّقُـــــهُ
شـــرفُ الإســـلام وبهجتُـــه وخِتـــامُ الجـــود ومغدقُـــهُ
وعمـــادُ الملـــك ومفخَـــرُه وســـنام الـــدينِ ومفرِقُـــهُ
مـــن دون عـــلاه لرائمـــه بـــرجُ الجـــوزاء ومـــشرقُهُ

حلـــمٌ كـــالطودِ لنائلـــه جـــودٌ كـــالبحر تدُّفقُـــه

اســمعْ مــولاي نظــامَ أخٍ قـــد زادَ بمـــدحِك رونَقُـــهُ

ودك قـــد صـــار يكلفـــه لمقـــالِ الـــشعرِ ويُنطقـــه

فـــاحفظْ وديّ لا تــصغِ لمـــا يملـــي الواشـــي وينمِّقُـــهُ

ومنه قوله:

جسمٌ مقيمٌ عـن فـؤادٍ قـد رحْـل لم يسلُ يومَ رحيلهم بعسى وعَـل

وقوله:

وحمامةٍ صدحَتْ على فنن اللِّوى وشدَتْ فأشجَتْ كل قلـبٍ مغمـدِ

باتت على غصنٍ تُردِّدُ في الـدجى وتعيـدُ ألحـانَ الغـريضِ ومعبـدِ

لم أنسَ أحمـرَ كفِّهـا لمـا غـدتْ تشدو علـى مُخْـضَرٍّ غـصنٍ أملـدِ

فكأنمـا كـفٌّ مـن المرجـان قـد قبـضت براحتهـا قـضيبَ زبرجـدِ

توفي يوم الجمعة، ثالث شهر رمضان، سنة ست وتسعين بعد الألف، بمدينة إب، ودفن بإزاء الكاظمي في قبته.

ومن الخطط المتسعة في سلك ممالكه، مدينةُ ذي جبلة، وهي إحدى كراسي ملكـه، ومن منازهها عُكُم، وهو منزه يغري على الولوع بمحاسنه، ويحرك إلى الطرب بألحان سواجعه نفسُ ساكنه.

وله به قصرٌ جرى في إتقانه إلى أمـد، وشيد بالصفاح والعمـد، ودار به نهرٌ حمامٌ برود، كأنما هو قلبٌ يدور على معصم رود، وحفت به رياضٌ تقيد عين الرائي، ويجد عرفَها الضائعَ الداني والنائي.

وله كَلَفٌ بذلك القصر، فلم أهتصر بـه أغصان الأفراح أحسنَ هصر، وركب إليه سوابق نزوعه الغالب، ومدّ فيه أوقات مسرات لا تُذكر عندها أوقاتُ المعتمد بقصر الشراحب، ولم يزل يقيم للأدب سوقاً، ويعيده غضّاً، ويدرس ويملي، ويشعر ويروي، ويقيم أيامه بين مجالس الدرس، ومحاضر الأنس، ويتحرى على قضية قول جم:

عجبـــي ممّـــا تعالـــت حالـــه فكفـــــاه اللهُ ذلاّتِ الطلـــــبْ

كيـــف لا يقـــسم شـــطري عمـــره بـــين حـــالين نعـــيمٍ وأدبْ

حتى توفي ـ رحمه الله ـ.

وأخبرني أخوه السيد عبدالله: أنه سمع على أبيه خمسين كتاباً، وله على أجلاء علماء عصره في العلوم سماعات.

[١٣٨٧] علي ضيـاء الـدين بن الحسـن بـن محمـد بـن الحسـن بن عبد الرحمن بن يحيى بن محمـد بن عيسى، وتقدم بقية النسب في ترجمة ابن عمه محمد، النعمي الشريف الحسني(١).

الإمام العلامة، الدراكة الصمصامة، طودُ المعارف، وخضم العوارف، **وُلد** ـ فيما كتب إلي صاحبنا الأديب علي بن الهادي المنسكي ـ بمدينة الدهناء، من أرض اليمن، سنة أربع وثمانين وتسع مئة تقريباً.

وكان من أجلائها ورؤسائها، وأكابر سراتها وعلمائها، ومن أعلام السادة

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٩٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٥٢)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤١٨) (٢٢٧).

الفضلاء الكملاء الجواهر، وأعيان القادة النبلاء البدور الزواهر، وأسباط الأئمة الخضارمة البحور الزواخر، وارثي سلفهم الطاهر، فيما مدح به شرفهم الظاهر؛ حيث يقول الكميت الشاعر:

راجحي الوزنِ كاملي العدلِ في ... السيرةَ طَبِّين بالأمور الجسامِ

فضلوا الناس في الحديث حديثاً ... وقديماً في أول القدّامِ

مسموع الكلمة، مقبول الشفاعة عند أئمة اليمن وملوكه، وله مؤلفاتٌ مفيدةٌ، في فنون عديدة، وكان يهتز للعلم وللأدب، ويحفظ الأخبار والآثار، ويطلع على القصص المتقدمة والمتأخرة، وكان يأتي على أكثر الكشاف غيباً، وانتفع به أهل الإقليم، ومسكنه جهة سلفه الدهناء، من أعمال وادي بيش والمحلة، واتخذ بيتاً بعِتْوَد، وكان عليه مدار المخلاف.

وكان واسع الصدر، مهيباً جليلاً، أحنفيَّ الحلم، سَرِيَّ الحجا، حيدريَّ البأس والعلم، ولي القضاء عن أمر إمامي زمانه: المؤيد بالله محمد بن القاسم، وأخيه المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، إلى أن مات ـ رحمه الله تعالى ـ، وذلك بمدينة صنعاء وأعمالها.

وكانت وفاته في شهر ذي الحجة، عام سبعة وستين بعد الألف بعِتْوَد، وبها دفن، وأعقب من الذكور اثني عشر رجلاً، كلهم علماء وشعراء، وقد ذكرت بعضهم في هذا الكتاب، وله أشعارٌ كثيرةٌ، وقفت منها على قوله مجيباً لبعض أصدقائه عن أبياتٍ وجهها إليه في جوابٍ منه:

شهدنا جواباً مستطاباً منمقا ... من البدر أو قرن الغزالة أشرقَا

يفوق عقودَ الدرِّ في جيدِ غادةٍ ... ويفضح زهرَ الروض نوراً ورونقَا

أتـى يتهـادى فـي غلائـلِ حـسنهِ كبدرِ تمـامٍ فـي الـدجى قـد تألقـا

تلـوح أسـاريرُ البلاغـة والـذكا فيـه فلـه عنـق المكـارم أعنقـا

سـفحن أهاضـيب الـوداد بطيـة فأصـبح أملـودُ المـسراتِ مورِقـا

ولا عيبَ فيه غير مدح امرئٍ غـدا مـن الباقيـاتِ الـصالحاتِ معوقـا

إذا استعرضَـتْه فكـرةٌ أجوديَّـةٌ رأتــه مــن الــزادِ المبلــغِ أملقــا

توزع بين النفس والحرص والهوى فأرعدَ في صنع المعاصـي وأبرقـا

فـآهٍ علـى عمـرٍ تقـضَّى شـبابُه ولـم يكـن مـستوضحاً لقـم البقـا

فأسـألُ مـن عمَّـتْ أيـادي نوالِـه منــار ســخاءٍ ينتحيــه محققــا

أتى من أخـي ودٍّ صـحيحٍ مبـرهن شـمائلُه أضـحت مـن النَّـدِّ أعبقـا

شرحتَ لأجمالِ الوصـال مبرهنـاً بـه صـارَ هطـالُ الفوائـد مغـدقا

وترجمْتَ للأشواق حالاً وشاهدي بــذاك فــؤادي فاتئــد مترفقــا

فيا مَنْ لِسُبْلِ المجدِ أصبحَ عـامراً ومن في صميمِ السبعةِ الغُرِّ مُعْرِقا

بقيتَ على هـامِ الـسماكين قاعـداً ومَتَّعَنــا فيــك المهــيمنُ بالبقــا

ودمْ فـي نعـيمٍ لا يكـدَّرُ صـفوُهُ وكنْ بنياطِ الفضلِ والعلـم موثقـا

كذلك بالأمجاد ما ارفضَّ عارض وما طائرٌ فـي مهمـه البيـد غرنقـا

وله في مدح «شرح الأزهار»:

درسـةُ الـشرح نزهـةٌ للنفـوس وبهــا مــرهَمٌ لــداءٍ وبُــوسِ

وهـي أشـهى لإلفهـا مـن سُـلافٍ قد أُديرت علـى نـدامى الكـؤوسِ

ولهــا صــورةٌ بمنظــر قلبــي هي أبهـى مـن صـورة الطـاووسِ

وصلُها للأريب أعظمُ قدرًا ... من وصالٍ لغادةٍ عَيْطَموسِ

فاستمروا في درسِها فالمعالي ... تتهادى في حالكاتِ الدروسِ

والمعاني مهورُهُنَّ معانٍ ... وارداتٌ عن صفوةِ القُدُّوسِ

فافتضاضُ الأبكارِ دونَ افتضاضٍ ... لعذارى مخبآتِ الطروسِ

وجليسٌ مذاكرٌ في رشادٍ ... خيرُ خِلٍّ وصاحبٍ وجليسِ

فإذا لم يكنْ فصحبةُ سفرٍ ... هي عند اللبيب خيرُ أنيسِ

واستمدُّوا فضلاً من الله يأتي ... فيه نورٌ يفوقُ ضوءَ الشموسِ

واستعينوا بالصبرِ كيما تفوزوا ... بخلالٍ عظيمةِ الناموسِ

وابتغوا طاعةَ الإله ففيها ... سرُّ فضلٍ مباركٍ مأنوسِ

فسلامٌ عليكم مستمرٌّ ... ما همى عارضُ الغمامِ الرحيسِ

وله - أيضاً - يخاطب ابن عمه السيدَ العلامة شرف الدين الحسن بن عقيل - رحمه الله -:

قل للأديبِ سليلِ كلِّ خليلِ ... خدنِ العفافِ مقرِّ كلِّ جميلِ

نجلِ الميامينِ السراةِ ومن لهم ... أصنافُ مجدٍ في الأنامِ أثيلِ

يمم هُديتَ مدارَج السلف الألى ... نشؤوا على التفريع والتأصيل

واسلكْ سبيلَهُم فإنكَ فرعُ مَنْ ... ساسَ الورى بدلائلِ التنزيلِ

طه عليهِ اللهُ صلَّى ما سرى ... برقٌ وما أَجرى معينَ النيلِ

ومن رسالةٍ له كتبها مجيباً للفقيه أبي القاسم بن محمد الوهم، في مسألةٍ حصل بينه وبينه فيها نزاع: وقد كان الأَوْلى رفع النفس عن مجاراتك في

جهلك، والالتفات إلى فرطات عقلك، وكف اليد عن جوابك، وقطع المدد عن عتابك، غير أني أعلم أنك لا تعدُّني بالإعراض متكرماً، وبالازورار عنك متحلماً، بل تقدر ـ مع ذلك ـ أنك قد أصبت معظم الصواب من هذا المبحث، وأنك قد أخذت بمقالك الأقبح الأرفث، و ـ أيضاً ـ فإن محكم كلام الملك الجليل: ﴿ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴾[الشورى: ٤١]، ومن قول حكم الشعراء:

إذا أتتِ الإساءةُ من وضيعٍ ... ولم أَلُمِ المسيءَ فمَنْ أَلومُ

وبعد هذا، فاعرف موضع قدمك قبل المسير، وتبصر في الأمور أيها الجاهل الغرير، وقف عند انتهاء قدرك، وانظر في إصلاح أمرك، فالأولى بك أن تكون متعلماً لا معلماً، وليس لك فيما سلكت جملٌ ولا ناقة، ولا مقدمةٌ ولا ساقة، والسلام.

والنعميون بيتُ علمٍ وشرف، مشهورون بأرض صبيا، منسوبون إلى جدٍّ لهم اسمه نعمة، والمشهور منهم: آل محمد بن عيسى، وأخيه أحمد بن عيسى، وصاحب الترجمة من ذرية محمد بن عيسى.

[١٣٨٨] علي بن الحسن بن محمد بن الحسن النعمي الحسني ـ رحمه الله، ورضي عنه ـ.

وُلد تقريباً عام أربعة وثمانين وتسع مئة، وكان قاضي القضاة بجهة صَبْيا، وكان إماماً محققاً فاق علماء أهل عصره، وله مؤلفاتٌ عديدةٌ، ورسائل شهيرةٌ، **وتوفي** ـ رحمه الله ـ عام سبعة وستين وألف، وله نثرٌ ونظمٌ.

ومن شعره: قوله مجيباً لأبياتٍ وجهها إليه بعض أصدقائه:

شـهدنا جوابـاً مـستطاباً منمقَـا من البـدر أو قـرنَ الغزالـةِ أشـرقا

يفوقُ عقودَ الـدرِّ فـي جيـدِ غـادةٍ ويفضح زهرَ الروض نوراً ورونقـا

أتـى يتهـادى فـي غلائـلِ حـسنهِ كبدر تمـامٍ فـي الـدجى قـد تألقـا

تلـوحُ أسـاريرُ البلاغـة والـذكا فيـه فلـه عنـقُ المكـارم أعنقـا

منها:

أتى من أخـي ودٍّ صـحيحٍ مبـرهنٍ شـمائُله أضـحَتْ مـن النَّـدِّ أعبقـا

ومنها:

وترجمت للأشواق حالاً وشاهدي بـذاك فـؤادي فاتئـدْ مترفِّقـا

ومنها:

بقيت على هـام الـسماكين قاعـداً ومتعنـا فيـك المهـيمنُ بالبقـا

ومـات عـن اثنـي عشـر ولـداً، وهم: محمـد، وحسـن، وأحمـد، وعبد الرحمن، ويحيى، ومحسن، وحسين، وعز الدين، وإبراهيم، وشبير، وإبراهيم، وشمس الدين.

فأما محمد، فتوفي سنة سبع وثمانين وألف، وأعقـب أولاداً أمجـاداً ذوي معرفة تامة.

وأما حسن، فكان له مشاركة في العلوم، ونظم بديـع، ولم يحضرني الآن منه شيء، وتوفي ـ رحمه الله تعالى ـ في غرة محرم الحرام افتتاح سنـة ثلاث وستين وألف بمكة المشرفة، ودفن بالشبيكة بقرب تربة العيدروس.

وأما أحمد، فكان إماماً علامة، مات بمكة سنة سبع وسبعين وألف،

ودفن بجانب قبر أخيه، ومات عن ولدين موجودين.

وأما عبد الرحمن، فكان على طريقة الصالحين؛ من المواظبة على الطاعات، وامتثال المأمورات، وترك المنهيات، وله أولاد على صفته.

وأما حسين، فموجود، وليس له عقب.

وعز الدين ذو معرفة تامة في سائر العلوم، ولد سنة اثنتين وثلاثين وألف، وكان قاضي حج اليمن من قبل أمير المؤمنين المتوكل على الله إسماعيل بن محمد ـ رحمه الله تعالى ـ، فلما حصل عليه الحاصل من ذهاب بصره، عزله عن ذلك، وكان له على ذلك جائزة عظيمة، وعطية جزيلة، فكتب إلى الإمام قصيدة يستعطفه، ويطلب منه أن يُجري عليه ما كان له، **منها قوله**:

إليكَ يداً ذا العرشِ من متظلمٍ	رمتْه قِسيُّ البينِ من غير ظالمِ
يمدُّ يداً منه ويبسط أنمُلاً	يبيح بشكوى من أسًى وجرائمِ
ومن عُقَدٍ أنت اللطيفُ بحلِّها	وما نفثت فيها ذواتُ التمائمِ
فعطفاً أميرَ المؤمنين ومِنَّةً	على العبدِ من تغييرِ وصلٍ فلازمِ
فإني أرى العاداتِ منك كريمةً	وأكرمُها عاداتُ أهلِ المواسمِ
وقد كان لي فيه عطاءٌ مخلّدٌ	برسمِ كريمٍ رازقٍ غيرِ حارمِ
فإن يكن الأمر الذي أصبحت به	عيوني في قلبي محا اسمي وخاتمي
وألقى عن الظهر النحيف علائقاً	لفصلِ القضا والرسم مفروض حاكمِ
فهبْهُ فهلاً كان في سعة الندى	لفاقدِ عينيه إقالةَ راحمِ

وله نظمٌ ونثرٌ حسنٌ، وله أولاد كثيرون، كلهم طلبة علمٍ فضلاء

ـ فسح الله في أجله ـ.

وأما إبراهيم، فكان علامةً، وقد توفي ـ رحمه الله ـ، وخلف أولاداً، أكبرهم طالب علمٍ.

وشبير مشاركٌ في العلوم، وإسماعيل درج، وليس له عقب.

وأما شمس الدين، فذو فضلٍ باهرٍ، وهو الآن خطيب مدينة صَبْيا ـ حفظه الله تعالى ـ.

هذا ما تيسر من ذكر سادتنا النعميين ـ سلمهم الله تعالى ـ.

ومن ذرية أحمد بن عيسى: ابنا أخت السيد علي بن الحسن بن محمد ابن الحسن النعمي المتقدم ذكره، وهما: السيد محمد بن علي بن حفظ الله، وأخوه السيد حسن بن علي بن حفظ الله بن عبد الرحمن بن يحيى بن علي بن أحمد بن عيسى النعميان.

فأما محمد، فشاعرٌ مفلقٌ، ناظمٌ ناثرٌ، عالمٌ فاضلٌ، ولد سنة ست وعشرين وألف، وتوفي في شهر جمادى الآخر[ة]، سنة تسع وسبعين وألف ـ رحم الله مثواه، وبلّ ثراه ـ.

ومن شعره: قوله مادحاً للإمام محمد بن الحسن بن القاسم، سنة سبع وسبعين وألف:

سقى المنحنى صوبٌ من المزنِ هاطلُ ... وسحّت على كُثْبِ العقيق المسائلُ
فألبسها من حلة النبت سندساً ... وماسَ غَضاها تزدهيه الغلائلُ
منازلُ أُنسٍ للأوانس حبذا ... لدى الصبِّ هاتيك الربا والمنازلُ
وملعبُ غزلانٍ ومسرحُ ربربٍ ... وما الدار شجو الصبِّ لولا الأواهلُ

ومنها:

فيا من لـصبٍّ تيمـت قلبـه النـوى وجار الهوى فيه وما البـينُ عـادلُ
تحامتــه أحــداثُ الزمــان لأنــه بأكناف عزٍّ الـدين والملـكِ نـازلُ

ومنها في مدحه:

ومـا اشــتبهت يومـاً لديـه قـضية مــن الأمــر إلا ظافرتْــهُ الــدلائلُ
ولــم ينــأَ جبــارٌ عليــه بجانــبٍ مــن الأمــر إلا قَرَّبتــه الــصواهلُ

ومنها:

تلاقي العطايا والنوائـب والـوغى ووجهُـك وضَّـاحٌ وكفُّـك بـاذلُ
لــذلك لا يلفــى ببــرك مــسائلٍ وكيف يلاقي خضرها وهو سـائلُ

ومنها:

وحسبي من التفصيل ما أنت أهُله وفي النيل للمرتـاد شـربٌ ونائـلُ

ومنها في الختام:

ودمْـتَ لهـم بـل للبريـةِ عـن يـدٍ وعلمُـك مـأهولٌ ومالُـك راحـلُ

وله أيضاً:

سَمَحَتْ بوصلِ المستهامِ العاشـقِ هيفـاءُ خُـصَّتْ بالجمـالِ الفـائقِ
بيــضاءُ صــامتةُ الموشــح طفلــةٌ تـزري القـضيبَ بلـينِ قـدٍّ باسـقِ
من بعدِ ما شَحَّتْ بطيـبِ وصـالها نحوي ولم تـسمحْ بطَيْـفٍ طـارقِ

رأفتْ وثوبُ الليـل أسـودُ حالـكٌ		في جسم عاشـقها وزيِّ الـسارقِ
باتــت ذوائبُهــا الحـسانُ قلائـدي		وموسَّــدي نعــمَ الـذراعُ الرائــقُ
نشكو الجوى ونبثُّ سرَّ غرامِنا		فــي غفلــةِ الرُّقبا ونــومِ الرامــقِ
لله مـــن وصـــلٍ هنالـــكَ نلتُــه		فــي جـنح ليـلٍ غيهبـيٍّ غاسِــقِ
فـي ليلــةٍ ظَلْمـا كـأنَّ نجومَهـا		فــي لُــجِّ بحـرٍ أُوثقَـتْ بوثـائقِ
مـن شـادنٍ غَـنِج أَغَـنَّ مهفهـفٍ		أحوى العيون بديعِ صنعِ الخالقِ
ملـــكَ الفـــؤادَ بدَلِّـــهِ ودلالِـــه		فجــوانحي كجنـاحِ طيـرٍ خـافقِ
تــاللهِ لا أنــساه ليلــةَ قــال لــي		لا تــنس مني محـضَ وُدٍّ صـادقِ
واسـأل فـؤادَك عـن فـؤادي إنـه		يُنبيـك عمـا جـنَّ قلـبُ الوامـقِ
وإليكَ يـا سبطَ المكـارم حلـوةً		عــذرا تــضوَّعُ عنبــراً للناشــقِ
ألقَــتْ إليــكَ زمامَهــا منقــادةً		وتبـرزَتْ نحـوَ اللبيـب الحـاذقِ
فاجعـلْ إجازتَهـا الجـوابَ فإنـه		طــبُّ الفــؤادِ المـستهامِ العــالقِ

وله:

تيَّمتْنــي ذاتُ الخُــدودِ الرِّهــافِ		وبرَتْنــي ذاتُ القُــدودِ اللِّطــافِ
طَفْلــةٌ تفْـضَح القـضيبَ قَوامـاً		تُسْبِـل الليلَ فـوق رَمْـلِ الحِقـافِ
صَـوَّر اللّـهُ شَخْـصَها مـن ضـياءٍ		ولُجَــيْنٍ ولُؤْلُــؤِ الأصْــدافِ
أعلَـى مَـن هـوى لتلـك مَـلامٌ		لا وربِّ الحديــدِ والأحْقــافِ

وله:

تَيَّمتنــــي بجيــــدِها والـــدلالِ		وأباحَـــتْ دمــي بغيــرِ قتـالِ

ذاتُ فـرعٍ كأنـه جـنحُ ليـلٍ وجبـينٍ يحكـي ضـياءَ الهـلالِ

وسـواجٍ ينفـثْنَ سـحراً مبينًـا وهـي للعاشـقين أيُّ نبـالِ

ولهـا الحاجُـب الأزُّج قـسيٌّ إن قتلـي مـا بـين تلـك النـصالِ

غَـضَّةٌ بَـضَّةٌ رداحٌ شـموع بـرزت فـي صـفاتِها والخـصالِ

تـسلبُ الخِـشْفَ جيـدَه ورنـاه وتضاهي في الأفـق بـدرَ الكمـالِ

جـلَّ مـن خَـصَّها بحـسنٍ بـديع وبراهـا شخـصاً بغيـر مثـالِ

روضـةٌ للعيـون بـين ريـاض عللـت بالمجلجـلِ الهَطَّـالِ

عـذلَ العـاذلون لـي عـن هواهـا ليس يصغي سمعي إلى العـذالِ

لـستُ أنـسى منهـا ليـالي ودّ إن لله درهـا مـن ليـالي

يـوم أعطتنـي الـودادَ دهاقـاً وسـقتني مـن ثغرهـا السَّلْـسالِ

مـن شَـتيتٍ كأنـه عقـد دُرٍّ شِـيب بـالخمر والمَعـينِ الـزلالِ

فـي خـلاءٍ عـن الرقيـب وواشٍ ساعدي(١) فرشها وفـرشُ الـدلال

فلئن أسعدَتْ على الوصل غيـري وحَمَتْنـي اللقـا وطيـفَ الخيـالِ

فلكـم فـزتُ باللقـاء قـديماً فـي لُييلاتنـا القـدامِ الخـوالي

فمـنِ المبلـغُ الـسلامَ إليهـا مـن كئيـبٍ حذتْـهُ حـذوَ النعـالِ

وأذابتـه بالـصُّدود وخلَّـتْ مدمعيـه تفـيضُ فـيضَ الـسِّجالِ

وعلـيكم أحبـابَ قلبـي سـلامٌ كـلَّ يـوم مـا مـال فـيءُ الظـلالِ

أو تـذكرتُ وصـلَكُم فـشجاني أو سفحْتُ الـدموعَ فـي الأطـلالِ

---

(١) في الأصل: ساهدي.

ولـه شعرٌ كثيرٌ، وديوانٌ عُني بجمعه ولـدُ أخيـه صفي الدين أحمد بن الحسن بن علي بن حفظ الله.

وأما حسن، فعلامةٌ أديبٌ، مطبوعٌ على السجع، وزيادة الذكاء، وكان بيننا وبينه مودةٌ أكيدةٌ، نجز كتاباً منه إليّ، وأنا بجدة، أرسله من صبيا، وهو متوجهٌ إلى بيته، بمدينة مَوْر، من أعمال اللحية؛ لأنه كان قاضياً بتلك الجهة، من جهة الإمام المتوكل على الله ـ تغمده الله برحمته ـ، اخترت منه قوله:

وقد جاء من تلقائـه الكتـابُ الكريم الشافي، ووصل من نحوه المثالُ الفخيم الوافي، جَلَت طوالعُه المهنئة حنادسَ الهموم، وحلت نوازعه فوارس البلاغة، في يومٍ مشهودٍ له الناس، وذلك يومٌ معلومٌ، فما تنزل به روح أمانيه من بيان سماء بلاغتـه، إلا لشفـاء أوامي، ولا تدلى أمين يراعته، على بيان بداعته، إلا لبرء أسقامي.

فما أحلى ما شربتُ من زلاله المعين شافياً، وما ألذَّ ما ارتويت من برد غيره المغيث صافياً، وما أنور ما تبسم به ثغره عن لؤلؤ عتابٍ كريم، وما أعطر ما تنسم به فجره عن غفران من المولى، وسلام قولاً من ربٍّ رحيم.

ومنه قوله:

ما بعدَ كتبي عن الأحبـاب نـسيانُ ... وقطـع وصـلي لهـم والله سـلوانُ

أو سـلوةٌ بـسواهُمُ لا وحَقِّهــم ... إني على عهـدِهم بـاقٍ وإن بـانوا

وكيف أسلو وفي الأحشاء منزلُهم ... والقلبُ رَبْعٌ لهم والجسمُ أوطـانُ

ومن إذا شِمْتُ برقـاً نحـو رَبْعِهـم ... بُلَّـتْ مـن الـدمع أجفـانٌ وأردانُ

ومن إذا الطيفُ منهم زارني عَجِلاً ... يشب فـي مهجتي جمـرٌ ونيـرانُ

وُلد ـ رحمه الله تعالى ـ عام تسعة وعشرين وألف، وتوفي في شهر رجب عام تسعة وسبعين وألف، فكان بينه وبين وفاة أخيه السيد محمد بن علي ثمانية عشر يوماً ـ رحمه الله تعالى ـ.

ومن السادة آل أحمد بن عيسى: السيد حسن بن عقيل، وولده السيد علي بن حسن، كلاهما توليا القضاء بَصْبيا، ببلدة تسمى: العُثَيْرة، أسفل وادي وساغ، ذوي فضلٍ وورعٍ يلحق بسلفهم الصالح، توفي الولد في طريق الحج، وهو آيب من مكة، في حمضة، محط الحاج اليماني، بالقرب من وادي عَتْود، في أوائل محرم، سنة خمس وسبعين وألف.

ولما ورد الخبر إلى والده السيد حسن، انفطر قلبه حزناً عليه؛ لأنه لم يكن له من الأولاد سواه، فتوفي بعده بعشرين يوماً بالدهناء، ودفن بالهجرة من العُثَيْرة ـ رحمهما الله تعالى ـ.

ورثاهما السيد محمد النعمي بقصيدةٍ طويلةٍ، مطلعها:

صدمَ الدهرُ طودَ مجدٍ أثيلِ ... ووهى الدينُ بالمصاب الجليلِ

ونجومُ الهدى هوتْ وأُغيضَتْ ... أَبْحُر الجودِ بعد نجلَي عقيلِ

قَمَرَيْ أُفقها وطَوْدَي علاها ... وعمودَيْ نوالِها المأمولِ

جَبَلَي أَمْنِها إذا ناب خطبٌ ... وعياذ الورى لحملِ الثقيلِ

وهي طويلةٌ، ومنها في حسن الختام:

وسلامٌ على ضريحين ضَمّا ... نخوةَ الملتجي وكهفَ النزيل

ومن أئمة اليمن المشهورين: الإمام محمد بن الحسن، كان غرة اليمن،

ذا ولايـةٍ واسعةٍ، مُدِح ووُفِـد إليـه من كل جانب، توفي سنة ثمان وسبعين وألف، وهو في درجة الاجتهاد، وخلف ولدين، أحدهما: إسماعيل، توفي عقيب والده، في السنة التي بعد موت والده، وحصل على والده مرضٌ بأرض صنعـاء، وهو إذ ذاك بجهة تعز، فوافى زائراً إليه، ومدحه بقصيدةٍ تضمنتها الورقة المقابل لهذه، مطلعها:

لـــكَ فـــابتهجْ عـــن البـــشائر فالحـــبُّ قـــد وافـــاك زائـــرْ

والحسن والد محمد، هو الذي حارب الأتراك، وأخرجهم من اليمن.

هذا ما سنح لمحبكم من كتابـة بعض شيءٍ من أخبـار اليمن، فليقف سيدي على ذلك، ويعفو عما هنالك، وعليكم سلام الله ورحمة الله وبركاته، ولا حول ولا قـوة إلا بالله العظيم، وصلى الله على سيدنا محمـد وعلى آلـه وصحبه وسلم.

[١٣٨٩] علي صدر الدين بن أحمـد نظـام الدين بن محمد معصوم الحسيني، الفارسي أصلاً ومحتداً، المكي منشأً ومولداً[١].

ناظم قلائد العقيان، وفاضح نَغَمات القِيان، الشاعر الساحر، والكاتب الماهر، والباهر بمـا هـو ألـذ من الغمض في مقلة الساهر، فهو مسترِقُّ حُرِّ الكلام، والمبرِّزُ في النثر والنظام، سارت بشعـره الركبان، وطارت شهرتـه

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ١٨٧) (٢٩٦)، «نسمة السحر» للصنعاني (٢/ ٤٥٢) (١٢٥) «البدر الطالع» (١/ ٤٢٨)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٥١٠)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٥٨).

بخوافي النسور، وقوادمِ العُقبان، إلى فضلٍ لا يُشق له غبار، وسبقٍ في العلم لا يبق له مضمار.

وُلد بمكة، عام اثنين وخمسين بعد الألف، وجاء تاريخ مولده للشيخ يحيى العصامي المكي بقوله:

وتاريخُه (نعمَ الوليدُ أبـو الحسن   علـي لـدين الله صـدر ممهـد)

واشتغل بالعلم بمكة البهية، حتى برع في العلوم الأدبية، ومهر في فنون العربية، وكان والده قد رحل إلى الديار الهندية، وحظي حظوةً عند قطب شاه، صاحب حيدر آباد سلطان الشيعية، وحباه منزلـة عليـة، فأرسل إليـه بعض أخدامه، ورحل به إلى الهند، عند والده.

وأكبَّ هناك على الاشتغال بالعلم، حتى بلغ الغايـة القصوى، إلى أن جرى على والده ما جرى، مما ذكرته في ترجمته، فتنقل في البلدان، وارتحل من مكان إلى مكان، حتى اتصل بخدمة بعض أركان الدولة من وزراء السلطان العظيم الشان، محمد أورنك زيب بن الشاه جهان، وهو الآن هناك مقيم بدهلي جهان آباد، وما حولها من البلاد:

لكـلِّ شـيءٍ إذا مـا تَـمَّ نُقْـصانُ   فـلا يُغَـرَّ بطيـبِ العـيشِ إنـسانُ

وله مؤلفاتٌ عديدةٌ، منها: كتاب «سلافة العصر في أخبار أهل العصر» جعلها كالذيل على «الريحانة»، وأين الثريا من يد المتناول؟! وأنى تبلغ الفلك هامة المتطاول؟!.

قال بعض أصحابنا المكيين، وهو الشيخ علي السنجاري:

هاتِ اقْرَ لي ريحانـةَ ابـنِ خفاجـةٍ   لا عِطْرَ بعَد عروسِ لفـظٍ محكَـمِ
وارفـضْ سُـلافَة رافـضيٍّ مبعَـدٍ   إن الـسلافةَ لا تحـلُّ لمـسلمِ

وقد جمع في كتابه المذكور جملةً من أدباء العصر، وهو كتابٌ حسنٌ في بابه، لكنه إذا ترجم شيعياً، يغالي في مدحه، ويبالغ في تعظيمه، والإشارة إليه، وإذا ذكر سنياً، لا يعطيه حقه، بل ينكت عليه، حتى إنه لما ترجم السيد الجليل، المجمَع على جلالته، وكمال معرفته، عمر بن عبد الرحيم البصري ـ رحمه الله تعالى ـ، رماه بسنان لسانـه، وتكلم عليـه ببهتانـه، والله حسيبُه ومكافيه، وعلى تكلمه في أهل السنة مجازيه.

ولما أن وصل كتابه المذكور إلى مكة ـ شرفها الله تعالى ـ، ووقف عليه فضلاؤها وأدباؤها، قال سيدنا الشيخ علي بن تاج الدين السنجاري، يوم وقف على ترجمة جده فيه، هاتِ اقْرَ لِي . . . إلخ، وبلغ سيدنا الفاضل علي بن تاج الدين السنجـاري حين نظم هذه الأبيات اشتغال بعض الشيعة بالحط عليه، فكتب إليه قوله:

قيـل لـي أوجـب الـروافض سـبّاً   لـك مهمـا قُـري هجـاءُ الـسلاَفهْ
قلــتُ لا يقــدروا فــسبُّ علــيّ   مبطلٌ مـا ادَّعَـوا لـه فـي الخلافـهْ

وقال ـ أيضاً ـ:

قـولا لنجـلِ معـصومٍ إذا نظـرتْ   إليــه عينكُمــا عنــي ولا تَخَفــا
المِزْرُ أحسنُ من هذي السلافةِ إذ   تديرُها الحبشُ في حيشانها غرفـا
ما زدتَ عن أن أفدتَ الناسَ قاطبَـة   يا رافـضيُّ بمـا أضـمرتَ للخلفـا

وقال ـ أيضاً ـ:

مـا أحـسنَ الحـقَّ حـين يبـدو	رغمًـا علـى مـن يـرم خلاَفـهْ
فـــإن للاســـمِ والمـــسمَّى	تناســـبًا عنـــد ذي الظرافَـــهْ
مجموعـــةُ ابـــن النظـــام لمَّـــا	حـــوتْ مـــن الـــرجسِ كـــلَّ آفَـــهْ
وضـــمنت مـــدحَ قـــومِ ســـوءٍ	روافـــضٍ جاحـــدي الخلافَـــهْ
مـــا ســـهَّلَ الله أن تُـــسمَّى	لِمـــا حوتـــه غيـــر الـــسلاَفهْ

وله بديعية بديعة سماها: «تقديم علي»، وحكمت له التورية اللطيفة، بناءً على قاعدة مذهبه الفاسد، كما حكمت لأبي بكر بن حجة الحموي، في تسمية بديعيته: «تقديم أبي بكر» جرياً على مذهب أهل السنة ـ نور الله بصائرهم ـ.

وأما شعره، فأرقُّ من عليل النسيم إذا هب، وأجدى من نوال الكريم إذا وهب، **فمنه قوله:**

مـن أودَع الـراحَ والآقـاحَ فمـك	ومـن أعـارَ الـصباحَ مبتـسمَكْ
أصـبحَ مَـنْ قـد رآك ملتثمـاً	يتيـه سُـكراً فكيـف لـو لَثَمَـكْ
لـو أنـصفتكَ الحـسانُ قاطبـةً	أصبحتَ مولًى وأصبحوا خَـدَمَكْ
قالوا حكى فَرْقُـكَ الـصباحَ ولـو	حكمـتَ فيـه أوطأتَـهُ قـدمَكْ
يـا مُقـسِماً أن يُـذيبني كَلَفًـا	حـسبُك أبـرزْتَ بالجَفـا قَـسَمَكْ
وأنـتَ يـا طرفـه الـسقيمَ أمـا	تكفُّ عن ظلـمِ غيـرِ مَـنْ ظلمَـكْ
سـلبْتني صـبري الجميـلَ ومـا	كفـاكَ حتـى كـسوتَني سـقمَكْ

ولي على هذه الأبيات تخميسٌ بديعٌ، تجده أيها الراغب في «سفينتي» التي جمعتها من شعر أدباء العصر.

وعلى الجملة: فإن السيد علي بن أحمد معصوم، كان آيةَ عصره في الأدب واللغة، ومن تصانيفه: «الطراز الأول فيما عليه من لغة العرب المعوَّل» وهو كتابٌ حافلٌ، استدرك فيه على صاحب «القاموس»، و«الصحاح»، وقد رأيت منه جزءاً من نسخة المؤلف، بالديار الهندية، ببندر سورت، لما اجتمعت به في مجلس سيدي الوالد ـ رحمه الله تعالى ـ.

إلا أن السيد علي ـ رحمه الله ـ كان عديم المحاورة، وإذا رآه من سمع شعره، تعجب من ذلك، وحج سنة ألف ومئة وأربع عشرة، ثم رحل إلى بلاد فارس، **ومات** بشيراز، عام ألف ومئة وتسعة عشر.

ولما وقف على قولي، وهو أول شعر قلته:

ولما اعتنقْنا بعد يأسٍ وفرقة ... وقد غابَ عنا كلُّ واشٍ وعاذلِ
ظفرتُ بتفاح الخدودِ أشمُّه ... وقد كان يُحْمَى بالظُّبا والذوابلِ

أعجبه ذلك، قال: وكتبه فقير [رحمة][1] مولاه عبد الرحمن بن علي بن محمد بن سليم ـ غفر الله له ـ.

[١٣٩٠] علي بن عبدالله بن المهلا بن سعيد بن علي النسائي، ثم الشرفي[2].

---

(١) ما بين معقوفين ليس في الأصل.

(٢) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٣٨٢) (٢١٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٦٨).

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: كان من حملة الآداب، وكملة العلماء الأطياب.

مولده بكوكبان، وبه نشأ، وقرأ بصعدة والشرف، ثم قرأ بصنعاء مدةً، وعاد إلى كوكبان، ثم تزوج به، وحمل أهله إلى صنعاء.

ترجم له ولدُه فخر الدين عبدالله بن علي، فقال: كان عالماً في الفقه، والنحو، والمعاني والبيان، والمنطق، والتاريخ، أخذ عن جماعةٍ من المشايخ، منهم: محمد بن عبدالله المهلا، والعلامة عبد الحفيظ بن عبدالله بن المهلا، وعلي بن محمد الجملولي، والسيد محمد بن عز الدين المفتي، والسيد عيسى بن لطف الله، وغيرهم من العلماء.

قلت: وكان محبباً إلى الفضلاء بمكارم أخلاقه، طالما سمعت السيد الحسن بن أحمد الحيمي يحن إليه، وينوح بعد فراقه عليه، ويذكر من مكارم أخلاقه ما تتزين به الأوراق.

توفي بصنعاء، سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ وأربعين بعد الألف، ودفن بخُريمة ـ رحمه الله ـ.

وله شعرٌ سيالٌ، قليل النظير في عصره.

أخبرني السيد صلاح بن أحمد بن عز الدين المؤيدي، قال: قلت قصيدةً في السيد الحسن ابن الإمام القاسم، فلما عرف أني أريد القراءة لقصيدتي، قال لي: إنه قد قال فينا الفقيه علي بن عبدالله المهلا قصيدتين بليغتين، تطلعْ عليهما.

قال السيد صلاح: وعرفت أنه أراد أن يعرفني أنه يعرف جيد الشعر من

زائفه، فقرأت القصيدتين، فرأيت العجب، وكان السيد الحسن يذكرهما للأدباء لهذا المقصد، والقصيدتان الأولى منهما في فتح زبيد، وهي:

لا تحسَبُوه عن هواكم سَلا كلاًّ ولا فارقكُم عن قِلَى
ولا ثَنتْ وَهْنانةٌ قلبَه هَضِيمةُ الكَشْحِ صَموتُ الحُلَى

الوهنانة: اللينة الجسم، ناعمتُه، تكاد تسقط من النعومة.

تفضح بالقَدِّ غصونَ النَّقا لِيناً وتحكي الشادِن الأكْحَلا
نَشْوانةٌ ما شربت قَرْقَفاً سَحَّارةٌ ما عرفتْ بابِلاَ
آهِلةُ الدارِ بأتْرابِها لا عَفَتِ الرِّياحُ لها مَنزِلاَ
نسِيمُها حدَّثَ عن مِسْكِها فخَاله أهلُ الهوى مُرسَلاَ
دعِ التَّصابيَ في المَقام الذي فاق سناءً واقْصِد الأفْضَلا
وقُلْ بأعلَى الصوتِ إن جئتَه يا مَلِكاً حاز جميعَ العُلاَ
هُنِيتَ هذا الشرفَ الأطْولاَ فالمَفْخرُ الباذِخُ فوق المَلاَ
أدركتَ مَجْداً عُشْرُ مِعْشارِه قد أعجزَ الآخِرَ والأوَّلاَ
ما أنتَ إلاَّ آيةٌ أُنْزِلتْ تقمَعُ من حَافَ ومن أبْطَلاَ
يشْهد ما في الأرضِ عن علمِه أنَّك صِرْتَ الواحِد الأفضلا
نورَ هُدًى يُهْدَى به ذو التقى نارَ وَغًى حاميةَ المُصْطَلى
وبحرَ علمٍ ماله ساحلٌ يزْخَر إن فَصَّل أو أجْمَلاَ
دقيقَ فكرٍ ما رأى مُشكِلاً إلا وحلَّ المُشكِلَ المُعضِلاَ
يا ابنَ أميرِ المؤمنين الذي ما برِحَ النصرُ له مُقْبِلاَ

رُمْحُــك لا يــألفُ إلا الحــشَا سـيفُك لا يعـشَقُ إلا الطُّـلاَ

طَرْفُـك يخْتـاضُ دمـاءَ العِـدَى كأنهـا كانـتْ لـه مَـنْهَلاَ

مُنتَعِلاً فـي الـرَّوْعِ هامـاتِهمْ مُجلِّـلاً أكبـادَهم والكُلَـى

نهَـدْتَ للتُّـرْكِ وقـد حَزَّبـوا أجْنـادَهم تمـلأُ عُـرضَ الفَـلاَ

تغَـصُّ قِيعـانُ زَبِـيدٍ بهـمْ تَخـالُ فرسـانَهم أجْـبُلاَ

فـدارتِ الحـربُ وقـد أمَّلُـو ا رأْيـاً وقـد يُعْكَـس مَـن أمَّـلاَ

وزاوَلُـوا منـك فتًـى ماجِـداً لا يرهَـب المـوتَ إذا أقْـبلاَ

يسْتحسِنُ الـدِّرْعَ علـى جسمِه ثوبـاً ويسْتخْـشِنُ ثـوبَ المُـلاَ

سابِغةً تسْخَر بالبِيضِ في الْهَيْجَا وتـسْتزري القَنـا الـذُّبَّلاَ

فَجُرِّعـوا مـن بأسِـه عَلْقَمـا مُعْتـصَراً مـن شَـجَراتِ الـبَلاَ

واسـتبْدلُوا عـن صهواتِ الـذُّرا والـضُّمَّرِ الجُـرْدِ بُطـونَ البِـلَى

فمـنهمُ مَـن جـاء مُستـسلِماً ومـنهمُ مَـن طـار خوفـاً إلـى

فهكـذا فلـتكُنِ الهمَّـةُ الْـ ـقعـساءُ والفخـرُ وإلاَّ فـلاَ

فانْقـشعتْ تلـك الغَيابـاتُ عـن مُهـذَّبٍ كـالقمرِ المُجْتلَـى

عـن فـاطِميٍّ ذِكْـرُ أيامِـه يفعـلُ فـي الـسامعِ فعـلَ الطِّـلاَ

الحسنِ بـنِ القاسـمِ النَّـدْبِ مَـن غـار علـى الإسـلامِ أن يُهْمَـلا

وشـاد رُكْنـاً لبنـي هاشـمٍ طـاوَل مِـن رِفْعتِـه يَـذْبُلاَ

سـاسَ مـن الـشِّحْرِ إلـى مَكَّـةٍ إلـى الحِمَـى عُمْرانَهـا والخَـلاَ

ودَوَّخ الأرضَ فلو رام تَخْتَ الشْـ ـشَامِ بَلْـه الـرُّومَ والمَوْصِـلاَ

لأقْبلــــتْ بـــالطَّوْعِ مُنْقـــادةً لأمْــــرِهِ أَسْـــرَعَ مِـــن لاَ ولاَ

ونـــالَ منهـــا كـــلَّ مـــا يبْتغِـــي وحازَهـــا بالــسيفِ أو بـــالجَلاَ

ومـــا هِـــيَ الأرضُ ومـــا قَـــدْرُها عنــدك يــا مَــن قَــدْرُه قــد عَــلاَ

لـــو أنهـــا عنـــدك مجموعـــةً وهَبْتَهـــا مـــن قبـــلِ أن تُـــسأَلاَ

ولـــو أمـــرتَ الـــشُّهْبَ إقْبالَهـــا نحـــوَكَ لا تلبَـــثُ أن تنـــزِلاَ

وضَـــيْغمُ الأفـــلاكِ لـــو رُمْتَـــه جَعلـــتَ مـــن قُرونـــه أنْعُـــلاَ

ولـــو نهَيْـــتَ الـــدهرَ عـــن فِعْلِـــه بـــالحُرِّ لاسْـــتعبَدَ واسْـــتمثَلاَ

وإن يُـــرِدْ منـــه علـــى بُخْلِـــه يُولِيـــه بِـــرّاً كـــاد أن يفعَـــلاَ

دُمْـــتَ لـــدِين المـــصطَفى مَعْقِـــلاً ولِكهيـــفِ المُعتفِـــي مَـــوْئِلاَ

والثانية منهما قوله:

هـــام وَجْـــداً بـــساكِني نَعْمـــانِ حَـــسْبُه مـــن أَحِبَّـــةٍ ومكـــانِ

جِيـــرةٌ خَيَّمـــوا فخَـــيَّم قلبـــي واســـتقلُّوا فهـــامَ بالأظْعـــانِ

ألِفَـــتْهم رُوحِـــي فهانـــتْ علـــيهم قَلَّمـــا يـــسلَمُ الهـــوى مِـــن هَـــوانِ

الهـــوى شـــأْنُه عجيـــبٌ فكـــم مِـــنْ مُـــسْبِلٍ مـــاءَ شَـــأْنِه إثْـــر شـــانِ

علِـــقَ القلـــبُ مـــنهمُ بـــدرَ تَـــمٍّ ســـاحرَ اللَّحْـــظِ فـــاترَ الأجْفـــانِ

وافـــرَ الـــرِّدْفِ كامـــلَ الطَّلْعـــةِ الغَـــرْ راءِ مُـــرَّ الـــصُّدودِ حُلْـــوَ اللِّـــسانِ

مَـــن لقلبـــي بعَـــضٍّ تُفَّاحِـــهِ الغَـــضْـ ـــضِ وتقْبيـــلِ خـــدِّه الأُرْجُـــوانِي

فـــأُداوي الفـــؤادَ مـــن ألَـــمِ الحبْـــ ـــبِ ليُـــشْفَى مُعـــذَّبُ الهِجْـــرانِ

مـــالِكِي مـــا تُرِيـــد أصـــلَحك اللَّـــ ـــهُ بـــإتْلافِ مُطْلَـــقِ الـــدمعِ عَـــانِي

نَــمْ هنيئـاً مِــلْءَ الجفــونِ فــإن ... عاوَد طَرْفِي الكرى فقُل لا هَنـانِي
يَطَّبِــينِي هــوَى الحـسانِ ولكـنْ ... مــا رآنِـي رَبِّــي بحيـثُ نَهـانِي
بل تحامَى نفسِي القـريضَ فيُدنيــ ... ـــها إليــه تَــشْبيبُها بــالغَوانِي
أَجمـاحٌ مـع الـصِّبا بعـد مـا لا ... حَـتْ ثـلاثٌ بـيضٌ ثَنَـيْنَ عِنـانِي
فــاتنِي رَيِّــقُ الـشَّبابِ وأرْجُـو ... عَــوْدَه مــن أكُــفٍّ فَـرْدِ الأوانِ
يــا أبــا أحمــدٍ بَقِيـتَ فمـا غَيْــ ... ــرُكَ يُـدْعَى إذا الْتقَـى الْجَمْعـانِ
ذُدْ عن الدِّين واحْمِه بالصِّفاحِ الْــ ... ـبِــيضِ والـصَّافِناتِ والمُــرَّانِ
أنــت مَهْـدِيُّ هــذه الأمــة المَـرْ ... جُــوُّ إحْيـاؤُه عَقِيــبَ الزمــانِ
لك من قولِ جَـدِّكَ الـصادقِ الهـا ... دي ومــن قــولِ حَيْـدَرٍ شـاهدانِ
زمِـنَ الـدهرُ عنـدما درَس الحقْــ ... ـقُ فمُـذ جئـت عـاد فـي عُنْفُـوانِ
غُبِــنَ المُـدَّعِي عُـلاكَ لقـدْ مَـدْ ... دَ يَــداً وَيْحَــه إلــى كِيــوانِ
يرْتجِي شَـأْوَكَ الرَّفيـعَ لقـد ضَلْــ ... ـــلَ وغَرَّتْــه نفــسُه بالأمــانِي
رفــع اللّـــهُ منــك رايــةَ حَــقٍّ ... يتَّقــي بأْسَــها أُولــو الطُّغيــانِ
سَلْ زَبِيداً والنَّجْدَ نَجْد المُحَيْرِيــ ... ـــبِ وقـاعَ القِبـابِ مـن سخَّانِ
لــو تــصدَّى لهــا ســواك إذاً آ ... لَ كَــسِيرَ القَنــا قَتِيــلَ طِعــانِ
طفـقَ الـرومُ تحـتَ سيفِك أفـوا ... جـاً يَخِــرُّوَن منــه للأَذْقــانِ
إن أعــداءَكَ البُغــاةَ لفــي النـا ... ر يطوفــونَ فــي حَمــيمٍ آنِ
أَلِفَتْ خيلُك الوغَى فهْيَ مِنْ شـو ... قٍ إليــهِ تهُــمُّ بــالطَّيَرانِ
كـم جيـوشٍ غادرْتَهـا للأعـادِي ... جَــزَراً للنُّــسورِ والعُقْبــانِ

مـن رأى بأْسَـك الـشديد وإقْـدَا | مَـك يـوم الـوغَى علـى الأقْـرانِ
مُعْلَمـاً يلْتقِـي الكتائـبَ فَـرْداً | حيـث تُنْـسَى مَـوَدَّةُ الإخـوانِ
لا يـرى غيـرَ هامـةٍ أو نَجِيـعٍ | أو قَتـامٍ أو صـارمٍ أو سِـنانِ
علِـم النـاسُ أن مالـك ثـانِي | واسْـتبانُوا أن الفَخـار يَمـانِي
الغِنَـى والقَنـا بكَفَّيْـكَ موجـو | دان ذا لِلْـسافي وذا للْجـاني
ولـك المَحْتِـدُ الرفيـعُ وعَلْيـا | كَ على الخَلْقِ ما لها مـن مُدانِي
راقَ مَدْحِي فيمَن حوَى قصَب السَّبْـ | ـقِ ودانَـتْ لأمْـرِه الخافقـانِ
الهمـامِ الـذي لـه الوقعـاتُ السْـ | ـسَودُ في أهـل الزَّيْـغِ والعُـدوانِ
مَلِـكٌ يَقْهَـرُ الجبـابرةَ الـصِّيـ | ـدَ ويَعنُـو لـه ذَوو التِّيجـانِ
حسنُ بنُ المنصورِ سبطُ السجايا | مَرْبَـعُ الفـضلِ مَنْبَـعُ الإحـسانِ
سَنَّ للنـاسِ مـذهبَ الْجُـودِ والْبـأْ | سِ فمـا زَيْـدُ الخَيْـلِ وابـنُ سِنانِ
نَـشرَ اللّـهُ عَدْلَـه فـي البرَايـا | ليفـوزُوا بـالأمْنِ والإيمـانِ
وأعـادَ الأعْيـاد تَتْـرَى عليـه | أبـداً مـا تعاقَـب المَلَـوانِ

[١٣٩١] السيد علي بن أبي بكر بن سالم بن حسن بن شيخ بن علي بن شيخ بن علي ابن الشيخ محمد مولى الدُّوِيلة[١].

الإمام الجليل، العارف بالله سبحانه.

وُلد بالمخا، سنة اثنتين بعد الألف، وبها نشأ، وقرأ القرآن، وصحب

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٢٥٣)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣١٨).

جماعةً من العارفين والأعيان، ثم رحل إلى مكة المشرفة، سنة اثنتين وأربعين وألف، فحج، وقضى مناسكه، وقطن بها إلى أن توفي سنة ست وثمانين بعد الألف، ودفن بالمعلاة، بحوطة السادة بني علوي.

وله كراماتٌ، منها: أن السيد أبا بكر بن محمد بن عقيل، مرض مرضاً شديداً، وأوصى، فعاده صاحب الترجمة، فأشهده على الوصية، فقال له: الوصية لا بأس بها، ولكن لا تموت بهذا المرض، بل يزول عنك، وتعيش بعده مدةً، فكان الأمر كما قال ـ رحمه الله ـ.

[١٣٩٢] علي بن عبد القادر بن محمد بن يحيى بن مكرم بن المحب محمد بن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم ابن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني الطبري المكي الشافعي[1].

إمام المقام الشريف، وخطيب المسجد الحرام المنيف، ذكره والده في «إنباء البرية بالأنباء الطبرية»، فقال: **وُلد** ليلة سابع وعشري شعبان، سنة اثنتي عشرة بعد الألف، ونشأ في حجر أبويه، وحفظ القرآن العظيم، وصلى به التراويح بمقام إبراهيم، واشتغل بالعلم والتحصيل، فقرأ علي «الأجرومية وشرحها للشيخ خالد»، وقطعة من «شرح الأزهرية»، ومن «شرح المتممة»، وشيئاً من الحساب والفقه، ولازم دروسي في «المنهاج وشرحه»، وقرأ علي من «صحيح البخاري» عوضاً من أخيه؛ لغيبته بالطائف.

وقرا على الشيخ أحمد بن الفضل باكثير الحساب والعروض، وقرأ على

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٥٧)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٦١)، «إنباء البرية بالأنباء الطبرية» مخطوط، الورقة: ٤٥.

الشيخ أحمد بن علان في الفقه والمنطق، وقرأ على الملا حسين الكردي نزيل الحرم قطعةً من «التهذيب ومن شرحه لليزدي»، وقرأ على السيد عمر بن عبد الرحيم في النحو والفقه.

وأمّ بالمقام الشريف، من سنة إحدى وثلاثين بعد الألف، وهو حسن السيرة، طيب المنشأ، عفيف النفس وكبيرها عن سفساف الأمور، التي هي مقتضى الشباب، مع حداثة سنه، وله طبعٌ سليمٌ، وفهمٌ مستقيمٌ، ونظمٌ عظيمٌ.

فمن شعره وهو في هذا السن: قصيدةٌ نبويةٌ ألزمني لأجلها الزيارة به إلى المدينة الشريفة، عام ثلاثين، فما يسر الله ذلك، ومنها:

قِفْ بالمطيِّ فهذه الأعلامُ ... قد طابَ فيها للشجيِّ مقامُ

لاحَتْ بوارقُها فأشفقَ مغرمًا ... عبثَتْ به الآلامُ والأسقامُ

ذا مهجةٍ أُسرت بتبريحِ الجَوى ... ولها بذكرِ الأبرقينِ غرامُ

الله أكبرُ لا يُلام معلَلُ الـ ... أشواق إذ هي بالقلوب سهامُ

فدعِ الملامَ أُخَيَّ في ذكرِ الهوى ... فعلام فيما أَرتضيهِ أُلامُ

أعليَّ عارٌ في التصبّر للهوى ... أو ذكرِ وادي الرَّقْمَتَيْنِ حرامُ

أرضٌ لقد سحّت سحابئُها بما ... يُزري الغمائم جَودة[1] المرزامُ

أرضٌ لقد شَرُفَتْ بأحمدَ مَنْ به ... تتشرَّفُ الأيامُ والأعوامُ

بحرُ المعارفِ صفوةُ الله التي ... منها بدا الإفضالُ والإنعامُ

خيرُ النبيين المشفَّعُ في الورى ... يومَ القيامة والأنامُ قيامُ

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: جُودُهُ.

المصطفى الهادي الذي رحمَتْ بـه | وبفـضلِه العَـصباتُ والأرحـامُ
الحاشُر الماحي الرؤوفُ العاقبُ الـ | ـمُزَّمِّلُ المُـدَّثِّرُ القَمقـامُ
سيفٌ عـلا الـشرعُ القـويمُ بفعلـه | وبفتكِـه للمعتـدين حِمـامُ
المملـوءُ الأسـماعَ مـن ألفاظِـه | دُررًا بهـا قـد حـارتِ الأفهـامُ
هو خيرُ من يُرجى إذا خطـبٌ بـدا | أو حـلَّ مـا جَفَّـتْ بـه الأقـلامُ
يا خيرَ خلـقِ الله يـا ملجا الـورى | عطفـاً علـيَّ فإنـك المِرْحـامُ
أَمَّيْـتُ سـوحَك راجيًا ومـؤمِّلاً | جـوداً هـو الإحـسانُ والإنعـامُ
وشـفاعةً فـي ذلـك اليوم الـذي | فيـه يحاسِـبُ ربُّنـا العَـلاَّمُ
حاشا جنابَـكَ أن يُخَيِّـبَ سـائلاً | أو قاصـدَ الإفـضال منـك يُـضامُ
صلَّى عليـك اللهُ يـا بحـرَ الهـدى | مـا انهـلَّ وَسْـمِيٌّ ونـاحَ حَمـامُ
وعلـى صـحابتِكَ الـذين بعـزمِهم | قـد عُـزِّزَ الإيمـانُ والإسـلامُ
لا سـيما الـصديقُ أعظـمُ سـيدٍ | زانـت بـذكر جميلـهِ الأيـامُ
ومجهزُ الجيشِ العرمـرمِ للعِـدى | عمـرٌ ومَـنْ هـو للأنـام إمـامُ
ومجمِّـعُ القـرآنِ عثمـانُ الـذي | حزنَـتْ لفقـد بهائِـهِ الأقـوامُ
وعليٌّ البحرُ البطـينُ الأنـزعُ الـسَّـ | ـيفُ الصقيلُ المِصْقَعُ المِقدامُ
والسيدان حسينُ والحسنُ الـذي | هـو للخلافـةِ آخِـرٌ وختـامُ
وكـذاك فاطمـةُ المـصونُ جنابُهـا | عـن أن يخـف فِنـاءه الآثـامُ
فعليـكَ ثـم علـيهم خيـرَ الـورى | تتـرى مـن اللهِ الـسلامِ سـلامُ
ما قال حادي العيسِ حين بلوغها | قِـفْ بـالمَطِيِّ فهـذه الأعـلامُ

انتهى.

قلت: **توفي** المترجم بعد شروق شمس يوم الأربعاء، سابع وعشري جمادى الآخرة، سنة سبعين بعد الألف، عن ثمان وخمسين سنة، وهي عمر والده، وصُلي عليه بعد العصر، عند المقام، وكان له مشهدٌ عظيمٌ، لم يتخلف أحدٌ من الناس عن حضوره، والازدحام على حمل جنازته؛ للتبرك به ـ رحمه الله ـ، ودفن على والده، بقبر المحب الطبري ـ رحمه الله ـ.

[١٣٩٣] علي بن محب الدين بن محمد [بن][1] عبد البر بن أبي السعادات بن المحب محمد بن الرضي محمد بن المحب محمد بن الشهاب أحمد بن الرضي إبراهيم بن محمد بن إبراهيم بن أبي بكر الحسيني الطبري المكي الشافعي[2].

إمام المقام الشريف، قال الإمام عبد القادر الطبري في تاريخ الطبريين، الذي سماه: «إنباء البرية بالأنباء الطبرية»: **وُلد** سنة ثمان وثلاثين وتسع مئة، وأمه فاطمة بنت الإمام عبد المعطي بن مكرم الطبري، ونشأ عند أخواله، وحفظ القرآن وجوَّده، واشتغل بالعلم.

وأمّ بالناس عمراً طويلاً، إلى أن **توفي** يوم الجمعة، سنة إحدى عشرة بعد الألف، وصُلي عليه بالمقام، بعد أن نادى له الرئيس على قبة زمزم، ودفن في تربة جماعته الطبريين.

[١٣٩٤] علي بن محمد الضرير المالكي الأحسائي.

---

(١) ما بين معقوفتين ليس في الأصل.

(٢) «إنباء البرية بالأنباء الطبرية» مخطوط، الورقة: ١٣.

نزيل المدينة الشريفة ـ على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ـ.

فاضلٌ ذكي الطبع، يكاد يحفظ كل ما يسمع، وله معرفةٌ تامةٌ بفقه مالك، ومشاركةٌ في العربية وفنونها، وربما هجم على إنشاء الشعر في بعض الأحيان، فتقع له أبياتٌ مستظرفةٌ، وكان بينه وبين القاضي تاج الدين مكاتباتٌ أدبيةٌ، وله فطنةٌ قويةٌ.

أخبر بعض أصحابه: أنه كان يمر راكباً من المدينة، على طريق الفُرُع، فيتقدم أمام القفل وحده، فلا يخطئ الطريق، مع توعرها، وكثرة شعابها، والتفاف أشجارها، فينفذ فيها نفوذَ الماهر الخِرّيت، ولم يُر قطُّ في المدينة وأفنيتها، ولا في الطواف والسعي يحتاج إلى قائدٍ، ومن طالع «نكت الهميان في نكت العميان» للصلاح الصفدي، لا يستغرب مثل هذا، من ذكائهم وفطنتهم.

وناهيك بما يحكى عن الإمام الشاطبي: أنه مرّ بموضعٍ في سفره، وهو راكبٌ، فانحنى فوق الدابة، فقيل له في ذلك، فقال: أليس هاهنا شجرة؟ فقالوا: ما نرى من شجر، فقال لهم: انظروا إن لم تكن هنا شجرة، فلا تثقوا بشيء مما تأخذونه عني؛ فإني مررت بهذا الموضع منذ عشرين سنةً، وفيه شجرة، فحفروا، فوجدوا عروق الشجرة وأصولها، وقد اندثرت فروعها.

وكان يجلس قريباً من المحراب النبوي في غالب أوقاته، ويدرس للطلبة، وانتفع به جماعةٌ كثيرون، ولم يزل على خيرٍ، وفي خيرٍ، إلى أن توفي بالمدينة، لعله سنة تسعين وألف، ودفن بالبقيع ـ رحمه الله ـ.

[١٣٩٥] علي بن محمد بن عبد الرحيم بن محب الدين بن أيوب،

الشهير بالأيوبي الشافعي المكي[1].

كان من أجلاء خطباء المسجد الحرام، وسراة الفقهاء والأعلام، والأئمة الصالحين العظام، والمحدثين الفخام.

وُلد بمكة، وبها نشأ، وحفظ القرآن، و«الإرشاد»، و«ألفية ابن مالك»، و«ألفية الحديث»، وأخذ عن العلامة محمد علي بن علان الصديقي، وعلي ابن أبي بكر الجمال الأنصاري، وعبدالله بن سعيد باقشير، ومحمد بن عبد المنعم الطائفي الشافعيين، وغيرهم.

وأجازه الشيوخ، وتصدر للإقراء والتدريس بالمسجد الحرام، وحضرتُ درسه فيه عدة أيام، وهو يقرئ «الإحياء» للغزالي، و«شرح المنهاج» للمحلي، وكانت **وفاته** بمكة، عام خمسة وثمانين بعد الألف، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله تعالى ـ.

وقد ترجم نفسه، فقال في بعض رسائله: ترعرعت في رياض العلوم، وتمتعت بتلاوة كتاب الله، الذي يشفي الأمراض والكلوم، ولازمت الجلة العلماء العاملين الأعلام، وأخذت عن عدة من الفضلاء مشايخ الإسلام، فعاد عليّ من بركاتهم وأسرارهم ما لا ينكره إلا كل جاهل، ولا يجحده إلا حسود متجاهل.

ومنذ نشأت، وهبّ صَبا الصِّبا، لم يحصل لي صبوة، ومذ ركبت نجيبة النجابة، وجلت بها في ميدان الإجابة، لم يحصل لي عثرة ولا كبوة، بل كنت إذا فرغت من التلاوة والطلب، عدت البيت لتكرار بعض المتون، وتحصيل

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٥١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٩٣).

الكتب التي ليست عندي.

وذلك دأبي مـذ نشـأت، وإذا نودي للصـلاة، حَوْقَلت، وإذا دُعيـت للصلاة، لبيت وأجبت، ولم يزل ذلك دأبي إلى آخـر عمـري، بحيث صار طريقة لي وعادة، راجياً - إن الله تعالى - أن يكون نهاية العناية والسعادة.

وهذا أقل أثـر من حلول نظر العلمـاء العاملين، وحظوظ أثر الفضلاء الكاملين، وكـل منهم كـان يثني عليَّ في غيبتي، وإذا بلغني ذلك، امتلأت بالسرور والبشر، وطابت رغبتي، وكنت سليم الصدر من الغش والغل، ومن التعرض لأعراض المسلمين، سالماً مجانباً لما فيه إذاهم، مناصحاً لهم، ومواداًّ لهم ومسالماً، لا أجتمـع بهم إلا لحاجةٍ مهمـةٍ، أو أداء واجب، أو للتأنس بصديق، يكاد من لطفه يعلو على العين والحاجب.

وأقسم بالله الذي هو أبر ألية ويمين، وخسر من يفتري عليه ويمين، أن من خلقي قديماً حب الخمـول والعزلـة، وبغض الاشتغال بما لا يعني جده وهزله، وإنما القدرة الإلهية هي التي أرادت الشهرة لي والظهور، ومخالطتي للناس التي فيها قصم الظهور.

وإن كانت النفوس الأبية تروم طلب العليا، والشيم الأدبية تسمو أن تدنو إلى سفساف الدنيا، لكن لما طلب الحسنـاء قبيح الخصال، وخطب العلياء غير أكفاء، ودخل بيت قصيدها الزحـافُ والطيُّ والقبضُ والإقواء، أعرض عن عوضها كل ذي نفس نفيسة، وأنكحوها دنيء نفس خسيسة:

لقد هزلَتْ حتـى بـدا مـن هُزالِهـا كُلاها وحتـى سـامَها كـلُّ مفلـسِ

وذلك أني لمـا بلغـت الأشُدّ، وبلغت أربعين سنـةً، وكنت عن طلب

المناصب الدينية في أحلى نومةٍ وسنة، لم أشعر إلا وقد خُطبت لتقلد الخطابة، وألزمني بها من أخشى عواقبه، ولا أقدر أن أرد خطابه، وعلمت أن هنا أمراً أراده المولى، ولا مانع لما أراد، ولا دافع لما قضاه في الأزل ولا رادّ.

فحينئذ شَهرتُ حسامَ العزم، وأنشأت لكل نوبـةٍ خطبةً يستحليها ذوو الفضل والإنصاف، ويستحسنها أولو الشيم الحميدة والإنصاف؛ بحيث إني كلما باشرت بخطبة، طلبها مني بعض الناس، وخطبها كثيـرٌ من أهل مكة، ومصر والشام، واليمن والعراق، والأكراد على اختلاف الأجناس، فسارت بها الركبان شرقاً وغرباً، وطارت بها العربان عجماً وعرباً؛ بحيث فاقت خطب الذين قبلي من الخطباء، وفاقت على إنشاء المتقدمين من الفضلاء والأدباء.

ثم صار يُطلب مني حضور مجالس الأنكحة وعقودها، وأن أنشئ لهم خطبةً تفوق قلائد الدر في أسلاكها وعقودها؛ بحيث جمعت من ذلك ديواناً حافلاً، سحبت فيه مطارف البلاغة، وكنت في برود الفصاحة رافلاً.

ثم لما حصل جدبٌ في بعض السنين، أمرني فخـر السادة الأشراف، وذخر القادة آل عبد مناف، الشريف زيد ـ رحمه الله رحمة واسعةً، وأحله من غرف الجنان المنازل الواسعة ـ أن أباشر الدعاء، وصلاة الاستسقاء.

ثم لما ورد الأمر السلطاني على باب البيت الشريف، أمرني صاحب العز والحظ والسعد، الشريف سعد ـ حفظه الله تعالى ـ، وشيخ الحرم عماد أفندي، وقاضي مكة، بمباشرة الدعاء، فأنشأت لكل يومٍ دعاءً غير الأول؛ إظهاراً لما أنعم الله به عليّ من نعمه وخوّل.

انتهى المقصود منه.

وكان آيةً من آيات الله تعـالى في إنشاء الرسائل والخطب، غايةً في الكتابة والنثر والأدب، وقفت له على رسالة مدح بها العلامة أحمد البياضي، حين كان قاضياً بمكة، مستمطراً ندَاه، أن يعين لـه شيئاً من الوظائف؛ ليصون بـه ماء محياه، سماها: «القصور المشيدة المشرفة في مدح المقام العالي أحمد أفندي قاضي مكة المشرفة» أحببت أن أذكرها برمتها؛ لحسنها وبهجتها، وهي هذه:

بسم الله الرحمن الرحيم

أحمد من منح أحمدَ أحمدَ الشمائل، وأمدحَ المناقـب، وفضله على كثيرٍ ممن خلق تفضيلاً، وحبـاه من العلوم والمعـارف والأسرار ما يكلُّ كلُّ بليغٍ عن بلوغ شأوه جملةً وتفصيلاً، وزينه بالخلق القويم، والخلق الحسن، وكمله بالمنطق الفصيح، والعقل الراجح الصحيح، الذي يعجز عن إحصاء بعضه أقلام الأقاليم، وألسن اللسن.

فكان يكتسب المُجالس، إذا حضر بعض المجالس، أنواعاً من العلوم والأسرار وفرائـد الفوائـد، ويعـوّد عوّاده بجميل الهبات، وجزيل الصلات والعوائد، فمن ثَم كان الترنم بذكر مآثـره الحميدة يبرد فؤاد الفؤاد، ويحيي القلب الميت، والارتشاف من كؤوس كيسه أشهى إلى النفس النفيسة من حسو الكميت.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـه، الذي شرف من شاء من عباده وفضَّله، وفتح له ختام أسرار الفتوحات المكيـة، والمواهب اللدنية، وفضَّ لـه، وكمَّلـه بأنواع الفضائل والآداب وجمّلـه، وميّـزه على من سواه بالمناصب السنية، ووهبَ الجمال الجَمَّ له.

وأشهد أن سيدنا ومولانا محمداً ﷺ عبده ورسوله، الذي فوض إليه إرشاد الخلق، وبعثه ليحكم بين الناس بالحق، فأقامه فيهم، وساسهم أحسن سياسة، واقتعد كاهلَ العز، وامتطى صهوةَ المجد.

وأرسل في حلل البهاء، ورسا في رأس الرياسة، وبذل وسعه في تحرير الشريعة، وتحرى في تحرير الأقضية والأحكام، وأنار منار الدين، وأحكم أحكامه بغاية الإتقان، ونهاية الإحكام، وجذب القلوب بعذوبة لفظه البديع، وبيان معاني حسن حديثه، وأفيض عليه من النفحات الربانية، والنسمات الرحمانية، فحدّث بما حَدَث في قديم الدهر، وحديثه ﷺ، وعلى آله الذين كانوا أزهى من الزهر، وأبهى من الشموس، وذللوا بفرط لطفهم، وكمال رأفتهم، ومزيد عنايتهم، قلبَ الشموس.

وكانت شمائلهم تطفئ الأُوام والغليل، ويشفي عَلَلُها عِلَلَ العليل، وأشهى إلى النفس من حسو الشموس، وأصحابه الذين نالوا بصحبته الشريفة تالد الفخر، وطارف الشرف، وشرفوا اللهاد والوهاد، وأشرفوا على شرف السعادة، من أعلى الشُّرف، صلاةً وسلاماً دائمين ما زُفَّت عروس الأفراح على أرائك القبول إلى عزيز ونُصَّت، وما جُليت محاسن كريم، وتليت مناقب عظيم في سطور الطروس ونُصَّت.

أيها المولى الذي أسعد الله الزمانَ والمكان ببقاء ذاته العلية الطاهرة، وأصعد مجدَه في سماء العناية المتبلجة الزاهرة، والسيد الذي تشرفت به الديار المكية الفاخرة، وأضحت بطلعته لسائر الأقطار والجهات مُفاخِره، والسند الذي هو نظام هذا القطر الحجازي المعمور، ومفرده الذي عليه قطب السعادة والسيادة يدور، والمفلق الذي أنعشني طيب حديثه الشهي وأحياني، وأرّج

أَرَجُه الأريجُ سائر آناتي وأحياني.

ينهي المحبُّ المتحلي بخلاص الإخلاص، المتخلي عن خلل الرياء بالخلاص، إلى المسامع القلبية، التي هي لما يلقى إليها من الحكم والفوائد إذن واعية، ويبدي إلى المعالم السنية، التي وفر الله فيها بواعث الخير ودواعيَه.

أنه لما رأى كلمة الإجماع، انعقدت على ما لكم من كريم الصفات التي قرطت الأسماع، وعلم أن ألسنة الأنام، لا تزال تثني عليكم بحمايد المناقب الكرام، ثبتت لكم بذلك عنده محبةٌ شديدةٌ، ونبتت لكم بفؤاده مودةٌ أكيدةٌ، ولله دَرَّ من يحسن مقاله أحياناً، والأذن تعشق قبل العين أحياناً، فأراد أن يثبت ذلك بأوتاد مدحكم الكريم، ويؤكد ذلك بمد أطناب الإطناب في نشر ثنائكم الفخيم.

وكانت النفس الأبية، والشيم الأدبية، تطالبني برهة من الزمن، أن أبرز من المظاهر ما استتر في الضمير من حبكم وكمن، فكنت لفرط الهيبة والحياء، أَعِدُها مواعيدَ عُرقوب، وأعللها بسوف وعَلّ؛ علماً مني بالقصور عن الانتظام، في سلك من سلك هذا السبيل، ونهل من منهل منهلكم الروي وعَلّ، واعترافاً مني بفساد الزمان، وكساد هـذه البضاعـة، وقصوري عن الوصول لمقاصير قصور هذه الصناعة.

وكنت أقدم في ذلك رِجْلاً، وأؤخر أخرى، وأتردد هل الإحجام أولى، أم تقديم الأقدام أولى وأحرى، فلما غلب الوجـه، وطفح الإناء، وافعوعم القلب بالغرام وفاض، استخرت الله تعالى، واستخرجت ما في الخبية والوِفاض، وبرزت في حلةٍ سابغـةٍ، ورفلت في ثوبٍ فائقٍ فضفاضٍ، وجلت في ميدان

البلاغـة بلسانٍ نضناضٍ، وانتضيت حسام العزم من قريحـة قريحة، وسليقة بجوارح الهموم جريحة، وروية في حضيض الخمود ناضبة، قد خبت نارها كروب عاليـة ناصبة، واهتديت لجمع معانٍ، وضممتها ضم شوها لحسنا، راجياً أن أجتلي بها محاسن الإحسان، وأحاسنَ الحسنى.

فعند ذلك حسن هذا المخلص ردنه، وشمر ساعـده، معتقـداً أن من أعانه الله على نيل ما يروم وساعَدَه، أتى من فنون البلاغة بما يعجز عن الإتيان بـه قُسُّ بن ساعده، فحـذوت حذوَ من سلك هـذا السبيل، ووردَ صفو هذا السلسبيل، فحبّر وأنشأ، وأنشأت رسالةً بديعة النظم، صنيعة الإنشاء، لا بحولي وقوتي، بل بحـول من انفرد بالخلق والإنشاء، واختص بتكـوين الكائنات، فلا يقع في الكون شيءٌ إلا إن أراد وإن شاء.

فجاءت بحمد الله هدية من أبكار المباني، ومخدرات المعاني، وعروساً مجلية من بنات الأبكار تزين المعاني، وتغني عن الغواني، موشحة الأعطاف بوشاح المدح والثناء، معربةً عن قواعد المجد، فأكرِمْ بهذا الإعراب والبناء، راجيةً أن تحظى بالقبول والإقبال، طامعةً بإرخاء ذيل الستر والإسبال.

وقد جرت عادة الفصحاء، الذين فصحت البلاغة ألسنتهم، وصوبت إلى اقتناص أوابد النعماء أسنتهم، أن يقدموا بين يدي نجوى سادتهم تحفَ أفكارهم الحسنة، ويشنفوا أسماعهم بطرف أخبارهم المستحسنة، فرشفت ألسُن الأقلام من ثغور المحابر رضاب[1] المودة، وتعزلت في وجه الطروس، ورقمت بعوارض السطور خده.

---

(١) في الأصل: رطاب.

يـا كريمـاً زُفَّـتْ إليـك عـروسٌ   فـي بُـرود الحيـاء ذاتُ اختيـالِ
خطبـتْ نفـسَها إليـكَ وأبـدَتْ   رغبـةً فـي القبـولِ لا فـي النـوالِ

وكيف لا تكون هذه المقامة علية، وإن تواضعت بنفسها، ولم لا تشمخ بأنفها على أبناء جنسها، وكيف لا تعلو على الحاجب، وتوضع على الراس، وقـد اشتملت على مديح أشرف الناس، الحـائـز لقصـب السبـق في ميدان التحقيق، عند سباق فرسان التدقيق، الفائز بدرك نهاية الشأو بفكرٍ عميقٍ، وطبعٍ رقيقٍ، من انصقلت مرآة بصيرتـه، فحل عقـد الرموز بأنامل ذهنـه الثاقـب، وأبهرت أسرار سريرته، فدل على حفر الكنوز، ببنان رأيه الثاقب، الفائح من أعطاف همته روائح العنايـة الإلهية، اللائح من هالات طلعته أنواع السعادة الرحمانية، القائم على قوائم التفنن في الفنون السمعية والنقلية، القاعد على أرائك التمكن في العلوم الشرعية، ذي الرأي السديد الصائب، والرِّيِّ المديد الصائـب، والفخر الذي تشرفت به شرفات المواكب، والذخر الذي نشرت ألوية ولائه على الرؤوس والمناكب.

من زهت به وبكلماته أسرة المعاني، وتُخُوت المباني، وذرا المنابر، وتصرفت حِكَمه وأحكامه فيما شاء من نواهٍ وأوامر، إنسان عين الزمان الذي سطع كوكبه الدري عن شجرةٍ مباركةٍ، أضاء مجدها وفشا، ولاح وميض برق علومه، فكاد سنا برقه يذهب بالأبصار، يهدي الله لنوره من يشاء.

الذي امتطى كاهل العز، فكـاد من تحتـه يتزلزل، وتقلـد صارمـاً من المكارم، فأقر له السماك الرامح والأعزل، الذي جعل الله ألوية سؤدده ومجده خافقةً على رؤوس الموالي العظام، وساحة وجوده وفضله مزدَحَم المعالي

الفخام، ونشر لـه هام السماك علمَ المدح فلم يزل خافقاً، ونصب لـه أعلى السهى لواء الحمد، فلم ينفك دائماً شاهقاً، من ترافع على الجوزاء مقامه، وتشاسع على الإغبار مرامه.

الذي جمع الله له طريف الفضل والتلاد، وخصه بمحاسن الأخلاق التي لم يخلق مثلها في البلاد، ذي الكرم المشهود، والجود المأثور، والفضل الذي انعقد عليه الإجماع، وشهد به الجمهور، فلو أدركه القاضي الفاضل، لقضى بأنه أفضل فاضل، أو ابن تيمية، لتتيم في عذوبة منطقه، أو ابن قدامة، حكمَ بتقدمـه وسبقـه، أو الحريري، لاعترف بقصوره في مقاماته ومقالاته[1]، أو المتنبي، لآمن بمعجزاته ورسالاته.

فمن سرَّح أحداقَه في حدائق فضله، أحدقت بـه فواكُه قطوفُها دانية، وثمارُها متألقة، وإذا ورد روّاد ندى نداه، قال لهم الخزنة: ﴿لَا تَدْخُلُوا۟ مِنۢ بَابٍ وَٰحِدٍ وَٱدْخُلُوا۟ مِنْ أَبْوَٰبٍ مُّتَفَرِّقَةٍ﴾ [يوسف: ٦٧]، النحريـرُ الذي إذا هام الهمام في مهَامِهِ الإشكال، أروى أُوام الصادي بوجيز البيان، وأغنى عن إسهابه وتطويله، وإذا ادلهم دجى الإبهام، أَوْرَى زنادَ التروي، وروى من راوية العلم، وقال: ﴿أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ﴾ [يوسف: ٤٥].

الفقيه الذي ولج بهمته جامع البحار، وغاص لجة البحر المحيط الرائق، فاستخرج لفرط العنايـة، ومزيد الهداية الغررَ والدرر، وظفر بكنز الدقائق، وارتوى من رياض التقوى، وكرع من حياضها الهنية المريعة، أوحد القضاة بهـذا البلد الأمين، وواسطة عقدهم الثمين، على مذهب الإمام الأعظم أبي

---

(١) في الأصل: ومقالته، والصواب ما أثبت.

حنيفة النعمان، المفيد الذي تفتقت كمام فوائده، وتفتحت ورود فرائده، ففاقت شقائق النعمان، المفسر الذي شهد بأنه ليس له ثان، الواحدي والقرطبي.

المفرد الذي ما حلَّ قُطراً إلا وسال قَطْرا، وقال لسان حاله: شرف القطر بي، وشنف القرط بي، فلو أدركه البيضاوي، لقضى بأنه صاحب النظر الدقيق في المدارك، وجزم بأنه الكشاف لأسرار التنزيل، ومعالم التأويل، ونفى عنه المشارك، المحدِّث الذي لو أدرك زمانه البخاري ومسلم، لاستضاءا بمشكاة مصابيحه، وكانا أول مؤمن به ومسلم، الأصولي الذي لو رآه العضد، لأخذ بعضه وأداه واجبه، أو سمع به ابن الحاجب، لرفع الحاجب عنه، وغض طرفه، ونكس حاجبه.

الأديب الذي إذا نحا نحو النحو، فليس لماضي أمره فيه مضارع، وكل جمعٍ صحيحٍ فهو مكسور لهذا المفرد العلم، وكل ضليعٍ فهو لديه ضالع، وإن عانى علم المعاني، جعل المطول مختصراً، واستغنى في فتح باب بيانها البديع عن المفتاح، وأبرز القول فيه مطابقاً لمقتضى الحال، سالماً من الغرابة، والتنافر والتعقيد، وجلا فرائده كعروس الأفراح، ومد أطناب الإطناب، والإسهاب والمساواة، وتصدى لها عن أصالة وعراقة، فلا غرو أن يقال للمتشبه به: دع الاستعارة التخييلية، فليس لها من علاقة.

ناظم فرائد الفوائد في سطور الطروس، ناشر زواهر الجواهر في صدور الدروس، ذي الأخلاق التي هي أرق من النسيم، وأزهى من الروض إذا وقع عليه الندى في البُكَر، وألطف من شمائل النشوان إذا لعبت بـه الشَّمول، أو أعطاف الأغصان إذا حركها نسيم السحر، ذي الرصانـة التي تستحـق دونها الأطواد، والمكانة التي تشهد له التقدم في كل محفلٍ ونادٍ.

فريد العصر علماً وحفظاً وإتقاناً، وحيد الدهر الذي أذعن له أهل عصره، وقالوا له: لا ننكر أنك أعلمُنا وأتقانا، من اخضلَّ به روض الآداب، واعشوشب به شعب الأنس وأربع، ودب في رياض ﴿كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ﴾[النور: ٤٥]، فراستُه تدري الضمير، وتحكي ما حاك في الصدر، من فرط الحذق والذكاء، وأشعة فكره الثاقب حلت عقود المشكلات، وفاق ضوءها ضوء ابن ذكاء، الحليم الذي أحيا ما اندرس من معالم العدل وعفا، فإذا جاء جان، قابل جرم جرمه بالصفح، وتجاوز عنه وعفا، وإذا استشاط، كظم غيظه، ورئي منه رفق، ولذي الجاه لين، ونهاه نهاه عن الانتقام، وقال: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ﴾[الأعراف: ١٩٩].

راضع لبان الفخر والرياسة، جامع شرف النفس والنفاسة، المتشرف بالقيام بشعار الشريعة المطهرة، المصونة عن الاختلاف والاختلال، سجلاتُ أحكامه المحررة واسطةُ عقد أرباب الأحكام، وصدر صدور القضاة بهذا البلد الحرام، المتفرع من دوحة الجلالة الزاكية الأصول، راوي حديث الرياسة بالسند المسلسل الموصول، ولعمري! لم يأت الزمان قبله ولا بعده بمثله، ولم ينسج الدهر على منواله وشكله، فما أحقه ببيتٍ مفردٍ جامع للحسن رجيح:

والله لا يأتي الزمانُ بمثلِه ... إن الزمانَ بمثلِه لَشَحيح

فمن رأى هيبته ووقاره، واستجلى أنواره وأسراره، وشاهد خلقه القويم، وخلقه النسيم، قال: ﴿مَا هَٰذَا بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾[يوسف: ٣١]، فخر القضاة المكرمين، ذخر الولاة المعظمين، سيدنا ومولانا، ومخدومنا وعزيزنا،

المقام العالي، والمرام الغالي، حضرة أحمد أفندي، قاضي مكة المشرفة، ابن مولانا المرحوم، المغتبق من كؤوس الرحيق المختوم.

فخر القضاة بهذا البلد الحرام، الذين قضوا بالحق، وبه كانوا يعدلون، فميزوا بين الحلال والحرام، حضرة مولانا حسن أفندي بياضي، لازالت سوق الفضائل بوجوده قائمة على ساق، وعقود الأفاضل بشهـوده دائمـة الانتظام والاتساق، ولا برحت أعداؤه مطوية الأضالع على دخلها، مقتولةً بداء الحسد قبل قتلها، مرسل شياطين الخطوب عليهم، فهي تؤزهم أزًّا؛ لتلحقهم بالقرون المهلكة، فـ ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾[مريم: ٩٨].

ولا برحت سمات سماته مزهرة الكواكب، ورايات مجده محمولة على الرؤوس والمناكب، وشموس سعده في سماء مجده طالعة، وبدور عدالته في الآفاق مشرقة ساطعة، وما انفك مأثوراً بكل إفضال، لا سيما لجيران بيت الله وسكانِ أم القرى، وخصوصاً لهذا العبد الخليق بالضيافة والقِرى.

وينهي المخلِص بلسان قلمٍ متعثرٍ في أذيال تحريره، ساقٍ رياضَ الطروس من جريال تقريره وتحبيره، إلى حضرته التي هي محط ركاب الآمال، ومناخ نجائبِ مَنْ لا ثروة له ولا مال: أنه فرعُ أصولٍ كريمي النسب، ونسل أسلافٍ عديمي النسب، قد رضعوا ضرع العلوم، وغذوا دَرَّ الأدب ولبانَه، وتلفعوا بقناع القناعة، ولم يكن لهم بحطيم الحطام لُبانَه، واختاروا الباقي على الفاني، وآثروه على الثروة، ورضوا بالمتربة عن المرتبة، وفطموا نفيسَ نفوسهم عن نَصَبِ المنصِب، واستعذبوا وردَ الخمول ومشربه.

فقفوتُ نهجَهم ولله الحمد، راجياً حصولَ طارفِ المجد وتالدِه، وحذوتُ

أثرهم لأستأثر بالشرف الأثير، ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والِدِه، وقد تشرف بمحبتكم، وودِّكم الأكيد، فصار عادته المستمرة، وطريقته ومذهَبَه، وإن حُلل دعائه برقوم الوفاء مُطَرَّزة، وبخلاص الإخلاص مُذَهَّبة.

قسماً بمن خلق الإنسان في أحسن تقويم، وشقَّ بصره، وبمن أرسى أطوادَ حبكم في الفؤاد، من غير رياءٍ وسمعة، وبذاتكم المأنوسة، التي هي من أبر أليَّة ويمين، إن ما قلته حق، وليس من الفقير أن يزخرف في مقالته ويَمين، وإن ودكم حشا الحشا، ومازج المزاج، وارتسم في قالب القلب والفؤاد، فلو وزع على أهل الأرض لعمَّهم، أو قسم جزء منه لكفى ألف واد.

فلهذا أقدمَ على إنشاء هذه الرسالة البديعة والقصيدة، وقصد بهما بابكم العالي ووصيدَه؛ إذ كان الجناب الكريم للجناة والطامعين في النجاة أنفعَ وسائل، وفيضاً فياضاً للوفود فايضٌ وسائل، ومنهلاً عذباً زلالاً، لا يُصد عنه صادٍ وسائل، وغيثاً هامياً هامعاً للمستمطر من نداه هاطل، وبحراً زاخراً لا يدركه حدٌّ ولا ساحل، وكهفاً لا يجار على مستجيره لحماه نازل، وحصناً منيعاً لا يصل إلى الواصل إليه يدُ صائل، وحرماً آمناً من حلَّ به حال بينه وبين الأسواء منع حائل، ومقيلاً ظليلاً لا يضار مقيل صار به قائل، ومقاماً علياً سحبانُ لدى نعتِ معاليه باقل، وفخاراً جلياً كلُّ فَخارٍ في الوجود فضل سنده ناقل، توسلت لبلوغ مقصدي ببدائع القصائد والرسائل.

علماً مني بأن كل من جال في ميدان المدح بالصافنات الجياد، وكمى كل كمي وبطل وجاد، يجيد مدحه لكريمٍ تحلى جيده بجياد الجواهر بعد العَطَل، ومن استسقى لأرضه المجدبة هامرَ الحيا، وغامر الحبا، وتطاول للطول، ومد العطل، يصيبها نصيبها الوابل، ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾[البقرة: ٢٦٥]،

وإن من صنع معروفاً مع الآحاد، لم يفقد منه جزاءً وكرماً، فكيف بمن صنع معروفاً مع كريمٍ آباؤه كرماء، وقد قال عليه الصلاة والسلام: «من صنع معكم معروفاً فكافئوه»، فكيف بمن لو اجتمع الملأ على أن يدانوه في مكافأته، لما استطاعوا فضلاً عن أن يضاهئوه.

وقد لُذت بحماكم الذي هو أمنعُ من الأسوار والحصون، وعُذت بذاركم لتبردوا حَرِّي بصونِ حُرِّي عن حُرٍّ أو لئيم، أبدي إليه ما خفي من سري المصون، وأن ينظمه في سلك من شملت عنايته، وحل عليه نظر الإكسير، وأن يمن بتمييز حاله بالعطف والصلة، ويصون جمعه السالم من التكسير، وتعينوا شيئاً وتقرروه فيه من الحلول؛ ليحل به عقد الإملاق، ويعقد به عزمَه المحلول.

فإن الفقير ليس له ما يكفيه وعياله من المعلوم؛ كما هو عند الخاص والعام معلوم، وليس له ما يقوم بأَوَده من العُلوفة والجرايَة؛ كما يشهد بذلك أهل الخبرة والدراية، وأنتم أجلُّ مَنْ يقوم بإكرام من ينتسب إلى العلم وينتمي، وأعظمُ مَنْ يغيث من يلوذ بحماه الأمين ويحتمي، فقد قطع أطماعه عن السِّوى، وصرم بصارم الرجال حِباله، وتصدى لصيد ما يأملكم بالتعرض لمدحكم، الذي هو أمكن شبكة وحباله، واستمطر سحائب جودكم، وهوامي جودكم، لبلِّ بلبالِه الذي أقفر وأقوى، وأن يقلع قلاع الإملاق بجيوش معروفكم الذي هو أمكن وأقوى.

وحاشا عظيمَ الجاه أن يُخيِّب آمالَ من حلَّ رحلَه في سوحه الفسيح، وحل في ذراه، وآثره على كل ذي ثروة، وقنع منه بما يحصل له من آثار ثراه، وحمى حماه العالي أن يؤوب رائدُ دَرِّه من ندى يده صِفرًا، وكفة كَفِّه ليس لها

ما يكفيه ويكفُّه عن السوءى، لا بيضاً ولا صُفْرا.

والمطلوب من لطف مولانا، الذي منّ الله عليه بأنواع النعم وأنعم، والمسؤول من فضله الذي عَمَّ كلَّ وِطابٍ وأنعم، أن يقبل هذه العروس، التي سعت لخدمته وزُفَّت، وأن يجتلي محاسنها على منصة السرور، التي حيطت بأنواع الكمال وحُفَّت، ويجزل من خلاص الإخلاص، وصدق الصدق صداقَها، ويرتشف رائقَ ريقها، ويمد على رُواق العز رُواقَها، وأن يقابل بالقبول والإقبال مُهديها، ويعامل بالإكرام والإجلال مرشدَها إلى سدتكم ومهديها.

والمرجو من مزيد لطفكم، أن لا تؤاخذوا الفقير بما فيها من الهذِّ والهذيان، وتسامحوه بما في غضونها من الغَثِّ والغثيان؛ لأنتظم في زمرة من لاذ بجنابكم الكريم وتمسَّك، وتأرَّجَ من أرج طيبكم الأريج وتمسَّك، فنودي في سره: لن تنالك الأسواء ولن تمسك، فإنها ووفائك بالدم، من طرف الزمان، ومن الصُّدف، وقد أودعَتْ دُرّاً وصَدَفاً، فاختصَّ بالدر منها، ودع الصَّدَف.

لا زال عَلَمُ علمكم في الحركة والسكون مرفوعاً أبداً، وبناء مجدكم الذي أُسس على التقوى منصوباً لخفض العدى، ولا برحت أقلامكم لأفعال الشك جازمة، ولأعدائكم متعدية، ولآرائكم لازمة، وعوائد صلاتكم منعمين كل وعاءٍ وظرف، وعدلكم ومعرفتكم بمعالي الأمور مانعين من الصرف، وما انفك بابكم العالي فسيحَ السوح والرحاب، وأطواد سيبكم ونَداكم إذا لمحها العافي، يحسبها جامدةً، وهي تمر مر السحاب، وجنابكم السامي محروساً بالسبع المثاني والقرآن العظيم، وأطواق مننكم في نحور الأيام تفوق قلائد الدر النظيم، وهذا القطر الحجازي ببقاء ذاتكم العلية محروساً معموراً،

وبدوام طلعتكم البهية مأنوساً مغموراً.

وجيدُ الوجود بجياد صفاتكم السنية مقلد، ومجدُكم على مر الجديدين كالسبع الطباق مخلَّد، دامت معاليكم محروسة الجناب، وقامت مغانيكم مأنوسة القباب، والله تعالى يبقيكم مدى الليالي والأيام، لكل قريبٍ وبعيد وخاصٍّ وعامّ، ويحرسكم بعينه التي لا تنام، ويجعلكم في كنفه الذي لا يضام ولا يرام، بالنبي المختار، وآله الأطهار، وأصحابه الأخيار، عليه وعليهم أفضل الصلاة والسلام، ما دام الليل والنهار.

حرّره من فؤادٍ جريح، وسطره من جفنٍ قريح، عَجِلاً خَجِلاً على الباب طريح، الفقير الحقير، الرهين للذنوب والأسير، علي بن محمد بن عبد الرحيم ابن محب الدين بن أيوب، غفر الله له ما اقترفه من الأوزار والذنوب، وأفاض على درنه سجالَ العفو والذّنوب، وقسم له من الخير أوفرَ الحظ والذَّنوب، وبلغه من خيري الدارين كل سؤل ومطلوب، ووفقه لكل ما هو في الشرع محبوب، من واجبٍ ومندوب، وصلى الله على سيدنا محمد الحبيب المحبوب، وآله وصحبه وسلَّم ما هبت شَمالٌ وجنوب.

[١٣٩٦] علي بن عبدالله الصوفي.

المقيم بسطح الجامع الأزهر، كان من مشايخ الطريقة بمصر، لم يتزوج قط، وله مخالطةٌ للفقهاء، واستحضارٌ في الفقه، ومعرفةٌ تامةٌ بعلوم القوم، وكان ـ نفع الله به ـ ممن ترجى بركته، ويستغاث به؛ لحسن سمته وطريقته، أخذ الطريق من كثيرٍ، منهم: العارف بالله كمال الدين السوداني، ولزم طريقته؛ من الاشتغال بالدعوات، وملازمة الصلوات مع الجماعات، والصيام والقيام،

والرياضة على الدوام.

وكـان لا يخرج من الجامـع من الجامع الأزهر إلا نادراً، وكان عالماً بالسيمياء، وأسرار الأسماء، وله نيـةٌ صالحةٌ، ولا يملك ديناراً ولا درهماً، مكتفياً بالمرتب من الطعام والخبز بالجامع الأزهر، قانعاً عفيفاً صامتاً، عليه وقار التقوى، وهيبة الأولياء، وكنت أتردد عليه كثيراً، وأستمد منه الدعاء، ولعل الله نفعني به.

وذكر الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»: أنـه اجتمع بـه لما قدم من المغرب، سنة ثلاث وسبعين وألف، وأنه حج في تلك السنة، ورجع إلى مصر من عامه، وأخبر: أن بعض من ينتحل علم الأسماء أخبره: أنه كان يستعمل دعوة آية الكرسي، ويشتغل بها على طريق أهل ذلك الفن.

فجاءه روحاني، وقال له: آتيك كل يومٍ بألف شريفي ذهباً، بشرط أن تنفقها كلها، ولا يبيت عندك منها درهمٌ واحدٌ، فقال له: لا أقدر على هذا؛ فإنـه أمرٌ لا يكاد يخفى، وأخـاف على نفسي إن ظهـر ذلك عليّ من أرباب الدولـة، فلو كنت تأتيني كل يومٍ بشريفي واحدٍ، أو اثنين، أو عشرة، ففيها الكفاية لي، فقال: لا بدّ من الألف على الشرط المذكور، وإلا فلا، ولم يزل يراجعه في الاقتصار على الكفاية، ويأبى عليه، فأيس منه، وترك قراءة الدعوة.

قلت: وهذا من أعظم دليل على حمق الراغب في الدنيا؛ فإن الله سبحانه قد تكفل له بالكفاية على وجه يرضاه لـه على قدر حاله، ويعلم فيه صلاحه إن رضـي؛ ﴿وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ﴾ [الشورى: ٢٧]، فلو أعطي ما فوق اللائق بحاله، لم يستطع.

ألاَ ترى إلى هذا لمَّا رُدّ إلى حال لا تليق إلا بالملوك ومن يحاكيهم، لم يقدر على ذلك، لأنه فوق طوره، ولو استغنى بالحال التي أقامه الله فيها، فإنه أعلم بشؤونه، لاستراح، ولكنه أراد أن يدبر بنفسه حالاً ظن أنه أولى به، فنبهه الله بما أراد، على أنّ ما كان يظنه من أن كثرة المال هو اللائق بحاله، وَكْسٌ في الرأي، وغلط في التدبير؛ لعجزه عن القيام به.

وهذا رجلٌ ملطوفٌ به، ولولا لطف الله به، لقبِل ذلك، فيكون فيه حتفه قريباً، ولكنه نظر بما آتاه الله من نور العقل والحكمة، فعلم أن ذلك لا يتم له؛ لأنه على خلاف مقتضى الحكمة الإلهية. انتهى كلامه.

[١٣٩٧] علي بن محمد بن أحمد ابن الإمام الناصر الحسن بن علي المؤيدي[1].

سيدٌ خيم المجد بناديه، ودعا الخلائق بلسان الإحسان، فلباه مناديه، له في النظم طريقة حسنة.

من ذلك: قوله يمدح السيد الجليل زيد بن علي الحجاف:

يا ابنَ الأكارمِ والمفضالَ من وقفتْ	من هطل راحته الأمواجُ والديم
ومن إذا افتخرتْ عدنانُ في مَلأٍ	قامت بمفخَرِهِ الأخلاقُ والشيمُ
لو قدمت مضرُ الحمرا لهمتها	لقدمَتْكَ على أقرانك الهِمَمُ
أنت الجوادُ فماذا قد ثناكَ إذًا	عن الوفاء بأمرٍ شأنُه الكرمُ
وجودُ غيرك مما لا أفوهُ به	من الرجالِ سواءٌ ذاكَ والعدمُ

---

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (٢/ ٢٣٣) (٣٧٦).

من ذاكَ يجحدُ ما أَوليتَ من نعم العربُ تعرفُ ما تعطيه والعجمُ
لم يبق غيرُك إنسانٌ فنقصدُه هيهاتَ لا وَخَدَتْ بي الأيْنُقُ الرُّسُمُ
إن ترعَ حقي فأهلٌ للجميل وإن أضعتني فلأنتَ الخَصْمُ والحَكَمُ
أو لا فحقٌّ لفانٍ رهن حفرته في سفح حَيْسٍ وإن أنساكَهُ القدمُ
فبينكم لو رعيتُم ذاك معرفةٌ إن المعارف في أهل النُّهَى ذِمَمُ
لا زلت يا بنَ عليّ ينثني هرباً من خوف راحَتِك الإفلاسُ والعَدَمُ
قد صرتُ مثلَ زهيرٍ في المديحِ وإنْ تقاصرَ المدحُ عما فيك يا هَرِمُ

توفي يوم الجمعة، حادي وعشري صفر، سنة سبع ومئة وألف بصنعاء، ودفن بمقبرة خزيمة، غربي صنعاء ـ رحمه الله ـ.

[١٣٩٨] علي بن موسى بن شرف الدين بن شهاب الدين بن ناصر الدين بن سلمان الطيبي، نسبةً إلى الطَّيِّبة ـ بفتح الطاء المهملة، وتشديد الياء المكسورة، بعدها باء موحدة ـ وهي بلدةٌ بقرب المحلة الكبرى، من أعمال مصر الغربية، العُمري نسبةً إلى سيدنا أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ؛ لأنه من ذريته، المصري الشافعي الشهير بالأبيض(١).

نزيل مكة، فاضلٌ أديبٌ، كاملٌ أريبٌ، متفنن في العلوم، كارع في مشارع الفهوم.

وُلد بمصر، سنة أربع وثلاثين بعد الألف، وبها نشأ، وحفظ القرآن

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٦٤٥) (٣٦٤).

وحرره[1]، وقرأ بالجامع الأزهر على شيوخٍ، منهم: العلامة شيخنا سلطان المزاحي الشافعي، والعلامة نور الدين علي الأجهوري المالكي، ومحمد المنزلاوي، وموسى بن حجازي الواعظ الشافعي، وغيرهم، وأجازوه، وقرأ من طريق أبي عمرو على شاطبيِّ زمانه عبدِ الرحمن اليمني.

وروي عن الأستاذ الشمس محمد بن زين العابدين جميع أحزاب السادة البكرية قراءة عليه لبعضها، وأجازه بالباقي، وعنه أرويها.

ثم رحل إلى مكة، وأقام بها على خيرٍ، وفي خيرٍ، واجتمعتُ به فيها، وحصل بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ صادقةٌ.

وله معرفةٌ جيدةٌ، وحفظٌ جيدٌ لغريب الفوائد والأسرار، أفادني منها كثيراً ـ جزاه الله خيراً ـ[2].

ومما أفادني به نقلاً عن شيخه الأجهوري: أن من قرأ عند النوم قوله تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝٢٠٠ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ﴾ [الأعراف: ٢٠٠ ـ ٢٠١] أمن من الاحتلام في تلك الليلة.

وأفاد: أن من كتب بريقه على صدره عند النوم: يا عمر، أمن من الاحتلام تلك الليلة ـ أيضاً ـ.

وأفادني ـ أيضاً ـ عن الأجهوري: أن من قرأ في آخر جمعةٍ من رجب، والخطيب على المنبر: أحمد رسول الله، محمد رسول الله، خمساً وثلاثين

---

(١) كذا في الأصل، ولعلها: وجوّده.

(٢) انظر التنبيه الوارد في مقدمة الكتاب، حول هذا النص (١/ ١٩).

مرةً، لا تنقطع الدراهم من يده تلك السنة.

وأفادني عنه ـ أيضاً ـ لقضاء الحوائج تقول وأنت متوجه إلى حاجتك عشر مراتٍ: اللهم أنت لها ولكل حاجةٍ، فاقضها بفضل بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ﴾[فاطر: ٢].

وأفادني عنه ـ أيضاً ـ لبكاء الأطفال: يكتب ورقةٌ، وتُعلّق على رأس الصغير: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِي ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ ﴾[آل عمران: ٢٦] سليمان، ﴿وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ ﴾[آل عمران: ٢٦]، بلقيس ﴿وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ ﴾[آل عمران: ٢٦] إدريس ﴿وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ﴾[آل عمران: ٢٦] إبليس، عيسى وُلد ليلة السبت، ولا ريح ينفخ، ولا كلب ينبح، أرقد أيها الطفل حتى تصبح ﴿ أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ۝٥٩ وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴾[النجم: ٥٩ ـ ٦٠]، ﴿فَطَافَ عَلَيْهَا طَآئِفٌ مِّن رَّبِّكَ وَهُمْ نَآئِمُونَ ﴾[القلم: ١٩] ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وأفاد ـ أيضاً ـ عنه: جيم جماجم، طَهْطِيل مَهْطيل، جبالٌ راسياتٌ، سنديةٌ هنديـةٌ قدسيةٌ، من قرأها إذا أوى إلى فراشه، ثلاث مراتٍ، لم تقربه وفراشَهُ حيةٌ ولا عقربٌ.

وأفادني ـ أيضاً ـ: أن مما جرّب من الأسرار الخفية للعطف، إذا أردت أن تستعطف قلب رجلٍ أو امرأةٍ، خذ عدد اسمه، وعدد اسم أمه، وعدد ما مضى من الشهر، وعدد الآية الشريفة، فإن كان لرجلٍ فقوله تعالى: ﴿ فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴾[النمل: ٢٢]، وإن كان لأنثى، فقوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ وَإِنِّي عَلَيْهِ لَقَوِيٌّ أَمِينٌ ﴾[النمل: ٣٩]، وتسقط

الكل تسعاً تسعاً، حتى يبقى تسعةٌ أو أقل منها، فمهما فضل معك، فهو حرف المطلوب، تكتب ذلك الحرف في حائطٍ مقابلة للشرق، وتقعد بجانبها، وأنت تقول: يا حي يا قيوم، ويكون قعودك والكتابة ضُحًى، وتتلو ما ذكر حتى يؤذن الظهر، فإن الخصم يأتيك وإن تعوّق، فإنه لا يتمالك نفسه، والبخور حصى لبان ذكر.

وله مصنفاتٌ كثيرةٌ في هذه الفنون، منها: كتاب «الأصفياء وسلاح الأولياء» في مجلدٍ ضخمٍ أوقَفَني عليه، وأجازني به، وبسائر مصنفاته ومروياته، و«الطريق المستقيم فيما يحتاج إليه المسافر والمقيم»، و«كهف اللاجي وسفينة الناجي»، و«بلوغ المرامات في تعبير المنامات»، ومنها: «تذكرة الحاذق اللبيب فيما يحتاج إليه الراقي والطبيب»، و«الحلاوة العجمية على ألفاظ الأجرومية»، و«كنز المطالب ورغبة كل طالب»، و«منتخب الفوائد في ذهاب الأمراض وكشف الشدائد»، و«العقود النضيدة في الفوائد المفيدة».

توفي سحر ليلة الاثنين، عشري شهر رمضان، سنة ألف ومئة وعشر، وصلى عليه ضحى يومه، بالمسجد الحرام، إماماً بالناس، الشيخُ الفاضل عبد القادر بن أبي بكر مفتي مكة، وحضرت غسله وتكفينه، والصلاة عليه ودفنه، ولله الحمد، ودفن بالمعلاة، بحوطة الشيخ عبد الوهاب المتقي ـ نفع الله به ـ قريباً من السيدة خديجة.

وله أشعارٌ حسانٌ جمعها في «ديوان».

ومما أنشدني من شعره: قوله مادحاً النبي ﷺ:

لذةُ العيشِ طيبةٌ تسقيك ... من رضابٍ حَبابه يشفيك

إن بـدت والظـلامُ مُحْتَبِـكٌ   فَـضِيا نـورِ وجهها يَهـديك
بـديعِ الجمـالِ كـم فتنـت   فـي الـورى كـلَّ زاهـدٍ نِـسِّيك
وبـسيفِ اللحـاظِ كـم فتكـتْ   فـي الهـوى كـل فـارسٍ فِتِّيـك
قلـت مـذ أقبلـتْ بطلعتهـا   رَوِّقـي لـي المـدامَ مـن هاتيـك
قالـتِ اشـربْ جبًّـا معتقـةً   راحَ أنـسٍ شـرابُها يَرويـك
فـشربتُ المـدامَ مـن يـدِها   ونفيـت الـسّوى مـع التـشكيك
حبّهـا فـي الأنـام صـيّرني   عبـدَ رِقٍّ تملكهـا تمليـك
هِـمْ بهـا واخلـعِ العِـذارَ ودَعْ   كـلَّ واشٍ يريـدُ أن يُـسليك
إنمـا الحـبُّ راحـة وعنـىً   واجتمـاعٌ وفرقـة تُنبيـك
آهِ كـم ذقـتُ لوعـةً وقِلًـى   لكـنِ القلـبُ سـالمُ التـشريك
فلكَـم هـامَ قبلنـا فطـنٌ   كـان بـين المـلا أعـزَّ مليـك
بـاتَ واللـبُّ منـه مـشتغلٌ   تـاركَ الـصافنات والدكـديك
هكـذا العـشقُ فاسـتمعْ وأطِـعْ   وتجنـبْ كـلامَ مـن يغويـك
واحتـسي خمـرةَ الكـرام تجـدْ   كـلَّ حـظ بـشربها يُنـشيك
خمـرةٌ فـي الـدجى لهـا قـبسٌ   مثـلَ نـارٍ تلـوحُ فـي واديـك
لونُهـا كـالعقيق حـين بـدَتْ   داخـلَ الكـأسِ أو كعُـرْفِ الـديك
كـم همـومٍ نفَـتْ وكـم جلبـتْ   مـن سـرور وكلمـا[1] يـدريك
عـش فقيـراً أخـي بهـا زمنًـا   واتـركِ الكـدّ علّهـا تُغنيـك

(١) كذا في الأصل، والصواب: وكل ما.

وصِـــلِ الـــسكرَ بالزمـــان ولا تـستمعْ مـن كـلامِ مَـن يُـصحيك

وإذا راعـــك الزمـــانُ بمـــا فيـه ضـيقٌ يكـاد أن يُـضنيك

لُـــذْ بخيـر الأنـام مـن مُـضَرٍ بانكـــسارٍ فإنـــه يُنجيـــك

والتـــزمْ بابَـــهُ بمـــسكنةٍ فهـــو للخلـــد والعُـــلا يُـــدنيك

هـــو بـــابُ الإلـــه شـــافعنا يـــومَ حـــشرٍ حـــسابه يُـــصليك

هـــو فـــي الحـــالتين عمـــدتُنا ومـــن الـــسقم ذكـــرُه يبريـــك

خَـلِّ يـا قلـبُ عـشقَ كـلِّ رَشًـا ذي جمـــالٍ فحبُّـــه يكفيـــك

واطلـــبِ الفـــيضَ مـــن مكارمِـــه والعطايـــا فإنـــه مُعطيـــك

يـــا رسـولَ الإلـه كـنْ عـضدي مـن صُـرومِ الزمـانِ والتأفيـك

يـــا رسـولَ الإلـه كـنْ سـندي وترفَّـــق بمـــن أتـــى راجيـــك

واعطنـــي مـــا أرومُ يـــا أملـــي عـلّ أن لا يخيـبَ ظنـي فيـك

إن جـسمي مـن الـسقام غـدا نـاحلاً فـي الـسكون والتحريـك

داونـي واكفنـي الهمـومَ وجـدْ سُـرعة بـالهموم فـي ناديـك

كـي أزورَ المقـامَ منبـسطاً مـع قـوم حـدا بهـم حاديـك

وأنـالَ المنـى بـلا تعـبٍ رغـمَ أنـفٍ لفرقـة تـشنيك

وأنـادي بفرحـة وهَنـا يـا نـديمي بمهجتـي أَفـديك

قـال لـي هـاتف الـدجى سـحراً جـدّ فـي مـدح أحمـد نمليـك

يـا عـذولاً يلومُنـا سـفهًا مَـن علـى لـومِ مثلِنـا يُغريـك

إن تكـن جـاهلاً هَلُـمَّ إلـى حُبِّـنا مـن علومنـا نقريـك

أو تكـنْ قـد جُننـت مـن خَبَـلٍ ... لُـذ بأعتابنـا عـسى نرقيـك

أنـا والله لـم أحُـل أبـدًا ... عنـه دهـرًا خـلافَ مـن يفتيـك

اتـركِ اللـومَ للمحِـبِّ ودعْ ... ظنـك الـسوءَ بمـا يُرديـك

هـاك خـذْها كغـادةٍ جُليـت ... مـن قـريضٍ نظامُهـا يرضـيك

أرتجـي الحـظَّ والقبـولَ بهـا ... بـين قـومي لأنـني داعيـك

صُـغْتها كـاللآلي معربـةً ... مـن بـديعِ كلامِهـا أُهـديك

يُطـرِبُ الـسامعين منطقُهـا ... مـا لهـا فـي البديع قَطُّ شـريك

حـين قـدَّمتها لـديك ضُـحًى ... مُهْـديًا أخَّـرَتْ لكـل ركيـك(١)

وله معرِّضاً بصاحبه علي البساتيني، وقد جرت بينهما مناقشة:

إن رمتَ عن مصرَ أخبارًا مفصَّلَةً ... عَنِّـي فخـذْها بإسـنادٍ وتبيـينِ

سكانُها قـد حـووا ظرفًـا ومعرفـةً ... وفـاخروا سـائرَ الأقطـارِ بـاللينِ

مـن العبـادةِ لا تخلـو مـساجدُها ... وخبثُها والمعاصي فـي البـساتيني

وله:

يـا سـميري أعـدْ رقائقهـا ... كل شـيءٍ خَفـي عليـك تُريـك(٢)

وبهـا تبلـغ الـصفا أبـداً ... بـين أهـل الوفـا ومـا يَعنيـك

وإن أبـيض المحبـة لـي ... منطـقٌ نظمُـه حـوى تـسبيك

---

(١) جاء في الحاشية: «بقية هذه القصيدة في الصفحة الآتية».

(٢) جاء في الحاشية: «هذه الأبيات بقية القصيدة التي مرت على هذا النسق».

كعقـــودٍ نفيـــسةٍ نظمـــتْ بمكـــان ورقَّـــة تـــستبيك

بعلـــيٍّ دُعيـــت عبـــدَ كُـــمُ راجيًـــا مـــن جنابـــك التـــسليك

وصـــلاة الـــصِّلات دائمـــةٌ بـــسلامٍ علـــى المـــدى توفيـــك

وكـــذا الآل مـــا هَمَـــت دِيَـــمٌ فـــي ريـــاضٍ تحبكـــت تحبيـــك

وشَـــدا المـــستهامُ مـــن وَلَـــهٍ لـــذةُ العـــيشِ طبيـــةٌ تـــسقيك

وله أيضاً:

سَـبتْني بحُـسْنِ البَهـا والكَحَـلْ فتـاةٌ بهـا الجـسمُ منـي انتحَـلْ

تعـــشَّقتها مـــن زمـــان الـــصبا إلى أن بـدا الـشيبُ عنـدي وحَـل

وفتَّـــشْتُ قلبـــي وجـــسمي فلـــمْ أجِـــدْ فيهمـــا لـــسِواها مَحَـــلّ

وحالفْـتُ سُـهْدِيَ جُـنْحَ الـدُّجى وخالفـتُ يـا صـاحِ نَـوْمَ المُقَـلْ

أيـــا عـــاذلِي دَعْ مَلامِـــي ولا تـسَلْ عـن غرامِـي بهـا لا تَـسَلْ

أنـا الْوالِـهُ الـصَّبُّ لا غَـرْوَ أن لبِـسْتُ ثيـابَ التَّـصابِي حُلَـلْ

رعَـى اللّـهُ دهـراً بهـا قـد مَـضَى بوَصْـلٍ ومنهـا شـفيتُ الْغُلَـلْ

وفيهـــا صَـــفا باللِّقـــا خـــاطرِي وزالـتْ كُروبِـــي وكـلُّ العِلَـلْ

وماسَـــتْ بأعْطافهـــا وانْثَنـــتْ دَلالاً بقَـــدٍّ يفُـــوق الأسَـــلْ

وطافتْ بكأسِ الطِّلا في الـدُّجَى كبـدرٍ ببُـرجِ الـسُّعودِ اكْتَمَـلْ

وقالـــتْ ألا أيهـــا المُجْتَبـــى تهَيَّـا أخـا الحـبِّ وانْـفِ المَلَـلْ

سـكِرتُ سـكِرْتُ ووَقْتِـي صَـفَا ونَجْمِـي بـسَعْدِ الـسُّعودِ اتَّـصَلْ

ونِلْـتُ المُنَـى حـين وَاصَـلْتُها ومَـصَّيْتُ ثَغْـراً يُحـاكِي العَـسَلْ

ونزَّهْــتُ طَرْفِــيَ فــي وَجْنــةٍ غدا الوردُ مِن حُسْنِها في خَجَلْ
وهِمــتُ بأقــداحِ أحْــداقِها وتيَّمنِــي غَزْوُهــا والغَــزَلْ
فللــهِ مــن أعْــيُنٍ جَــرَّدتْ سِــهاماً وكـم جَنْدَلتْ مـن بَطَـلْ
رَنَــتْ لــي بهـا بعـدَ مـا أنْـشدَتْ علــى عُودِهــا نَغْمــةً مِـن رَمَـلْ
رقــصتُ كغــصنٍ تحــرك مــن نــسيمِ الــصَّبا فــي الربـا بالمَيَـلْ
وأطْيــارُ أُنْــسِيَ قــد غَــرَّدتْ بمُعْــرَبِ لَحْــنٍ غَريــبِ الْمَثَــلْ
وَلِعْــتُ بهــا وخلَعــتُ الــسِّوَى وسَمْــسَمَنِي رِدْفُهــا والكَفَــلْ
أيـا عُـصْبَةَ العـشقِ مـا حيلتـي خــذوا قَــوَدِي مـن أسـيرِ الكَلَـلْ
ولا تُنْكِـروا حـالتي فـي الهـوى فلــي رتبــةَ تبتغيهــا الأُوَلْ
دُعيــتُ عليًّــا حليــفَ الجـوى بــأبيضِ حِــبٍّ مُــرادي حـصلْ
ووُقِّيــت فــي الـدهر شـرَّ العـدى ورُقِّيت فـي الحـبِّ فـوقَ الحَمَـلْ
وزال العنــا حــينَ نلــتُ المنـى وفــي كـلِّ حـالٍ بلغـتُ الأَمَـلْ
أُصَــلِّي علـى سـيدِ الرُّسْـل مـن أتــى للبرايــا بخيــر المَلَــلْ
وآلٍ وصــحبٍ أهيــلِ التقــى وأتبــاعِهم مـا سـحابٌ هَطَـلْ
ومــا ســارَ ركــبٌ لنجـدٍ ومـا ســبتني بحــسنِ البهـا والكَحَـلْ

وكتب إليّ مادحاً بقوله:

صــادَ قلبــي بفــاترِ الأجفــانِ ظبـيُ أنـسٍ يفـوق حُـوَر الجِنـانِ
فرقُــه كــالهلالِ والــشَّعْرُ ليــلٌ ولَمــاهُ يفــوق خمَــر الــدِّنانِ
أحمـرُ الخـدِّ عـادلُ القـدِّ أحـوى قــد عــلا حــسنُه علـى الولـدانِ

راتـعٌ فـي الفـؤاد دومًـا ولكـنْ بالبهـا مختـفٍ عـن الأعيـانِ

لـيس بـين الـورى لـه مـن شـفيقٍ يـا لـه مـن مهفهـفٍ فتّـانِ

كـم أُقاسـي فـي حبـه مـن غـرامٍ وولـوعٍ وحُرقـةٍ وهـوانِ

أقطـعُ الليـلَ سـاهرًا بـدموعٍ فـوق خَـدِّي تـسيل كالغُـدرانِ

واصـطباري قـد خـانني وعَـذولي رامَ لـومي بقلبـه واللـسانِ

حـاشَ لله أن أميـلَ لعـذلٍ عـن هَـوى مُنيتـي مـدى الأزمـانِ

لـستُ أنـساه حـين وافـى سُـحَيْراً وسـعى لـي بحجلـهِ الرنّـانِ

وسقاني المـدامَ فـي روضِ أنـسٍ وغـدا القلـبُ فـي مزيـدِ التهـاني

واعتنقْنـا علـى بـساطِ زهـورٍ واغتبطنـا بلـذةٍ فـي أَمـانِ

وهـزارُ الغـصون يـشدو بلحـنٍ معـربٍ مثـل نغمـةِ العيـدانِ

وصـفا الوقـتُ والعنـا زال لمّـا جـادَ لـي الحِـبُّ باللقـا والتـداني

يـا لهـا سـاعةً مـضتْ بـسرور بـين غيـدٍ وخُـرّد وحِـسانِ

سـاعةٌ لـو تُبـاع كنـت إليهـا أشـتري بالمزيـد فـي الأثمـانِ

ليت شعري هلَ يـشتفي داءُ قلبـي مـن لهيـبِ البعـادِ والهجـرانِ

كيـف لا يـسمحُ الزمـانُ بقـربٍ والتجـائي لقبلـةِ العِرفـانِ

نخبـةِ الأكـرمين حـسّاً ومعنًـى نيِّـرِ القلـب مُـذهبِ الأحـزان

منهـلِ الـوردِ صـادقِ الـودِّ حقّـاً فـضلُه زائـدٌ بـلا نقـصانِ

مفرَدُ العـصر مرشـدُ النـاسِ طُـرًّا بعلـومٍ لطاعـةِ الـرحمنِ

كـمْ لـه مـن مكـارمٍ ظـاهراتٍ لـيس تخفـى علـى ذوي الأذهـانِ

هــو أُنــسُ الوجــودِ منبعُ جــودٍ مقــصدُ القاصــدين عــينُ العيــانِ

فــاق فــي البــذلِ حاتمــاً بالعطايــا فيـــضُه للفقيـــر كالطوفـــانِ

هو حاوي الفَخَارِ مــن غيــر شــكٍّ حفّـــه الله منـــه بالإحــسانِ

قــد تــسمَّى بمــصطفى زِيَــد قــدرًا وكُفـــي كُـــلَّ حاســدٍ خَــوَّانِ

نَجْــلُ فــتحِ الله خيــر نجيــبٍ بهجــةُ الكــون مخلــصُ الإيمــانِ

صــرفَ الــدهرَ فــي عبــادة مــو لاهُ بــدرُ العلــوم والقــرآنِ

لُــذْ بــه أيهــا الفقيــرُ تجــدْهُ عمــدَة عــدةٍ لقــاصٍ ودانِ

والتــزمْ بابَــه وقبّــل ثــراهُ فهــو حــصنٌ مــشيَّدُ الأركــانِ

قــد ســرى ذكــرُه بــشرقٍ وغــربٍ ولــه منطــقٌ كــدرِّ الجُمــانِ

نظمُـــه رائــقٌ كــشهدٍ جَنِــيٍّ مفــردٌ قــد حــوى بــديعَ البيــانِ

معــربٌ كلمــا تكــررَ يحلــو راقَ معنًــى يَلَــذُّ لــلآذان

كيــف لا وهــو مــن لبيــبٍ فــصيحٍ معــدنِ الفــضلِ ظــاهرِ البرهــانِ

ولــه حــضرةٌ جليلــةُ قــدرٍ مــن أتاهــا يفــوزُ بــالغفرانِ

إن أتــاه الفقيــرُ أنقــذه اللّــ ــه مــن النائبــاتِ والخــسرانِ

أو أتــاه الكــسيرُ يرجــع مجبــو رًا ويُكفــى طــوارقَ الحَــدَثانِ

يــا إلهــي أدمْ بقــاه علينــا بــالنبيِّ المكــرَّمِ العــدنانِ

واعطِــهِ القــصدَ والمــرادَ جميعــاً مــا شــدا بلبــلٌ بأَثْــلٍ وبــانِ

واشــفِه يــا كــريمُ مــن كــلِّ داءٍ بمزيــدِ القبــولِ والرضــوانِ

يــا سَــمِيِّ الرســولَ لاحــظْ محبًّــا حُــبُّكم فــي ضــميرِهِ والجَنــانِ

سـيدي جئـتُ بـابَكُم بامتـداحٍ فـاقبلوني عبـدًا فـدهري رمـاني
قـد قـصدْنا جنـابَكُم بنظـامٍ من قريضٍ حوى طريفَ المعـاني
قـسماً بـالنبيِّ خيـرِ البرايـا شـافعِ الخلـقِ مـن لظـى النيـرانِ
مـا نـسيناكم مـن الـدهر يومـاً يـا حيـاةَ الفـؤاد والجُثْمـانِ
وأنـا أبـيضُ المحبـةِ أُدعـى بعلـيٍّ وخـالقي قـد هـداني
وصـلاتي مـع الـسلامِ لطـه صـفوةِ الخلـق بهجـةِ الأكـوانِ
مـا نـسيمٌ سـرى بـروضٍ أنيـقٍ منـه ماسـت معـاطفُ الأغـصانِ
أو تبـدَّى بـالرقمتينِ غـزالٌ صـاد عقلـي بفـاترِ الأجفـانِ

[١٣٩٩] علي بن هادي بن يحيى بن موسى المنسكي.

فاضلٌ أديبٌ، أريبٌ نجيبٌ، جمع من الفضائل والفواضل، ما يعجز عن ذكره الناقل، ذو حسبٍ وأدبٍ، وشرفٍ ونسبٍ، وحوى من الكمال ما لم يحوه أحد من أمثاله من الطائفة المناسكة، وهم من أعيان التجار، ذوي الثروة الواسعة، المشهورين في اليمن، بمدينة صَبْيا.

ولما حججتُ سنة إحدى وثمانين وألف، اجتمعت به بثغر جدة المحروس، وحصل بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، ومراسلاتٌ عديدةٌ، فمما كتبته إليه أستدعي منه إعارة «القاموس» في أبياتٍ مطلعها:

أيا عليَّ الرضا ذا المجدِ والحسبِ وزاكيَ الخلق والأخلاق والنسبِ

ومنها:

وبعدُ لم يُبق عندي الدهرُ من كتب وما رأيت سوى مولاي من يُجِبِ

فابعــثْ لعبــدكَ قاموســاً يراجعــه | يا أيها السيدُ المـولى علـى كثـبِ

ومنها:

واسلم ودمْ راقيـاً أوجَ الـسيادة يـا | فريدَ صَبْيا وفخـرَ الـسادةِ العـربِ

فأجابني بديهة:

وافتْ صفاتُك يا من ساد بالنسبِ | يـا مالكـاً لزمـام العلـم والأدب
بك أصبحتْ طرقُ العلياءِ واضحةً | من بعد أن درسَتْ في سائر الحِقَبِ
يا مصطفى الاسم والأخلاق مَنْ شهدتْ | لـه الفـضائلُ بالعليـا مـن الرتـبِ
سألتَ رقَّ الـولا مـا أنـت مالكُـه | بل هو وما ملكت يُمناه مـن أرب
في خدمةِ السيد العالي الجنابِ ومن | حوى الفضائل من عجمٍ ومن عربِ
فهــاك بحــرَ علــومٍ قــاذف درراً | فغُصْهُ واستخرجِ الشفافَ عن كَثَبِ
واعذر أخيَّ رقيقَ اللفظ من خصرٍ | ما قطُّ عانى قريضاً منذ كان صبي

ثم لما حججتُ مرة أخرى، سنة إحدى وتسعين وألف، بلغه وهو بمدينة صبيا وصولي إلى مكة المشرفة، فأرسل إلي كتاباً مشتملاً على أبياتٍ حسنةً، فُقدت مني، وهديةً جزيلةً، فأجبته بأبياتٍ في ضمن الكتاب لا تحضرني، وطلبت منه أن يكتب ما تيسر من أخبار العصريين من أهل اليمن، من الأئمة وغيرهم، من فضلائها وشعرائها؛ لأثبته في مجموعةٍ جمعتها، **فكتب إليّ كتاباً مطلعه:**

يا صادقَ العهـدِ القـديمِ ومـن لـه | في طَيِّ أحشائي وضمنَ سـرائري

وِدٌّ أكيـــــدٌ لا يكـــــدِّرُ وِرْدَه رنــقُ البعــاد ولا تقــادمُ غــابري

يــا أيهــا البــرُّ الــرئيسُ ومَــن إذا ذُكِــر الأفاضــلُ فالختــامُ لــذاكرِ

وافى جوابُـك ضـمنه الـدُّر الـذي زانَ العقــودَ بجيـدِ ظبــيٍ نــافرِ

وبــديعُ لفــظٍ رَصَّــعته أنامــلٌ وقريحــةٌ جــادت بــنظم بــاهرِ

فِقَــرٌ يَكــلُّ معــارضٌ إن رامَهــا لــم يــأتِ مــن منثورهــا بــأزاهرِ

فلقد نعشتَ الروحَ يـا ربَّ الـذكا بأريج نَفْحـاتَ النـسيمِ الحـاجري

أهــديتَ مــن نــشر التحيـةِ عـاطراً من عرف مكةَ من عظيـمِ مـشاعرِ

وذكــرت عهــداً للتــصابي غالــه مـا غـال قـيسَ صـريع ابنـة عـامرِ

جَــدَّدْتَ شــوقاً زائــداً لمتــيَّمٍ ما زال شخصُك منـه قيـدَ النـاظرِ

فــالرقُّ للأعتــاب رامَ بــأن يكــنْ ســطراً ليلـثم كَـفَّ مـولًى طـاهرِ

واللهَ أســـألُ أن يقـــدِّرَ جمعَنـــا وأقــولُ يــا بــشرى بقــرَّةِ نــاظرِ

وعليكَ أضـعافُ التحيـةِ مـا شـدا وُرْقُ الحَمـام بفـرعِ غـصنٍ ناضـرِ

لا زلـتَ فـي أوجِ العُـلا مُتَـسَنِّماً لــذرا المحامِــد بالمليــكِ القــادرِ

مترقيــاً قِمــمَ المعــالي مالكــاً لزمــامِ مكرمــةٍ وفــضلٍ ســافرِ

من رضـع أخـلاق الأدب والسيـادة، ورُبي في حِجْـر أعلى المراتـب والسعادة، وهو بالمهد نودي في الأقاليم أنه الفرد، ربُّ خَوَرْنقِها والسدير، ومملك تاج ولايتها والسرير، من إذا نثر، بدد عقدَ كل ناظم، وإذا نظم، عكف عليـه الصادح والحائم، وشهد لـه بالفضل كل عارف، وانعقد على معرفته المخالـف والمؤالف، شيخ الفضلاء المحققين، وقدوة العلماء الراسخين.

شعر:

إمامٌ رست للعلم في بحرِ صـدرِهِ جبالٌ جبالُ الأرض في جنبها قفرُ

سيدي المولـوي، ذو الفضل الباهـر، المصطفى بن فتـح الله الزاهر، فسح الله في أيامه الغر النواظر، ورقاه أعلى رتب السيادة والمفاخر، إنه الكريم الجواد القادر.

وبعد: فقـد ورد المنشـور الكريم، والمرسوم العالي الفخيم، المقابل بواجب التعظيم، فكان به لذي الرق غايـة الحبـور، ومزيـد البهجـة وعظيم السرور، وقبله المملوك ألفاً ألفاً، وقام على قدميه قيام الملائكة صفاً صفاً.

والله سبحانه يعيـد على المالك ضعف تحيته الحسنى، ويجمع بكريم عزمة بجمع ومنى، والحمد لله على عافيتكم، التي هي المسؤول، وصحتكم غاية المأمول، والمملوك لم يزل متمسكاً بذيل الولاء، قائماً بوظيفة الدعاء للمولى، زاده الله رفعة وعلا.

وما التمس سيدي من جهـة التعريف والنقل، لما تيسر لنا من معرفـة سادات اليمن، وجمـع شيءٍ من أقوالهم، وتاريخ ولادتهم ووفياتهم، ممن هو من أهل العصر؛ لكونكم في جمع تاريخٍ لذلك، فلا يخفى على شريف علمكم، أنـا بجهـة أرض صبيا، وهي بعيـدةٌ عن المواضع التي بهـا رؤساء الزمان، من الأئمة والأعلام.

ومع البعد لم نتحقق أقوالهم ومواليـدهم ووفيـاتهم، والذين بجهتنا، أفضل من بهـا سـادة أشراف، بيت علمٍ وفضـلٍ وأدبٍ، يقـال لهم: السادة النعميون، والمشهور الآن منهم: أهل بيتٍ يقال لهم: آل محمد بن عيسى، وأخيه أحمد بن عيسى.

ثم ساق ذكر جماعةٍ منهم، ذكرتهم في محلهم.

وكتبت إليه مرةً أبياتاً مطلعها:

فخر الصبا على الأكناف من يمن ... بالمنسكي الذي للخير أولانا

منها:

شفى بشعرٍ له قلباً نما مرضاً ... من شدة الأشواق للأوطان هيمانا
فلو رآه ابنُ هاني مع فصاحتِه ... لما بَنَى لبيوتِ الشعر أركانا
سبحانَك اللهُ ما أوليتَ من نعمٍ ... لمفردِ العصرِ من قد فاق سَحْبانا
لا زال في عيشةٍ خضراءَ طيبةٍ ... ما اشتاق صَبٌّ غريبُ الدار أوطانا

وهي طويلةٌ.

فأجابني:

ما قَطُّ تفخرُ إلا بلدةٌ حظيت ... بسيدٍ ذي علومٍ فاق أقرانا
بالمصطفى وابنِ فتح الباب مَنْ شهدَتْ ... له الفضائلُ حقّاً حيثما كانا
وإليه كنوه فالتيسيرُ صانَ له ... في كلِّ ما رامَ إفضالاً وإحسانا

[١٤٠٠] علي بن محمد بن إبراهيم بن أبي القاسم بن عمر بن أحمد ابن إبراهيم بن محمد بن عيسى مطير ـ تصغير مطر ـ الحكمي[1].

من القبيلة المشهورة، ومسكنهم بعَبْس، أسفل سه حصن من أعمال كوكبان وما يليه.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٨٩)، «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ١٥٢٨) (٨٦٦).

علامة بني مطير، المشهورين بالعلم والخير، والصارفين نفائس أوقاتهم في خدمة الحديث النبوي، والملازمين للأتباع للشرع المصطفوي، فضلهم مشهورٌ لا يحتاج إلى بيانٍ، كالشمس لا تحتاج إلى دليلٍ وبرهانٍ.

كان تحفة الزمن، ومنحة الله لأهل اليمن، النجم الزاهر، مجدد القرن العاشر، راسخاً في كل فنٍّ من الفنون، عَلَماً باذخاً، وإذا سئل عن مسألةٍ، فتح أبواباً من العلوم مغلقة، وكان ذا اشتغالٍ بالعلم، لا يفتر عن القراءة والتأليف، وانتهت إليه رياسة العلم، يَمَناً وشاماً، ورزقه الله محبة الخاص والعام.

وُلد سنة ست وخمسين وتسع مئة، وحفظ القرآن، واشتغل بفنون العلوم الشرعية والآلية، وأخذ عن شيوخٍ كثيرين: منهم الأمين بن إبراهيم بن مطير، وأبو بكر بن إبراهيم مطير، والفقيه عبد السلام النزيلي، وغيرهم، وروى بالإجازة عن العلامة ابن حجر الهيتمي، لأنه أجاز أهل عصره.

وألف المؤلفات الكثيرة، النافعة الشهيرة، منها: «الإتحاف مختصر التحفة لابن حجر» و«الديباج على المنهاج»، و«كشف النقاب بشرح ملحة الإعرابَ للحريري»[1]، و«خلاصة الأَحْرَى في تعليق الطلاق على الإبرا»، وتكملة تفسير جده إبراهيم بن أبي القاسم مطير، من أول الكهف إلى آخر القرآن المسمى بـ: «الضياءين»، وشرح قصيدة جده إبراهيم المذكور في التصوف، سماه بـ: «الفتح المبين في شرح قصيدة الإمام ضياء الدين»، وغير ذلك، وأجاز أهل عصره برواية مروياته ومؤلفاته.

وكانت **وفاته** ـ نفع الله به ـ ليلة الأحد، في حادي عشر ذي القعدة، سنة

---

(١) جاء في الحاشية: «بالهامش كلماتٌ ضائعةٌ من التجليد».

إحدى وأربعين بعد الألف، بعَبْس الحصن من المخلاف السليماني باليمن ـ رحمه الله، ونفعنا به في الدارين ـ.

وله شعرٌ كثيرٌ، منه: قوله يمدح النبي ﷺ:

مُتيَّمٌ إن سرتْ رِيحُ الشَّآمِ صَبَا	ومُستَهامٌ إذا مَرَّتْ عليه صَبَا
وذُو شُجُونٍ وما غنَّتْ مُطوَّقَةٌ	تبْكِي على الإلْفِ إلا دمعَه سَكَبَا
يبكِي ويندُب[1] لو فَيَّاضُ مدْمُعِه	من جُودِها جاد يوماً طَوْقُها سُلِبَا
وإن تذكَّر أيَّاماً له سلَفتْ	مع الأحِبَّةِ في أوطانِهم جُذِبَا
روَى الرَّبيعُ مَغانِيهم ومَرْبَعَهم	وعمَّم الغَيْثُ منها السَّهْلَ والجَدَبَا
وأزْهَرَ الروضُ منها والحَمامُ غَدَتْ	مُغَرِّداتٍ عليه تمْتَطي العَذَبَا
وكلَّما رامَ يبْغِي نَحْوَهم طُرُقاً	يعْمَى السبيلُ عليه أيْنَما ذَهَبَا
سُبْحانَ من نفَذتْ فينا مَشِيئَتُه	فما يُسَهِّلْ له يَسْهُلْ وما صَعُبَا
ما زلتُ أقْرعُ أبوابَ الرَّجا ورَجَا	نفسِي تفوزُ بجُودٍ شامِلٍ وحِبَا
وعمَّنِي اللّهُ بالإحسانِ مَرْحمةً	فضْلاً من اللّهِ لا فَرْضاً ولا سَبَبَا
وإن تغلَّقتِ الأبوابُ عن أمَلِي	قصَدتُ من طابَ فرعاه وطابَ أبا
محمدُ العاقبُ الماحي الذي انختمت	به النبوةُ بل أعلى الورَى رُتَبَا
فهْو الذي ملأَ الأكْوانَ أجْمَعَها	نُوراً وفتَّح فينا الشَّخْصَ والحِقَبَا
يا مَن علاَ فوق مَتْنٍ للبُراقِ ويا	خيرَ الخلائقِ قاصِيهمْ ومَن قَرُبَا
وجئتَ بالسنةِ الغرا جُعِلْتُ فِدى	لحافظيها ومَنْ في درسِها دَأَبَا

(١) في الأصل: ويدمع.

ولم تزلْ فرقـةٌ مـن تابعيـكَ علـى ... نهجِ الهدى لم يَضِرْهُمْ قولُ مَنْ كـذبا

فهمْ شـموسٌ ولـم تأفـل منافعُهـا ... ولـن يـزال بهـا نفـعٌ ومـا غَرَبـا

وكم مَعاجِزَ لا تُحْصَى بُعِثْـتَ لهـا ... عزماً نُجُومُ المَعالِي ضُـمِّنَتْ كُتُبَـا

يا سيِّدَ الخلقِ يا مِفْتـاحَ يـومِ غَـدٍ ... تُولِي الشَّفاعةَ يومَ الحـشْرِ إذ صَـعُبَا

أنت الذي يوم بَعْثِ الخَلْقِ شافِعُنا ... سَـبْقاً وأثبـتُهم إذْ أُلْزِمُـوا رَهَبَـا

يا سيدي يا رسـولَ الله يـا سـندي ... إليـــك. . . . .[1]

سَـمِيُّ صِـنْوكَ حاشـا أن تُـضَيِّعهُ ... تكفي السمايةُ عند الـسادةِ النُّجَبـا

يا خاتمَ الرسلِ يا مختارُ من مـضرٍ ... بـالله رَبِّـــكَ قـلْ مـا قلتـه وجبـا

وإن تقـدمْتَ للعظمـى بيـومِ غـدٍ ... لله ربـــك مقبـــولاً ومحتــــسبا

فقلْ فـروعُ مطيـرٍ سيدي حُـسِبوا ... عليَّ فاز الذي من حـسبهم حُـسبا

وعُمَّهم رحمـةً يـا سـيدي ونَـدًى ... يـا ملجَـأً طـابَ للاجـينَ والغُربـا

واشفعْ ليبقى بهمْ ما مـنكمُ ورثـوا ... العلمَ والنـورَ لا البيـضاءَ والـذهبا

والمـسلمينَ أَنِـلْ كـلاًّ مطـالبَهم ... في الخير منهم جميعاً واكشفِ الكَرَبا

ثـم الـصلاةُ مـع التـسليم دائمـة ... علـى المهـيمنِ مـا أَمَّ الوفـودُ قُبـا

والآلِ والصحبِ ما غنـت مطوقـةٌ ... فوق الأراك ودمعُ العـين منـسكبا

ومن كراماته: ما رواه الثقات: أن رجلاً من المغرب الأقصى قال: إنه اختطفته الجن، وحملته في الهواء، فلما صار في الجو، سمع قائلاً يقول:

---

(١) غير واضح في الأصل.

علي بن محمد بن مطير اليمني، فردوه؛ فإن مع علي زيارته، فلما وصل إلى مصر، سأل عنه، فأخبر به، فلما وصل إلى مكة، دله الناس على محله، فوصل إليه، وتلقاه صاحب الترجمة، وأغلق عليه الباب، ولم يدر أحدٌ بما قال له، ثم رجع إلى بلده.

وكان مشهوراً بالاجتماع بالجن، ويستفتونه في مسائل، ويجيبهم.

وكتبه في أصول الفقه والدين ـ نظماً ونثراً ـ كثيرةٌ، منها: «شرح الأصول للقاضي زكريا» ممتعٌ مقنعٌ مفيدٌ، جامعٌ للتأصيل والتفريع، و«شرح كافية ابن الحاجب» ـ رحمه الله ـ.

[١٤٠١] علي بن أحمد بن علي مطير.

هو ابن فتاة، قرأ في كبره بعد أن كان أمياً، وسبب ذلك: أنه تنازع هو وابن عمه محمد بن علي على ركوب حمار، فأتى شيخٌ يسمى: أحمد بن حسين، وأنزل علي بن محمد عنه، ومنعه منه، وقال: انزل، فما حمار يركب حماراً، فأنت حمارٌ لم تقرأ مثل إخوتك، فعل ذلك غيرةً على الفقهاء، فوقعت في قلبه، فذهب إلى المسجد، وختم القرآن، ثم قرأ في العلوم، ففتح الله عليه، وفَقُه، وصار عالماً كبيراً.

[١٤٠٢] علي بن سليمان العنوي.

أحد علماء الزيدية وكبرائهم في فنونٍ شتى، وله تسليمٌ حسنٌ ومَرْضيٌّ، وحسنُ خلقٍ، كان من أصحاب الإمام الحسن المؤيدي، ثم من أصحاب الإمام القاسم، ثم من أصحاب ولده محمد المؤيد، مات بعد الأربعين وألف، بعد ألمٍ شديدٍ أصابه.

[١٤٠٣] علي بن حسن بن عبد الجليل بن علي بن حسن السيرجاني الدمياطي الشافعي.

أحد أكابر العلماء بدمياط، كان مكباً في بدايتـه على الاشتغال بالعلم النافـع، قدم من دميـاط إلى مصر، وجاور بالجامـع الأزهر، ولازم سلطان المزاحي، وقرأ عليه بالروايات، وأخذ عنه الفقه والحديث، وغيرهما من العلوم العربية، وأخذ عن شيخنا محمد البابلي، وعلي الشبراملسي، وشهاب الدين القليوبي، والشمس محمد الشوبري، وغيرهم، وأجازه كثير من مشايخه.

ثم حصلت له جذبةٌ إلهيةٌ، وتركَ ما كان عليه، وصار كالهائم في محبة الله، واشتغل بعمارة المساجد وإصلاحها، ملازماً للعبادات، وزيارة الأولياء، وبيني وبينه مودةٌ أكيـدةٌ، أخبرني أن مولـده بدمياط ـ حفظه الله تعالى ـ سنة تسع وثلاثين وألـف، وتوفي بدمياط سنـة ألف ومئة وخمس عشرة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٤٠٤] علي بن عبد القدوس ابن الشيخ القطب محمد الشناوي.

ذو الفضائل التي اشتهـرت، والكمـالات التي بهـرت، والعلوم التي ظهـرت وانتشرت، كـان إمامـاً عالمـاً، جامعـاً بين الطريقين، مشهوراً بين الطائفتين، أخذ عن والده، وبه تخرج، وقام بعده في مقامه في الزاوية الشناوية، وأخذ عنه الطريقَ كثيرٌ من الأكابر، وانتفعوا به، منهم: ولده العارف بالله أحمد الخامي الشناوي.

وكان ـ نفع الله به ـ سرياً رئيساً، وجيهاً عند الأمراء والعلمـاء، مقبول الكلمة، على حالةٍ حسنةٍ.

توفي سنة ألف ومئة وإحدى عشرة، بمحلة روح، وبها دفن بتربة أبيه وجده.

[١٤٠٥] علي بن عمر العُقيبي[1].

نسبة لمحلة العُقيبة ـ مصغراً ـ بدمشق.

الشيخ العارف، تلميذ سيدي الشيخ علوان الحموي، كان له ذوقٌ في علوم القوم، وبيانٌ للخواطر إذا شُكيت إليه، وكان جامعاً لفضائل من فنون العلوم، له اطلاعٌ واسعٌ على أخبار القوم وحكاياتهم، عذب الصحبة، سليم الفطرة، له أجوبةٌ مطابقةٌ بسرعة.

حكى الشهاب أحمد ابن شيخ الإسلام البدر الغزي: أنه لقيه يوماً، فقال له: يا سيدي الشيخ علي! رأيت في بعض الكتب، عن بعض السادة: يا نفس هوني، وعلى ما كانت الناس كوني، وتأملت هذا الكلام، فرأيته غير مسلَّم، فقال له مجيباً: أراد بالناس: الكاملين في الإنسانية؛ مثل: أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، وأمثالهما، فقال له الشيخ شهاب الدين: بهذا يزول إشكال هذا الكلام.

قال النجم: دخلت عليه وهو يجود بنفسه، فسمعته يقول: يا سيدي، يا حبيبي، يا ربي! إنك تعلم أني أحبك، ثم مات ذلك اليوم، سادس ربيع الأول، سنة إحدى بعد الألف، ودفن على أبيه، بمحلة العُقيبة، ويقال: إنه أوفى على مئة سنةٍ ـ رحمه الله ـ.

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٥٩) (٢٢١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٧٧).

[١٤٠٦] علي بن إبراهيم بن عبدالله بن إبراهيم بن صلاح بن المهدي ابن الهـادي بن علي بن محمـد بن الحسن بن يحيى بن علي بن الحسن بن عبدالله بن إسماعيل بن عيسى بن عبدالله بن عيسى بن إسماعيل بن عبدالله، ابن الإمام القاسم، الرسي، المشهور بالحيداني[1].

كان سيداً هماماً، ذا عزيمةٍ خارقةٍ، ونيةٍ صادقةٍ، وكانت له في الجهاد وقعاتٌ، هو المجلي فيها، وكان أيام دعوة الإمام القاسم أحدَ أعيان السادة، الذين يشار إليهم بالفضل والعلم، وله كلمةٌ نافذةٌ بخولان، وجملة معلوماته: الفقه، كان مبرزاً في علوم الاجتهاد، قدم، وكان بينه وبين السيد العلامة علي ابن صلاح العُبالي محبـةٌ أكيدةٌ كليةٌ، وبينهما مراجعاتٌ كثيرةٌ، وأكثر قراءته على القاضي المحتسب بن قاسم السخاني

وكان المترجَم من أهل الأيد والقوة، مع أنه لم يكن ربعةً، فضلاً عن أن يكون طويلاً، بل إلى القِصَر، ومما حكاه عن نفسه غير مرةٍ: أنه عزم صبحاً من صعدة، وأمسى ذلك اليوم بسودة شظب، وقطع هذه المسافة في يوم.

توفي بذبيين، وقبر عند باب منارة الجامع، بقرب مشهد الإمام أحمد ابن الحسين، ومات وعمره نحو مئـة سنة، وكان حزبه من القرآن دائماً سبع القرآن، وكانت وفاته في ذي القعدة، عام واحد وسبعين وألف ـ رحمه الله ـ.

[١٤٠٧] علي بن الحسين المسْوَري[2].

علامة اليمن في عصره، كان إماماً ورعاً، عالماً عاملاً، مسموع الكلمة

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ٦٩٠) (٤١٠).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٥٥)، «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ٧٣١) (٤٤٦).

عند الأئمة في اليمن في عصره، نشأ والفضل له طبع، ودرج والعلم له ملة وشرع، وتضلع من العلوم الشرعية، وشهر في الآداب الأدبية، وله مؤلفاتٌ ورسائل، ونظمٌ كثيرٌ، وممن أخذ عنه، وبه تخرج: ابن أخيه القاضي أحمد بن سعد الدين المسوري.

توفي سنة أربع وثلاثين وألف بصبيا، قاصداً للحج ـ رحمه الله ـ.

[١٤٠٨] علي بن سعيد بن صلاح الهَبَل.

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: هو قاضي الأئمة، وزين حضرتهم، القاضي الفاضل، المخلص الكامل، العبد الصالح، الطاهر ظاهراً وباطناً، القليل النظير، ولي قضاء الحضرة المؤيدية، فحمد العالم أثره، وكان من الزهد والورع بمحلٍّ عظيمٍ.

ولم يزل كذلك، قرين الإمام في مجالسه وأعماله، حتى توفي الإمام محمد المؤيد، فانتقل القاضي بعد أن خرج مع السيد أحمد بن القاسم إلى ثلا، ولازم حضرة الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، ثم ولاه جهة خولان، فاستقر بها.

ثم كُفَّ بصره، فانتقل إلى الروضة، ولازم الجامع المقدس يتلو القرآن ليلاً ونهاراً، حتى نقله الله إلى دار كرامته، في سنة...[1]، ودفن في المقبرة التي شرقي الروضة، الجامعة للفضلاء؛ كالحاج أحمد بن عواض، وغيره.

وله كراماتٌ، منها: ما ذكر عنه: أنه إذا عرض له ألمٌ، لم يتخوف الموت

---

(١) بياض في النص، وجاء في الحاشية: «لم تذكر السنة».

منه، فسئل عن ذلك، فقال: رأيت رؤيا أني لا أموت حتى أسمع ألفاظ الأذان من أعضائي، فلما مرض مرض الموت، قطع بالموت، وصرح به، فسئل عن ذلك، فقال: قد سمعت تلك العلامة ـ رحمه الله تعالى ـ.

ورثاه الفقيه الفاضل، بديع الزمان، الحسن بن علي بن جابر الهبل، بمرثيةٍ فاضلةٍ، وهي قوله:

أتـدري مَـنْ تَخَرَّمَـتِ المنـون ... ومـن أرِقَـتْ لمـصرعِه العيـونُ

ومـن ذا أثقـلَ الأعنـاقَ حِمـلاً ... وخـفَّ لحزنـه العقـلُ الرصـينُ

ومـن مـلأ القلـوب أَسًـى وحزنًـا ... فكـلُّ فتًـى لمـصرعِه حـزينُ

ومن في جنـة الفـردوس أضحـى ... لديـه الظـلُّ والمـاءُ المَعـينُ

وأيّ هـلالِ أفـقٍ غـابَ عنـه ... وكـان لأُفقـه أبـدًا يَـزينُ

أتـدري يـا زمـانُ بمـن دهتنـا ... صـروفُك إنـكَ الـزمَنُ الخـؤونُ

وإنـك بالـذي أحـدثْتَ فينـا ... جـديرًا أن تُـساء بـك الظنـونُ

لـئن كَـدَّرْتَ مـن عـيشِ البرايـا ... فمبـدأُ خلقهـم مـاءٌ وطـينُ

هـو البـدرُ الـذي قـد كـان حقًّـاً ... بـه نهـجُ الهدايـة مـستبينُ

هو الجبـلُ الـذي قـد كـان يـأوي ... إليـه الملتجـي والمـستكينُ

هـو القَـرْمُ الـذي قـد كـان ذخـرًا ... تُنـاط بـه الحـوائجُ والـشؤونُ

فـأيُّ سـحابِ دمـعٍ لـيس يَهمـي ... وأيُّ حـصاةِ قلـبٍ لا تلـينُ

ولـيس يـردُّ سـهمَ المـوتِ درعٌ ... مـن ردة ولا حـصنٌ حـصينُ

سُـقيتَ الغيـثَ قبـراً حـلّ فيـه ... تقـى وعُـلاً وإيمـانٌ وديـنُ

ثوى فيك الذي ما كان فيه ... لطالبِ فضلِه شكٌّ يرينُ
رَجَعْنا عن ثَراهُ بجيشِ حزنٍ ... له في جانحةٍ كُمونُ
وأَجْرَينا جيادَ الصبرِ عنه ... ولكنْ شوطُ مرزئِهِ بَطينُ
فيا لكَ ميتاً قد بان عَنَّا ... تكادُ لموته الأحشا تَبينُ
وآهِ لطولِ بعدِك من حبيبٍ ... وهل يُجدي التأوهُ والحنينُ
ووالهَفي عليك وقد تَدانَى ... خروجُ النفس وانقطَع الأنينُ
وأُسكنْتَ الترابَ برغمِ قومٍ ... مَحَلُّك في قلوبِهم مَكينُ
يكادُ النومُ أن يغشى المآقي ... فتلفِظُه لذكراكَ الجُفونُ
أَهَنَّا إذ دُفنت عقودَ دمعٍ ... مخبأةٍ لغيرِك لا تهونُ
وكَلَّفنا الجوانحَ عنك صبراً ... فقالتْ لا قرارَ ولا سكونُ
وخانتْنا بك الأيامُ لكنْ ... بحسن الصبرِ بعدَك نستعينُ
وكيف الصبرُ عنك أو التسلِّي ... جميلُ الصبرِ بعدَك لا يكونُ
فهل يدري سريرُك مَنْ علاهُ ... عَلاه العلُم أَجْمَعُ واليقينُ
وهل يدري ضريُحك من تَغَشَّى ... ومَنْ هو تحتَ تربتهِ رهينُ
فزنْتَ بصالح الأعمالِ فيه ... وحسبُك أنه نعمَ القرينُ
يعزُّ على العلومِ نواكَ عنها ... وأنت لبحرِها الطامي سفينُ
هلالاً كنتَ غالَتْه الليالي ... ولَيْثاً كنتَ أسلمَه العرينُ
جعلتَ ودادَ أهلِ البيت دينًا ... لعلمك أنه الحبلُ المتينُ
وكنت من التشيع في مَحَلٍّ ... تسافر دونَ غايته العيونُ

فيهنيك القدومُ على كريمٍ خزائنُ ملكِه كافٌ ونونُ
ويَهنيك ادِّخارُك حسنَ كسبٍ وكلُّ فتًى بمكسَبِه رهينُ
ويهنيكَ الدعاءُ نجوتَ عبدي فعفوي لا تُكَيِّفه الظنونُ
وأخذُكَ للصحيفةِ يومَ حشرٍ إذا ابتدأت لتأخذَها العيونُ
سأنظِمُ فيك ما يعلو ويغلو ويرخُصُ عنده الدرُّ الثمينُ
وأسقي تربَ قبرِك غيثَ دمعٍ يقصِّرُ دونه الغيثُ الهَتونُ
فمثلك ما سمِعْنا في البرايا ولا قد كانَ قطُّ ولا يكونُ
عليكَ سلامُ اللهِ ربِّك بعدَ طه وعترتِه فأنتَ به قَمينُ

[١٤٠٩] علي نور الدين بن يحيى الزّيادي الشافعي[1].

ـ بالفتح والتشديد ـ نسبةً لمحلة زياد، بالبحيرة الغربية.

الشيخ الإمام، العلامة العارف بالله تعالى، الولي الصالح، فريد دهره، وشيخ الفقهاء في عصره، ورئيس العلماء في قطره، وصدر الشافعية بالديار المصرية، الذي أجمع العلماء على علمه وولايته، ومزيد معرفته وجلالته.

كان ﵁ جامعاً للعلوم النقلية والعقلية، عارفاً بمذهب الشافعي ونقوله، كثير الاطلاع على فروعه وأصوله، حسن الفتاوى، جيد التقرير، قُصِد بالفتاوى، وكان يكتب عليها كتابةً حسنةً جداً، مُهاباً يتكلم في العلم بتؤدةٍ،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٦٨) (٢٢٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٩٥)، «هدية العارفين» (١/ ٧٥٤)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٤٣)، «الأعلام» للزركلي (٥/ ٣٢).

وعنده إنصاف، زاهداً قانعاً باليسير من الرزق، غير متردد إلى أحدٍ، معظماً عند الوزراء والأمراء، يأتونه إلى بيته، وهو غير مكترث بهم.

أخذ الفقه والحديث، وغيرَهما من العلوم عن الشمس محمد الرملي، والشمس محمد الخطيب الشربيني، والمحقق عميـرة البرلُّسي، ونور الدين الطندتائي، والسيد الشريف يوسف الأرميوني، والقطب الشيخ أبي الحسن البكري، والشهاب أحمد البُلْقِيني ـ بضم الموحدة وكسر القاف ـ كما في نسخة «القاموس» المعتمدة، وكتب لـه بخطه في إجازته: «أنا مدينة العلم، وعليٌّ بابها»، فكان الأمـر كذلك، حتى بعـد موتهمـا، الزيادي بالباب، والبلقيني بالصدر.

وأخذ عن النجم الغيطي، وأجازه، وغيرهـم من مشايخ عصره، وقدم مكة، وأخذ بها عن الشهاب أحمد بن حجر الهيتمي، وأجازه شيوخه، وجلس للتدريس بالجامـع الأزهر، وانتفع بـه الطلبة، وانتهت إليه في عصره رياسة العلم؛ بحيث إن جميع علماء عصره ما منهم إلا وله عليه مشيخة.

وكانت تحضر أكابر العلماء درسه، وهم في غاية الأدب، ولا يستطيع أحد منهم أن يجلس بين يديه إلا على الركب، وكانت حلقته صفوفاً، يقدم منهم الأفضل فالأفضل، والأمثـل فالأمثل، وكـان يقـال: فلان من الطبقـة الأولى، وفلان من الطبقة الثانية، وفلان من الطبقة الثالثة، وكان له في درسه محتسبٌ، يُجلس كل أحدٍ منهم في مكانه.

وممن شاركه في شيوخـه، وأخـذ عنـه، ولازمـه مدةً مديدةً، وسنين عديدةً: العلامة سالـم الشبشيري، فكان محله منـه محل الروح من الجسد،

والوالد من الولد، وكان بينهما محبةٌ أكيدةٌ، ومودةٌ شديدةٌ؛ وبينهما مداعباتٌ لطيفةٌ، وتوفي في حياة شيخه، فجزع عليه جزعاً شديداً؛ بحيث إنه لم يعقد بعـده درساً، إلا ويترنم بذكـره، ويشير إلى جلالـة قـدره، وإذا توقف أهل الدرس في مسألةٍ، تأوّه تأوُّه الحزين، وظهر عليه الأنين، ويقول وهو كالهائم: أتعبنا موت سالم.

وممن أخذ عنه: البرهان إبراهيم اللقاني، والنوران: علي الأجهوري، وعلي الحلبي، والشمسان: محمـد الشوبري، وشيخنا محمـد بن علاء الدين البابلي، والشهاب أحمـد القليوبي، وشيخنا سلطان المزاحي، والنور علي الشبراملسي، وعبـد البـر الأجهوري، وخضر الشوبري، وعامر الشبراوي، وغيرهم من أكابر علماء ذلك العصر، وممن أخذ عنه، ولازمه: العلامة الشهاب أحمد بن محمد الخفاجي، وكان كثير الدعاء له، وقال فيه مادحاً:

لنـورِ الـدينِ فـضلٌ لـيس يَخْفـى ... تـضيء بـه الليـالي المدلَهِمَّـه
يريـدُ الحاسـدونَ ليطفِئُـوه ... ويـأبى الله إلا أن يُتِمَّـهُ

وكانت كراماته أشهر من الشمس في رائعة النهار.

منها: ما أخبرني به شيخنا العلامة محمد المنزلاوي الشافعي: أنه كان جالساً في درسـه، فمرت خنفساء في الدرس، وكـان من عادة الشيـخ، ألا يتسرى إلا بالسراري الزنجيات، الشديدة السواد، ولا يزيد في بيته على ثنتين، واحدة للفراش، وأخرى للخدمة، فإذا ماتت صاحبة الفراش، قدم الخادمة بدلها، واشترى ثانيةً للخدمة، فرمى تلك الخنفساء بلطفٍ تلميذُه سالم إلى جهتـه، فلما رآها الشيخ، عرف الأمر، وقال: يا سالم! لا بد ما ترى عِنّة،

وأفكرك في ذلك.

فأراد الله تعالى: أن زوجة الشيخ سالم ماتت بعد أيام، وكان له منها أولادٌ صغارٌ، فاقتضى الحال أن يتزوج، ولم يصلح لتربية الأولاد في هذه الحالة الراهنة إلا جاريةٌ سوداء، كبيرة السن عتيقة، فأشار إليه بعض أصحابه بتزوجها، فتزوجها الشيخ سالم، وجاء إلى الشيخ على عادته، ولم يخبره بذلك، فقال له: يا سالم! بقيت ترمي لنا الخنفساء؟ فاعتذر إليه، وقال: يا سيدي! العفو، فضحك الشيخ عند ذلك.

ومنها: أنه زار بعض أقاربه من النساء، فدخل عليها وهي تملأ من البئر ماءً، فلما رأته، أسرعت تقبل يديه، فسقط الدلو في البئر، فانزعجت لذلك، فوقف على البئر، وتناوله بيده من قعر البئر من غير انحناء ولا تكلف، وأعطاها إياه.

وله ـ نفع الله به ـ «حاشيةٌ جليلةٌ على شرح المنهج»، اعتنى بها مشايخ مصر، وغيرهم من علماء الشافعية؛ بحيث إنه لا يقرأ منهم أحد شرح المنهج إلا ويطالعها، وقد اشتهرت بركتها لمن طالعها، ومنها: «شرح على المحرر للرافعي» يوجد كثيراً ببلاد الأكراد.

توفي ـ رحمه الله ـ بمصر، ليلة الجمعة، رابع ربيع الأول، وهو يوم **ولادته**، من الشهر المذكور، سنة أربع وعشرين بعد الألف، وكان عمره ثمانياً وتسعين سنة، ودفن بتربة المجاورين ـ رحمه الله، وأسكنه أعلى عليين، وحشرنا في زمرته مع الشهداء والصديقين ـ.

وأرخ بعضهم وفاته بقوله:

يـــــــرحمُ الله إمامًـــــا حـــاز أوصـــافًا سَـــنِيَّهْ

ذا عُلُـــــوٍّ وعلـــــومٍ ربُّ هِمَّـــاتٍ عليَّـــهْ

نـــورُ ديـــنِ الله حقّـــاً كـــان نفعًـــا للبريَّـــهْ

جـــامعُ الأزهـــرِ يبكـــي فقَـــد شـــيخِ الأشـــعريَّهْ

مـــذُ قـــضى نحبًـــا وولـــى لريـــاضٍ سندســـيَّهْ

فـــي ربيـــعٍ أرخـــوه (مـــاتَ مـــولى الـــشافعيَّهْ)

قال النجم الغزي في «ذيل الكواكب السائرة»: واجتمع المترجم بشيخ الإسلام الوالد بمصر، سنة اثنتين وخمسين وتسع مئة، في صحبة الشيخ شهاب الدين الرملي، وطلب من الوالد أن يجيزه، فكتب لـه إجازةً حافلةً، أحببت إيرادها هنا، لاشتمالها على فوائدها، وهي:

حَمِـــدْتُ اللهَ خـــلاَّقَ العبـــادِ على ما مـنَّ مـن طـولِ الأيـادي

وفـــضلٍ لـــيس يحـــصية بعـــدّ لـــه حمـــدًا يكـــافى بازديـــادِ

وأهـديتُ الـصلاةَ كـذا سـلامي إلى المختـارِ أحمـدَ خيـرِ هـادي

وآلٍ والـــصِّحابِ وتـــابعيهم بإحـــسانٍ إلـــى يـــوم التنـــادي

وبعـــدُ فـــإن علـــمَ الفقـــه زيـــنٌ لطالبـــه ونـــورٌ فـــي المَعـــادِ

بـــه يُـــدرى حـــلالٌ مـــن حـــرام وصـحةُ حكـمِ شـرعٍ مـن فـسادِ

وفي فضلِ القضاء وفـي الفتـاوى مُعَوَّلُنـــا عليـــه فـــي الاعتمـــادِ

ومَـــنْ بـــه قـــد أراد الله خيـــرًا يُفَقِّهـــه بدينـــه فـــي العبـــادِ

فـــدونَكَ رتبـــةً تـــسمو وتعلـــو نجـومَ الأفـق مـع سـبعٍ شِـدادِ

وإنَّ الشيخَ نورَ الدين يدعى ... عليّاً نجلَ يحيى بن الزيادي
لَذو فضلٍ غزيرٍ شاع عنه ... وقد فرغ المشايخُ في المبادي
وكم شهدَتْ بذاك له حواشٍ ... وأجزاءٌ بها التحقيقُ بادي
وأعيانٌ من الأعلام أيضاً ... لقد وفدوا عليَّ من البلاد
وراسلَني يرومُ القربَ مني ... ويخطُبُ بنتَ فكري مع ودادي
وقد ألفيته كفواً كريماً ... وخِلاًّ صادقاً وفقَ المرادِ
فملتُ إلى أجابته اعتماداً ... على حسنِ الظنون والاعتقاد
وظنَّ العامري قيافة لا ... يكون بغالبٍ صلدَ الزنادِ
وما قمرُ السماء تراه بدرًا ... سوى بالنور في حالِ ازديادِ
فمن ثَمَّ استخرتُ الله أني ... أُجيز النورَ مالي من فؤادِ
ومروياتِ علمٍ عن شيوخي ... أجزتُ بها بوجهٍ مستجادِ
ومالي من تصانيفٍ ونظمٍ ... ونثرٍ من طريفٍ أو تِلادِ
وتفسيري الذي قد فاق جمعاً ... وتحقيقاً وأغنى كلَّ جادي
حوى بحرًا من التأويل عذباً ... جرى أبداً على دُرَرٍ جِيادِ
وحاشية المحلَّى ثم شرحي ... على المنهاج يروي كلَّ صادي
وشرحي للخلاصة جاء نظماً ... وتوضيحٌ له بالنثر بادي
وشرحٌ ثالث أيضاً صغيرٌ ... وفتحَ المغلق اعدُدْ في العِداد
وأن يُقري الذي يبغي صلاحاً ... من الطلاب من صادٍ وغادي
بحَسْب الحال كتبَ الفقه فقه الـ ... إمام إمامِ أهلِ الاِجتهاد

بشارة وابـن عمـة وابـن عـم النْـ ـنبيِّ الـشافعي القَـرْمِ الجـوادِ

ويجـنحَ بعـدَ ذاك علـى مقـالٍ إلـى الـشيخينُ ينـسب باعتمـادِ

ويُرشـدَ مـن يـسائله بمـا لا يـشكُّ بـه إلـى طـرقِ الرشـادِ

وقبلـي قـد أجـاز البـارزي النْـ ـنَواوي وهـو عنـه فـي ابتعـادِ

وكـان جـوار منزلنـا النـواوي نـصابحُ دارَه وبـه نُغـادي

وكـان البـارزيُّ فتـاهُ يهـوى حمـاهُ لـه حِمًـى فيهـا ونـادي

كـذاك البـارزي الاسـنوي الـ ـمجيز رسـالة لـه بالمِـداد

رجعـتُ إلـى وصيـةِ نجلِ قلبـي علـيٍّ دامَ مرفـوعَ العمـادِ

فأُوصـيه بتقـوى الله سـرّاً وجهـرًا فـي التنـاجي والبعـاد

وفـي التـسليم والتـسليمُ أولـى تجارتُـه تـسامَتْ عـن كـساد

ويُـولي مـن أتـاه يـرومُ علمـاً مرامـاً ولـيكنْ سـهلَ القيـادِ

ولا يبغـي بمـا يدريـه دنيـا ويجعلـه للاخـرى خيـرَ زادِ

فالاخرى عَـسْجَدٌ يبقـى والاولـى تُـرى خزفًـا تـؤولُ إلـى النفـادِ

نعـم جـاءت ثلاثـاً تُـسَنُّ منهـا ومنهـا هـنّ عـدَّت فـي الـسوادِ

فثـوبٌ سـاترُ العـوراتِ منهـا وبيـتٌ للـسكونِ وللرقـادِ

ومنهـا زوجـةٌ تـأوي إليهـا مـصاحبة مـع قـربِ الوسـادِ

ولـم يحظُـرْ إلهـي طيبـاتٍ وزينَتـهُ المُعَـدَّةَ للعبـادِ

وأرجـو مـن إلهـي صـدقَ حـالٍ وإخلاصًـا وصـدقاً فـي الفـؤادِ

وأن الله يمنحنـا خلاصًـا مـن الـشيطان أكبـرِ مـن يعـادي

ومن أعدى الأعـادي وهـي نفسٌ ... مـن الـشيطانِ تلقـى فـي الوهـادِ
وتـسلك إذ تهـيمُ بـصاحبيها ... مـن الأخطـار عمـدًا كـلَّ وادي
وعفـواً ثـمَّ إفـضالاً ومَنّـاً ... ورضـواناً وفـوزًا فـي المعـاد
وقائلُـه محمـدٌ المُكَنّـى ... أبـا البركـاتِ واذكـرْ بـاطرادِ
رضـيَّ الـدين والـدَه وَجـدّاً ... وكـلٌّ كـان يوسَـمُ بـانفراد
ووالـدُه الـشهابُ الحبـرُ نجـلٌ ... لعبـدِالله مـسجومِ العمـاد
غزيـرُ الفـضل وَهْـوَ سـليلُ بـدرٍ ... هـو ابـنُ مفـرِّجِ الكُـرَبِ الـشدادِ
وبـالغَزِّيِّ شـهرتنا لأنَّ الـشْـ ... ـشِهابَ بهـا تـوطَّنَ فـي التبـادي
ورابـع عـشر قعـدةَ فيـه نظمـي ... وذاكَ موافـقٌ يـومَ الـولادِ
بعـام التـسعِ والـستينَ يتلـو ... لتـسعِ مئـينَ عامـاً مـن مَبـادي
مهـاجرةِ النبـيِّ عليـه صـلَّى ... إلـهُ العـرشِ مـا سـحبَتْ غـوادي
وحمـد الله ربـي كـلَّ وقـتٍ ... وفي خـتم الأمـور وفـي المبـادي
وللهـادي وخيـرِ النـاس طُـرّاً ... ومـن سـكنَ الحواضـرَ والبـوادي
صـلاةُ الله مـع أزكـى سـلامٍ ... عليـه مـا حَـدا بـالعيس حـادي

[١٤١٠] علي بن عبد القادر النبتيتي الحنفي(١).

مؤقت الجامع الأزهر، أحد المتبحرين في علم الميقات والحساب، والعلماء العاملين بما في السنة والكتاب، والفائقين والمفننين في علوم الأدب،

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٦١)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٣٠١).

والمجدين في الطلب، ومن الذين يخشون الله في السر والإعلان، ولا يشغلهم عن عبادته شاغلٌ في كل آن.

ومن المتجردين للعبادة آناء الليل وأطراف النهار، والقائمين بوظائف العبودية، لا سيما في الأسحار، ومن الفقراء الذين قال الله ـ عز وجل من قائل ـ: ﴿يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾[البقرة: ٢٧٣]، ومن المنقطعين عن الناس، ورزقوا كفافاً.

أخذ الحديث عن شيوخٍ، منهم: سالم السنهوري، والفقه من جمعٍ، منهم: الشمس محمد المحبي، والعربية عن أبي بكر الشنواني، وغيره، وعنه: عبد المنعم النبتيتي، وخالي محمد بن حسين الملا، وكثيرون.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، شهيرةٌ نافعةٌ، منها: «شرحٌ على معراج النجم الغيطي»، و«شرحٌ على شرح الأزهرية للشيخ خالد»، و«شرحٌ على شرح الأجرومية» له ـ أيضاً ـ، و«شرحٌ على الرحبية في الفرائض»، وكتاب حافل في الأوقات، سماه: «مطالع السعادة الأبدية في وضع الأوفاق والخواص الحرفية والعددية»، ورسائل كثيرة في فنونٍ شتى.

وكانت **وفاته** بمصر، في نيف وستين بعد الألف، ودفن بتربة المجاورين ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٤١١] علي بن النجار الدمشقي الصالحي الشافعي الأزهري[(١)].

الإمام العلامة، العابد المعتقد، كان في مبدأ أمره مقيماً بالصالحية،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٠١).

ووالده نجاراً ينفق عليـه من كسبه، وهو يشتغل بطلب العلم، أخذ الفرائض عن الإمام محمـد التنـوري الميـداني، وإبراهيم بن الأحدب، ثم رحل إلى القاهرة، ولازم النور الزيادي، والشهاب البلقيني، وأضرابَهما، وأقام بها سبع سنين حتى أجازوه.

ثم رجع إلى دمشق، واجتمع إليـه خلقٌ كثيرٌ من الطلبة للقراءة عليه، وكان مقبلاً على المجاذيب، وهـم دائمـاً يأوون إليـه، ويعرف ما يقولون له بالإشارة، وربما تكلم عنهم في الحضرة، بكلمـاتٍ تظهر في وقتها، وكتب «حاشيةً على شرح القطر للفاكهي»، ولم تشتهـر. مات والقاضي الشعراني قاضي دمشق، وممن أخذ عنه: عوض أفندي.

[١٤١٢] علي النشرتي المصري المالكي.

كان عالماً محققاً حكيماً، له المهارة التامة في المنطق والحكمة، والعلوم الرياضية، حسن الخط جداً، وألف مؤلفاتٍ كثيرةً، منها: «شرح الشمسية»، و«شرحٌ على إلهيات الشفا»، إلا أنه اعتراه جبالٌ من الناس، فنفر عنهم، وساء خلقه، وصار يجلس في قهاوي مصر الخالية الغير مقصودة.

وأفضى به ذلك إلى أن صار في هيئـةٍ رثَّـةٍ، لا يقص أظفارَه، ولا يحلق شـعـوره، ولا يستقـر في مكـانٍ، ولـم يتـزوج، ولم يتسـرّ، ولـم يقـن داراً ولا خدماً، وهو مع ذلك مشتغلٌ بالتحرير والمطالعة، متعففٌ عما في أيدي الناس، لا يقبل لأحدٍ شيئاً، مع الهرب من الناس، وكان يتَّهم بانحلال العقيدة؛ لكثرة توغله في الحكمة والكلام.

[١٤١٣] القاضي علي بن صدر الدين ابن العلامة إبراهيم بن محمد

ابن عمر شاه، الشهير بعصام الدين الإسفراييني الشافعي المكي، الشهير بالحفيد[1].

ذكره الشهاب في «ريحانته»، فقال: كعبة المعالي، ومن به حال الكمال حالي، لا عيب فيه، إلا أن لفظه عطل الياقوت والدر، ولا عيب في نداه، إلا أنه يستعبد كل حرّ، فهو غرة الجمال، وصورة الكمال، إذا نطق، فما الروضُ زاره الحَيا، وإذا تهلل، فما النهر حباه برقُ السما، ولعمري! إن جده ـ أسعد الله بجميع الفضائل جده ـ:

نفسُ عصامٍ سوَّدَتْ عصاما وعلَّمته الكَرَّ والإقداما

وهذا الحفيد عقدُ المناقب به نضيد، لم يفتخر بآبائه، ولم يبتهج بنضارة أصله ونمائه، لما اعتصم بعروة الفضل الوثقى، وصعد إلى ربوة المجد وترقى، وقال: أنا عِصاميٌّ لا عِظاميّ، وإن كنتُ لذمام مآثري حافي[2]، فألف وصنف، ونوّع قِرى الأسماع وأتحف، وأفاد الطلاب، وحل بأسنان قلمه عقدَ المشكلات الصعاب.

قال: وذكر مرةً قول الرئيس ابن سينا، في بعض كتبه حديث: «إن الحكمة لتنزل من السماء، فلا تدخل قلباً فيه هم الغد»، فقلت: إنه لم يسنده، وهو بكلام النبوة أشبه، وقد نظمته فقلت:

من تركَ الدنيا يسُد أهلَها ويقطفْ زهرتَها باليدِ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٤٧)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٦٤).

(٢) كذا في الأصل، والصواب: حامي.

لا تـسكُنُ التقـوى ولا حكمـةٌ   منـزلَ قلـبٍ فيـه هـمُّ الغـدِ

وللإمام الشافعي ﷺ قريبٌ منه:

كم ضاحكٍ والمنايا فـوقَ هامتِـهِ   لو كان يعلم غيباً مات مـن كَمَـدِهْ

من كان لم يؤتَ علمًا في بقاءِ غدٍ   مـاذا تفكُّـره فـي رزقِ بعـدِ غـدِهْ

انتهى.

وذكر الإمام علي بن عبد القادر الطبري في «تاريخه»: أن مرزا مخدوم أقام صاحبَ الترجمة قاضياً شافعياً؛ لتعاطي الأحكام على مذهب الإمام الشافعي بمكة، واستمر من ذلك الحين إقامة أربعة قضاة، إلى سنة خمس وثلاثين وألف، ثم ترك ذلك، وصار القاضي واحداً حنفياً يرد من الروم.

وينبغي إقامة القضاء على المذاهب، خصوصاً مذهب الشافعي؛ فإن غالب أهل القطر الحجازي شافعيون، والأئمة جميعاً على هُدًى ﷺ.

وذكر ـ أيضاً ـ: أنه أول من سعى في جعل معلومٍ لمفتي الشافعية؛ فإنه توجه إلى الديار الرومية، وجعل له خمسين قرشاً عثمانياً من جدة، مقابل إفتاء الشافعية.

قلت: ومن مؤلفاته: «حاشيةٌ على شرح الاستعارات» لجده العصام، أتى فيها بالعجب العجاب من فوائد البيان، وتلقاها بالقبول أكابر العلماء الأعيان، ولم يزل بجوار بيت الله وحِماه، معتزلاً عن الناس، ولا بدع أن يعتزلَ جارُ الله، حتى توفي عام سبعة ـ بتقديم السين ـ بعد الألف بمكة، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

[١٤١٤] علي بن سليمان الغرب.

أمه الشريفة عائشة بن عبد الواحد بن محمد بن عمر الغرب.

[١٤١٥] الشيخ علي المجدولي المالكي.

صاحبنا، **توفي** فجأة بالحمام، لعله في شهر جمادى الأولى، سنة ألف ومئة وست أو سبع بمصر، ودفن بتربة المجاورين، أخذ عن شيخنا الشبراملسي، والبابلي، وسلطان، ومن في طبقتهم، وأخذ عن عبد المعطي المالكي، ومحمد الخرشي، وعبد الباقي الزرقاني، وغيرهم من مشايخ مصر، ولما قدم شيخنا يحيى الساوي إلى مصر، اختص به، ولازم درسه، ـ رحمه الله ـ.

وله مؤلفاتٌ مفيدةٌ، منها: «الفيوضات الربانية على شرح السنوسية»، و«الفتوحات الإلهية على تعليق الدرة الشنوانية»، و«إيضاح العبارات على شرح الاستعارات» في مجلدٍ حافلٍ، نحو ثلاثين كراساً، وهي من أكبر حواشيه وأنفسِها، أتى فيها بكل غريبةٍ ونادرةٍ ـ رحمه الله ـ.

[١٤١٦] السيد علي بن عمر بن إسماعيل بن أحمد بن عمر بن يوسف ابن بركات بن حسن بن أبي القاسم بن أبي بكر بن عمر بن الغرب بن حسن ـ وتقدم بقية النسب ـ العُبادي.

من أكابر الأشراف بني الغرب، كان مقيماً بالقنفذة، وله أحوال مشهورة، وكراماتٌ كثيرةٌ.

توفي بالقنفذة سابع جمادى الأولى سنة خمس وستين بعد الألف، وبنو العبادي من بني الغرب من ذرية الشريف أبي القاسم بن أبي بكر، وإنما نذرت جدتُهم: أنه إذا حصل لها ولدٌ، سمته عبادة، باسم بئر في جهتهم، فولد لها،

فسمته عبادة، وغلب هذا اللقب عليهم.

[١٤١٧] السيد علي بن عبد القادر الحيسي اليمني.

كان ساكناً ببلدة حَيْس، وكان شجاعاً عالماً صالحاً، مجاب الدعوة، وله يدٌ طولى في علم الوفق والحروف.

[١٤١٨] علي المغربي ثم الخليلي.

كان من مشايخ المغرب، نزل ببلدة خليل الرحمن، وسكن بالحجرة الفوقانية، في صحن الجامع الشريف، وكان شيخاً صالحاً، مجاهداً مرتاضاً، منجمعاً عن الناس، ولا يأخذ منهم شيئاً، ولا يتكلم مع الزائرين إلا قليلاً، وقد زرته سنة ست بعد الألف، فسأل عن خاطري، ودعا لي.

توفي أوائل ذي الحجة، سنة عشر بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[١٤١٩] علي بن أحمد بن إبراهيم الكلشني المصري، المختص بصفوتي.

حفيد الشيخ إبراهيم الكلشني، كان شيخاً صالحاً زاهداً، صاحب كشفٍ وكراماتٍ، يقال: إن سيدنا أبا العباس الخضر كان يجيء إليه.

توفي في شهر رمضان، سنة خمس وألف ـ رحمه الله ـ.

[١٤٢٠] علي دده المعروف بشيخ التربة[1].

ولد ببلدة موستار، من مضافات لواء هرسك، من بلاد بوسنه، وقرأ العلوم، ثم سلك الطريق عند الشيخ مصلح الدين بن نور الدين الخلوتي،

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٠٠).

واجتهد عنده إلى أن صار من جملة خلفائه.

ثم لما فتح السلطان سليمان خان قلعة سكنوار، من بلاد أنكروس، ومات بها عند الفتح، ودفنوا أمعاءه عند القلعة المذكورة، وجعلوا عليه قبةً، ووقفوا عليه ضياعاً، صار له شيخاً، وسكن بها إلى آخر عمره، وبَعُد صيته، وكان شيخاً جليلاً.

توفي بقلعة صولنق، سنة سبع بعد الألف.

[١٤٢١] علي دده، من خلفاء الشيخ مصلح الدين، المعروف بنور الدين.

وهو ساكنٌ الآن ببلدة سلانيك، وهو شيخٌ صالحٌ، عالمٌ بالعلوم الظاهرة والباطنة، بارعٌ على أقرانه في الشريعة والطريقة.

[١٤٢٢] السيد علي الشهيد ابن الإمام القاسم بن محمد بن علي.

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: صاحب المقام العظيم والعبادة، والصلاح والزهادة، كان عين أعضاد والده، نكى الأعداء نكايةً عظيمةً، وكان يباشر الحرب بنفسه، وقعت وقائع هو صاحبها، وله الكرامات في جبل شظب.

وذلك أن الأعداء دخلوا عليهم بغتةً، فرأى التحيز إلى فئةٍ من المسلمين، فطلع من جبلٍ هنالك وعرٍ، ودعا بذلك الجبل دعوةً ظهر أثرها، لم تزل بنصب، وتتهاوى أحجاره، وتربة أحجاره، إلى يوم التاريخ هذا.

وقتل في الشقاب، من أعمال بلاد خولان والربيعة، مشرفاً على الحصن، ونواحي الصعيد، ودفن بغلاف، وقبره مشهورٌ، وحزّ رأسه، وذهب به إلى

الأروام، إلى كبرائهم، فلقيهم شيخان من ذوي عكام، من حاشية بلاد سفيان، فأخذوا الرأس، بعد قتل الحامل له.

وكان قضيةً من العجائب، لأنه جالد مجالدة مثله، وعرف مكانه، ولم يخف على الأعداء، وطلبوا منه أن يستأسر لهم، فقال في وقت الحرب: الوقت أشرف، وإلى هذا ألمح العلامة الفقيه مطهر الضمدي في مرثيته، حيث يقول:

وحينَ أبصركَ الأعداءُ منفرداً ... مالوا إليك فلم تجزَعْ ولم تَمِلَ
راموا الإسارَ فقلتَ القتلُ أشرفُ لي

[١٤٢٣] علي بن يحيى بن أحمد بن مضمون البرطي الأصل، ثم الصنعاني اليمني[١].

مولده سنة إحدى وستين بعد الألف، هذا الفاضل ممن قام إجماع من يعتد به من أهل اليمن الآن: أنه أوحدي العلوم في هذا الزمان، وفارس هذا الميدان، أقبل على العلوم من صغره، فجنى أثمارها يانعةً، وشهد في أفق التحقيق نجومها طالعةً، حتى سرت إليه أسرار هداية الأصفياء، وتجلت له شموس العلوم بالضياء.

وأكبَّ في عنفوان شبابه على الفقه، فتخرج فيه على جلَّة مشايخ عصره، الذين يشار إليهم في هذا الفن ببنان البيان، وتتفتح بغيث أفكارهم من المعارف

---

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (٢/ ٢٩١) (٤٠١)، وذكر وفاته في ١١١٩هـ، «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ٨٢٤) (٥٢٢)، «الأعلام» للزركلي (٥/ ٣٢).

أزرار أزهار البستان، حتى صارت أنظاره الآن شفاء للأوام، وفتاواه ذريعة إلى التبصرة للخاص والعام، وأقواله في معترك الخلاف قاطعة للشجار والخصام، وأحكامه في خلافياته المضطربة أصول أحكام، وأكثر من درس في هذا الفن عليه، يرجع في حلِّ ما استبهم، وتعريبِ ما استعجم إليه.

وحضر دروس القاضي العلامة محمد بن إبراهيم بن يحيى السحولي، وسمع على القاضي بدر الدين محمد بن علي بن قيس، وعلى السيد العلامة أحمد بن علي الشامي المحسِّني الهادي، وأخذ العربية عن القاضي صالح بن محمد العباني العنسي، والفقيه العلامة علي بن أحمد الهبل.

وبرع في سائر الفنون، حتى إن القارئ عليه في أحد الفنون، يعتقد أن هذا فنه الذي يختص تحقيقه به، وهو فيه وفي غيره على سواء، ومع ذلك، فله اطلاعٌ على فنونٍ فاتت الكثير من علماء الوقت؛ مثل: علم الرمل والنجوم، والعروض والتصوف، وله مكنةٌ في البلاغة، نظماً ونثراً مع سهولةٍ، لكن أغلب نظمه في جمع الفوائد، وضبط الشوارد.

وعلى كل حالٍ، فهو رحلةٌ لأهل الشام، فخرٌ لإقليم اليمن بلا كلام ـ أدام الله فوائده، وأجزل عليه عوائده ـ.

ولما اطلع على قول الإمام بدر الدين محمد بن مالك، وما ذيله به ولده، وأبي حيان، قال مذيلاً لأبي حيان، في تذييله لهما، وهذه أبيات ابن مالك:

عصيتُ الهوى قِدْمًا صغيراً فعندما	رمتني الليالي بالمشيب وبالمكر
أطعتُ الهوى عكس القضية ليتني	وُلدت كبيراً ثم عدتُ إلى الصغرِ

وهذا تذييل ولد ابن مالك:

أبي قال قولاً شاع في البدو والحَضَرْ وحَثَّ على الإحسان حقّاً وما قصر
هنيئاً لـه إذ لـم يكـن مثـل ابنـه أطاعَ الهوى في الحالتينِ وما اعتذَرْ

وهذا تذييل أبي حيان:

وما قاله الشيخان يـا صـاحِ إنمـا يريدان كسرَ النفسِ يا من له النَّظَـرْ
وإلا فذاكَ الوصفُ وصفي حقيقـة فخذْ من حديثي ما أفادَ منَ الخبـرْ

وهذا تذييل صاحب الترجمة:

ألا إن هذا الوصفَ عنكم بمعـزلٍ وليس لكم منه سوى الذكرِ والخبرْ
ولكنــه وصــفي ونعتــي حقيقــة فخلُّوه لي ثم ادعـوا كـلَّ مـا غَبَـرْ

ولما وقف عليها تلميذه السيد عبدالله الوزير، قال:

تداعيتم الوصفَ الذي فيه لا سـوى ونــزه ذا هــذا وهــذا بــه أَقَــرّ
فبرهِنْــه ثــم انــسبْ بــه ولــو يحاول تبرئتي امرؤ عاقـه الحَـصَرْ

ولما وقف عليها السيد أحمد بن الحسن الجرموزي، قال:

تداعيتُم وصفي وكُلٌّ لنفسه قـضى ومتى قد صح ذا الحكـمُ واسـتقَرّ
ولي شاهدُ عدالة حـاكم مرتـضى ومـا لكـم مـن شـاهد قَـطُّ يُعتَبَـرْ

[١٤٢٤] علي بن عصام الـدين بن علي بن صدر الدين ابن العلامـة عصام الدين المكي الشافعي.

الإمام الفقيه، الفاضل النبيه، المجـدُّ في الاشتغال بالعلوم الشرعية، المكبُّ على إقراء كتب الشافعية، بقيةُ السلف الصالح، وقدوة الخلف الراجح.

وُلد بمكة عام أربعة وعشرين بعد الألف، وبها نشأ، وقرأ على كثيرٍ من الشيوخ، منهم: الفقيه عبد العزيز الزمزمي، والعلامة محمد بن علان، وشيخنا محمد بن علاء الدين البابلي، وعلي بن أبي بكر الجمال، وأجازه عامة شيوخه، ولما قدم شيخنا علامة عصره أحمدُ البشبيشي إلى مكة، حضر دروسه في الفقه بالمسجد الحرام.

وحضرْته في بعض دروسه الفرعية، وبيني وبينه مودةٌ قويةٌ، وله صفاتٌ سنيةٌ، منها: اشتغاله بما يعنيه من أمور دينه ودنياه، وعدم تردده لأحدٍ، إلا لمن له به مزيد اختصاص، ومنها: صفاء سريرته، وكثرة تواضعه، وحسن سيرته.

وبالجملة: فهو من العلماء العاملين، وفضائله شهيرةٌ تغني عن التبيين.

توفي ليلة الاثنين، سادس جمادى الثانية، سنة ألف ومئة، وصُلي عليه ضحى يومه بالمسجد الحرام، وخُطب له على زمزم، وصَلى عليه إماماً بالناس الشيخُ أحمد النخلي.

[١٤٢٥] علي بن أحمد الحسني الحِمْيَري اليمني.

عالمٌ كبيرٌ، قدم مكة حاجاً، وجاور بها، وأخذ عنه الإمام عبد القادر الطبري، وكتب له إجازةً ذكرها في كتابه «إنباء البرية بالأنباء الطبرية».

[١٤٢٦] علي أبو الحسن بن أحمد الشامي الفاسي[١].

الكاتب البارع، فارس البراعة واليراعة، ورئيس الجماعة في هذه الصناعة، ورضيع لبان الأدب، وواسطة عقده، الممتع بشميم عرار نجد، الكارع بالبحر

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٤١).

الفياض من هزله وجده، كان من أعيان أهل فاس، وذوي البيوت بها، وجده قدم من الشام على حضرة فاس، فشُهر بنوه بالنسبة إلى الشام.

توفي بعد الثلاثين وألف، وله أشعارٌ رائقةٌ...[1].

[١٤٢٧] علي بن محمد بن إبراهيم بن أحمد بن إبراهيم، الشيخ الإمام العلامة القاضي علاء الدين ابن القاضي برهان الدين البعلي المالكي مفتي المالكية بدمشق، المعروف بابن المرحَّل، قيل: ينسب إلى صدر الدين ابن الوكيل[2].

مولده سنة ثمان عشرة وتسع مئة، وقرأ ببعلبك على شهاب الدين الفصي وغيره، ورحل إلى مصر سنة تسع وأربعين ـ بتقديم التاء المثناة ـ، وتسع مئة وأخذ عن ابن الصيرفي، وحج من مصر تلك السنة، وعاد إليها، وصحب الشيخ شرف الدين البرهمتوشي الحنفي، وقرأ «الرسالة» على الشيخ الإمام عبد الرحمن التاجوري المغربي، وقرأ على علي الصعيدي.

وقرأ في النحو على الشيخ سراج الدين إمام الحنفية، بالجامع الأزهر، وقرأ «مختصر خليل» على المحقق الشيخ ناصر الدين اللقاني وآخرين، وصحب الأستاذ الشيخ أبا الحسن البكري، والشيخ ناصر الدين الطبلاوي.

ثم حج، ودخل اليمن، وأقام بها مدةً، ثم عاد إلى بعلبك، وأقام بها مدةً يدرس ويفتي، ثم جرت له بها محنة، سافر بسببها إلى القسطنطينية،

---

(١) جاء في الحاشية: «لم تذكر الأشعار، وترك عند هذا صفحةً بيضاء».

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٤٧) (٢١٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٧٩).

وصحب بها الشهاب أحمد الغزي، وقرأ عليه قطعة من «الإحياء»، ولازم دروس شيخ الإسلام البدر الغزي في الحديث والتفسير وغيرهما، وقرأ على الشيخ علي بن عماد الدين، والشيخ شهاب الدين الفَلّوجي، والشيخ بدر الدين ابن المزَلّق.

ثم صحب الشيخ أحمد سليمان، ثم اختص بالشيخ عبد القادر بن سوار، ولازم عنده حضور المحيا إلى الممات، ثم صحب الشيخ محمد بن سعد الدين، وأخاه الشيخ إبراهيم، وكان به أخصّ.

وكان من أماثل الناس، انتهت إليه رياسة مذهبه، وكان يحفظ مذهب مالك عن ظهر قلب، وولي نيابة القضاء بالباب بدمشق مراراً، وعفَّ عن الأموال، ولم يتناول منها شيئاً، وكان يقول: أنا مرادي بالنيابة قيام ناموس الشرع، وكان له حميةٌ، وولي إمامة المالكية بالجامع الأموي.

وكان قوي اللسان، شريف النفس، شديداً في إنكار المنكر وإزالته، وكان يعزل نفسه عن النيابة؛ لنصرة الحق، وتنفيذ كلمته، ثم تلاطفه القضاة، فيعود إلى النيابة عزيزاً مكرماً، وتوجه للحج صحبةَ الشيخ إبراهيم بن سعد الدين، وجاورا، وعادا.

قال النجم الغزي: وسألته قبل موته عن سنه، فذكر أنه جاوز الثمانين، فقلت له: إن بعض السلف رئي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك؟ فقال: غفر الله لي لبلوغي الثمانين، وقال لي: إني آليت على نفسي أن لا أعذب أبناء الثمانين من عبادي المسلمين، فقال لي: بشرك الله بخير، وسرّ بذلك.

وكانت **وفاته** غرة ربيع الأول سنة ثلاث بعد الألف، ودفن خارج

باب الله، عند قبور بني سعد الدين ـ رحمه الله ـ.

[١٤٢٨] علي نجيب الدين بن محمد بن مكي الشافعي العاملي[١].

قال السيد في «السلافة»: هو نجيبٌ أعرقَ فضلُه وأنجب، وكماله في العلم معجِب، وأدبُه أعجَب، سقى روض آدابه صَيِّبُ البيان، فجنت منه أزهارَ الكلام أسماعُ الأعيان، فهو للإحسان داعٍ ومجيب، وليس ذلك بعجيب من نجيب.

وله مؤلفاتٌ أبانَ فيها عن طول باعه، واقتفائه لآثار الفضل واتباعه، وكان قد ساح في الأرض، وطوى منها الطولَ والعرض، فدخل الحجاز واليمن، والهند والعراق، ونظم في ذلك رحلةً أودعها ما رقَّ وراق، وقد حذا فيها حذو «الصادح والباغم».

ومن شعره: قوله:

علةُ شيبي قبل إبّانِهِ ... هجرُ حبيبي في المقالِ الصحيحْ
ويجعل العلَّةَ في هجره ... شيبي وفي ذلك دَورٌ صريحْ

وهو من قول بعضهم:

مسألة الدَّوْرِ جرتْ ... بيني وبين من أُحِبّ
لولا مشيبي ما جفا ... لولا جفاهُ لم أَشِبْ

وقوله:

المرءُ لا يسلم من حاسدٍ ... أو شامتٍ في اليسرِ والعسرِ

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٣١٠)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٢/ ٣٢٣) (١٠٠).

فهـو علـى الحـالين لا بـدَّ أن يلحقـه نـوعٌ مـن الـشرِّ

وقوله:

واعجبـاً مِنَّـا ومـن حُبنـا للمـالِ مـا ذلـك إلا بَـوارْ

فـآخرُ الـدرهمِ هَـمٌّ يـرى وآخـر الـدينارِ لا شـكَّ نـارْ

وقوله:

مـا لـي على هجـرك مـن طاقـة ولا إلـى وصـلك لـي مقـدرَهْ

لكننـي مـا بـين هـذا وذا أفرطـتُ فـي دنيـاي والآخـرَهْ

[١٤٢٩] علي بن حسن المرزوقي اليمني[١].

أديبٌ شاعرٌ نبيهٌ، مقامُه في الأدب كاسمه، وشعرُه كاسم أبيه.

من شعره: قوله مادحاً السيد أحمد بن معصوم في قصيدةٍ، منها:

تَـألَّقَ مـن نحـوِ الكثيـبِ ووهْـدِهِ بريـقُ تـلألأ فـي خمائـل بـردِهِ

تـراءى لعـين قـد تقـرَّحَ جفنُهـا وعوض عن طيبِ المنامِ بسُهدِهِ

فهيَّج وجداً مضمراً فـي سـرائري وأبدى مصوناً مـا استطعتُ لـردِّهِ

فبـتُّ كئيبـاً والِـهَ القلـب شَيِّـقًا ببحـرِ غـرامٍ بـين جـزرٍ ومـدِّهِ

وما افترَّ إلا جـادَ بالـدمع نـاظري وأذكرنـي مـاءَ العـذيب وورده

ومـسرحَ غـزلانٍ يَـرُحْنَ عـشيةً بـذاتِ اللِّـوى والأبـرَقين وثمـدِهِ

وميّـادُ غـصنٍ مـذ تثنَّـى بعطفـه لوى عقربي صدغيه حقـاق بنـدِهِ

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٤٦٠).

كثيـرُ التجنِّـي والمجـونِ وظالمـاً جنى سيفُ لحظٍ منه وهـو بغمـدِهِ

له حـدقٌ صـحَّتْ بـسقمِ جفونِهـا ومن عجـبٍ تقـويمُ شـيءٍ بـضدِّهِ

وإنـي إذا مـا جَـنَّ ليلـي تخـالُني أحـــنُّ حنـينَ الثـاكلاتِ لفقـــدِهِ

ويُطربنـي صـدحُ الحمـام بأيكِـه إذا صـاحَ قُمْـريُّ البَـشامِ بـــردِّهِ

وتنبيــهُ شـــحرورٍ يرتِّــلُ شـــدوَهُ بغنـــة إدغـــامٍ ولـــينٍ بمـــدِّهِ

وترجيـع صـوتِ العنـدليب كأنـه غــدا راهبــاً فيـه زعيمــاً بـــوردِهِ

وإن شُقَّ نحرُ الفجر ناجتْ بلابـل تـــسبِّحُ للّـــه القـــديمِ بحمـــدِهِ

وإني على ودِّي مقيمٌ علـى الوفـا وما مِلْتُ بل باقٍ على حفظِ عهدِهِ

كـأني ومــا أرجـو كُثَيِّـــرُ عَـزَّةٍ متى حار فكري فيه أو بِشْرُ هندِهِ

ألا فـي سـبيل اللّـه دهـرٌ قـضيتُهُ علـى ظَمـأ لـم يـروه مـاءُ صـدِّهِ

أبيـتُ علـى جمـرِ الغـضا متقلِّبـاً وفـي طـيِّ أحـشائي تَلَـظٍّ بوَقْـدِهِ

وقد جُبِلَتْ نفسي على حبِّه كمـا جـبلْنَ أيـادي أحمَـدٍ قبـلَ وعـدِهِ

فما البحرُ إلا مِـنْ شـآبيب جـودِه وما المزنُ إلا من سـحائب رِفْـدِهِ

رؤوفٌ رحـــيمٌ ناســـكٌ متبتـــلٌ وطَلْـقُ المُحَيَّـا عنـدَ إقبـالِ وَفْـدِهِ

هو الضيغمُ الكَرَّار في حومةِ الوغى مروّي عطاشَ الـسُّمْرِ بعـدَ فرنـدِهِ

منها:

فــلا زالَ محروســاً بعــينِ عنايــةٍ مـن اللّـه مـا افتـرَّتْ كمـائم وَرْدِهِ

وما دارَ كأسُ العَتْبِ في ملة الهـوى على مذهبِ العشاقِ في شرعِ جندِهِ

[١٤٣٠] السيد علي بن صلاح الديلمي[1].

وهو نسبةٌ إلى الإمام الناصر الديلمي، الذي دعا في الديلم، ثم خرج إلى أرض اليمن، فاستولى على كثيرٍ من بلاد مذحج وهمدان وخولان، وكان وصوله من الديلم في سني الثلاثين وأربع مئة، وكانت الحرب تدور بينه وبين الصليحي، قتله الصليحي بتجهيز[2] الحاج، وقبره بردحان، من بلاد عبس، قتل سنة أربع وأربعين وأربع مئة، وهو أبو الفتح الناصر بن الحسن بن محمد ابن عيسى بن محمد بن عبدالله بن أحمد بن عبدالله بن علي بن الحسن بن زيد ابن الحسن بن علي بن أبي طالب ﷺ اليمني.

[والمترجَم] من شعراء اليمن وأدبائه، وأعيان العصر وفضلائه.

من شعره: قوله:

صَـبٌّ يُماطِـل قلبَـه الوَصْـلاَ ... لم يسْلُ عـن أهـلِ الحمَـى أصْـلاَ

مـا انْهَـلَّ فـي حَـيٍّ مَدامعُـه ... إلاَّ ولـم يجـدُوا بـه مَحْـلاَ

وإذا شَـدَا غنَّـتْ مُطوَّقـةٌ ... وتبـادَرتْ لحَنِينِهـا الـشكلا

كـم ظَـلَّ يَجْـأَرُ بالنِّـدا كَلِفـاً ... يـا أهـلَ سَـفْحِ المُنْحنَـى مَهْـلاَ

اللّـهَ فـي صَـبٍّ أقـامَ علـى ... نـارِ الغـرامِ وحَرَّهـا يَـصْلَى

ذابـتْ حُـشاشتُه فأرْسَـلها ... مَـثَلاً بـصفحة خـدِّه تُتْلَـى

وتباعَـدَ الـصبرُ الجميـلُ كمـا ... بَعُـدَ المَـزارُ وقـوَّض الـرَّحْلاَ

---

(١) «طيب السمر» للحيمي (٢/ ١٢١)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٤٦٩) (٢٣٨).

(٢) في الأصل: بتجهر.

وخَريدةٍ لانَتْ مَعاطِفُها … وقسَتْ فؤاداً وانْثَنتْ خَجْلَى
في جِيدِها هَيَفٌ وقامتُها … ريَّانةٌ للّهِ ما أحْلَى
تبدُو كما يبدُو الصباحُ إذا انـ … ـجابتْ غدائرُها لتُسْتَجْلَى
فتُريكَ بَرْقاً من ثَنِيَّتِها … لَمَعانُه يسْتهترُ العَقْلاَ
وكلُؤْلُؤٍ أُلْقِي على صَدَفٍ … رشحَ الجبِينُ وقدرَهُ أغْلَى
إن كان يشبهُ جيدُها … البِلَّوْرَ فهي بلا مِراءٍ الفُضلى
أو كانَ رحبُ الصدرِ في تَرَفٍ … كالمرمرِ المستحسَنِ الصقلى
قل لي إذا استويا معاصفة … فبضمةٍ مَنْ منهما أَوْلى
يا سابِقَ الوَجْناءِ مُعْتسِفاً … أدْركتَ من بُرَحائِك النَّبْلاَ
كيف السبيلُ إلى مُواصلةٍ … تُدْنِي الدِّيارَ وتجمعُ الشَّمْلاَ
بِي مثلُ ما بِكَ والنِّظائرُ في … ما بينها تتعارفُ الحَمْلاَ
فاحملْ أخاً قَعدَ الزمانُ به … وعَدا عليه البَيْنُ واسْتولَى
فإذا بلغتَ إلى دارِ مَلْكٍ … يهوى النَّوالَ ويمنحُ الجَزْلاَ
ويَرُوع جَيْشَ الهمِّ إن فتكَتْ … بعُفاتِه ويسُومُها قَتْلاَ
بكَرائمٍ لا يسْتقيم لها … خَطْبُ النوائبِ قَلَّ أو جَلاَّ
ومَكارمٍ تكسُو العُلاَ حُلَلاً … يبْلَى الزمانُ بها ولا تبْلَى
من مَعْشرٍ سَلكُوا بسعْيهمُ … في الصّالحاتِ طريقةً مُثْلَى
ونَضَوْا لنصرِ الدِّين مُرْهَفةً … أضْحتْ أعاديه بها قَتْلَى
حَسْبُ الليالِي أنها جمعتْ … بين الفَخارِ وأهلِه شَمْلاَ

وأتــتْ بمَلْــكٍ جَــلَّ عــن شَــبَهٍ   مَـــلأَ البَـــسِيطةَ ســـيْفُه عَـــدْلاَ
لا يَرْتَــضِـي العَلْيَــا سِــواه لهـــا   فـــي الأكْــرَمِين جمــيعهم يعْــلاَ

[١٤٣١] علي بن حسن بن علي بن أحمـد نمير الخير بن محمد ابن السلطان الأشرف قانصوه الغوري، آخر ملوك الجراكسة بمصر، الحنفي.

صاحبنا الشيخ الفاضل، كان أديباً فقيهاً بمذهب الحنفيـة، عارفاً بـه، صاحب دعابةٍ، لطيف الشمائل، حسن العشرة، وكانت له مهارةٌ في العلوم الحرفية، وكان يكتم ذلك كثيراً، إلا على من يختص به.

مولده بمصر، وبها نشأ، وقرأ القرآن وجـوده، وقرأ بالروايات، على مقرئ مصر عبدِ الرحمن اليمني، من طريق «الشاطبية»، وأخذ طريق القـوم عن الشيخ العارف بالله كمال الدين السوداني الشناوي، وأخذ الفقه عن حسن الشرنبلالي، وعثمان النحراوي، وكثير، والحديثَ عن شيخنا محمد بن علاء الـدين البابلي، وأجازوه، وكـان من أعـز أحبـابي، وأجلَّ أصحابي، **توفي** ـ رحمه الله ـ بمصر، سنة ست ومئة وألف.

[١٤٣٢] علي بن أحمد الهَبَل الصنعاني.

فرعٌ من شجرة علمٍ لا يزال الصـلاح فيهم مشهـوراً، ولواء الوظائـف العلمية عليهم معقوداً، أخذ عن السيد العلامة أحمد بن محمد الحوثي.

ومولده سنة تسع وأربعين وألف، **وموته** بصنعاء، سنة خمس وثمانين، فيكون عمره ستاً وثلاثين سنة.

وكان قد برع في العلوم مع حداثتـه، ورزق من صفاء الذهن، وجودة

النظر، ما يعجز عنه الواصف، وكان حسن الضبط والخط، كتب كثيراً بخط يده، وله حواشٍ تجري مجرى الشرح على «الإيجاز في المعاني والبيان»، «مختصر التلخيص» للشيخ لطف الله العتاب، وله ما يجري مجرى التحشية على نجم الدين في النحو، نقلها من «زوائد التسهيل»، وكان قد اختص بالإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل، وجمع حواشي الإيجاز باقتراحه، وأوصى عند مماته إلى المؤيد.

[١٤٣٣] علي بن إبراهيم الخياط الرشيدي الشافعي(١).

الشيخ الإمام، الحجة الولي، المفنن في العلوم، والجامع لها، والمتقدم في المعارف كلها، والمتكلم في أنواعها، والنافذ في جميعها، والحريص على أدائها ونشرها، الثاقب الذهن في تمييز الصواب منها، الجامع مع ذلك كله آدابَ الأخلاق، مع حسن المعاشرة، ولين الكنف، وكثرة الاحتمال، وكرم النفس، وحسن العهد، وثبات الود، والاشتغال بما يعنيه من أمور الدين والدنيا، والملازمة لطاعة الله في سائر أوقاته، وكثرة ذكره ـ سبحانه وتعالى ـ في حركاته وسكناته.

وُلد في العشر الأول من هذه المئة بـ «رشيد»، وبها نشأ، وحفظ القرآن وجوّده، وأخذ عمن بها من علماء عصره، ثم قدم مصر، وقرأ بالروايات، على مقرئ مصر عبدِ الرحمن اليمني، وأخذ الفقه، والعلوم الشرعية والعقلية عن شيوخٍ كثيرين، منهم: العلامة علي الحلبي، وإبراهيم اللقاني، والشمس

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٢٨).

الشوبري، وشيخنا سلطان المزاحي، وعلي الشبراملسي، ومحمد البابلي.

وجـدَّ واجتهد إلى أن بلغ الغاية القصوى، ورجع إلى بلده، وحمدت سيرته فيها، وأقبل عليـه جميـع أهلها، واعتقده عامة ذلك الإقليم، واشتهر شهرةً كبيرةً، وظهرت منه كراماتٌ كثيرةٌ، وتصدَّر للتدريس، وأخذ عنه خلقٌ كثيرون، منهم: العلامة أحمد بن عبد الرزاق الرشيدي، واجتمعتُ به بحمد الله برشيد، وحضرت بعض دروسه.

توفي ـ رحمه الله ـ في أوائل شهر رجب، سنة أربـع وتسعين بعد الألف برشيد، وبها دفن، وأخبرني ولده: أنـه لما احتضر، قرأ بعض الحاضرين، سورة يس والرعد، فلما بلغ إلى قولـه تعـالى فيهـا: ﴿سَلَٰمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ﴾ [الرعد: ٢٤]، خرجت روحه.

وأقبل على قراءة القرآن قبل موتـه بسنة، فصار لا يتركها صباحاً ومساءً، وكل وقت حتى ترك التدريس، إلى أن مات، وكان أخبره بعض الأولياء: أنه يموت في رجب، فكان كلما أتى شهر رجب، يقبل على العبادة، إلى أن توفي ـ رحمه الله ـ.

[١٤٣٤] علي بن محمد بن العفيف بن عبد القادر بن عبيدالله الأحنف الأنصاري الشهير بالعُقيبي[١].

كذا نقلت نسبه من خطه، من إجازةٍ كتبها للسيد يحيى بن القاسم. . .[٢].

---

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعـاني (٢/ ٢٤١) (٣٨٠)، «طبقـات الزيديـة الكبـرى» (٢/ ١٥٣٢) (٨٦٧)، «الأعلام» للزركلي (٥/ ١٤).

(٢) جاء في الحاشية: «بعد ذلك بياضٌ سطران».

[١٤٣٥] علي بن أحمد السماوي[1].

نسبةً إلى سَماه؛ كحماه، قريةٌ من مغارب ذمـار، وكان القياس إليهـا سَمَوي، ولكن الناس أطبقوا على سماوي.

قاضي مدينة رداع، والبلاد الشرقية، من الجهات اليمنية، الشيخ العلامة الورع، الثبت الحجة الزاهد.

مولده ـ كما أخبرني من لفظه ـ بسماه، سنة اثنتين وثلاثين وألف، قرأ بذمار على القاضي العلامة محمد بن صلاح الفلكي، من قبل البلوغ وبعده، في الفقه والفرائض، ثم رحل إلى صنعـاء، وأخذ بها عن السيد العلامة الحسين ابن محمـد التهامي النعمي، ثم على السيد صفي الدين بن علي الشامي في الفقه، وقرأ على السيد نور الدين محرم بن محمد طرفاً من «البحر»، ثم على السيد أحمد بن محمد الحوثي، وهو شيخ مغاربة صنعاء، في النحو والتصريف والمعاني، وأصول الفقـه، قراءةً متكررةً، وأعواماً متواليـةً؛ لكونه أقام مدةً برداع.

وقرأ الصرف على السيد صلاح الرازحي «الشافية وشرحها»، وطرفاً من النحو، وعلى القاضي بدر الدين محمد بن علي العنسي، تفسير سورة البقرة من «الكشاف»، وعلى شرف الدين الحسن بن حابس في «الكشاف» من الرعد إلى سُبْحان، ونبـذةً صالحـةً في الفقـه، وعلى القاضي عز الدين محمد بن إبراهيم في «الكشاف» من ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾[الأنبياء: ١٠١]

---

(١) «نشر العرف» لزبارة الصنعـاني (٢/ ١٧١) (٣٤٢)، «طبقات الزيـديـة الكبـرى» (٢/ ٧٠٦) (٤١٩).

الآية إلى ما بعد ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾[المؤمنون: ١] بيسير، ثم من ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾[الزمر: ٢٢] إلى سورة الفتح، مع «حاشية السراج» في هذه القراءات، وقرأ عليه جميع «غاية السول» لحسين بن القاسم.

وقرأ الفقه والفرائض على العلامة الفقيه على الشارح، وقرأ آيات الأحكام على السيد عز الدين العُبالي، ونبذةً من «التلخيص»، وقرأ في الحديث على القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال، وأجاز له جميع مسموعاته ومقروءاته؛ كالأمهات الست، وقرأ على السيد عبد الرحمن بن حجاف شيخِ الإسلام المتوكل في الحديث، وله مشايخ آخرون يطول ذكرهم.

اجتمعت به ـ سلمه الله ـ بمدينة رداع، سنة تسع بعد الألف ومئة، وأجاز لي بمروياته ومسموعاته، بإجازةٍ خاصةٍ، كتبها لي ـ حفظه الله ـ، وحضرت بعض دروسه ـ نفع الله به ـ وهو أحد القضاة المشهورين باليمن بالعدل والإنصاف والتقوى ـ أطال الله عمره ـ.

ولما وصلت إلى رداع سنة تسع بعد المائة والألف، نزلت قريباً من داره، فأكرم نزلي وجواري، وسهّل علي بتردده إليّ ما لقيته من وعثاء أسفاري، وبالغ في تعظيمي، وكان مدةَ إقامتي ببلده سميري ونديمي، وطالما تذاكرنا فنون التعليم، وأدرنا كؤوساً لا لغو فيها ولا تأثيم.

توفي ـ رحمه الله ـ ببلده رداع، سنة ألف ومئة وسبع عشرة ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٤٣٦] علي بن عبد الرحمن الجازاني.

صاحب المخا، الشيخ الفقيه الصالح، العارف بالله، كان صاحب زاويةٍ

وتربيةٍ وخلقٍ، وله يدٌ في التصوف، وكان ممن شهـد لـه الأكابر بالولايـة، والزهد في الدنيا وحسن الأوصاف، والملازمة لذكر الله تعالى كل آن، وخفض الجناح.

أخذ عن السيد حاتم الأهدل، وبه تخرج.

وتوفي عشري شهر صفر، سنة أربع وثلاثين وألف بالمخا، وبها دفن بزاويته المعروفة ثم، في دولة حيدر باشا، وبُني على قبره قبةٌ.

[١٤٣٧] علي بن المقبول بن المشهور الأهدل[١].

وذكرنا نسبه في ترجمة أبيه.

السيد الجليل، الولي الشهير، شمس المعارف، ممكنٌ كل التمكن من العلوم الربانية، وهو الذي اختط قرية الدريهمي، وبنى جامعها بالآجر والنورة، وعمره بالجمعة والجماعة، وأقامه أتم قيام، ورزق القبول عند الخاص والعام، وله في الطب اليد الطولى، كما لأبيه وجده فتحاً من الله تعالى، صحبه السيد محمد بن الطاهر البحر، وكانت **وفاته** سنة خمس وخمسين وألف.

[١٤٣٨] علي بن محمد بن الخالد اليمني.

السيد العلامة الزاهد، من أعاظم السادة باليمن، له محاسن نظمٍ ونثرٍ، كان أميراً لجهة عفار، وسَلفه من قِبَله، من قبل أئمة اليمن، وله فضائل جمة، وعلوم شهيرة، ومسموعات كثيرة، وولده محمد بن علي تولى بعد وفاة والده أعمالَ عفار، فاضلٌ مشهورٌ، كتب له شيخنا الحسين بن الناصر المهلا أن يكتب

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٩٥).

لي مسموعات والده ومشايخه، ووعد بإرساله، ولم يصلني إلى الآن.

[١٤٣٩] القاضي علي بن جار الله بن محمد بن أبي اليمن بن أبي بكر ابن علي بن أبي البركات محمد بن أبي السعود محمد بن حسين بن علي بن أحمد بن عطية بن ظهيرة بن مرزوق بن محمد بن عُليّان ابن هاشم بن حرام ابن علي بن راجح بن سليمان بن عبد الرحمن بن حارث بن إدريس بن سالم ابن جعفر بن هاشم بن الوليد بن جندب بن عبدالله بن الحارث بن عبدالله بن الوليد بن الوليد بن المغيرة بن عبدالله بن عمر بن مخزوم، القرشي المخزومي، الظهيري الحنفي، مفتي مكة، الشهير بابن ظهيرة[١].

قال السخاوي في «الضوء اللامع»: وأول من تحنف من بني ظهيرة: أبو اليمن.

[١٤٤٠] علي بن علي الشَّبْرامَلِّسي[٢].

نسبة إلى شبراملس، شَبْرَى ـ بشين معجمة، فموحدة، فراء، فألف مقصورة على وزن: سكرى ـ كما في «القاموس»، ومَلِّس ـ بفتح الميم، وكسر اللام المشددة، وبالسين المهملة، أو مركبة تركيب مزج ـ.

أستاذي وشيخي، شيخ مشايخ الإسلام، وملك العلماء الأعلام،

---

(١) «ريحانة الألبا» للخفاجي (١/ ٤٤٠) (٧٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٥٠)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٨٤).

(٢) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٥٥٣)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٥٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٧٤)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٥٩١)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٣١٤).

وخاتمة المحققين، وبقية السلف الصالحين، ولي الله من غير نزاع، ومحرر العلوم من غير دفاع، عَلَمُ أهل زمانه، العديم النظير في أوانه، علامة الأصول والفروع، وترجمان المعقول والمسموع.

الذي أجمع أفاضل عصره، من شيوخه فمن دونهم: أنه لم يأت بالديار المصرية، بعد العلامة أحمد بن قاسم العبادي مثلُه، في دقة النظر، وجودة الفهم، وسرعة استخراج الأحكام من عبارات العلماء، وقوة البحث، مع التأني واللطف، والإنصاف والحلم؛ بحيث إنه لم يعهد منه أنه أساء إلى أحدٍ من الطلبة بكلمةٍ يحصل له منها نوع تعبٍ، بل غاية ما يقول إذا تغير خلقه من أحدِ تلامذته: الله يصلح حالك يا فلان.

وله قوة إقدامٍ على تفريق كتائب المشكلات، ورسوخُ قدمٍ في حل أقفال المقفلات، وكان ـ نفع الله به ـ مهاباً، موقراً في النفوس، وإذا تأمل أحدٌ وجهه النوراني، ولحيته البيضاء الطاهرة، وهيئته الحسنة الجميلة، يخشع لرؤيته، ولا يريد مفارقته، وما سمعه أحدٌ قط اغتاب إنساناً، صغيراً أو كبيراً، جليلاً أو حقيراً، حتى المشتهرين بالظلم من الولاة، إن جاء أحد يشتكيهم، لا يزيد على الدعاء لهم بالهداية، مع كمال العرفان، ودوام مراقبة الله في أقواله وأفعاله.

نور الولاية ظاهرٌ على وجهه، وسيما العارفين باديةٌ عليه، حسن المنادمة، لطيف المداعبة، لا يتكلم إلا فيما يعنيه، وجميع أوقاته مصروفةٌ في الطاعة والمذاكرة، وقراءة القرآن، والصلاة والعبادة، صواماً قواماً، زاهداً في الدنيا، لا يعرف أحوال أهلها، ولا يتردد على أحدٍ منهم، إلا في شفاعة خير، وإذا مرّ في السوق، تتزاحم الخلق مسلمُهم وكافرهم على تقبيل يده الشريفة،

ولم ينكر أحدٌ من علمـاء عصره فضلَه، بل جميعهم مقرٌّ لـه بالكمـال، وإذا أشكلت عليهم مسألةٌ، يراجعونه فيها، فيبينها لهم على أحسن وجه وأتمِّه.

وقال فيه عصريُّه العلامة سريُّ الدين الدروري: لا يكلمه أحدٌ إلا علاه في كل فنٍّ، وكان يقول: ما في الجامع الأزهر إلا الأعمى، ويشير إليه، وكان سريُّ الدين هذا مفرد الديار المصريـة في العلوم النظريـة، وسألـت شيخنـا البشبيشي عنه، وعن شيخنا المتـرجم، فقال لي: إن سريَّ الدين كان إذا طالع الدرسَ الذي يُقرئه، لا يقدر أحدٌ أن يجاريه فيه، وإذا نقله من بحثه الذي طالعه إلى بحثٍ آخر، وقف، يشير إلى قلة استحضاره، وأما شيخنا، فكان إذا نقل إلى أي بحثٍ أو فن آخر، لا يختل ولا يتوقف؛ لقوة فهمه، وسرعة استحضاره للقواعد الكلية من العلوم.

وكان ـ نفع الله به ـ جبلاً من جبال العلم، لا يضجر من البحث معه في الدرس، ويتعب إن لم يبحث معه الطلبة، ويقول لهم: ما لنا اليوم هكذا؟ وإذا بحث مع أحد من المتقدمين، فبغاية الأدب، ولو [كان] كلامه خطأً صريحاً، ويقول للطلبة تواضعاً منه: شاركونا في فهم هذه العبارة، ثم يبين ما فيها من خللٍ أو اعتراضٍ، بأسلوبٍ لطيفٍ خفيٍّ، حتى لا يحقّر المخطئ.

وكان يقول: قيراطٌ من الأدب خيرٌ من أربعة وعشرين قيراطاً من العلم.

والحاصل: أنه انفرد في عصره بجميع العلوم النقلية والعقلية، وانتهت إليه رياسة العلم بالديار المصرية، وكان آخر أقرانه موتاً، وكانت تأتيه العبارات المشكلة من الآفاق، فيحلها من غير كلفـةٍ ولا مشقـةٍ، وكان غذاؤه العلم، وشفاؤه المطالعة، وإذا تركها أياماً، تأتيه الحمّى، فيرجع للمطالعة، فتزول

عنه، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، ولا أجد عبارة تفي بحقه، لكنه يليق في وصفه ما قاله بعض العلماء في العلامة علي بن أصفهان: كان في عصره كالنبي في أمته.

وكانت طلبة العلم إذا حضرت بين يديه، يُملي عليهم من بحر علمه الفوائد المنتقاة، ويمطر عليهم من شآبيب فهمه المستقاة، وكان العلم في زمنه كالحديقة المزهرة، ووجوه العلم الدينية بنور وجهه ضاحكةٌ مستبشرةٌ، وكانت ركائب الطلبة تُحدى إلى سوحه من أداني الأرض وأقاصيها، وبلغ في التعلم والتعليم، وحياطة الدين ما لم يبلغه أحد، وجمع بين محاسن العلم والعمل، ونال من الله سبحانه في المآثر الصالحة نهاية السؤل والأمل، وشهرته في كل قطرٍ تغني عن التبيين، ولو عاش إلى رأس المئة، لكان من المجددين، ولو استوعبت كثيراً من أخباره، لكانت سيرةً حافلةً؛ لأنه ـ رحمه الله تعالى ـ طال عمره، وما ضيع منه ساعةً في غير طاعة، بل كان همه العلم، حتى تغمده الله بالرحمة والرضا.

وُلد ـ كما أخبرني من لفظه ـ قبل الألف بنحو عامين، وعمي بالجدري وهو ابن ثلاث سنين، وأخبرنا ـ أيضاً ـ: أنه لا يعرف من الألوان إلا الأحمر؛ لأنه كان لابساً ثوباً أحمر لما عمي، وحفظ القرآن العظيم في بلده، ثم قدم مصر صحبة والده، سنة ثمان وألف، وحفظ «الجزرية»، و«الشاطبية»، و«الخلاصة»، و«البهجة الوردية»، و«المنهاج»، و«نظم التحرير للعمريطي»، و«الغاية»، و«الرحبية»، و«جمع الجوامع»، و«ألفية العراقي في مصطلح الحديث»، و«متن التلخيص»، و«الشمسية»، وغيرها.

وقرأ القرآن العظيم كله جمعاً للسبعة، من طريقي «التيسير»، و«الشاطبية»، وختمه سنة ست عشرة وألف، ثم قرأه كله جمعاً للعشرة، من طريق «الطيبة»، وختمه سنة خمس وعشرين وألف على شيخ القراء في زمنه عبدِ الرحمن اليمني، وحضر درسه في «شرح الشاطبية لأبي شامة» إلى أثناء سورة المائدة، وجميع الأصول من شرحيها لابن القاصح، والجعفري، والكثير من «النشر»، وجميع الأصول من «شرح الطيبة» للنويري، وجميع «شرح الجزرية» لشيخ الإسلام زكريا، وغير ذلك من كتب الأداء والرسم، وحضره ـ أيضاً ـ سنين عديدة في تقاسيم «شرحي المنهاج»، و«المنهج»، وجميع «شرح الخلاصة» للمرادي، وجميع «شرح الشذور» لابن هشام، وسمع منه الكثير من «صحيح البخاري»، وكان ألزم الناس له، وأخصهم به إلى أن توفي.

وحضر دروس شيخ الشافعية في عصره النورِ الزيادي، في «تقاسيم شرح المنهج»، وحضر دروس الشيخ عبد الرؤوف المناوي شارح «الجامع الصغير» في «مختصر المزني» بمدرسة الصالحية، بجوار إمامنا الشافعي رضي الله عنه.

ولازم الملازمة الكلية، في العلوم الشرعية، ملازمةَ بحثٍ وإتقان، وتحقيق وتبيان، المدةَ المديدة، والسنين العديدة، علماءَ العصر الأعلام، منهم: علي الحلبي، ومحمد الشوبري، وعبد الرحمن الخياري، وسالم الشبشيري، وسليمان البابلي، وفخر الدين أبو بكر، وسراج الدين الشنوانيان، وسمع «الصحيح»، و«الشفا»، وغيرهما من الإمام المحدث الشهاب أحمد بن خليل السبكي، وحضر في المنطق «الأصلين»، و«البيان» دروس الشهاب أحمد الغنيمي، وعبدالله الدنوشري.

وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر، ولازمه لأخذ العلم عنه أكابر علماء العصر، منهم: ياسين الحمصي، ومحمد البهوتي الحنبلي، وزين العابدين ابن شيخ الإسلام زكريا، وولده شرف الدين، ومنصور الطوخي، وأحمد البشبيشي، والسيد السند أحمد الحموي، وعبد الباقي الزرقاني، وولده محمد، وعبد الرحمن المحلي، وغيرهم ممن لا يحصى كثرةً، بل غالب مشايخ الأزهر من أهل المذاهب الأربعة، كانوا ملازمين له في دروسه في الفنون العقلية؛ لأنهم لم يروا مثله، بل هو ـ رحمه الله تعالى ـ ما رأى مثل نفسه.

وكانت طلبته من أنجب طلبة علماء الجامع الأزهر، وعليهم المعول في كشف معضلات العلوم العقلية والنقلية، وليس في مصر في عصره من يعادله في علم القراءات خصوصاً، وله فيه اختيارات، جمعها تلميذه الشيخ أحمد البنا، في «إتحاف البشر»، وكان بعض فضلاء المغاربة بعلم القراءة يفضله على شيخنا سلطان فيها، ويقول: هو أتم تحقيقاً، وأكثر تدقيقاً، إلا أن الشيخ سلطان أشهر منه في الناس، وأما أهل التحقيق، فيميلون إلى المترجم أكثر.

وكان يكتب على جميع ما يقرؤه من الكتب، ولو جمع ما كتبه، لجاوز الحدّ، ولم يحصره عدّ، ولكنه تبدّد بين يدي الطلبة، فمنهم من نسب ما بيده له، ومنهم من مات وذهب ما كتبه بين كتبه، ولم يشتهر من مؤلفاته إلا «حاشيةٌ على المواهب اللدنية» في خمس مجلدات ضخام، و«حاشيته على شرح الشمائل» لابن حجر، و«حاشيته على شرح الورقات الصغير» لابن قاسم العبادي، و«حاشيته على شرح أبي شجاع» لابن قاسم الغزي، و«حاشيته على شرح المنهاج» للرملي.

وسبب كتابته عليه: أنه كان يطالع «شرح المنهاج» لابن حجر أيام قراءته للفقـه، فأتاه الشمس الرملي في المنام، وقال له: يا شيخ علي! أحي كتابي «النهاية» يُحيي الله قلبك، فاشتغل بمطالعتها من ذلك الحين، وكتب عليه هذه الحاشية في سنين، في أربع مجلدات ضخام، وكان إذا أتى إلى الدرس في آخر عمره، يجلس وهو في غاية التعب من الكبر؛ بحيث إنه لا يستطيع النطق إلا بصـوتٍ خفيٍّ، ثم يقـوى في الدرس شيئاً فشيئاً، حتى يصيـر كالشابّ، ويتجلد للبحث، حتى يتعجب الحاضرون من ذلك ـ نفع الله به ـ.

قرأت عليه كثيراً، وحضرت دروسه بالبيبرسية، من الجامـع الأزهر، وبجامع المغاربة، بباب الشعريـة، وبجامع الجاي، وبجامع السلطان حسن في «شرح المنهاج» للمحلي، و«شرح المنهج» لشيخ الإسلام زكريا، وبعض «شرح البهجة الصغير» له، وكثير من «المواهب اللدنية»، و«الشفا» للقاضي عياض، ومن «الجامع الصحيح» للبخاري، وكان آخر درسٍ أقرأه فيه، بجامع أمير كبير، خارج القاهرة: «بابٌ: حبُّ الأنصـار من الإيمان»، ومن «شرح جمع الجوامع» للمحلي، ومن «شرح التصريف» للسعد، ومن «المغني» لابن هشام، ومن «تفسير البيضاوي»، وغير ذلك.

وأجازني بمروياته، بإجازةٍ كتبها لي تلميـذه، ومعيـدُ درسه، صاحبنا الفاضل أحمد الدمنهوري، سنة ثمانين وألف.

وبالجملة: ففضائل شيخنا أشهر من أن تذكر، فلنكتف ببعضها، إذ هو كافٍ في معرفة بعض صفاته.

ولم يزل ـ نفـع الله بـه ـ مكباً على بـث العلم ونشره، حتى توفي إلى

رحمة الله ورضوانه بمصر، ليلة الخميس، ثامن عشر شوال، سنة سبع، ـ بتقديم السين ـ وثمانين بعد الألف، وتولى غسله بيده تلميذُه، صاحبنا العلامة أحمد البنا الدمياطي، فإنه أتاه في المنام، قبل موته بأيامٍ، وأمره أن يتولى غسله، فأتى من دمياط، إلى مصر، وأصبح بها يوم وفاته، وباشر غسله وتكفينه بيده، وأخبرني: أنه لما وضأه، ظهر منه نورٌ ملأ البيت؛ بحيث إنه لم يستطع بَعدُ النظرَ إليه، وصلى عليه يوم الخميس، بين العصرين، إماماً بالناس، شيخُنا شرف الدين ابن شيخ الإسلام زكريا.

وكان له مشهدٌ عظيمٌ، أبهر العقول، وحصل للناس عليه من الجزع ما لم يُعهد لمثله من الفحول، خصوصاً وهو خاتمة علماء المنقول والمعقول، وحُمل نعشه على الرؤوس، وكان على جنازته هيبةٌ وخشوعٌ، وشيعه جميع الناس إلى تربته؛ تبركاً به ـ قدس الله روحه، وأجزل الله في غرف الجنان فتوحه ـ.

وذكر الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»: أنه لما قدم القاهرة، ذهب لزيارته، فوجده في المسجد المسمى بمسجد المغاربة، بإزاء داره يُقرأ عليه هناك كتاب «المواهب اللدنية» للإمام القسطلاني.

قال: وحضر مجلسه أعيان تلامذته، وقد أقرأه قراءةً حسنةً، وقرر تقريرات عجيبة في حديث: «أولُ ما خلق الله نورُ محمد ﷺ» إلى آخر الحديث[1]، وكرر وجه انقسام ذلك النور، وكيفيته، مع أن الحقيقة الواحدة لا تنقسم، وليست الحقيقة المحمدية إلا واحداً من تلك الأقسام، والباقي

---

(١) جاء في الحاشية: «قف على: أولُ ما خلق الله تعالى: النورُ المحمدي».

إن كان منها ـ أيضاً ـ فقد انقسمت، وإن كان غيرها، فما معنى الانقسام؟ وحاصل جوابه: معنى الانقسام: زيادة نور على ذلك النور المحمدي، فيؤخذ ذلك الزائد، ثم يزاد عليه نور آخر، ثم كذلك إلى آخر الانقسام.

قلت: وهذا جوابٌ مقنعٌ بحسب الظاهر، والتحقيق ـ والله أعلم ـ وراء ذلك، وذلك إنما يدركه على الحقيقة من عرف معنى قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾[النور: ٣٥]، ومعنى قوله ﷺ، لما قيل له: هل رأيت ربك؟ فقال: «نورٌ أنى أراه» كما في بعض الروايات ـ بفتح همزة «أنى» ـ وهي كلمة استفهام، أو «نوراني» ـ بياء النسب آخره ـ كما في بعضها.

وتحقيق ذلك على ما ينبغي ليس مما يدرَك ببضاعة العقول، ولا مما تتسلق عليه الأوهام والأفهام، وإنما يدرك بكشف العين، وإشراق حصةٍ من أشعة ذلك النور في قلب العبد، فيدرك نور الله بنوره، فيكون الحق في الحقيقة هو المدرك لنوره بنوره، ونسبة الإدراك حينئذٍ إلى العبد مجاز.

وأقرب تقرير يعطي القرب من فهم معنى الحديث: أن يقال: لما كان النور المحمدي هو أول الأنوار الحادثة، التي تجلَّى بها النور القديم الأزلي، وهو أول التعينات للوجود المطلق الحقاني، وهو مددٌ لكل نورٍ كائن أو يكون.

فلما أشرق النور الأول في حقيقته، فتنورت بحيث صار هو نوراً؛ كما دل عليه قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ في دعاء الأنوار: «واجعلني نوراً» شرّف نوره المحمدي على حقائق الموجودات شيئاً فشيئاً، فهي تستمد منه على قدر تنوّرها، بحسب كثرة الوسائط، وقلتها وعدمها.

وكلما أشرق نوره، وفاض على نوعٍ من الحقائق، ظهر النور في مظهر الانقسام؛ فقد كان النور الحادث أولاً شيئاً واحداً، ثم أشرق في حقيقة أخرى، فاستنارت بنوره تنوراً كاملاً، بحسب ما تقتضيه حقيقتها، فحصل في الوجود الحادث نوران بِفَيضٍ، وفي نفس الأمر ليس هناك إلا نور واحد، أشرق في قابل الاستنارة، فتنور، فتعددت المظاهر، والظاهرُ واحد، ثم كذلك كلما أشرق محل ظهوره بصورة الانقسام.

وقد يشرق نورُ المفاض عليه ـ أيضاً ـ بحسب قوته، على قوابل أمر، فتتنوَّر بنوره، فيحصل انقسام آخر بحسب المظاهر، وكلها راجعةٌ إلى النور الأول الحادث، إما بواسطة، أو بدونها، وهذا غاية ما يمكن أن تصل إليه العبارة، في هذا التقرير.

ومِثْلي في قصور باعه، وعدمِ تضلعه من العلوم الإلهية، إن زاد في التقرير، خُشي على إيمانه، ولولا تأييد الحق ـ جل وعلا ـ، ما كنا لنهتدي على أقل من هذا، و﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ﴾[الأعراف: ٤٣].

وأقربُ مثال يضرب لذلك؛ إذ بالمثال تتضح الأشياء بعضَ الوضوح: نورُ المصباح الذي ليس في البيت الكبير إلا هو، فتصبح منه مصابيح كثيرة، وهو في نفسه باقٍ على ما هو عليه، لم ينقص منه شيء.

وأقربُ من هذا المثال إلى التحقيق، وأبعد عن الأفهام: نور الشمس المشرق في الأهلة والكواكب، على القول بأن الكل مستنير بنوره، وليس لها نور من ذواتها، فقد يقال ـ بحسب النظر الأوّلي ـ: نور الشمس منقسم في

هذه الأجرام، وفي الحقيقة ليس هناك إلا نورها، وهو قائم بها لم ينقص منه شيء، ولم يزايلها منه شيء، ولكنه أشرق في أجرام أخر قبله للاستنارة، فاستنارت.

وأقرب من هذا الفهم: ما يحصل في الأجرام السفلية من إشراق، أشعة نور الشمس على الماء، أو قواريرِ الزجاج، فيستنير ما يقابلها من الجدرات؛ بحيث يلمح فيها نور كنور الشمس، مشرق بإشراقه، ولم ينفصل شيء من نور الشمس على محله، إلى ذلك المحل.

ومن كشف الله حجاب الغفلة عن قلبه، وأشرقت الأنوار المحمدية على قلبه بصدق اتباعه له، صافيةً بصفاء إيمانه بالله ورسوله، من شبه الباطل، أدرك الأمر إدراكاً آخر، لا يحتمل شكّاً ولا وهماً.

نسأل الله تعالى أن ينور بنور العلم الإلهي بصائرنا، ويحجب عن ظلمات الجهل سرائرنا، ويغفر لنا ما اجترأنا عليه من الخوض فيما لسنا له بأهل، بل نحن عن أهله بمعزل، ولم نَطُفْ قَطُّ بساحته، فضلاً عن المنزل.

ونسأله أن لا يؤاخذنا بما تقتضيه العبارة من تقصيرٍ في حق ذلك الجناب، ناشئ عن القصور في مقام العرفان، ونزول منازل الأحباب، ولقد أجاد كلَّ الإجادةِ صاحبُ «منازل السائرين إلى الله» لمّا قرر معنى كون النور المحمدي أصل الموجودات، ولأجله خُلقت، مع مجيئه آخراً.

وضرب لذلك مثلاً قريباً إلى الأفهام، ببذر الشجرة مع الشجرة والثمرة، فجعل النور المحمدي الذي هو الأصل كالبذر، والعالم كله شجرة، واللطيفة المودعة في ذلك البذر ساريةٌ في جميع أجزاء الشجرة، من أوراقٍ وغصونٍ وأزهارٍ، فبه قامت، ولولاه ما وجدت، ثم الحقيقة المحمدية الموجودة

بصورتها آخراً بمنزلة الثمرة، هي عين اللطيفة البذرية السارية في عوالم الشجرة، إلى أن ظهرت آخراً على أكمل وجه مع عوارضها المشخصة، فهي ثمرة الوجود بأسره، ولولاها، ما غرست الشجرة، ولأجلها كان غراسها، وهي أصلها وبذرها.

وهو مثالٌ حسنٌ قريبٌ من الفهم، وقد جعل صاحبُ الكتاب المذكور هذا المثال أصلاً بنى عليه فصول كتابه كلها، وهو حسنٌ جداً، ومفيدٌ في بابه، إلا أن فهمه يعسر على غير أهله.

وقد أطلت الكلام في هذه المسألة؛ لكونها من غرر الفوائد، لم نَرَ مَن وفَّاها حقها، فنسأل الله أن يتجاوز عن قصورنا وتقصيرنا، ويجعل إلى جنة رضوانه على أكمل حال غاية مصيرنا، وكلام شيخنا الشبراملسي في هذه المسألة هو الذي فتح لنا الباب في هذه المسألة، وببركته فتح لنا ما فتح من فهم هذه المسألة. انتهى كلامه ـ رحمه الله ـ.

[١٤٤١] علي بن محمد بن عبد الرحمن بن محمد الإمام الحافظ محدث اليمن وجيه الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد بن عمر بن علي الدَّيْبَع بن يوسف بن أحمد بن عمر بن عبد الرحمن بن علي بن عمر بن يحيى ابن مالك بن حرام بن عمرو بن مالك بن مطرق بن شريك بن عمرو بن قيس ابن شراحيل بن همام بن مرة بن ذهل بن شيبان بن ثعلبة بن عكابة بن صغير ابن علي بن بكر بن وائل بن قاسط بن هيت بن أفصى بن دهمى بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان، الشيباني الزبيدي، الشافعي[١].

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٩٢).

كذا نقلت نسبه من مؤلفٍ لجده عبدِ الرحمن الديبع، عمله فيه، ونقل عن مؤرخ اليمن أبي الحسن الخزرجي: أن سبب نسبتهم إلى الديبع: هو أن والد علي يوسفَ بنَ أحمد بن عمر كان له ثلاثة أولاد، هم: علي، وعبدالله، وأحمد، خرجوا ذات يوم يلعبون مع الصبيان، ولوالدهم عبدٌ نوبيٌّ، يقال له: جوهر، فقال له سيده المذكور: ادع لي سيدك علي، فقال: ديبع، ديبع؟ على سبيل الاستفهام، فقال: نعم، فخرج يناديه: ديبع، ديبع، فسمعه الصبيان، فنادوه به، فلزمه هذا اللقب، ولزم ذريته من بعده، فلا يُعرفون إلا به، ومعناه: الأبيض بلغة النوبة.

قال السخاوي في «الضوء اللامع»: الدَّيْبَع ـ بمهملةٍ مفتوحةٍ، بعدها تحتانية، ثم موحدة مفتوحة، وآخره مهملة ـ وهو لقب جده الأعلى عليٍّ بن يوسف، ومعناه بلغة النوبة: الأبيض.

إمام المحدثين والقراء، وقدوة أهل التدريس والإقراء، وواحد زَبيد في عصره، ومقرئ قطره، العالم الفاضل الكامل.

وُلد بزبيد في حدود سنة ألف، وبها نشأ، وأخذ الفقه عن بقية الذين طويت أخبارهم، وانقرضت آثارهم، منهم: الفقيه محمد بن الصديق الخاص الزبيدي، والفقيه الصالح العلامة عمادُ الدين يحيى بن محمد الحرازمي، وقرأ بالروايات على عفيف الدين عبدالله بن عبد الباقي العدني العقامي الزبيدي.

وذكره ـ أيضاً ـ الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»، فقال: لما قدم المدينة، انثال الناس عليه لقراءة القرآن، وكان محققاً للقراءات السبع، مجيداً لها، حسن التلاوة، ما سمعت أذني في أقطار الأرض كلها ـ على كثرة

من سمعت ـ أحسن منه تلاوةً للقرآن، وأطيب منه نغمةً به، وأجود منه ترتيلاً له.

يعطي الحروف حقها في مخارجها، من غير إفراطٍ ولا تفريط، في تأدبٍ وسكونٍ ووقارٍ، بقراءة مرتبةٍ متناسبةٍ، لا يرجِّع فيها ترجيعَ أهل الألحان، ولا يسرع إسراع الهذرمة، ولا يمدّ في غير محل المدّ، ولا يتركه في محله، محافظاً على مراتبه من توسطٍ وإشباعٍ وقصرٍ، مجيدَ النطق بالإمالة، وتسهيل الهمز وتليينه، مراعياً لصفات الحروف من تفخيمٍ وتغليظٍ، وترقيقٍ وتخفيفٍ، وتشديدٍ وغنّةٍ، وإظهارٍ وإخفاءٍ، إذا سمعته يقرأ، رأيت أنه يخشى الله.

وكان أيام إقامته بالمدينة كثيراً ما يقوم بالإمامة؛ لحسن صوته، وعذوبة قراءته، ويتزاحم الناس على القرب منه؛ لسماع قراءته، وكان ممن بدأ بالقراءة عليه بالمدينة: شيخنا الملا إبراهيم، وشيخنا بدر الدين الهندي، وغيرهما، وابتدأت القراءة عليه صبيحة يوم الاثنين، رابع صفر، عام ثلاثة وسبعين وألف، بالمسجد النبوي، أمام الوجه الشريف، بعد صلاة الحنفي، على يسار المحراب العثماني.

وقرأ ﴿ءأنذرتهم﴾[البقرة: ٦] بالتسهيل، بين بين، وكان حسنَ النطق به، وقال: لا نعرف فيه محض الهاء، فأخبرته أن شيخنا أستاذ الجماعة بفاس أبو[1] زيد ابن القاضي قد نقل في «مفرداته» عن أبي عمرو الداني، جوازَ إبدالها هاء محضةً، فسألني أن أطلعه على ذلك، فأطلعته عليه، فسُرّ به، ونص ما ذكره شيخنا ابن القاضي في «مفرداته المكية»: جرى الأخذ عندنا بفاس والمغرب،

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أبا.

في المسهل بها خالصةً مطلقاً، وبه قال الداني، ومنعه أبو شامة، والجعبري، ونقل ابن حراده في المفتوحة دون المضمومة والمكسورة. انتهى.

وقد اشتد سرور شيخنا الملا إبراهيم بالاطلاع على هذا النص، لكونه ﷺ غلبت العجمة على لسانه، فيعسر عليه النطق بالهمز المسهل، بل كان لا يطيقه، فقال: الحمد لله الذي جعل في الأمر سعة، ولم يكلفنا فوق طاقتنا، فنحن نقنع بقول إمامٍ من الأئمة، خصوصاً هذا الإمام المتفق على جلالته، أبا عمرو الداني ﷺ.

ومما نبهني عليه شيخنا أبو الحسن، حال القراءة، وكنت أغفل عنه كثيراً: ما قال لي: ويحذر القارئ من قراءة ﴿غِشَٰوَةٌ﴾[البقرة: ٧]، ونحوها بالهاء، على نية الوقف، ثم يصل، ولا بد من وقف بيّن يعلم به أن القارئ فصل بين ما وقف عليه، وما ابتدأ به، وإلا، صار كمن قرأ بالهاء الوصل، وهو مخطئ.

ومما نبهني عليه: تفخيم الخاء في ﴿يُخَٰدِعُونَ﴾[البقرة: ٩]، وما أشبهه، قال: وتتبعها الألف في التفخيم؛ لأن الخاء حرف استعلاء، وكذلك أيضاً تفخيم القاف في نحو: قال، وقام، وكذلك المحافظة على إظهار اللام، في نحو: قلنا، وجعلنا.

قال ابن الجزري في «مقدمته»: واحرص على الإظهار في جعلنا؛ لأن اللام إن لم تظهر، أسرع لها الفتح، وكان لا يسامح القارئ عليه[1] ترك الغنة في محلها، من نونٍ وميمٍ مشددةٍ، أو ميمٍ أضيفت قبل باءٍ أو نونٍ، قبلت قبل

---

(١) كذا في الأصل، ولعل الصواب: على.

باء، أو نونٍ أو تنوينٍ أدغما في باءٍ وواوٍ وميمٍ ونونٍ، ويحذر من إخفاء الميم الساكنة، لدى واو أو باء؛ لأنها يسرع إليها الإخفاء، إن لم ينبه لها؛ نحو: ﴿هُمْ فِيهَا﴾[البقرة: ٣٩] ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾[المدثر: ٢] ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾[الأنبياء: ٩٨]، وأنشدني في حروف الإخفاء، وقال: ويجمعها أوائل هذا البيت:

صف ذا ثنا جود شخص قد سما كرما	ضع ظالماً زد تقى دم طالبا فترى

وأنشدني - أيضاً - في المواضع التي ورد أن النبي ﷺ وقف عليها، وأملى عليّ من حفظه، ولم ينسبها:

أيا سائلي عما أتتنا به الأُلى	عن المصطفى في وقفه متأمِّلا
ففي البكر جاء الخيرات والتاء قل بها	أتى بعد يعلمه على الله مسجلا
وعمران إلى الله أولها أتى	عقود بها الخيرات قد جاء مرسلا
وأيضاً بها من أجل ذلك جاءنا	وآخرها قد جا بنحو مرتلا
وأن أنذر الناس الذي ما يومها	وقد بعده فيها لحق ينزلا
إلى الله جا في يوسفٍ وبتلوها	أتانا على الأمثال كي تتمللا
خلفها بنحل بعد الانعام لفظة	وبعد تترى بأقمار أنزلا
وغافر فيها لفظةُ النار بعدَها	حكايةُ حملِ العرش في قصةِ الملا
وقل محشر في النازعاتِ وبعدَه	على ألف شهر جاء في القرء أولا
ومن كلِّ أمرٍ جا بها وانصرهم	على لفظ واستغفرْهُ تَمَّتْ فحمدلا

ولازم عصريَّه العلامةَ إسحاق بن جعمان، وأجازه كثيرٌ من شيوخه، وقدم مكة مراتٍ، وأخذ بها عمن بها من شيوخ عصره، وجاور بالمدينة كثيراً،

ولازم بها الأستاذ الكامل أحمد القشاشي، وأخذ عنه الطريق، واختص به، وعنه أخذ شيخنا الأستاذ إبراهيم بن حسن الكوراني، قرأ عليه طرفاً من «البخاري» عام سبعة وستين بعد الألف، في الروضة الشريفة، والسيد العلامة محمد بن عبد الرسول البرزنجي، والشيخ الحسن بن علي العجيمي المكي، وعبد العال العياشي المغربي.

وكانت **وفاته** بزبيد، في سنة ست وسبعين بعد الألف، ودفن بتربة جده عبد الرحمن الديبع المذكور، بقرب تربة العارف بالله سيدي إسماعيل الجبرتي ـ نفع الله به ـ، وزرته ـ ولله الحمد ـ مرات.

[١٤٤٢] علي الأوجلي المغربي المالكي(١).

أحد أبناء ملوك أوجلة وكبرائها، وسراة أعيانها ورؤسائها، تغلب عليه أخوه، فخرج هارباً إلى المشرق فَرَقاً منه، وطاف البلاد حتى قدم الشهباء، عام أربعين بعد الألف، واجتمع به أكابر علمائها، ومدحهم ومدحوه بالأشعار الحسنة الفائقة.

فمن شعره: ما امتدح به شيخ حلب أبا الوفاء العرضي بقصيدةٍ منها:

تراءتْ لعينِي وهْي بالشَّعْرِ تُحْجَبُ	فخِلْتُ شُعاعَ الشمسِ يعلوه كوكبُ
مَهاةٌ رعَتْ حَبَّ القلوبِ فما لها	تَرُوعُ نِفاراً وهْي للإنْسِ تُنْسَبُ
وكلَّمتِ الأحْشَا بمُوسَى لِحاظِها	فأصبحتُ منها خائفاً أترقَّبُ
وعذَّب قلبي دلُّها بنعِيمِها	ولم أدرِ أنِّي بالنعيم أُعَذَّبُ
وأبدلْتُ دمعَ العينِ في الخدِّ جوهراً	ألم تَرَهُ بالهُدْبِ قد صار يُثْقَبُ

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٥/ ٦) (٣٦٩).

وبي ساحرُ الأجفانِ أمَّا قَوامُه   فلَدْنٌ وأما ثَغرُه فهو كوكبُ

أعِدْ نَظَراً في خدِّه وعِذارِه   ترى عَسْجداً باللازَوَرْدِ يُكَتَّبُ

فَوَجْنتُه والثغرُ نارٌ وكوكبٌ   وطَلْعَتُه والشَّعْر صبحٌ وغَيْهَبُ

وقامَتُهُ والرِّدْفُ دِعْصٌ وبانَةٌ   ومقلتُه والصدغُ سيفٌ وعقربُ

حماه اللَّمى فاعتضْتُ منه مُدامةً   وخمرُ اللمى عندي ألذُّ وأطيبُ

وأذهبَ عقلي منه ثغرٌ مفضَّضٌ   فللهِ عقلٌ بالمفضَّضِ مذهَبُ

وأقسمُ لولا شاقني خمرُ ريقِهِ   لما راقني ثغرٌ من الكأس أشنبُ

أتى زائراً والأُفْق بالليل أسودٌ   وولَّى وفَرْقُ الأفقِ بالصبحِ أشيبُ

لدى روضةٍ لولا فصاحةُ وُرْقها   لقلنا مراعٍ والحمائمُ ربربُ

إذا أحدقَتْ أحداقُ نرجسها ترى   دنانيرَ في وسطِ الدراهمِ تُضْرَبُ

كأنَّ بها الأنهارَ رقشُ أراقم   إذا ما جرت فيها تخوضُ وتلعبُ

تهدِّدُها أغصانُها برؤوسها   فتنظر من طرفٍ خفيٍّ وترهَبُ

كأنَّ بها النِّسْرينَ أقداحُ فِضّةٍ   بِتبْرِ الحُميَّا للمُحَيَّا تُذَهَّبُ

كأنَّ بها سَيْبَ المياهِ مَسائلٌ   يُقرِّرُها العُرْضِيُّ والناسُ تكتُبُ

منها:

إمامٌ وأعْنِيه المُسمَّى أبا الوفا   على أنه في العلمِ بحرٌ مُشَعَّبُ

وحرَّكْتَ من إسمِ المكارمِ ساكناً   لأنك بالأفْعالِ بالفَضْلِ تَنْصِبُ

سَجِيَّةُ آباءٍ كرامٍ وَرِثْتَها   وفِقْهٌ به للشافعيَّةِ مَذْهَبُ

ونَحْـــوٌ بـــه للفارِســـيِّ تَرَجُّـــلٌ   ونُطْـــقٌ بـــه للمَنطقـــيِّ تـــأدُّبُ

وقوله يمدح السيد أحمد بن النقيب الحلبي:

قُمْ زَوِّجِ ابنَ غَمـامٍ بنـتَ زَرْجُـونِ   واجْعَلْ شُهودَكَ من وَرْدٍ ونِـسْرِينِ

فخاطِبُ الطيـرِ نـادَى فـي مَنـابرهِ   حَيَّ على الرَّاحِ ما بـينَ الرَّيـاحينِ

والرِّيحُ جَرَّتْ على الأغصانِ إذ نصبتْ   ذَيْلاً فـأعْرَب عـن مَـدٍّ وعـن لِـينِ

والرَّوضُ زَفَّ عروسَ الزَّهْرِ في حُلَلٍ   قـد أُبْـرِزتْ بـين تَـدْبيجٍ وتلْـوينِ

والطَّلُّ يكتُب في طِرْسِ الرِّياضِ فهل   أبْصَرْتَ خَطّاً بلا حَدْس وتخْمـينِ

فاستجلِ بِكْـرَ مُـدامٍ زانَهـا حَبَـبٌ   كَلُؤْلُـؤٍ مـن نَفِـيسِ الـدُّرِّ مكْنُـونِ

معْ غـادةٍ لـو بَـدَا كـافورُ مَبْسَمِها   للشمسِ لاحْتجبتْ في عَنْبرِ الْجُونِ

قد رَقَّ ماءُ الْحَيا فـي نـارِ وَجْنتِهـا   كـالوَرْدِ رُشَّ عليـه مـاءُ تِـشْرينِ(١)

تظلَّمـتْ مُقلتاهـا وهْـي ظالمـةٌ   فطَرْفُهـا فـاتِنٌ فـي شـكلِ مَفْتـونِ

بِي غادةٌ قَـدُّها كـالزَّهْرِ فـي تَـرَفٍ   والبدرِ في شَرَفٍ والغُصْنِ في لينِ

سَنَّتْ لِحاظاً رأتْ قَتْلـي فَرِيـضَتَها   فمِـتُّ منهـا بمفْـروضٍ ومَـسْنونِ

أرجو لِقاها وأخْـشى صَـدَّها أبـداً   فلـم أزَلْ بـين مـسرورٍ ومَحـزُونِ

يـا نَـسمْةً علَّلَـتْ قلبـي بـصحَّتِها   إذ حدّثتْ عن صَبَا جِيرانِ جَيْـرونِ

ومنها في المديح:

---

(١) في الأصل: نسرين، والصواب ما أثبت.

شهابُ أُفقِ سماءِ السُّحبِ تحسَبُه[1] شُـهْباً تُكَـفُّ بـه أيـدِي الـشياطينِ

كأنَّ أهلَ النُّهـى لفـظٌ وأنـت لهـم معنًـى تـدلُّ علـى إيـضاحِ تَبيـينِ

وكان كثيراً ما يلهج بذكر أوجلة، منتجع شبابه، ومرتبع أحبابه، فأنشد مرةً بيتان للقرطبي، فأعجباه، فخمَّسهما بقوله:

بشَمْعَةِ كافورٍ من الجيدِ قد أضَـتْ لَيالٍ بريعانِ الـشَّبابِ قـد انقـضَتْ

فلو قيل ما يُبْكِيك قلتُ كما قَضَتْ لَيـالٍ وأيّـامٌ تقـضَّتْ وقـد مـضَتْ

فـسالتْ لنـا مـن ذِكـرِهنّ دمـوعُ

رعَـى اللهُ عَيْـشاً قـد قطَعْنـاه غِـرَّةً بدارٍ يُناغي طَيْرهـا القلـبَ سُـحْرَةً

أَدِرْ خمـرةً وانْـشِدْ لتُطْفِـئَ جَمـرة ألا هل لنـا عَـوْدٌ مـن الـدهرِ مَـرَّةً

وهل لي إلـى وَصْـلِ الـديارِ رُجـوعُ

[١٤٤٣] علي بن محمد بن علي بن خليل بن محمد بن محمد بن إبراهيم بن موسى بن غانم بن علي بن حسن بن إبراهيم بن عبد العزيز بن سعيد بن سعد بن عُبادة ـ بضم العين، وفتح الباء الموحدة المخففة، وبعد الألف دال مهملة ـ الأنصاري الخزرجي السعدي العبادي، المقدسي الأصل، القاهري المولد[2].

---

(١) في الأصل: تصحبه، والصواب ما أثبت.

(٢) «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ٥٢) (٩٠)، «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٦١) (٢٢٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٨٠)، «البدر الطالع» (١/ ٤٩١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٩).

الإمام العلامة الرحلة، بقية السلف، وقدوة الخلف.

وُلد بالقاهرة، في سادس ذي القعدة، سنة عشرين وتسع مئة، حفظ القرآن العزيز، وتلا بالسبع على الشيخ الفقيه، الورع الزاهد، شهابِ الدين أحمد ابن الفقيه علي بن حسن المقدسي الحنبلي، والشيخ المسند شمس الدين محمد بن شرف الدين محمد السكندري.

وروى عن الشيخ العلامة القدوة، أبي عبدالله محمد ابن الشيخ أبي العباس أحمد الكومي، الشهير بمغوش، المغربي التونسي «صحيح مسلم» قراءةً لبعضه، وإجازةً لباقيه، وقرأ عليه كثيراً من «شرح المختصر الأصلي» لابن الحاجب، وبعض القرآن بالقراءات العشر، وتلا العشر على الشيخ العلامة قاضي القضاة، محبِّ الدين أبي الجود محمدِ إبراهيم السمديسي[1] الحنفي، والشيخ العلامة ناصر الطبلاوي الشافعي.

وسمع الحديث المسلسل بالأولية من لفظ الشمس بن الشرف السكندري، وقرأ جميع «صحيح البخاري»، وجميع «صحيح مسلم» على قاضي القضاة شهاب الدين أحمد بن عبد العزيز الفتوحي، الشهير بابن النجار، ورواه أيضاً عن المحقق ناصر الدين اللقاني المالكي ـ كما رأيته في إجازةٍ كتبها لأبي المعالي درويش محمد الطالوي الدمشقي ـ.

وسمع من جماعةٍ كثيرةٍ سوى من ذكر، منهم: الشهاب أحمد ابن الفقيه علي المقدسي، روى عنه «صحيح البخاري»، وأبو الحسن محمد بن عبد الرحمن البكري، والمحقق شهاب الدين أحمد بن يونس الحنفي، الشهير

---

(١) في الأصل: السديسي.

بابن الحلبي، وخطيب الأقصى محمدُ بن أبي اللطف.

وأخذ الفقه عن جماعةٍ كثيـرةٍ، منهم: الشهاب ابن الحلبي، والغَزِّيان: شمس الدين محمـد، وشهاب الدين أحمـد، وبرهان الدين بن مارت، وزكي الدين أبو الفيض، وقاضـي القضـاة نور الدين علي بن ياسـين الطرابلسـي، وغيرهم.

وسمع من «شرح العقائد» للتفتازاني على الشيخ ناصر الدين الطبلاوي، والسـيد الشريف أمير عالم البخاري شارح «العوائد الغياثية»، بقراءة المولى سياه محمد، وقرأ الكثيـر من «شرح الطوالع» للأصبهاني، مع «حاشية السيد» على السيد البخاري، وسمع منه على السيد الشريف قاضي العساكر محمد بن عبد القادر الكحـال، الشهيـر بمعلول أمير، وسمع عليه بقراءة ولده من «شرح المطالع» للقطب، مع «حاشـية السـيد»، ومن «شـرح التجريد» مع حواشيه للجلال الدواني.

وأخذ عن قاضي القضاة العلامة عبدالله بن عبد العزيز الشهير ببرويز، وكلاهما يروي عن العلامة أحمد بن سليمان، الشهير بابن كمال باشا، وعن العلامة الشهير سعد الله حلبي، وقرأ ـ أيضاً ـ من «شرح مختصر ابن الحاجب الأصلي» للعضد على الشيخ ناصر الدين اللقاني، وسمع من لفظه بعضاً من «المطول» للتفتازاني، وقرأ في النحو والتصريف، والمنطق والكلام، والمعاني والبيان، وغيرها من العلوم.

وأخذ جملةً من العلوم الشرعية والعقلية عن السيد المحقق قطب الدين عيسى بن صفي الدين الشيرازي ثم المكي، الشهير بالصفوي، وشاركه في

الأخذ عن شيخه السيدِ أبي الفضل الاسترابادي، تلميذُ شيخ الإسلام أحمدُ ابن يحيى الهروي، حفيدُ السعد التفتازاني، سمع عليه «التلويح في الأصول» للملا سعد الدين التفتازاني ـ رحمهم الله تعالى ـ.

وقلّ أن يوجد علمٌ إلا وله فيه مهارة، ومن جملة معلوماته: حل المترجم، وله فيه يدٌ طولى، وأذن له في الإقراء الشمسُ السكندري، والمحب السمديسي، وأبو النجا النحاس، وأذن له ابن الحلبي بالإفادة، والشمس الغزي، وأبو الفيض، والطرابلسي، بالإفتاء.

ولم يزل يفيد ويستفيد، حتى صار مفرد أهل زمانه علماً وعملاً، ومرجعَ الناس في الفتوى، وعليه المعول فيها، وقد ولي المناصب الجليلة؛ كإمامة المشرفية ومشيختها، ومشيخة مدرسة الوزير سليمان باشا، ومشيخة الإقراء بمدرسة السلطان حسن، وتدريس الصرغتمشية، وغير ذلك، وحج مرتين، ورحل إلى القدس ثلاث مراتٍ، ومدحه فضلاء عصره، وشعراء دهره، بقصائد لا تعد ولا تحصر.

وكتب إليه شيخ الإسلام البدر القرافي المالكي، وقد أرسل له رجلاً يطلب منه كتاباً عاريةً، فوعد الرجلَ، فلم يحضر، وذلك عند ورود العتب منه عليه، فقال:

يا فاضلَ الدهرِ ويا عمدةً ... وقابلَ العذرِ بفضلٍ شَهيرْ
لا توجدِ العتبَ على مخلصٍ ... أنت بصدقِ الودِّ نعمَ الخبيرْ
أبدى حقيقَ القولِ يا سيدي ... وقد تَساوى ظاهرٌ بالضميرْ
قد أهملَ القاصدَ في وعدِه ... وليس ما يُرجى بأمرٍ خطيرْ

فــإن نقــلْ هبــه غــدا تاركــاً هــلالاً وفــي إشــراقِ بــدرٍ منيــرْ
لــك انتظــارُ الوعــد لــي حجــةٌ مــع اشــتغالي بمهــمٍّ كبيــرْ
فــإن تــسامِحْ أو تــشاحِحْ فلــي فــي حــبِّ مولانــا غــرامٌ كبيــرْ
فــالله يُبقيــك لنفــع الــورى بحرمــةِ المــولى البــشيرِ النــذيرْ

فأجابه صاحب الترجمة على طريق الإيراد لما أشار إليه بقوله:

يــا مَــنْ لــه بــين الــورى منــزلٌ عــالٍ وفــضلٌ مــستفيضٌ غزيــرْ
مــا كــان ظنــي أن أشــغالكم تــصدُّكم عــن حالــةٍ للفقيــرْ
لكــن زمــاني ســاءَ حتــى بكــم فــالحكمُ لله العلــيِّ الكبيــرْ
وبعــدُ فــلا عتــبَ ســوى للــذي يقــولُ ســاوى ظــاهرٌ بالــضميرْ
والعتــبُ يبقــي الــودَّ بــين الــورى كمــا علمــتُمْ وهــو قــولٌ شــهيرْ
والقاصــدُ الواحــدَ إن أخلــف الْـــ ـــوعدَ فقــصَّادي حــجٌّ كثيــرْ
ففــي انتظــارِ الوعــدِ لا حجــةٌ بــل شُــبهةٌ واهيــةٌ للخبيــرْ
لكننــي ســامحتْ عمَّــا مــضى نرجــو ســماحًا مــن عفــوٍّ قــديرْ
ونرتجــي إنجــازَ موعــودِكم لــذلك العبــدِ الفقيــرِ الحقيــرْ
قــد طــالَ بالــسجنِ مقــامٌ لــه رقَّ لحــالي فيــه جَــمٌّ غفيــرْ
حتــى النــصارى واليهــودُ التــي مــن بُغْضها مــع مكرِهــا نــستجيرْ
وأنــت ذو طــودِ حِجًــى فــاقَ فــي أوصــافِه رَضْــوى وعَــدَّى ثَبيــرْ
فكــمْ بتــدبيرِكَ خَلَّــصْتَ مِــنْ ســجنٍ وَسَــهَّلْتَ لأمــرٍ عــسيرْ
وكــم نــصرتَ الــشرعَ فــي معــشرٍ أرغمْــتَ فيــه كــلَّ شَــهْمٍ كبيــرْ

أبقــاكَ ربــي لانتفــاعِ الــورى بحرمـةِ الهـادي الـسراجِ المنيـرْ

فأجابه البدر القرافي بقوله:

أُبــدي لمولانــا الأميــرِ الــشهيرْ دام لـــه فـــضلٌ علـــيَّ كبيـــرْ

لــيس اشــتغالي وحــدَه موقعــاً لتـــركِ إيفـــاءٍ لـــذاكَ اليـــسيرْ

بــل بانــضمامٍ لجفــا قاصــدٍ لــم يــأتِ للقــصد بعــزمٍ غزيــرْ

ومــن تــساوى قــصدُه ظــاهراً فهو إلى الإخـلاص نعـمَ الظهيـرْ

لا أُنكــــر العتــــبَ ولا ودَّهُ لكــنْ بــه إيهــامُ شــغلِ الــضميرْ

لأجلــهِ احتجنــا إلــى دفعِــه مــع دفــعِ إيهــامٍ لحبــرٍ خبيــرْ

وفــي انتظــارِ الوعــدِ مــن حجــةٍ حــضرةِ إســماعيلَ وهــو الــشهيرْ

وبعــد يــومين تــرى ســرعةً إنقـــاذَ مـــسجونٍ بوجـــهٍ يـــسيرْ

هــذا جــوابي صُــغته مــسرعاً وسُـــقته يـــسعى لمجـــدٍ خطيـــرْ

فــإن تــرى عيبــاً فجــدْ بالرضــا والـسترِ للـداعي المحـبِّ الفقيـرْ

أبقــاكَ ربــي فــي عُــلاً دائمــاً بحرمــةِ المــولى البــشيرِ النــذيرْ

عليــه صــلاةُ الله ثــم الرضــا مــن آلِـه والـصحبِ خيـرِ العـشيرْ

وكانت **وفاته** في سابع عشر جمادى الآخرة، سنة أربع بعد الألف، وبين وفاته ووفاة الشمس الرملي أربعة وثلاثون يوماً ـ رحمه الله ـ.

[١٤٤٤] علي بن أحمد بن خضر الحمصاني، المشهور بحشيش[1].

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤١٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٣٤).

أحد أكابر الأولياء، أصلُه من هلبا سويد، من ناحية الحاجر، من أعمال بلبيس، نشأ على طريق المطاوعة، وأخذ بالريف وغيره عن جمعٍ من المشايخ، منهم: والده، والشيخ أبو بكر بن قعود، ومحمد بن الحصين، والكاشف غنيم، والحماقي، ونجاح، ومرجان، وعليم المدفون بالحسينية، وعلي الجمل، والشيخ سليمان الخضري، والكلشني، والشعراني، واجتمع بسيدي علي الخواص، والفتى، وعمر السلموني، والخضيري، والبحيري، وغيرهم.

ثم وصل مصر، فصار يبيع الحمص المجوهر، يدور به الأسواق، ثم جلس يبيعه بالقرب من سوق تحت الربع.

وله أحوالٌ باهرةٌ، وكراماتٌ ظاهرةٌ، لكنه مستورٌ عن أكثر الناس، لا يعرفون إلا أنه رجلٌ مباركٌ.

ومن كراماته: أنه إذا زار أحداً من الأولياء، ظهرت له روحانيته، فيخاطبه، وقع له ذلك مع الشافعي وغيره، وأنه مشى في الهواء، وعلى الماء.

وذكر: أنه رأى جبل قاف، أرضاً تتحرك بنفسها، وأنها تسمى: الرجراج، ليس بها ساكن، وأنه اطلع على بحر الظلمات، وبه بلدٌ لا يبصر أهلها إلا في الظلمة، وأنه رأى إرم ذات العماد، واجتمع بأصحاب الكهف، قال: ولا بد لسالك الطريق من رؤيتهم، ورأى روح الله عيسى ـ عليه السلام ـ.

واجتمع بالخضر ـ عليه السلام ـ، فوجده يظهر في صورٍ مختلفةٍ، وبالقطب، فوجده يلبس كل يوم لباساً لونه غير لون الآخر ـ نسأل الله لنا وله حسن الخاتمة ـ. انتهى. ذكره الشيخ عبد الرؤوف المناوي في «طبقات الصوفية».

قلت: ووفاته بمصر، سنة عشر بعد الألف، ودفن بسويقة السباعين.

[١٤٤٥] علي بن عبدالله بن المهلا اليمني.

قال القاضي حسين المهلا ـ فيما كتبه إليّ في ترجمته ـ: إنه العالم المبرز في جميع العلوم، والفاضل الذي يُهتدى بـه في أرض المكارم كما يهتدى بالنجوم، والبليغ الذي بذّ ببلاغته أهل زمانه، وجاء من المعاني بما لا يوجد في أقوال الكملة من أرباب أوانه، مع كرمٍ وشرفٍ، وفضلٍ ومروءةٍ.

مسكنُه مدينة شبام، من أعمال كوكبان، وسبب استيطانه إياهـا: أن والده أقام بالأهجـر من أعمـال كوكبان، في ذلك الزمـان، وقصده الطلبة وعلماء الأرض من كل مكان، وأحيا فيـه علوماً أيام الأمير الكبير العظيم الشان، عبدِ الرب بن شمس الدين ابن الإمام شرف الدين، انتفع به القاصي والدان، ولم يزل صـاحبُ الترجمة منهمكاً على إفـادة العلوم، حتى توفي إلى رحمة الله القيوم، في أيام الإمام محمد بن المؤيد بن القاسم.

ومن شعره: النونية السائرة، التي مدح بها الحسن بن القاسم، وأولها:

هـامَ وجـداً بـساكني نُعمـانِ ... حـسبُه مـن أحبـةٍ ومكـانِ

جيـرةٌ خيّمـوا فخـيَّمَ قلبـي ... واسـتقلُّوا فهـام فـي الأظعـانِ

أَلِفَـتْهم روحـي فهانَـتْ لـديهم ... قلَّمـا يـسلم الهـوى مـن هـوانِ

علـقَ القلـبُ مـنهم بـدرَ تَـمٍّ ... سـاحرَ اللفـظ فـاترَ الأجفـانِ

وافـرَ الـرِّدْفِ كامـلَ الطلعـةِ ... مُـرَّ الـصدودِ حلـوَ اللـسان

وهي طويلةٌ.

ومن أخرى له:

لا تحسبوه عن هواكم سلا ... كلا ولا فارقكم عن قِلى

ولا ثنت وهنانةٌ قلبَهُ ... هضيمةُ الكشحِ صموتُ الحُلى

تفضحُ بالقدِّ غصونَ النقا ... ليناً وتحكي الشادنَ الأكحَلا

نشوانةٌ ما شربت قَرْقَفاً ... سحّارة ما عرفَتْ بابِلا

آهلةُ الدارِ بأترابها ... ما عفت الريحُ لها منزلا

وهي طويلةٌ رائقةٌ.

[١٤٤٦] علي بن محمد سلطان الهروي القاري المكي الحنفي[1].

علامة الزمان، وواحد العصر والأوان، والمفرد الجامع لأنواع العلوم العقلية والنقلية، والمتضلع من علوم القرآن، والسنة النبوية، وعالم بلد الله الحرام، والمشاعر العظام، وأحد جماهير الأعلام، ومشاهير أولي التحقيق والأفهام.

قرأ العلوم ببلاده، ثم رحل إلى مكة وتديَّرها، ومن شيوخه بها: الأستاذ أبو الحسن البكري، والسيد زكريا الحسيني، وشيخ الإسلام الشهاب أحمد ابن حجر الهيتمي، والشيخ أحمد المصري تلميذِ شيخ الإسلام زكريا، والشيخ

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٧٨) (٢٢٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٨٥)، «هدية العارفين» (١/ ٧٥١)، «لفت النظر» للجيلاني (٦٤٢)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١١٠)، «البدر الطالع» (١/ ٤٤٥)، «الأعلام» للزركلي (٥/ ١٢).

عبدالله السندي، والعلامة قطب الدين المكي، وغيرهم.

واشتهر ذكره، وطار صيته، لكنه ـ مع جلالته ـ، كثير الاعتراض على العلماء، مولعاً بتنقيصهم، حتى الأئمة المجتهدين، فيما يكتبه من الخرافات، بما لا يجوز لمسلمٍ أنم يتكلم به على أحدٍ من آحاد المسلمين، فضلاً عن علمائهم.

ووقعت له في ذلك وقائع، تضيق الأوراق عن إيداعها إياها، وما علم أن لحوم العلماء مسمومة، وعادة الله في منتقصيهم معلومة، وقال الله تعالى في الحديث القدسي: «من عادى لي وليّاً فقد آذنته بالحرب».

قال العلماء رضي الله عنهم: إذا لم يكن العلماء أولياء الله، فليس لله ولي.

وما أحسن ما قيل:

ولا تكتبْ بكفِّكَ غيرَ شيء يسرُّك في القيامةِ أن تراهُ

ذكره الإمام عبد القادر الطبري.

قلت: وكان شديد التعصب على الشافعية، وإذا لاح له أدنى اعتراض على شافعيٍّ، لا يبقي في حقه ولا يذر، وقد وقفت على «شرحه على المشكاة»، فرأيته يعترض على شيخه العلامة ابن حجر بأشياء لا يخفى فسادُها على جاهل، فضلاً عن فاضل، لكنه بدهزها[1] على الناس بخزعبلاته، فيظن من لا فهم له أنها من تحقيقاته، وأما من فهم، أو ألقى السمع وهو شهيد، فيعلم أنها من تهوراته، وإني لما وقفت على تكلمه في الشافعية بما لا يليق بهم، لم

---

(١) كذا في الأصل.

أزل أتعجب من عدم وقوع نقمةٍ به أو بليةٍ.

قال الإمام تاج الدين بن السبكي في «طبقاته» ـ فيما نقله عنه شيخ شيوخنا نور الدين علي الحلبي في «سيرته» ـ: إنهم ذكروا أن من خواص الشافعي ﷺ، من بين الأئمة: أن من تعرض له، أو لمذهبه، أو لأحدٍ من أهل مذهبه بسوءٍ أو نقصٍ، هلك قريباً، وأخذوا ذلك من قوله ﷺ: «من أهان قريشاً أهانه الله».

حتى أخبرني من أثق به من أكابر أهل العلم: أنه أُهين في آخر عمره، وبلاه الله سبحانه بالفقر الأسود، حتى باع غالب كتبه، ونقل لي عن الشيخ الصالح باعنتر الخضر، من أنه أخبره بعض شيوخه، ممن شهد موته: أنه لما احتُضر، جاءت عقربٌ كبيرةٌ، حتى وصلت إلى فمه، وصارت تلدغه بزبانها، وهو في سكرات الموت، ولم يقدر أحدٌ من الحاضرين على منعها منه، حتى خرجت روحه، فقضيت العجب عند ذلك، وعلمت أنه من كرامات الشافعي ﷺ.

وأعجب من ذلك[1]: ما نقله عنه السيد محمد بن عبد الرسول البرزنجي الحسيني في كتابه «سَداد الدين وسدَاد الدَّين في إثبات النجاة والدرجات للوالدين»: أنه شرح «الفقه الأكبر» المنسوب إلى الإمام أبي حنيفة، وتعدَّى فيه طوره في الإساءة في حق الوالدين الشريفين.

ثم إنه ما كفاه ذلك حتى ألف فيه رسالةً، وقال في «شرحه للشفاء»، متبجحاً ومفتخراً بذلك: إني ألفت في كفرهما رسالةً، فليته إذ لم يراع حق

---

(١) في الأصل: وأعجب ما منه.

رسول الله ﷺ؛ حيث آذاه بذلك، كان استحيا من ذكر ذلك في «شرح الشفا»، الموضوع لبيان شرف المصطفى ﷺ، وقد عاب الناس على صاحب «الشفاء» ذكرَه فيه عدم مفروضية الصلاة عليه ﷺ في الصلاة، وادعى تفردَ الشافعي بذلك، بأن هذه المسألة ليست من موضوع كتابه، وقد سلط الله على عليٍّ المذكور بعضَ معاصريه، وهو الإمام عبد القادر الطبري الشافعي، فألف في رده رسالةً، أغلظ فيها في الرد عليه.

قال في آخرها: ومن غريب الاتفاق: أني لما تصديت للرد عليه، وعقدت مجالس درس بالمسجد الحرام، في بعض ليالي شهر ربيع الأول؛ للتكلم على أحكام المولد الشريف، وصرحت بالرد عليه في تلك المجالس، لأن يُظهر نفسَه للمناظرة في الجم الغفير، رأيته في المنام كأنه ساكنٌ بالمحل المسمى بـ: قصر الغوري، بباب إبراهيم، وكأني صعدت إليه للتكلم عليه في المسألة، فرأيت المحل على خلاف ما كنت أعهده في اليقظة، كأن درجه من حديدٍ، وكأن بنيانه من مقاعد ومجالس من حديدٍ مشبكٍ، على صفة مقام سيدنا إبراهيم ـ صلى الله على نبينا وعليه وسلم ـ.

فصرت أدخل في كل مقعدٍ لأفتش عليه، فلم أجده فيه، إلى أن صعدت إلى أعلى المحل، فوجدته، فكأني ضربته، ودفعته بيدي، فإذا هو ساقطٌ من شاهقٍ، فاستيقظت، فأُخبرت في الصباح بأنه متوعكٌ من سقطةٍ وقعت له، وما عاش بعد ذلك إلا يسيراً، ومات.

قال شيخنا السيد المذكور ـ حفظه الله ـ: وإذا كان عمر بن عبد العزيز يتوعد من تكلم بذلك بقطع اللسان واليد والرجل، وضرب العنق، ويعزله عن الولايات عزل الأبد، فكيف بمن يتصدى لإثباته، ويؤلف فيه الرسائل،

ويفتخر بذلك ويتبجح؟! لعمري! لإنها من إحدى الكُبَر ـ عصمنا الله والمسلمين من تلك الزلات والهفوات ـ آمين.

وله مصنفاتٌ كثيرةٌ، منها: «شرح المشكاة» في مجلدات، وهو أكبرها وأجلها، و«شرح الشفا»، و«شرح الشمائل»، و«شرح النخبة»، و«شرح الشاطبية»، و«شرح الجزرية»، ولخص «القاموس»، وسماه: «الناموس»، وغير ذلك مما لا يحصى كثرة[1].

وتوفي بمكة، عام أربعة عشر بعد الألف، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله ـ، ولما بلغ خبر موته علماء مصر، صلوا عليه بالجامع الأزهر صلاة الغيبة، في مجمعٍ حافلٍ، يجمع أربعة آلاف نسمة فأكثر ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٤٤٧] علي بن محمد بن إبراهيم الجِملولي الهِنْوَمي؛ نسبةً إلى هِنْوَم ـ بكسر الهاء، وسكون النون ـ أحد جبال الهنوم، السيراني[2].

قال ابن أبي الرجال: كان عالماً كبيراً، حافظاً لكل طريقة، يجري مع الناس على طبقاتهم بما تنجبر به قلوبهم، من غير أن يكون عليه وصمة، وذلك من عجائبه، وله تجربةٌ في الأمور كاملةٌ، وآراءٌ ثاقبةٌ، يجري كلامه مجرى الأمثال، وهو من بيتٍ شهيرٍ بالفضل، أصلهم من الجملول بهنوم، ثم سكنوا الجَهْرة بسيران.

---

(١) جاء في الحاشية: «وله «تفسيرٌ على القرآن»، و«شرحُ البردة»، وغير ذلك».

(٢) «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٥١١) (٢٥٠)، «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (٢/ ٢٤٥) (٣٨٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٩١)، «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ٧٩١) (٤٩٣)، «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٤٢٥).

وله تلامذةٌ كثيرون؛ كالقاضي أحمد بن سعد الدين، والقاضي جمال الدين ـ حفظه الله ـ، وابن أحمد سهيل، وهو كثير الرواية عنه.

توفي ليلة الأربعاء، ثالث رجب، من عام ثلاثة وأربعين وألف، بحصن كوكبان شبام، كان مقيماً هناك للقضاء والتدريس، بأمر الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم ـ رحمه الله ـ.

[١٤٤٨] علي بن نشوان بن سعيد الحميري[1].

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: علامةٌ محققٌ، من أجلاء وقته، وتولى أعمالاً كباراً، وبقي على عمله مدةً طويلةً، وجمع سيرةً للإمام المنصور بالله، حافلةً عظيمة القدر، تدل على علو طبقته، وسمو همته.

وله شعرٌ كثيرٌ يتخرج في أجزاء، وأكثر المشاهد المنصورية والحروب الإمامية له في وصفها الشعر البليغ.

ومن ذلك: ما قاله بالجوف، يحض قبائل همدان على الجهاد مع الإمام:

أرِقْتُ وما طربتُ إلى الغواني ... فأبكي في الرُّبوع أو المَغانِي

ولا عَدَت المُدامةُ لي ببالٍ ... فأسألُ عن مُعَتَّقةِ الدِّنانِ

ولا طرِبَتْ إلى الأوْتارِ نفسِي ... ولا سمعِ المُجونِ ولا الأغانِي

ولكنِّي طربتُ لصَوْتِ داعٍ ... مِن آلِ محمدٍ شهمِ الجَنانِ

إمامٌ عادلٌ بَرٌّ ذَكِيٌّ ... أمينٌ لا يقولُ بقَوْلِ مَانِي

---

(١) جاء في الحاشية: «وجد بالهامش الجملة الآتية: (وجد بخط المؤلف فوق على هذا: إنه ليس من أهل القرن الحادي عشر)».

لـــه علـــمٌ ومعرفـــةٌ ودِيـــنٌ   يفُـــوه بـــذكْرِه أهـــلُ الزمـــانِ

ومن شعره: قوله على لسان الإمام، يقوي خاطره على النهوض:

يـا مُوقِـدَ النـارِ البعيـدةِ أجِّـجِ   واشهِرْ بِمُضْرَمِها شِعارَ المَخْرَجِ
أَشْعِلْ وَشِيكاً جَذْوَةً بِبَـراقِشٍ   لتُضِيءَ ما بينَ العِراقِ ومَنْبِـجِ
إن الإقامـةَ قـد نقـضْتُ شُـرُوعَها   ونسخْتُ أوقاتَ الضلالِ السَّجْسَجِ
بِشَرَائعِ التَّهْجِيـرِ والتَّغْلِيسِ والـ   آسـاد حـينَ أقـولُ أَدْلِـجْ أَدْلِـجِ
والكَـرِّ بـين الفَيْلَقَـيْنِ وصَـوْلَةٍ   تحتَ العَجَاجِ وتحتَ كلِّ مُـدَجَّجِ
ولقـد سئمتُ مـن المُقـامِ وظِلِّـهِ   وتَتَوَّقَـتْ نفسي لِظَهْـرِ الأَعْـوَجِي
وَلموقـفٍ حِـصْنِي بـه سُـمْرُ القَنـا   وشَبا الظُّبَا وقِرَى الْحِصانِ المُسْرَجِ
فأمِتْ سُؤالِي حين أُنْشِدُ مُنْشِداً   أَلْجِـمْ جِيَـاداً يـا غُـلامُ وأَسْـرِجِ
وأرِقْتُ من طَرَبٍ إلى غَـزْوِ العِـدَا   بالحَزمِ لا وصلِ الغـزالِ العَـوْهَجِ
يـا مُـسعديَّ علـى مقارعَـةِ العـدا   ومـسابقيَّ إلـى الـصريخِ المُـزْعِجِ
ذهَبَ السُّلُوُّ فودِّعَا طِيـبَ الكَـرَى   وتتبَّعـا أثَـري وسِـيرَا مَنْهَجِـي
لهفـي بِطِـرْفٍ لاحِقِـيٍّ مُـضْمَر   نَهْـدِ المَرَاكِـلِ لا بطَـرْفٍ أدْعَـجِ
وكَتيبَــةٍ مَوْصُــولةٍ بكتيبَــةٍ   تَخْتالُ في حَلَقِ الحديـدِ المُـدمَجِ
وتطَيُّبِــي بعَجـاجِ نَقْـعٍ ثـائرٍ   ودمٍ لأثـوابِ الكَمِـيِّ مُـضَرِّجِ
ولقد شهدتُ الخيـلَ تقْـرع بالْقَنـا   فـي حـافظِ نَجْـدِ الـوَغَى مُتـوهِّجِ
ولقد شهدتُ الليلَ حتى خِلْتُ مـا   أيْقَنْـتُ منـه كـالقميصِ المُـدْبجِ
ولقد دخلتُ على السِّباع وِجارَهـا   ووَلَجْتُ غِيْـلَ ضَـراغِمٍ لـم تُـولَجِ

ولقـد وردتُ أنـا وأَوسٌ مَـوردِاً   فـي مَسْلَكٍ مـن أُمَّـةٍ لـم تُخْـرَجِ
والشمسُ في وسطِ السماءِ مُظِلَّـةٌ   والجـوُّ أقْـتَمُ بالعَجـاجِ المُـرْهَجِ
وكـأن رَقْـراقَ الـسَّرابِ بِقيعـةٍ   ذَوْبُ اللُّجَيْن هَرقْـتَ مـن مُتَبـرّجِ
قُوما فشُدَّا لِي على عَبْلِ الشَّوى   غَـرِداً لنَـا صـافِي الأديـم مُـدبَّجِ
نَهْـدٌ أقَـبُّ الأَيْطَلَـيْن إذا غـدا   في البِيدِ خِلْتَ مَمَرَّ رِيحٍ سَـمْهَجِ
أَرِنٌ يجـاذِبُ للوُثـوبِ عِنانَـهُ   طَرَباً ويصْهَل عند صوتِ المُسْرِجِ
وكأنـه سَـيْلٌ إذا ناقَلْتُـه   وإذا مـدَدْتُ لـه فبـارِقُ زِبـرِجِ

توفي بجهة خولان بالقدّ.

[١٤٤٩] علي بن الهادي القصار الصعدي.

كان من الفضلاء المعتبرين بصعدة، المفزوع إليهم في الفتيا والتحقيق والأدعية، وكان كثير العبادة، ويقطع ليله في الصلاة، ويكتم ذلك عن أهله وخاصته، وكان ـ كما أخبرني السيد أحمد بن الهادي بن هارون ـ يحتاج أهله للسَّليط في السراج، فيأمرون صنوه أحمد بن الهادي يشتري، فيستنكر ذهاب السليط بسرعة، فيقول الفقيه علي: اشتر لهم يا صنو، ويمنعه من التطويل في المجاراة لأهله، وكان وقت القراءة ينعس؛ لطول سهره في الليل، وكان أهله في صعدة يعظمون فقهه كثيراً، وهو حريٌّ بذلك.

وكانت عيشته هنيةً، ليس بالمستكثر من الدنيا، وليس بالملحف في المطالب، مع حسن تجمله، ونظافة ثيابه.

ونسبُه في بني عبد المدان من نجران، وأهل هذا البيت جماعةٌ بصعدة، وتعلق الفقيه في مبادئ أمره بالتجارة، ونزل الجوف، وسافر، وسمعت منه

شيئاً من أحوال العلامة محمد بن بهران نقلته في محله.

وتوفي ـ رحمه الله ـ بالهجر، هجرِ بني المكرم، من بلاد الأهنوم، وهو قافلٌ من حضرة الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، وفي بالي أنه بعد عوده من سفر الحج، ولم أتيقن من ذلك.

[١٤٥٠] علي بن هادي الشُّقْري.

عارفٌ فاضلٌ، قرأ «البيان»، و«التذكرة»، و«البحر»، وكان صالحاً براً تقياً، تولى شيئاً من أعمال الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، **وتوفي** في أيامه.

[١٤٥١] السيد علي بن يحيى بن علي بن إبراهيم بن حجاف.

كان من فضلاء السادة، وأهل السلوك والصلاح الكامل، تولى القضاء بمدينة سلفه حَبُور، وإمامة الجامع والخطبة، إلى أن **توفي** سنة سبع وستين وألف، وله شعرٌ ليس بالكثير.

[١٤٥٢] علي بن يحيى الخيواني(١).

قال ابن أبي الرجال: هو من فقهاء الزمان، وأعيان الأوان، من بيت رسالةٍ من خيوان، لهم منصب هنالك، فهو من أبناء الوجوه المقدمين في القبائل، ولكنه منح الحكمة، وطلب العلم، وكان أيام السيد الحسن ابن الإمام القاسم في القصر بصنعاء هنالك، فقرأ، وعرف فضائل العلم وأهله.

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ٨٢٣) (٥٢١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٩٧).

وكان هُماماً ذكياً، حفظُه لا يشق له غبار، ونور الله قلبه بأنوار المحبة لآل محمد، فما عكف على غير علومهم، ثم دخل صعدة، واستقر بها مدةً، ودرس، وكان في الفروع مثيلاً مفيداً، وله «حاشيةٌ على الأزهار».

ولما فتحت صنعاء، أيام الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، خرج إليها، وقرأ وحقق، وأعاد شيئاً من المسموعات على السيد العلامة المحقق محمد بن عز الدين المفتي، وكان أحد عيون حضرة السيد، فاستفاد، وزاد علمُه، مع أنه كان أيام إقامته بصعدة من أعيانها، وكان القاضي أحمد بن يحيى حابس يحضره، ويحضر العلامة علي بن هادي القصار، عند جمعه لـ «التكميل»، ويسألهم، فهو نتيجة فكر هؤلاء، ولهم ثالثٌ كان القاضي يستدنيه ويسأله، فاتَ مِنِّي.

كان صاحب الترجمة مكفوفَ البصر، ولم يزل موفور النعمة، صالح الحال، مقبلاً على العلم والأدب؛ فإنه كان يحن إلى الأدب، ويشتاق إليه، ولقد كان من أهله، حتى اختاره الله له جواره بصنعاء، في أفراد سنة ستين بعد الألف ـ فيما أحسب ـ.

[١٤٥٣] علي بن المحلي الشافعي، الشهير بالأقرع[(١)].

كان إماماً فقيهاً، مفتياً ذاكراً للمذهب، عالماً بدقائقه، عمدة الفتوى في إقليم الغربية بمصر، كثير الفوائد، حسن المحاضرة، لذيذ المفاكهة، جيد المحاضرة، مكرماً لجليسه، مؤنساً له، وعنده كياسةٌ وحشمةٌ، وإنسانيةٌ ومروءةٌ.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٠٣).

وكان عزيز النفس، لطيف الذوق، يقول الحق، وينكر المنكر، ويخاطب الحكام بالغلظة، وامتُحن بسبب ذلك امتحاناً كثيراً، وكان كثير الملازمة لبيته، لا يخرج إلا لضرورة، محباً للغرباء، محسناً إليهم، معتقداً لأهل الخير، وكان في الفنون العقلية بحراً زخاراً، لا يجارى ولا يمارى، وشاعت فتاويه في الآفاق، مع التوقي الشديد في سائر أحواله.

وُلد بالمحلة، وبها نشأ، وقدم مصر، وأخذ بها عن النور الزيادي، وسالم الشبشيري، وعلي الحلبي، ومن عاصرهم من علماء الجامع الأزهر، وقرأ على شيخنا علي الشبراملسي، ولازمه كثيراً، مع كونه شاركه في كثيرٍ من شيوخه، وأجازه شيوخٌ كثيرون، وأذن لجماعةٍ بمروياته.

وحج مراتٍ، ورحل إلى اليمن، واجتمع فيه بالإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، وحظي عنده، وعظمت مكانته، وأجزل صلته، ثم رجع إلى بلده، وصحب العارف بالله حسناً البدوي، ولازمه، واختص بصحبته، وله معه وقائع كثيرةٌ مشهورةٌ، وتصدر للتدريس، وأخذ عنه جمعٌ من أكابر العلماء، منهم: شيخنا خاتمة المحققين أحمد البشبيشي، وكان يتعاطى التجارة، حتى أثرى، وكثر ماله، وجمع الله له بين سعادة الدارين، وانتهت إليه رياسة الشافعية ببلده، وتفرد بالمشيخة.

وكان عارفاً بالأمور، يُتيمن برأيه، وله حظٌّ من الصلاة والصيام، قليل الوقيعة في الناس، حافظاً للسانه، مقتصداً في ملبسه وعيشه.

ومن الرواية عنه: ما أخبرنا به شيخنا خاتمة المحققين أحمد البشبيشي عنه بسنده إلى الحافظ عبدالله محمد بن أبي بكر بن أبي الدنيا: حدثنا محمد

ابن سليمان الأسدي، حدثنا أبو الأحوص، عن بنان، عن قيس بن أبي حازم، عن أبي هريرة ﷺ، قال: قال رسول الله ﷺ: «لأن يحتطب أحدكم على ظهره، فيبقي به وجهه، خيرٌ من أن يسأل رجلاً أعطاه أو منعه».

قلت: ووقع لي رواية هذا الحديث من طريق أعلى من هذا بمرات، وهو ما أخبرتنا به إجازةً، إن لم يكن سماعاً، الشريفةُ الطاهرة قريش بنت الإمام عبد القادر الطبري الحسيني المكي، إمامِ المقام الإبراهيمي: أخبرنا عبد الواحد الحصاري المصري: أخبرنا محمد بن أحمد الغمري: أخبرنا الإمام الحافظ الشهاب أحمد بن حجر العسقلاني، بسنده المذكور في «فهرسته» إلى مسلم والترمذي، عن أبي هريرة ﷺ: أن رسول الله ﷺ قال: «والله لأن يغدو أحدكم، فيحتطب على ظهره، فيستغني، أو يتصدق منه، خير له من أن يأتي رجلاً يسأله، يمنعه أو يؤتيه».

توفي صاحب الترجمة بالمحلة الكبرى، عام تسعين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

ومما اتفق له: أن قاضياً شريفاً فاضلاً تولى المحلة، فأرسل إليه، بعد قدومه إليها يطلب منه المناظرة؛ ليتبين له حاله؛ لما بلغه ما هو عليه من كمال الفضل، فأتاه، فقال له: المناظرة منتهى مقصود العلماء ودأبهم قديماً وحديثاً.

فقال له صاحب الترجمة: لا بأس بذلك، لولا أنك شريف؛ لقوله ﷺ: «قدموا قريشاً ولا تَقَدَّموها»، وقد قال بعض شراح الحديث في معناه؛ أي: لا تغالبوها، والمناظرة مغالبةٌ، وقد نُهينا عنها معكم أهل البيت، فاستحسن القاضي جوابه، وسرعة استحضاره، وتركها، وزاد في إجلاله.

[١٤٥٤] علي بن أبي بكر بن المقبول، صاحب الحال، الزيلعي العقيلي[1].

وتقدم رفعُ نسبه في ترجمة أبيه.

كان من أكابر بني الزيلعي ووجوههم، ومن خيار عباد الله الصالحين، المتمسكين بسنة سيد المرسلين، وكان حسن الخَلق والخُلق، لطيف الطباع، حسن الشمائل، متواضعاً خيراً كريماً، ملازماً لطاعة الله وذكرِه، معتمداً على الله في سره وجهره.

وُلد ـ كما أخبرني من لفظه ـ باللحية، سنة أربع وعشرين بعد الألف، وبها نشأ، وأخذ عن أبيه، وعن الفقيه مقبول بن أحمد المحجب، واجتمع بكثيرٍ من الأولياء، أخذ عنهم، وأجازوه، واشتهر ذكره وعلا عند جميع أهل بلده، ورحل إلى الحرمين، ثم إلى صعيد مصر، وأقام بالقصير، ساحل الصعيد، ومكث ثمة نحو ثلاثين سنةً، وكان مسموع الكلمة عند أمرائها، مقبول الشفاعة، مجللاً معظماً.

وله كراماتٌ كثيرةٌ، وخوارق شهيرةٌ:

منها: أن بعض أصحابنا كان مسافراً في سفينة المترجم، من القصير إلى الينبع، فهاج البحر، وتعب أهل السفينة كثيراً، وتيقنوا بالهلاك، فقال في نفسه: سبحان الله! الناس يقولون: إن صاحب هذه السفينة من أولياء الله، ولا يلاحظ سفينته، وتحكم ذلك في خاطره، فأخذته سنةٌ من النوم، فرآه وهو ماسكٌ مقدمها بيده يقودها، والتفت إليه، وقال له: يا فلان! لا تخف، فنحن

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٣٠).

لا نغفل عن سواعينا، قم من النوم، ولكم السلامة، فأفاق من نومه، فوجد الأمر هان، والسفينة استقرت، وسلموا، وبلغوا الينبع، ورآه فيها على صورته التي رآه عليها في المنام.

ومنها: أن محمد بيك أميرَ الصعيد كان يعتقده كثيراً، وكان له مركبٌ، فقال له: يا شيخ علي! اشتر هذا المركب، وأعط حقه على حسب التيسير، فأخذه منه بألفي قرش، فبعد مدةٍ حصل على محمد بيك ما حصل؛ من قيام وزير مصر وعسكرها عليه، حتى جهزوا عليه عسكراً جراراً، وقتلوه، وضبطوا مخلفاته، فوجدوا المبلغ المذكور مكتوباً في الدفاتر على الشيخ علي.

فجاء رسولٌ من وزير مصر يقبض جميع المخلفات، فطلب من الشيخ علي المبلغ المذكور، فذكر لهم أنه أخذه من محمد بيك على شرط أن يدفع حقه له على التيسير، ولا يقدر على دفع شيءٍ في هذه الحال من ثمنه، أو يأخذوه بعينه، فأبى الرسول ذلك.

فاقتضى نظر أمير الصعيد حينئذٍ، أحمد بيك، أن يسافر إلى مصر، ويرد الأمر إلى وزير مصر، فذهب إلى مصر، ومعه جماعةٌ مطلوبون ـ أيضاً ـ، في ديون مع رسول الوزير، فأهانهم، وأجلسهم مجلساً غير مناسب في السفينة المتوجهة بهم إلى مصر، وصار يمنع الناس عن الاجتماع بهم.

فنصحه الشيخ، وقال له: مالك حاجة بنا، فلم يفده، فخرج له في دبره شيءٌ منعه من الجلوس والطعام والشراب، واشتد به ذلك، فأرسل إليه، وقال له: يا سيدي! تبت إلى الله، فقرأ عليه شيئاً من القرآن، فعوفي لوقته، وصار يتعاطى خدمته بنفسه إلى مصر، فلما وصلا إلى مصر، قال له: يا سيدي! انزل عندي في بيتي، وأقضي لك جميع أمورك، فأبى، ونزل عند بعض أصحابه

ثمة من أهل اليمن.

ثم ذهب إلى الأمير قيطاس، وأخبره بذلك، وكان في ذلك الوقت رئيس مصر، فذهب به إلى الوزير، فبمجرد أن وقع بصر الوزير عليه، قام له إجلالاً، وبقي بين يديه كالطفل الصغير، وهو في غاية التأدب، فأخبره بذلك، فقال: نَحُطُّ عنكم من المبلغ كذا، والباقي منه نحاسبكم به من أجرة حبوب الحرمين التي نضعها في السفينة، ونادى الكتابَ في ذلك الوقت، فحسبوا ذلك.

وفضل له من الأجرة شيءٌ كثيرٌ، فدفعوه له في الحال، وزاده الوزير من عنده شيئاً، وكساه ثياباً فاخرةً، وبالغ في إكرامه، وقال له: الحبوب نزلوا منها في الساعية التي تريدوه، والباقي يكون في سفرة أخرى، وأمر له على أمير الصعيد، أن يدفع له من الحبوب شيئاً كثيراً، ورجع الشيخ إلى الصعيد، منصوراً مظفراً، وتشفع به بقية المطلوبين بما عليهم من الدين، فقبل شفاعته، وسامحهم الوزير بذلك.

[١٤٥٥] علي أبو الحسن بن عبد الواحد بن محمد بن عبدالله بن عبدالله بن يحيى بن أبي يحيى بن أحمد بن السراج، الأنصاري، السجلماسي النبعة، الجزائري النجعة، المالكي[١].

قال تلميذه العلامة الشيخ عيسى بن محمد الجعفري المغربي ثم المكي: رأيت بخطه ـ قدس الله روحه ـ نسبه مرفوعاً إلى سعد بن عبادة الصحابي سيدِ الخزرج.

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٦٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٧٣)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٣٠٩).

الشيخ الإمام، واسطة قلادة أئمة الإسلام، جامع تفاريق العلوم، ومحيي دار المنثور منها والمنظوم، ومسند ما نسجت عليه منها عناكب الانقطاع، ومؤنس ما ذهبت بإلفه منها وحشيه المضاع، ومستخرج دقائق كنوزها من خباياها، وموضح دقائق رموزها من قضاياها، العلامة النقاد، جهبذ أهل الرواية والإسناد، بغية الرائح والساري، ونهاية رغبة الراوي والقاري.

نشأ بسجلماسة على الاشتغال، فقرأ بها القرآن، وعدة متون، وظهرت براعة حافظته، ثم رحل إلى فاس، فأدرك بها جلة العلماء، فأخذ عنهم بها عدة فنون، وخاض في مفروض منها ومسنون، حديثاً وتفسيراً، وفقهاً وأصلين، وعربيةً وبلاغةً ومنطقاً، وسيراً وتاريخاً، وأدباً وتقريظاً وإنشاءً، وغير ذلك، ونجمت نجابته، وبهرت براعته، وكان جل أخذه عن الثلاثة الأعلام، الجهابذة الفخام.

أولهم: الأستاذ الكبير، نخبة الشرف الخطير، السيد المسند، أبو محمد عفيف الدين عبدالله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي.

وثانيهم: العلامة الولي، بقية السلف، بركة الخلف، أبو عبدالله محمد ابن أبي بكر الدلائي الصنهاجي، أخذ عنه: «الجامع الصحيح» للبخاري نحو إحدى عشرة مرةً، كلها قراءة بحث وتحقيق، وكشف وتدقيق، جلها سماع من لفظه، مع شروحه وحواشيه «فتح الباري»، والكرماني، والقسطلاني، وشيخ الإسلام زكريا، والسيوطي، والدماميني، والزركشي، و«المشارق» للقاضي عياض، والكلاباذي في «تعريف الرجال»، و«الاستيعاب في تعريف الأصحاب» لابن عبد البر.

وجميع «المسند الصحيح» لمسلم، مع جميع شروحه، و«الموطأ» رواية

يحيى الأندلسي، وشروحه، منها: «المختار الجامع بين المنتقى والاستذكار» و«الشفا» بشروحه، و«تفاسير» كل من الواحدي، وابن عطية، والزمخشري، مع «حاشية الطيبي» عليه، والعزيزي، وابن جزي، و«الجواهر الحسان» للثعالبي، والبيضاوي، والجلالين، وغير ذلك، وسمع عليه «رسالة القشيري»، و«لطائف المنن» لابن عطاء الله، و«التنوير»، و«الحكم» له، و«شرحها» لابن عباد، و«مجد الدنيا والآخرة» للسهروردي.

وثالث الأئمة الأكابر، ذوي المناقب العلية والمآثر: حافظ العصر، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن محمد المقري التلمساني، أخذ عنه «الموطأ»، و«الرسالة» لابن أبي زيد بتقاييد الإمام أبي زيد الجزولي، و«التهذيب» للبرادعي بتقييد أبي الحسن الصغير، و«مختصر ابن الحاجب الفرعي»، و«مختصر خليل»، و«ألفية ابن مالك»، و«عقائد السنوسي»، و«البردة وشرحها» لابن مرزوق، وغير ذلك، وأجاز له كالأولين جميع مروياته ومؤلفاته، وكتب له خطه بذلك.

وكانت ملازمته للثاني أكثر، لازمه ثلاثاً وعشرين سنة.

ثم توجه بعد الأربعين نحو الديار المشرقية؛ لأداء فريضة الحج، فأدى مفترضه، وبلغ من أسنى المطالب غرضه، ولقي بها أعلام الأئمة، **منهم**: عالم المعقولات، ومذلل ما تعاصى منها من المعضلات، شهاب الدين أحمد ابن محمد بن علي الغنيمي الأنصاري القاهري الحنفي، كتب له إجازةً بخطه، في جميع ما له، من مروي ومؤلف.

ومنهم: فارس التفسير، وأستاذ الإتقان والتحبير، شهاب الدين أحمد ابن عبد الوارث البكري القاهري المالكي، كتب له ـ أيضاً ـ إجازةً بخطه، في جميع ما له من مروي ومؤلف.

ومنهم: الشيخ علم الإرشاد، ومرجع أهل الرواية والإسناد، أبو الإرشاد نور الديـن علي بن محمد بن عبد الرحمـن الأجهـوري القاهـري، أجاز له كالأولين ما له.

وغير هؤلاء من الفحول والأعيان، وفرسان الضبط والإتقان، ثم عاد إلى الجزائر، واستقر بها، لإفادة العلم، ونشر مطارفه، وبذل تالده وطارفه.

وكان ـ رحمه الله ـ بالمكان المكين؛ من الحرص على العلم، والرغبة في نشره، والإدمان على تلاوة القرآن، والتواضع والخشية، وسرعة الدمعة، ورقة القلب، والصبر والاحتمال، وقوة الجأش في الله، والسخاء والإيثار، والحنو على الطلبة، والإشفاق عليهم، والحرص على إيصال النفع إليهم، مواظباً على قيام الليل، لا يوافيه آخر الليل إلا وهو قائم يتهجد، كلما مر بآية تحذير، أو تبشير، رددها وبكى، واستغرق في البكاء، حتى يرحمه من يسمعه، هذه حاله في غالب لياليه، كثير الزيارة للصالحين الأحياء والأموات، مبالغاً في محبتهـم وتعظيمهم، كثير الانتصـار للفقراء المنتسـبين للطريق، ناشـراً لمحاسنهم، معرضاً عما سوى ذلك، ملتمساً لهم أحسن المخارج، حسن التربية لأصحابه، متفقداً لأحوالهم، شديد الاعتناء بهم، لم يخلف بعده مثله.

وأما حاله في إلقاء العلومِ، ونشر مطارف المنثور منها والمنظوم، فكان فارسَ ميدانها، وناظورة ديوانها، ومشكاة أضوائها، وعارض أنوائها، وسهم إصابتها، وطـراز عصابتها، قد تأنس به معقولها ومسموعها، وقرت به عينا أصولها وفروعها، يجري على لسانه حديثها وتفسيرها، وتنقاد لقلم بنانه تنقيحها وتحريرها، وطوع يديه تواريخها وسيرها، ونصب عينيه إنشاؤها وخبرها، كلما أقرأ فناً من الفنون، ظن السامع أنه لا يحسن غيره.

وله مؤلفاتٌ كثيرةٌ، غالبها نظم، منها: «التفسير» بلغ فيه إلى قوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾[البقرة: ١٨٩]، و«شرح النخبة» لابن عاصم، لم يخرج من المسودة، و«تقييد على مختصر خليل» لم يكمل، و«المنح الإحسانية في الأجوبة التلمسانية»، و«نظم السيرة النبوية»، ومنظومةٌ سماها: «أشرف الوسائل إلى أجوبة السائل» نحو ثلاث مئة بيت، ومنظومة «جامعة الأسرار في قواعد الإسلام الخمس»، و«اليواقيت الثمينة في العقائد والنظائر» في فقه عالم المدينة، وهو نظم، و«عقد الجواهر في نظم النظائر» لم يتم.

و«السيرة الصغرى» نظم ـ أيضاً ـ، والنظم المسمى بـ: «مسالك الوصول إلى مدارك الأصول» نظم أصول الشريف التلمساني وشرحه، و«منظومةٌ في تاريخ وفيات الأعيان»، وأخرى «في علم التفسير»، وأخرى «في مصطلح الحديث»، وأخرى «في الأصول» غير ما تقدم.

وأخرى «في النحو»، و«أخرى في التصريف»، و«أخرى في المعاني والبيان»، وأخرى «في الجدل»، وأخرى «في المنطق»، وأخرى «في الفرائض»، وأخرى «في التصوف»، وأخرى «في الطب»، وأخرى «في التشريح»، و«شرح الأجرومية»، و«شرحٌ على الدرر اللوامع» لأبي الحسن بن بري، و«ديوان خطب»، و«نظمٌ في مسألة القطب والأوتاد والأبدال»، وغير ذلك.

وقد ذكره تلميذه الشيخ عيسى المذكور في «معجم أشياخه»، وأثنى عليه كثيراً، وذكر ما قرأه عليه، وأجازه به، ولازمه مدةً تزيد على عشر سنين.

وكانت وفاته بالجزائر، من أرض المغرب، شهيداً بالطاعون، سنة سبع ـ بتقديم السين ـ وخمسين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٤٥٦] السيد علي بن محمد بن عمر بن أحمد بن عمر بن علوي الشيبة بن عبدالله بن علي بن عبدالله باعلوي، الشهير بشيبان[1].

أحد مشايخ الطريق، العارفين بالله، كان كثير التلاوة لكتاب الله تعالى، كثير البكاء عندها، كان مشهوراً بالزهد والورع، صحب كثيراً من العارفين، منهم: السيد الجليل زين بن محمد خرد، ولازمه ملازمةً تامةً، وغيره من أكابر العارفين في زمانه.

وكان الغالب عليه الخمول، والتقشف في الملبس والمأكل، ويحب الانعزال عن الناس، لا يجتمع بهم إلا في الجمعة والجماعة، معرضاً عن اللهو واللعب، متقمصاً بقميص الجد والاجتهاد، كثير القيام والتهجد بالليل، متواضعاً جداً، لا يرى نفسه إلا أدنى الناس، محبوباً عند الخاص والعام.

وصحبه جماعةٌ كثيرون، منهم: شيخنا الإمام السيد محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي ـ رحمه الله ـ، قال: وهو أحد من استضأنا من ضياء نبراسه، وعادت علينا بركات أنفاسه، وما يزداد من فعل الخيرات، والتقرب إلى الله بالقربات، إلى أن انتقل إلى أشرف الحضرات، **فتوفي** بتريم، عام إحدى وستين بعد الألف، ودفن بمقبرة زنبل ـ رحمه الله ـ.

[١٤٥٧] علي بن أحمد المدني الحشيبري[2].

كان حافظاً للمذهب، والأحاديث النبوية مع التفاسير، يملي من حفظه على الدرسة، بنقلٍ صحيحٍ غير متكلف، وكان على جانبٍ عظيمٍ من الورع في

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٧٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٩١).

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٤٦).

الفتوى وغيرها، وفي التدريس، أخذ عنه كثير، منهم: السيد الطاهر بن بحر، وولده محمد.

وكانت وفاته في سابع عشر جمادى الآخر[ة]، سنة ثمان وخمسين بعد الألف، ببيت الفقيه الأيمن، ودفن عند أجداده ـ رحمهم الله ـ.

وللسيد محمد بن الطاهر فيه مرثياتٍ عديدة، منها: قوله:

أَخِلاَّيَ ضاعَ الدينُ من بعد شيخنا	إمامِ الهدى شمسِ المعالي ابنِ أحمدِ
أفاضَ على الطلاب من فيض علمِه	وأوسعَهم من بحره المتزيِّدِ
إمامٌ صبورٌ صادقٌ متورِّعٌ	أحاط بعلمِ الشافعيِّ محمدِ
وحَقَّقَ منهاجَ النواويِّ محققاً	وإرشادَنا المشهورَ في كل مشهدِ

وهي طويلةٌ.

[١٤٥٨] علي بن محمد بن أحمد العنسي[١].

غصن من شجرة علماء اليمن المحققين، ومطلب مخلص في الطلبة المحصلين، أقبل على العلوم من صغره، فجاز منها النصيب الأعلى، وضرب فيها بالقدح المعلَّى، قد سمع معظم الفنون، وافتخرت به الآباء والبنون.

وبينه وبين السيد عبدالله بن علي الوزير مكاتباتٌ، ألذ من طبق الحلوى، وأشهى من المنّ والسلوى، وطريقته في البلاغة نباتية، لا يشق له فيها غبار، ولا يقال لمن تبعه فيها غيار.

---

(١) «نسمة السحر» للصنعاني (٢/ ٣٨٢) (١٠٧)، «البدر الطالع» (١/ ٤٧٥)، «نشر العرف» لزبارة الصنعاني ٢(/ ٢٨٠)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ٤٦٢).

وما أحسن قوله من قصيدةٍ يائيةٍ، أجاب بها السيد عبدالله المذكور:

أقاتِلَتي ظلماً ولـم أكُ فـي الهـوى ... ولا لزهـورٍ فـوقَ خـدَّيك جانِيـا

أسخطاً وقـد نظمـتُ دُرَّ مـدامعي ... يمرّ به فـي الـسرب جيـدُك حالِيـا

فإن كنتِ لا ترضَيْنَ عِقيَان مدمعي ... فمن نظمِ فخرِ الـدين هـاك لآليـا

وكتبت إليه قصيدةً مطلعها: . . . .[1]

---

(١) جاء في الحاشية: «وجد بالهامش: نقدين يفيدان أن المؤلف قصَّر في إيفاء المترجَم حقه، من ذكر مناقبه»، وهذا النقد مذكـورٌ في حاشية النسخة الأولى، وهو قول أحد المعاصرين للمصنف ـ رحمه الله ـ، ممن نظر في الكتاب، جاء فيـه: «القاضي علي العنسـي المترجـم، ينبغي إفراد ترجمتـه بمؤلفٍ حافلٍ، وأرى أن الشيخ مصطفى مقصرٌ في ذكر مناقبه، فإنه البليغ الذي لا يجارى ولا يمارى، وبيني وبينه مراسلاتٌ شعريةٌ، فمما كتبته إليه قصيدة مطلعها:

أخلفَـتْ وعـدَ صـبِّها بالزيـارَهْ ... وتجنَّـتْ فأعدمتـه قـرارَهْ

ورَعـتْ للوشـاة عهـداً ولـم تـرعَ ... لـصبٍّ عهـودَه وجـوارَهْ

فأجابني بقصيدة مطلعها:

أسـكرتْه تلـك الكـؤوسُ المـدارَهْ ... فلهـذا أعطـى العقـارَ وقـارَهْ

يا عاذلي علـى الخلاعـة فـي الحـبِّ ... لحـى الله نفـسَكَ الأمّـارَهْ

أنا قـد رضـيتُ كيفمـا شـئت نفسي ... للهـدى تـارةً وللهـو تـارَهْ

فهي طوراً أهدى من الحسن البصري ... وحينـاً أضـلُّ مـن خمّـارَهْ

أنـا فـي المـذهبين والحمـد لله ... ولا فخـر مـستطيل الإمـارَهْ»

وجاء بعدها عدة سطور غير واضحة في التصوير، وفي حاشية ثانية: «بعد هذا نصف صفحة بياض».

[١٤٥٩] القاضي علي بن أحمد بن إبراهيم بن أبي الرجال[1].

قال القاضي العلامة أحمد بن صالح بن أبي الرجال في «تاريخه»: كان فقيهاً عالماً بالفروع، حقق فيها وبرز، ويقال: إنه حفظ «شرح الأزهار» غيباً، وكنا نسمعه يمليه، ومما شاع في ألسن الفقهاء: أنه لولا الجهاد، كان القاضي علي بن أحمد بمنزلة الفقيه علي بن يحيى الوشلي صاحب «الزهرة».

ولقد تعجب منه كثيرٌ من المحققين في مسائل وتحصيلات، في الغصوب والرهن، ومع ذلك، فقد قرأ في الفنون الأخرى، قرأ «مستصفى» الإمام الغزالي في الأصول على السيد العلامة علي بن صلاح العُبالي، وهما في صف الحرب، كان إذا سكن عنهم العدو، قرؤوا، وإذا كرّ عليهم العدو، أقبلوا عليه.

ولما أمر الإمام المؤيد بالله محمدُ بن القاسم السيدَ علي بن إبراهيم الحيداني، الماضي ذكره، بولاية بلاد حاشد وبكيل، أمر القاضي أن يقرأ عليه «البحر»، فكانت من أعجب القراءات، كانوا يلبثون في البحث من عقيب صلاة الفجر إلى ظهيرة النهار.

واتفق أنه وفد إلى حضرة الإمام، إلى شهارة، بعضُ العلماء الكبار من أهل الشام، فأعطاه الإمام ما يستحقه من التعظيم، لقوة حرص الإمام على إنزال الناس منازلَهم، وبادر بإرسال السيد العلامة صلاح بن عبد الخالق الحجاف، وصاحب الترجمة، إلى ذلك العالم؛ ليعرفوا فضيلته، فوجدوه لما يستقر، وخدمه في أثناء التنظيف للمحل، فحيّوه، ثم رحبوا به، وتعرفا له.

---

(١) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ٧١٠) (٤٢٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٤٢).

قال القاضي لذلك الرجل: هذا السيد صلاح من كبار العلماء، ونَسَب الإمام، ونحو هذا، ثم قال السيد: وهذا القاضي علي، قاضي الإمام، أحد العلماء الأجلاء، ووصفه بما ينبغي، فأجاب: إنكما لستما ممن يعرف الأدب، ولا يستحق هذه الصفات، كيف تكون منزلتكما هذه المنزلة، وتفدان عليَّ وأنا مدهوش، لم أستقر في رحلي، ولا تتم مجاراتكم بالأنس؟ فاستحيا السيد والقاضي.

ثم عزم القاضي إلى ذيبين، وأخذ في قراءة «البحر» هذه المذكورة، وكان فيها البقية من شيعة الطاهر يومئذٍ؛ كالقاضي العلامة محمد بن صالح ابن حنبش، والقاضي العلامة الحسن بن محمد بن سلامة، وغيرهم، فوفد إلى المسجد، وهو يخوضون بحار التحقيق، ويأتي كل منهم بالإشكال، ويحله الآخر، وذلك العالم يتفكر فيهم، فلما أتموا القراءة، أنزله السيد منزلاً يليق به، فإنه عظيم الشأن، وآنسه القاضي لسابق تلك المعرفة.

فقال ذلك العالم: يا قاضي! أنتم ـ معاشر اليمانيين ـ لا تنزلون العلم منزلته، فقال له: ما استنكرت من طريقتنا؟ قال: رأيت اليوم مجلسكم للقراءة، فرأيت ما لم أره، من الاطلاع على الفقه والتحقيق؛ بحيث إن كل إنسانٍ من الحاضرين، لو برز بإقليم، لعلا صيته، وقل نظيره، ومع هذا، فأنتم لا تعتمُّون إلا بعمائمَ سودٍ، ولا تلبسون الجيدَ من الثياب، فلم يُبد له القاضي حقيقة العذر في ذلك.

وكان المقتضي لمرور هذا العالم ذيبين: أن السودة كانت يومئذٍ في أيدي الأتراك وصنعاء، فمر ذيبين مجتازاً إلى صنعاء، وكان عنده من ضريبة الإمام دراهم، جعلها في ذيبين سبائك.

وكانت قراءة صاحب الترجمة على عبد القادر التهامي البيهي، رحل إليه إلى عاشر، وقرأ على السكامدي بذمار، وأحسن السكامدي رعايته، وحين أراد الانصراف، خرج ولده العلامة الشهير؛ لتجهيز القاضي، وأعطاه زاداً، ثم قرأ على العلامة علي بن قاسم السنحاني، ومن جملة ما قرأه: «مقامات الحريـري»، وفي بالي أنه قرأ «مفتاح السـكاكي» عن أمر شيخه السنحاني، على بعض الآفاقيين.

ولم يكن له في العربية ذوقٌ، وقد كان اشتغل بـ «شرح الأزهار»، بلغ فيه إلى التيمم، حتى مر عليه السيد أحمد بن محمد الشرفي، إلى شوات من بلاد الصيد، فأعلمه بعنايته بشرح مع كمال أهلية السيد، فأضرب عن ذلك، وكانت له عدةٌ كبيرةٌ من الكتب، من خزانة السلف، وكانت له همةٌ في الجهاد وشجاعةٌ، مع قوة في بدنه، وهو أول من سارع إلى الجهاد.

قال ابن عمه القاضي الشهيد الهادي بن عبدالله: فإنـه نهض سنـة ست، وفي سنة الدعوة بجارف، وأعيان قبائل بكيل، نحـو ألـف رجل، ودخل هُزَم، وانضـاف إليه الأعيان، لا على جهة الاستقلال منهم، بل على جهة العارة؛ كالسيد الأعضب من حوث، استدرجـه القاضي حتى أدخله هُزَم، وأما الحاج أحمد بن عوض، فوصـل مغبـراً من نهم، ووقف خارج البلاد، على رأس الأكمة المشرفة على القرية، وغير هؤلاء من الرؤساء، وكانت الحروب المشهورة نحو أربعة أشهر، والقاضي أبو عذرها.

واتفق في هذه النهضة قضـيةٌ تعدّ في كرامات الإمـام الشهيد أحمد بن الحسين، وذلك أن القاضي وصل إلى ناعط، من بلاد حاشد، وخطط الناس، ففقدوا رجلاً يسمى: التهامي، من أهل ظفـار، وكان لـه خبيرٌ يعرف بحوال،

فبحثوا عنه، فلم يجدوا له أثراً، فاتفق عند مجيء الناس من الخطاط: أن بعض الناس سمع صوتاً في شعب، فأخبر القاضي، فأمر القاضي من يذهب إلى هناك، فوجد التهامي المذكور في محلٍّ وعْرٍ، فأتي به إلى القاضي، فأخبر القاضي بقضيته.

وهو أنه خرج من مسجد ناعط، فأحس بحالٍ غير معتادة، فلم يفقد نفسه إلا في عالم آخر، وفيهم رئيسٌ كبيرٌ، بين يديه خلقٌ قيامٌ، فاشتكى رجلٌ من أولئك: أن هذا التهامي رَجَمَه، فأنكر التهامي، فقال له: بلى أنت رجمت خشبةً حطت في القنة ـ بالقاف والنون ـ وهو جبلٌ هنالك، وعندك من عبيد المشهد فلان بن فلان، قال التهامي: نعم، هذا اتفق، لكني غير عارف بمحللك.

فقال ذلك الرئيس: يا معاشر الجن! نزهوا أنفسكم، هؤلاء المساكين لا يرونكم، ثم التفت إلى التهامي، فقال: من أين أنت؟ فقال: مسكني ذيبين، والأصل من ظفار، إلا أني مقيمٌ بمشهد الإمام، قال: فلأي شيء وصلت إلى ناعط؟ قال: صحبة القاضي علي بن أحمد، مغيرين على الإمام، فقال ذلك الرجل الكبير: قد التزمت بما لزم هذا من الأرش، رعايةً لحق الإمام الشهيد أحمد بن الحسين، وأبلغ عني القاضي علياً السلام الكثير، وهذه قضيةٌ مشهورةٌ، تناقلها الفقهاء، وسمعتها عن غير واحدٍ من الفضلاء، منهم من شهد المقام، والله أعلم.

وللقاضي في مقامات الجهاد مساعي مشهورة، تولى بلاد حاشد وبكيل، وتولى بلاد خولان الطيال، وافتتح حصن جبل اللوز، وغنم منه غنيمة، وكان العلامة السيد أحمد بن علي الشامي شريكه في حصار الحصن، غير أن أصحاب

القاضي بنو جبير، وأصحاب السيد غيرهم، فكانت اليد للقاضي، وجعل سلب الأمير للقاضي، وسلب الجاويش للسيد ـ رحمهم الله ـ، وكان الإمام القاسم بن محمد يفضله في الشجاعة على غيره، بل نقل السيد عبدالله بن عامر بن علي: أنه سمع الإمام يحكي أن القاضي أشجع من رآه الإمام، وحكى له قصة.

واجتمعت بالقاضي في منزل السيد عبدالله بن عامر بالجراف، من مخارف صنعاء، فسأله السيد عن القضية، فأخبره وأنا أسمع، قال: توجهت العساكر من جهة الترك، على السيد المجاهد محمد بن عامر، إلى محلٍّ بجهة وادعة، سماه، وفاتني اسمه، فأغار الإمام، وأغرنا معه، فوجدنا في الطريق قصبةً معمورةً، على رأسها كالصفيف، قد دخلها نحو سبعة نفر رماة، الذي في ذهني من الرواية: أنهم سبعة، وذكر سيدنا المتوكل على الله إسماعيل: أن القاضي ذكر أنهما رجلان فقط، لكنهما قد قتلا سبعة نفر، فلعل الذي في ذهني ذكر السبعة.

فمنعوا جيش الإمام عن الغارة، فتخوف الإمام على السيد محمد بن عامر الاستئصال، فقال: من يحب الله ورسوله حملَ على هؤلاء، فسمع القاضي، فأعلنها في الناس؛ لعل راغباً يرغب، فلم ينهض أحد، فوضع شملةً سوداء على عمامته، وحمل منفرداً، ولحق به رجل من ظفار، فرموه من القصبة، فسلمه الله.

ثم نفذ إلى تحت القصبة، وقال لصاحب ظفار: أعطني ظهرك أصعد عليه، فارتقى على ظهره، ووضع عمامته تحت الصفيف، ونطحه حتى انتثر البناء، وهو من البناء المعروف بجهة البادية، فألقى الله الرعب في صدر أولئك،

فانهزموا منـه، ووثب إلى داخل القصبة، ثم دعا بأصحاب الإمام، فأقبلوا، وظفروا ببعض أولئك، وقتل بعضهم صبراً بين يدي الإمام، قتله السيد الحسين ابن الإمام القاسم.

وحج القاضـي المذكور مع الإمام القاسم، واتفق أن بعض المفسدين عاث في الحجـاج، وآذاهـم، ونهب من نهب، فتجرد له القاضي، وارتبطه ارتباطاً، وفي آخر أمره تولى القضـاء بجهة وصـاب، بعد أن شهد المشاهد الإمامية جميعها.

وتوفي ـ رحمه الله ـ بالدنّ، وقبر بالروضة هناك، في شهر ربيع، سنة إحدى وخمسين وألف.

ورثاه العلامة علي بن محمد بن سلامة بقصيدةٍ مستجادةٍ، ورثاه المقرئ الفاضل الصـالح صـلاح بن محمد السودي الصعدي، وجعلها على قصيدة القاضي علي بن سلامة، فقال:

هو الصبر ما كافاه ملجاً ولا كهفُ	إذا لم نُطِقْ منعاً وقد وقع الـصرفُ
أَلِـمَّ بـه عنـدَ الممـاتِ واحتـسبْ	به لامة[1] من دونها البيضُ والزعـفُ[2]
أخي ألق أعباء الأسـى لا مجهـلاً	وخذ في الأسى نهجاً فمثلُك لا يهفو
فمــا جَـزَعٌ يغنــي فَتـيلاً لجــازعٍ	ولا عَبْرَةٌ تُجدي ولو جادَها الوَكْفُ
وأما الفتى الماضـي لوجـهِ سـبيلهِ	فما رَزْؤه في الدين إلا البلا الصرفُ

---

(١) في الأصل: لانه.

(٢) في الأصل: والرعف.

لئنْ غابَ نورُ الدين وانهـدَّ طـودُه فهذا الخسوفُ الحقُّ عمرك والخسف

ومـا المـوتُ إلا للأكـارم واصـلٌ ولكنه عـن وصـلِ غيـرِهمُ يجفـو

فللَّهِ ما أحلـى الثـرى مَـنْ صـفاتُه صفاتُ عُلاً فوق الثريا لها وصـفُ

فتًى قد نمتْـه مـن عـديٍّ غطـارفٌ ضراغمُ غلاَّبون شُـمُّ الـذُّرا أُنْـفُ

مفاخرُهم كالـشمسِ نـوراً ورفعـة وفيهم بحسنِ الذكرِ أنعمت الصُّحْفُ

فتًى إن دجا في العلم والمحل مشكل فمن عنده في الحالتين لها كَـشْفُ

فينحـلُّ معقـودٌ ويرتـاح منكـدٌ وينهَـلُ مطـرودٌ ومنهلُـه يـصفو

شـمائلُه تـروي النـسيمَ وبأسـه يمزقُ من شمل المعـادين مـالَفُّوا

ففي السلمِ والحربِ الرُّحا وعقيمُها فللمهتدي لطفٌ وللمعتدي حتفُ

وأيامُـه فـي المعتـدين شـهيرة يخبّـر عـنهن المخـالفُ والإلـفُ

فللـهِ مـن ليـثِ الملاحـمِ بَـيْهَسٍ به شرب الخصمُ المكاره واستفوا[1]

رأوا عزمـه والـسيف لمـا تكافـأ مضاء فما للأشقياء عنـه مـا كفـوا

فتهمي له الأقلامُ والصحفُ عبـرة إذا بكت الأسفى المزاهرُ والـدفُّ

ويبكي له الملهوفُ للعلم والندى يحـق لـه فيهـا التأسـفُ واللهـفُ

وتبكيه بِيضُ الهند والسمرُ والسرى ويرتاح فيه الطرفُ إن شخصَ الطرفُ

وما المـوتُ إلا كـلُّ حـيٍّ يذوقُـه وآخـرُ هـذا الحـيِّ أَوَّلُـه يقفـو

لئن شَـتَّتَ الأفكـارَ عَظـمُ مـصابه ففيه جميعُ الوصفِ بالحقِّ ملتـفٌّ

عليـه سـلامُ الله مـا فـاه عـارفٌ بأوصافه الحسنى وفاحَ لها عَـرْفُ

---

(١) في الأصل: واستغنوا.

[١٤٦٠] علي بن تاج الدين بن تقي الدين السنجاري، المكي، الحنفي، الخطيب[١].

أحد فضلاء هذا العصر وفقهائه، وأدبائه وشعرائه، تفنن في علومه، وأجاد في منثوره ومنظومه، وتميز بالفضل على أقرانه، وزاحم بمنكبه صدور أماجد زمانه.

مولده بمكة، عام سبعة وخمسين بعد الألف، وحفظ القرآن، وأخذ عن أكابر العلماء الأعيان؛ كالعلامة الشيخ عيسى المغربي، والشيخ إبراهيم ابن عيسى بن أبي سلمة خاتمةِ الحنفية، والشيخ إبراهيم بيري الحنفي، وغيرهم من العلماء؛ كالشيخ محمد بن سليمان.

ولقي كثيراً من العلماء الواردين مكة؛ كالعلامة الطوخي، والشيخ يحيى الشاوي، والشيخ عبد المالك المغربي، والشيخ أحمد بن عبد العزيز المربي، وخلقٌ كثيرٌ حضر دروسهم، وقد جمعهم هو في بعض تعاليقه، وبرع في جميع الفنون، إلى ما يعجز عن الواصفون.

وشعره أحسنُ من عيون الغيد، وأبهى من الوجنات ذواتِ التوريد.

فمما أنشدني: قوله مضمناً:

ناديت مَن مرّ بي كالظبيِ ملتفتاً ... مذ أخبروه بما فيَّ الهوى صنعا

يا بن الكِرام ألا تدنو فتبصرَ ما ... قد حدَّثوك فما راءٍ كمن سمعا

وقوله متغزلاً:

عاتِباها عسى تُبين اعتذارا ... عن جفاءٍ أورى بقلبيَ نارا

---

(١) «طيب السمر» للحيمي (٢/ ٥٣٩)، «نفحة الريحانة» (٤/ ١٣٤) (٢٨٦).

واحفظا ما تقولُ إنَّ عَذارى الْـ ـقول ما قالتِ الملاحُ العَذارى
كيفَ بعد اعتقادِ صدقِ ودادي منحتني تباعداً وازورارا

[١٤٦١] علي بن أحمد بن محمد بن إبراهيم العزيزي الشافعي[١].

نزيل بولاق ساحل مصر، له «شرحٌ على الجامع الصغير»، و«حاشيةٌ على شرح الغاية» لابن قاسم، وغيره[٢].

[١٤٦٢] علي بن جاب الله الحصري الحنفي الرشيدي.

مفتي رشيد، وعالم الحنفية بها، كان إماماً متضلعاً في الفقه، والأصول والفرائض، والعلوم النافعة، أخذ عن الشمس محمد المحبي، ومَنْ في طبقته، وحضر دروس البرهان اللقاني في الحديث.

ورجع إلى بلده، وظهر في رشيد ظهوراً كبيراً، وعظم قدره، وكان العمدة عليه في الفتاوى بها، وشهد له أقرانه بالفضل الباهر، رأيته برشيد، واجتمعت به كثيراً، وبنى مسجداً برشيد، تقام فيه الجمعة، وجعل له أوقافاً.

وتوفي سنة تسع وتسعين بعد الألف برشيد، وبيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ - رحمه الله تعالى -.

[١٤٦٣] علي بن برهان الدين إبراهيم بن أحمد بن علي بن عمر الحلبي القاهري[٣].

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٠١)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٥٨).

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا ثلاثة أسطر بيضاء».

(٣) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٩٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٢٢)، «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٥١).

علامة الزمان، وفريد الأوان، الغني بشهرته عن البيان، المشهور بين أهل الذكاء والعرفان، بمزيد الحذق والإتقان، كان جبلاً من جبال العلم، وبحراً لا ساحل له، واسع الحلم، وإماماً جليلاً جامعاً لأشتات العلا والمفاخر، وكم ترك الأول للآخر؟! صرف نقد عمره، في بث العلم النافع ونثره، وحظي فيه بحظوةٍ غير سهله، لم يحظها أحدٌ مثله، فكان درسه مجمع الفضلاء، ومحط رحال النبلاء.

وكان غايةً في التحقيق، حادَّ الفهم، قوي الفكرة والتدقيق، متحرياً في الفتاوى عن الزلل، جامعاً بين العلم والعمل، صاحبَ جدٍّ واجتهادٍ، عمَّ نفعُه للحاضر والباد، فكانوا يأتونه لأخذ العلم من البلاد، مهاباً عند خاصة الناس وعامتهم، حسن الخَلق والخُلق، ذا دعابةٍ لطيفةٍ في درسه.

وكان شيوخنا يُثنون عليه بما هو أهله؛ من الفضل التام، ومزيد الجلالة والاحترام، وكان إذا مرّ على شيخنا سلطان المزاحي، وهو في درسه، مع جلالته، يقوم له، ويقبل يديه، ويأخذ سرموزته بيده، ويضعها في خزانة الشيخ علي، ويفرش له سجادته التي يجلس عليها للتدريس، ثم يرجع شيخنا إلى درسه.

ووقف جميع كتبه على شيخنا المذكور.

وروى عن العلامة الشمس محمد الرملي، ولازمه السنين العديدة، وعن المحقق الشهاب أحمد القاسمي، ومنصور الطبلاوي، وإبراهيم العلقمي، والشمس محمد الوسيمي، والشمس محمد النحريري الحنفي، وعبدالله الشنشوري الفرضي، وعلي بن غانم المقدسي، وعنه: شيوخنا: علي الشبراملسي، ومحمد البابلي.

وله المؤلفات الكثيرة، منها: السيرة النبوية، التي سماها: «إنسان العيون في سيرة النبي المأمون» في مجلداتٍ، اشتهرت اشتهاراً كثيراً، وتلقتها أفاضل العصر بالقبـول، حررهـا تحريراً تاماً، مع شيخنا سلطان المزاحي، وشرحٌ نفيسٌ على الشمائل، لم يتمه، سماه: «الوفا بشرح شمائل المصطفى»، ورد فيه كثيراً على عصريّه عبد الرؤوف المناوي، و«شـرحٌ على شرح الأزهرية» للشيخ خالـد الأزهري، و«شرح على شرح البسملة» لشيخ الإسلام، و«حاشيةٌ على شرح المنهج»، و«حاشيةٌ على معراج الغيطي»، وغير ذلك من التحريرات الفائقة الرائقة.

وكانت **ولادته** بمصر، سنة خمس وسبعين وتسع مئة، **ومات** بمصر، سلخ شعبان، سنة أربع وأربعين بعد الألف، ودفن بتربة المجاورين ـ رحمه الله تعالى ـ.

وكان صاحب الترجمة والشيخ عبد الرحمن الخياري، يشبَّهان[1] في عصرنا[2] بالسعد والسيد.

قلت: والظن أن المترجم هو المشبَّه بالسيد؛ لما كان عليه ـ رحمه الله ـ، من سرعة الفهم، وتوقد الفكر.

[١٤٦٤] المنلا علي بن المنلا قاسم بن نعمة الله الشيرازي المكي[3].

---

(١) في الأصل: شبيهان، والصواب ما أثبت.

(٢) في الأصل: عصر ما، والصواب ما أثبت.

(٣) «سلافة العصر» لابن معصوم (١٧٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٧٨)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٢٢٩).

قال السيد علي في «سلافته»: هو إمام المعاني والبيان، والغني فضله عن الإيضاح والبيان، ومَنْ عليه المعوَّل، في كل مختصر ومطوَّل، وأما الأدب، فإن نثر، فالنثرة في قلق، أو شعر، عاذت الشعراء بربِّ الفلق، وهو شيرازي المحتِد، حجازي المولد، وجده الرابع من آبائه الشيخ ظهير الدين، كان أحد العلماء المحققين، وله بشيراز مدرسةٌ وطلبة، ورتبةٌ أحرز بها من الخير ما طلبه.

ووُلد صاحب الترجمة بمكة، ونشأ بها، وأكبَّ على كسب العلم وتحصيله، وتأثيل الفضل وتأصيله، حتى ظهر شأنه، وتهدلت بفنون العلم أفنانه، فلما نبا به الوطن، وضاق عنه العَطَن، ارتاح للسفر، وأمّل حصول الظفر، وامتثل قول الأول: وإذا نبا بك منزلٌ فتحوّلِ.

فدخل العجمَ أولاً، والهند ثانياً، وراح لعنانه عن أوطانه ثانياً، **فاختطفته المنية**، في بعض البلاد الهندية، وهو شابٌّ، في شهر محرم، عام إحدى[1] وخمسين بعد الألف.

ومن شعره: قوله في صدر كتابٍ:

أناخَ بسوحي جيشُ همٍّ وأوجالِ ... وأضحى قرينَ القلب من بعدِ ترحالِ

وما فَلَّ ذاك الجيشَ غيرُ صحيفة ... تَجِلُّ لعَمْري عن شبيهٍ وتمثالِ

أتتْ تسلبُ الألبابَ طرّاً كأنها ... ربيبةُ خدرٍ ذاتِ سمطٍ وخَلْخالِ

أتتْ من خليلٍ قربهُ غايةُ المنى ... ومنظرُه الأسنى غدا جلَّ آمالي

فلا زالَ محفوظاً عن الحزن والأسى ... ولا زال محفوفاً بعزٍّ وإجلالِ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: واحد.

ومن شعره: قوله مضمناً:

ولمـا أتتنـي مـن جنابـك نفحـةٌ تضوَّعَ من أنفاسِها المسكُ والنَّـدُ
وقفـتُ فأتبعـتُ الرسـولَ مسائلاً وأنـشدتُه بيتـاً هـو العَلَـمُ الفـردُ
وحدثتني يـا سـعدُ عنهـا فزدتنـي شجوناً فزدني من حديثك يا سعدُ

والبيت المضمن للعباس بن الأحنف، وبعده:

هواها هوًى لم يعرفِ القلبُ غيرَه فلـيس لـه قبـلٌ ولـيس لـه بَعْـدُ

[١٤٦٥] علي بن فضل الطبري.

مولده أرخه بعضهم بقوله: (ولد لفضلٍ علي) يحرر مولد ولده محمد ابن علي بن فضل، يوم عرفة، سنة تسع وتسعين ـ بتقديم التاء فيهما ـ وألف.

توفي الإمام علي عام ألف ومئة وواحد، ليلة خمس في رمضان، بالطائف، ودفن به ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٤٦٦] علي بن الحسن النقيب بن علي النقيب بن الحسن بن علي بن شدقم بن ظامن بن محمد بن عرمة بن مكيثة بن توبة بن حمزة بن علي بن عبد الواحد ابن الأمير شهاب الدين الحسين ابن الأمير أبي أحمد القاسم ابن عبدالله بن طاهر بن يحيى النسابة بن الحسن بن جعفر الحاج بن عبدالله الأعرج الأول بن الحسين الأصغر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ[١].

السيد الجليل، عالم المدينة النبوية، وواسطة عقد العصابة الحسينية،

---

(١) «الأعلام» للزركلي (٤/ ٢٧٥).

كان بينه وبين الإمام القاسم مكاتباتٌ عديدةٌ، وهو والد السيد شدقم بن علي ـ رحمهم الله ـ.

[١٤٦٧] علي ابن الفقيه عبد الرحمن بن سراج باجمال الحضرمي[١].

قال تلميذه أحمد الأصبحي في «مطالع الأنوار»: كان من العلماء الصالحين، والعباد المواظبين، على طاعة رب العالمين، سليم الصدر، منور القلب، محبوباً عند الأنام، خاشعاً قانتاً، كثير العبادة، اشتغل بكتابة الكتب النافعة للتحصيل، فيسر الله تعالى ذلك على يديه، فكان لا يمل من الكتابة، وكتب من القرآن ختمات، ومقدمات كثيرة، ولم يختل نظره في كبره، وانتفع به جماعةٌ.

وله يدٌ في إيضاح المشكلات، وكان يتورع عن الإفتاء، وتولية الأحكام، واستمر على أحسن حال، إلى وقت الانتقال، فتوفي سنة أربع وثلاثين بعد الألف، بالغرفة من أرض حضرموت ـ رحمه الله ـ.

[١٤٦٨] السيد علي بن عمر بن علي بن محمد فقيه بن عبد الرحمن ابن الشيخ علي باعلوي الحسيني[٢].

ذو الرياسة المشهورة، والزهادة الموفورة، العالم العامل، الصالح الكامل، تفقه على السيد أحمد بن حسين بلفقيه، والسيد أحمد عيديد، والسيد عبد الرحمن بافقيه، وأخذ التفسير والحديث، وعلوم العربية عن السيد أبي

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٤١٧)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٧١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٥٧).

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٩٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٧٧).

بكر بن شهاب الدين، وأخويه: محمد الهادي، وأحمد شهاب الدين، وأخذ التصوف عن السيد عمر بن حسين بن فقيه، ثم لازم السيد علوي بن عبدالله العيدورس، وأقبل عليه السيد علوي، وأحبّه، وتخرج به في فنونٍ كثيرةٍ، خصوصاً علم التصوف، ومشايخه كثيرون، ولكن جل انتفاعه بالسيد علوي، وألبسه أكثر مشايخه خرقة التصوف، وأذنوا له في الإلباس، وأجازوه في التدريس، ونفع الناس.

وكان موصوفاً بحسن الحفظ، والفهم والذكاء، وكان ظريف المذاكرة، لطيف المحاضرة، مواظباً على السنن الشرعية، والآداب النبوية، والأذكار المأثورة، والوظائف المشهورة، ذا خلقٍ حسنٍ، ماشياً على أقوم سنن، ولم يزل يزداد خيراً، حتى ضاع ذكره نشراً، وتهلل محيا الوجود بفضله نشراً، ثم انقضت أيامه، ودنا حمامه، فتوفي سنة ثمان وثلاثين بعد الألف، بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبل ـ رحمه الله ـ.

[١٤٦٩] علي بن عبدالله الدَّوْعني الحضرمي[١].

أحد مشايخ الطريقة، الجامعين بين الشريعة والحقيقة، ومن الأفراد الذين انفردوا في ذلك الإقليم، بالإرشاد والإمداد والتعليم ومن أعظمهم شهرةً وذكراً، ومهابةً وجلالةً وقدراً، صحب في بدايته، الشريف العارف بالله عمر العطاس باعلوي، تلميذَ الشيخ حسين ابن القطب الشيخ أبي بكر بن سالم باعلوي، صاحب عينات، واستفاد منه، واقتبس من علومه، وكان يحبه حباً شديداً، ويثني عليه.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٧٢).

ولقي جمعاً من أكابر السادة العلويين، وانتفع بهم، وانتمى إليهم، ففتح الله عليه بفتوحاتٍ كثيرة، وقصده الناس من نواحٍ شتى، وتخرج به خلقٌ كثيرٌ، منهم: الشيخ الولي الزاهد محمد بن أحمد بامشوس الدوعني.

وأخبرني صاحبنا السيد الجليل محمد بن عبدالله خرد باعلوي: أن الشيخ العارف بالله أحمد بن عبد القادر باعشن الدوعني، بشّر به قبل وجوده، فكان يقول: سيخرج بعدي في هذا البلد رجلٌ اسمه كذا، وصفته كذا، بوصفه، هو شمس هذا الإقليم ونوره.

وله ـ نفع الله به ـ المصنفات النافعة، الكثيرة الشهيرة، التي تلقاها أهل ذلك الإقليم بالقبول التام، والإجلال والاحترام، منها: «شرحان على الحكم العطائية كبير وصغير»، و«شرح قصيدة الشيخ أبي بكر بن عبدالله العيدروس» التي أولها:

ما حُسْنٌ يعشَقُ غيرُ حسنِ لُبنى — ما مثلُها محبوبُ
ولا جمالٌ يذكر بكل معنى — إلا لَها منسوبُ

وغير ذلك مما يطول ذكره.

توفي بالخريبة ـ بالتصغير ـ من أعمال دوعن، من حضرموت، في تاسع عشر ربيع الأول، سنة أربع وتسعين بعد الألف، وصلى عليه إماماً بالناس، السيدُ محمد بن أحمد الجفري باعلوي، في مشهدٍ عظيمٍ، حضره غالب أهل ذلك الإقليم ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ.

[١٤٧٠] السيد علي بن سليمان بن أحمد، الشهير بالغرب، الحسيني الموسوي.

أحد السادة الأشراف، الجميل الأوصاف، المتحلي بشعار العلم والتقوى، المتمسك من العلم بالسبب الأقوى، مع دماثة أخلاق، نشأت عن طيب أعراق.

وُلد بالقنفذة، سنة أربع وخمسين بعد الألف، وأخذ بها عن الشيخ عبد الواحد بن أبي بكر القاضي، ولازمه سنين عديدة.

ثم رحل إلى الحرمين، وحضر دروس شيخنا برهان الملة والدين، إبراهيم الكوراني، والشيخ عبدالله الطاهر، والشيخ أحمد النخلي، وأخذ عن شيخنا محقق العصر، الشهابِ أحمد البشبيشي، وشيخنا العلامة السيدِ محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي الحسيني، وأجازاه بمروياتهما.

واجتمعت به ثاني عشر ربيع الثاني، سنة أربع وتسعين بعد الألف بالقنفذة، وحضرت بها درسه، وأجازني بمروياته، وحصل بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ، ومحبةٌ شديدةٌ.

وهو السيد علي بن سليمان بن أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عمر ابن أحمد بن أبي بكر بن عمر بن أبي بكر بن عمر بن الغرب بن حسن بن يوسف بن حسن بن يحيى بن سالم بن عبدالله بن حسين بن علي بن آدم بن إدريس بن حسين بن محمد التقي الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم ابن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط ابن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، هكذا ساق نسب بني الغرب، العلامة محمد بن أبي بكر الأشخر، في كتابه «كشف الغين عمّن بوادي سردد من ذرية السبطين»، وأمه الشريفة عائشة بنت السيد عبد الواحد بن محمد بن عمر الغرب.

توفي المترجم ـ رحمه الله ـ بالقنفذة، سنة ثمان وتسعين وألف.

[١٤٧١] علي بن محمد الطرابلسي، الشيخ العلامة، علاء الدين بن ناصر الدين الحنفي.

إمام الحنفية بالمقصورة في الجامع الأموي، وابنُ إمامه.

مولده سنة إحدى وخمسين وتسع مئة، وأخذ عن والده، وقرأ القرآن العظيم بالروايات على أحمد الطيبي، وأخذ الفقه عن عبد الوهاب، وكان حسن الصوت والقراءة، مفنناً في العلوم، علامةً في الفرائض، ألف فيه كتاباً قال فيه النجم الغزي: أتى به إليّ، وسألني التقريظ عليه، فكتبت له عليه هذه الأبيات:

إمامُ المسجدِ الجامعْ … أتى بالمفرَدِ الجامعْ
كتابٌ ما له مثلٌ … ولكن علمُه واسعْ
أتى فيه بما أغنى … وَبيَّنَ ما هو الواقعْ
يبين الفرضَ والتعصيبَ … في الميراث والمانعْ
به قد أتحفَ القاري … كما قد أطربَ السامعْ
ومن قاموسِه الحيسو … ب ما استغنى به كارِعْ
على طلابِ هذا الفنْ … ـنِ من أفضاله هامِعْ
لقد أبدَع في وضعٍ … حباه الله من واضِعْ
وحيَّاه بإفضالٍ … على تصنيفه النافِعْ

توفي بدمشق بعد أن أقعد، وانقطع في بيته سنين، يوم الجمعة،

ثالث عشر جمادى الثانية، سنة اثنتين وثلاثين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[١٤٧٢] علي بن إبراهيم بن المهدي الحجاف.

السيد الجليل الصالح، الولي الكامل، رأس الفضلاء، وتاج الكبراء، كان سيداً مباركاً، عادلاً عارفاً، له الأخلاق الرضية، والشمائل المرضية، وصلاحية الطوية، وتولى الجعفرية وما والاها نحو ثلاث وثلاثين سنةً، وهو على حالةٍ واحدة مستقيمةٍ.

وكان من الإحسان إلى السادة والفقراء، بمكان لا يساويه فيه غيره، وجلالته عند الأئمة أشهر من أن تذكر، وفضائله لا تعد ولا تحصر، ولم يُذكر عند أحدٍ من أهل الدين والصلاح، إلا أثنى عليه، ودعا له، وكفى بذلك منقبةً.

توفي ـ رحمه الله، وبلّ ثراه بوابل الرحمة ـ في كسمة، في شهر رجب، سنة إحدى وسبعين وألف، عن نحو ثمانين عاماً، ودفن هنالك، في جانب مسجده الذي أسسه، وتعب لموته الخاص والعام.

وهو والد السيد النجيب، فخرِ أهل الزمان، المرتفع بأخلاقه الرضية عن الأقران، زيدِ بن علي صاحب المخا، وذكره السيد الجليل محمد بن الطاهر البحر في «تاريخه»، وأثنى عليه، قال: وما رأيت فيمن رأيت، من الولاة في عصرنا، أتقى ولا أكرم منه ـ رحمه الله ـ.

[١٤٧٣] علي بن عبد القادر الطبري الحسيني المكي[(١)].

الإمام المشار إليه في المحافل، والحالب ضرعَ الأدب الحافل، والباهر

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٦١)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٤١) (٢٧١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٥٧).

الألباب والعقول، بفرائد المعقول والمنقول، أخذ عن والده، ومن عاصره من المكيين، وله مؤلفاتٌ، منها: «الأرج المسكي والتاريخ المكي» وهو تاريخٌ حافلٌ متضمنٌ لأخبار الحرم، والكعبة المشرفة، والمسجد الحرام، وما فيه من منابر وقباب وأساطين، وغير ذلك مما يتعلق بمكة، وتراجم الخلفاء والملوك، من زمن الصديق ﷺ إلى زمنه.

ومنها: «الجواهر المنتظمة بفضيلة الكعبة المعظمة»، وله «رسالةٌ في بيان العمارة الواقعة بعد سقوطها» سنة خمس وأربعين بعد الألف.

وتوفي بمكة، عام سبعين بعد الألف، ودفن بالمعلاة، بتربتهم المعروفة.

من شعره: قوله:

غانيةٌ تخجل بدرَ التمام	غاية سؤلي من جميع الأنامْ
رقيقةُ الخصر حَوى لفظها	رقى فأصبحت لها كالغلامْ
بين ثناياها وذاك اللمى	برق تلألأ في دياجي الظلامْ
يحسدها المسكُ على لونها	يا للهوى والريق يحكي المُدامْ
هِمْتُ بها حباً وكم في الهوى	هام بها عشقا مثلي هُمام

وله ـ أيضاً ـ في مليحةٍ اسمها غربية:

ولي جهةٌ غربيةٌ أشرقت بها	لعيني شمسُ الأفق من غير ما حجبِ
ولاحَ بها بدرُ التمام لناظري	ومن عجبٍ شمسٌ وبدرٌ من الغربِ

وله ـ أيضاً ـ فيها:

إن الأهلَّةَ مذ بدت غربية	فالغربُ منه ضيا المسرة تشرقُ

فالشرقُ دعْه فليس منه سوى ذُكـا　　　تحتـر فـي وسـط النهـار وتُحـرِقُ

وأقبل المترجَمُ على الجثيِّ بين يدي المشايخ، حتى رقا المراتب العليَّة، واشتغل بتحصيل العلوم على الأنماط الحسنة البهية، وسلك في الطلب الطريق الأقوم، وصنت[١] السمع عن الإصغاء للعذل واللوم، وبدأ بما هو الأقدم، فشرع في العلوم الشرعية والأهم المقدم، ثم صرف الهمة للقيام بخدمتي التدريس والإفتاء، والانتصاب لجواب...[٢].

[١٤٧٤] السيد علي بن حسن بن عقيل النعمي[٣].

من السادة النعميين بصَبْيا، كان ـ فيما كتب إليّ صاحبنا الأديب علي ابن الهادي ـ: فاضلاً أريباً، وشاعراً أديباً.

وُلد عام ستة وثلاثين بعد الألف بالعشيرة، وبها نشأ، ورحل إلى صعدة، وقرأ بها على شيوخ كثيرين، منهم: القاضي عبد القادر بن سعيد الهبل، والقاضي أحمد بن صالح الهبل، [والعلامة القاضي أحمد بن يحيى حابس][٤] وغيرهم[٥]، سخيٌّ جواد، مطعمٌ للخاص والعام، وسمح... الطائي...[٦].

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: وصان.

(٢) جاء في الحاشية: «بعد هذا ربع صفحة بيضاء».

(٣) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣١٣).

(٤) ما بين معقوفتين ليس في الأصل.

(٥) في الأصل: وغيرهما.

(٦) بياض في الأصل.

وفاته عام خمسة وسبعين بعد الألف، ودفن بهجرة العشيرة.

وكان مولده بالعشيرة، ونشأ بها، ودرس بصعده، قرأ على العلامة أحمد ابن يحيى بن حابس القاضي، والقاضي سعيد الهبل، وغيرهما[1]، ولم يكن من أهل الشعر، ولكنه من أهل العلم الصريح، والورع الصحيح[2]، والأنظار الثاقبة، والآراء الصائبة، والأخلاق المرضية، والشجة العلوية، والتقشف عن مخالطة ولاة الأمر، شديد الحمية في ذات الله، وهو السيد علي بن حسن ابن عقيل بن عز الدين بن يحيى بن سالم بن أحمد بن عيسى، وتقدم بقية النسب.

وتوفي أوائل محرم، سنة خمس وسبعين بعد الألف، في طريق الحج، وهو آيبٌ من مكة، بحمضة محط الحاج اليماني، بالقرب من وادي عتود، ولما ورد الخبر لوالده، انفطر قلبه حزناً عليه؛ لأنه لم يكن له من الأولاد سواه، فتوفي بعده بعشرين يوماً بالدهنا، ودفن بالهجرة من العشيرة، وكلاهما تولى القضاء مدتهما، بصَبْيا ببلد تسمى: العشيرة، والدهنا أسفل وادي وساع.

ورثاهما السيد محمد النعمي بقصيدةٍ طويلةٍ، مطلعها:

صدمَ الدهرُ طودَ مجدٍ أثيلِ	ووهى الدينُ بالمصاب الجليلِ
ونجومُ الهدى هوتْ وأغيضت	أبْحُرُ الجود بعد نجلَيْ عقيلِ
قَمَرَيْ أُفقِها وطودَي عُلاها	وعمودَيْ نوالِها المأهولِ
جَبَلَيْ أمْنِها إذا ناب خطبٌ	وعتادُ الورى لحمل الثقيلِ

(١) في الأصل: وغيرهم.

(٢) في الأصل: السحيح.

ومنها:

وسـلام علـى ضـريحين ضَـمَّا   نخـوةَ الملتجـي وكهـفَ النزيـلِ

ووالده السيد العلامة، المحقق المدقق، الورع حقاً، الزاهد صدقاً، صافي الفكرة، جليل الحضرة، المرجوُّ في حل المشكلات، والمحلّ حنادسَ المعضلات، كان من التقشف عن أموال ولاة الأمر، والأكل من طعامهم، على مكان، وأعظم شان، لا يختلف في ذلك اثنان، على كثرة استشفاع الرعايا به إليهم، وكثرة ترداده عليهم، لا يأكل إلا من خالص ماله.

وبلغ من ورعه: أنه في بعض مماشيه إلى والي صبيا: أنه سمع تالياً يتلو، من آحاد المجاذيب، في بعض الأزقة: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓاْ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ﴾[هود: ١١٣] الآية، فعاد ولم يواجه الوالي، بالنقل الصحيح الذي لا ينكر، ولا يختلف فيه.

[١٤٧٥] علي بن الهادي الكوكباني.

كان وزير السيد الناصر بن عبد الرب صاحب كوكبان، شدّ به أزر دولته، واصطفاه لتدبير ملكه، وإظهار صولته، واستكفاه لحله وإبرامه، ومكّنه من مقاد ملكه وزمامه، وحصل عنده كالسواد من الناظر، والسُّويداء من الفؤاد والخاطر، وكان جواداً ماجداً، وفي الفضل غير قاصر، ثم لما قضى ذلك الحسام، وأغمد في باطن الرغام، وأفضى الملك إلى ولده السيد عبد القادر، ألقى إليه وزارته، ولم يزل لحدقتها الناظرة، حديقتَها الناضرة.

حتى أصابت الوزارةَ عينُ الكمال، وذهب عنها ذلك الجمال، وانحط عنها وهو عليّ، وصار إلى الحبس لا لدنيةٍ، فصبح فضله لكل ذي عينين جلي.

وقال في ذلك ولده صاحبُنا القاضي العلامة يوسف:

قلتُ وقد قالوا رأينا عجباً ... درةُ تاج الملك أضحَتْ في صَفَدْ
ما هو إلا صَدَفٌ وإنما ... أَخَّرَ عنه دالَهُ أهلُ الحسدْ

ولبث في السجن أيام البدر، ثم استدعاه إليه الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، فسار إلى البحر البرّ، ولما نزل في حرم الخلافة، أبى الإمام إلا نقيضَ ما أريد به وخلافه، فأنزله في جنان دانية القطوف، ونظمه في سلك عظماء وزرائه، فأضحت خلافته ولها من تدبيره عقودٌ وشُنوف.

ثم أرسله إلى صنعاء والياً، لقبض واجبات أهلها، فنازعه الشوق إلى الأهل والوطن، فعاد إلى كوكبان، في عزٍّ موفورٍ، وحالٍ حسنٍ، فلم يلبث إلا أياماً، حتى قضى نحبه، فتوفي صبح الاثنين، لعله ثاني عشر شعبان، سنة ست وسبعين وألف، ودفن بمقبرة الحسن بن شمس الدين، بباب حصن كوكبان، في جوار السيد العابد إبراهيم بن المفضل ـ رحمهم الله ـ.

ورثاه كثيرٌ من الشعراء بقصائد ذكرها ولده القاضي يوسف، في «طوق الصادح».

[١٤٧٦] الملا علي الكوراني الشافعي[1].

إمام مسجد النبي جرجيس ـ عليه الصلاة والسلام ـ بمدينة الموصل، أحد أكابر المحققين، له مؤلفاتٌ منها: «حاشيةٌ على شرح الشمسية» للقطب، و«حاشيةٌ على شرح عقائد» النسفي للسعد.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٠٣).

توفي سنة أربع وتسعين بعد الألف بالموصل، ودفن بالمسجد المذكور.

[١٤٧٧] علي الواطي المالكي المصري.

صاحبنا الفاضل الأريب، الذي جمع الله له بين العلم والعمل، والزهد في الدنيا، والرضا بالأقل، أخذ بالجامع الأزهر عن عدةٍ من المشايخ الأعلام؛ كشيخنا سلطان، وعلي الشبراملسي، وعبد المعطي المالكي، ومحمد الخرشي، وغيرهم، وبرع في علومٍ كثيرةٍ.

ثم رحل إلى مكة، وأقام بها، ولازم الشيخ عيسى المغربي الجعفري، وسار في مجاورته بمكة سيرةً حميدةً، إلى أن توفي بها، في أواخر شعبان، سنة تسع وتسعين بعد الألف، ودفن بالمعلاة، بحوطة الفضيل بن عياض - رحم الله الجميع -.

[١٤٧٨] علي باشا الجزائري.

قدم من الحبشة سنة سبع وألف إلى اليمن، عاضداً للوزير حسن باشا، فصادر السادة بني جعمان في أموالهم، ففروا منه إلى الهيجة، ثم طلع إلى ذمار، ونزل على الجعفرية وما يليها، وهي مخلافٌ من مخاليف ريمة المشهورة، ذات الحصون والقلاع، والفواكه والأموال والضياع، فتنافس هو وأهلها.

فلما دخل «كسمة»، وأراد الطلوع إلى «طلملم» الحصن المشهور، قام عليه سعيد ظليلي وجماعته، فرماه أحدهم بحجر من بين[1]، فرضتي جبل

(١) في الأصل: بحجر تبن.

هنالك، خرّ منها من على حصانه، فقتلوه، وانكسرت جيوشه، وتفرق أصحابه، ونُهبت محطته، وكان قدم من الحبشة بأموالٍ عظيمة، براً وبحراً، فاستغنى منها المفلس، وكان قدومه ومقتله سنة خمس بعد الألف.

[١٤٧٩] علي بن عبدالله بن يغنم صاحب برع.

كان من المشايخ الفضلاء، يحب الفقراء، ويطعم المساكين والوافدين، وله رياسةٌ وحماسةٌ، ومحل سكنه حصن حنبان، ـ بحاء مهملة، ونون ثم باء ـ من أعمال برع.

توفي سنة ثلاثين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[١٤٨٠] علي بن إبراهيم بن حسين الصريدح المالكي الذوالي.

كان من عباد الله الصالحين، صاحب خلق حسن وإكرام، ومشارك في العلوم، ومحبة لأهل العلم، وله مكارم وآثار حسنة، وبرك تسقى منها الدواب والناس.

توفي يوم الأربعاء، خامس شهر جمادى الأولى، سنة ثلاث وأربعين بعد الألف.

[١٤٨١] علي بن محمد بن أبي بكر بن مطير[1].

العالم العلامة، الحجة الفهامة، كان إماماً جليلاً، وعارفاً نبيلاً، عمرت بالعلم أوقاته ورباعه، وامتدت في المقام والأحوال باعه، وقصده الغادي والرائح، وخدمته القرائح بالمدائح، مع الحرص على سلوك طريق أهل السنة

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٩٣)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٥٣٧) (٢٥٦)، «الأعلام» للزركلي (٥/ ١٥).

والجماعة، والمواظبة على الخير، فلا يصرف من أوقاته ساعة، في غير طاعة، والاشتغال بالحديث النبوي، وعلوم الدين، والانهماك على بث العلم للطالبين، والتقوى والورع التام، وعدم مخالطة أحدٍ من الحكام.

أخـذ الفقـه والحديـث، وغيرهما من العلوم النافعة عن كثيرٍ، منهم: العلامة محمد بن علي مطير، وأخوه خاتمة المحققين أحمد بن علي مطير، وأجازه شيوخه بالإفتاء والتدريس، في كل علم نفيس، وعنه أخذ جمعٌ، منهم: شيخنا ذهل بن علي حشيبر.

وألف مؤلفاتٍ، منها: «مختصر التلخيص في الفقه» لابن مطير، ولم يزل على بث العلم ونشـره، وملازمة طاعة الله في سره وجهره، حتى أحب مولاه لقاءه، فأجاب داعيه ودرج، **وبروحه اللطيفة إليه عرج**، في شهر رجب الأصـم، سـنة أربع وثمانين بعد الألف، بمدينـة الزيدية، ودفن بقرب تربة العارف بالله ذهل بن إبراهيم الحشيبري ـ نفع الله به ـ.

وبنو مطير منسوبون لمطير ـ تصغير مطر ـ بن علي بن عثمان الحكمي، من حكماء «حرض»، وكان مطير من أعيانهم، وغالبهم في مكانٍ يقال له: الحصن، من المخلاف السليماني، وهم بيت علمٍ وصلاحٍ مشهورون باليمن، واعتقدتهم جميع أهله، بل جميع البلاد؛ لسلوكهم على المنهج القويم، ولابد من قائم منهم يكون رأساً للعلماء، ومرجعاً عند اختلاف الفقهاء، وحكماً في المشكلات للحكماء؛ إذ لا يتعصبون للمذاهب والأقوال، ولا ينافسون في المناصب، ولا ينفسون على أهل الأحوال.

لا يُخرجهم عن الحق غضب، ولا يُدخلهم في الباطل رضا، ولا يميلون إلى الحرص على الأموال، عصمهم الكتاب والسنة في عقيدتهم في حق الله

حسنة، وله سبحانه عليهم المنة.

قال السيد الشريف العارف بالله حسين الأهدل: إنه اعتقد فضل بني مطير جميع البلاد.

وقال الفقيه الصالح الولي المشهور، محمدُ بن الحسن المحلوي، وقبره طرف بيت عطاء من جهة اليمن: رأيت رسول الله ﷺ في المنام، وسيدي أحمد ابن إبراهيم بن مطير يلازمه، ويلح عليه، فرأيت قلماً من جهة النبي ﷺ يكتب: أولادنا أولادكم، وما يعنانا يعناكم، و﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[الأحزاب: ٢١].

وقد اشتهر اختصاص بني مطير بمزيد محبة رسول الله ﷺ، وأنهم من مواليه، وذكروا ذلك في أشعارهم وغيرها، وأنه يحصل لهم العلم من غير كثرة طلب، حتى قال الشريف الولي حبيب آل مطير، أبو بكر بن أبي القاسم ابن إسماعيل الحسيني صائم الدهر ـ رحمه الله ـ: طفل بني مطير بئر علم مطوية، لا يحتاج إلى إخراج التراب الواقع فيها، ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله تعالى وجهه ـ اتصالٌ بالعلماء منهم في المنام، وآثار صادقة، ذكرها منهم العلماء الأعلام ـ نفع الله تعالى بهم ـ.

وأفاد السيد حسين بن الأهدل في «تحفة الزمن» من أن بني مطير ينسبون إلى السيد الأهدل، قال: وإنما نبهت على ذلك؛ لأن كثيراً من الأهدليين الذين لا خبرة لهم، ينكرون نسبهم إلى الأهدل، ومما يدل على شرفهم: قول السيد الولي الشهير بدر الدين حسين بن الصديق بن حسين ابن عبد الرحمن الأهدل في بعض قصائده:

فإنَّ غُصْنِيَ مـن أغـصانِ دولَـتِكم   فاللهَ في رحمي والـرحمُ موصـولُ

وقال الفقيـه العلامـة ضيـاء الدين بن إبراهيم بن أبي القاسم مطير في بعض قصائده التي توسل بها:

وبالأهـــدليين الكـــرامِ فـــإنهم   لهم نسبٌ فـي ذروة العـزِّ يرتمـي

والله أعلم بحقائق الأمور.

وفي كلام عبد الرحيم البرعي القطع بشرفهم مشهورٌ في قصائده.

[١٤٨٢] علي الطوري الحنفي(١).

فاضلٌ مقومٌ في نتائج الفضل وغيرُه التالي، ومشيدُ بنيانِ العلوم بطبعه العالي، ماله في العلوم نظير، وهو في فقه أبي حنيفة الجامع الكبير.

وُلد بمصر، وبها نشأ، وأخذ عن العلامة الشيخ زين بن نجيم، وغيره حتى برع وتفنن، وألف مؤلفاتٍ ورسائل في الفقه كثيرة.

وتوفي سنة أربع بعد الألف بمصر ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٤٨٣] علي الملاح الحنفي.

أحد مشاهير الأفاضل بمصر، **توفي** يوم الأحد، سادس شهر ربيع الأول، سنة تسع عشرة بعد الألف.

[١٤٨٤] علي ابن الإمام يحيى شرف الدين.

كان علامة في الحديث وغيره، وانتقل عن مذهب الزيدية إلى مذهب

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٠٠).

أبي حنيفة، وكان واحداً في علم الأدب، أخذ عن والده، وعنه: ولده عثمان، وغيره من فضلاء وقته.

[١٤٨٥] القاضي علي بن الحسين بن محمد بن علي بن محمد بن غانم ابن يوسف بن عبد الهادي بن علي بن عبد العزيز بن عبد الواحد بن عبد الحميد الأصغر بن عبد الحميد الأكبر[١].

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: هكذا رقم نسبه شيخُنا القاضي أحمد ابن سعد الدين إلى عبد الحميد، ولم يزد عليه، ونسبُ عبد الحميد مشهورٌ مذكورٌ، من بني المنقار، سلاطين مسور، ولهم عقبٌ هنالك مشهورٌ، منهم من سكن وادي عيال علي ببلاد مسور، وسكن هؤلاء القضاة وادي صاره، فهم بيتٌ شهيرٌ، لهم في التشيع نمطٌ متحدٌ، لا يختلفون فيه.

وخاتمة بيت العلم فيهم عقبُ القاضي الحسين بن محمد، فأما عقبُ سعد الدين، فقد انقطع بموت القاضي أحمد بن سعد الدين، وأما عقبُ علي المذكور، فبقي منهم طفلٌ صغيرٌ بتعز العدنية، ابنٌ لمحمد بن علي بن الحسين، ثم درج، وكان محمد هذا أديباً لبيباً، يجيد الترسل، ويحسن الشعر، على نهج أهله، وتعلق بالطب، وهو الذي لمح إليه في قصيدته التائية، التي أنشدها بالقدوم.

واستقر صاحب الترجمة مدةً بجهة الوعلية، من الشرف الأعلى، ورحل إلى صنعاء، وقرأ بها، وحقق في جميع العلوم، [لا] سيما في المعقولات، وكان مع ذلك كثير العبادة، حسن السمت، محبوباً عند كل أحد، ومما شاع

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٥٥).

في الألسن على العموم: لو أن في الأرض ملائكة يمشون، كان القاضي علي ابن الحسين منهم، ورأيت هذه اللقطة، عن الإمام القاسم بن محمد، وهو شيخ شيخنا العلامة شمس الدين، في كثير من العلوم، كان يأتيه القاضي صفي الدين[1] من هجر ابن المكردم إلى القدوم، أيام سكونه فيه، كل يوم، فيقرأ عليه جميع نهاره، ثم يعود إلى الهجر.

وأخبرني القاضي صفي الدين: أنه كان يشاهد من يصحبه من الجن، في أثناء الطريق، ويسير بسيره.

قال القاضي صفي الدين في «مشيخته» عند ذكر والده، وعمه المذكور: أما عمي، ووالدي: علي بن الحسين بن محمد المِسْوَري، وسعد الدين بن الحسين المسوري ـ نوّر الله ضريحهما، ونضر وجوههما ـ فإنهما بعد الله ورسوله، وأئمة الهدى، أصلُ هدايتي، وعنوان رحمة الله لي، بما رزقني من تأديبهما وتهذيبهما، وتعليمهما وإرشادهما، وتلقينهما إياي فوائد العلم، وغرائب الحكم، وتغذيتهما إياي بحب الله ﷻ، وحب رسوله ﷺ، وحب أهل بيته، الذين أذهب الله عنهم الرجس، وطهرهم تطهيراً.

وكان صاحب الترجمة بحرَ العلوم الطامي، وجبل الحلوم السامي، صاحب عبادةٍ وزهادةٍ، وخلوص طويةٍ، حليف القرآن، رطب اللسان به، لا يزال مواجها للقبلة، وكان له في الشعر قدمٌ راسخةٌ.

ومن مخترعاته: قوله في كرسي النسخ:

صبرتُ على شقي بنشرٍ وإن لي ... بيحيى نبيِّ الله أسوةَ عارفِ

(١) في الأصل: الدهر.

فجُوزيَ جناتِ النعيم بصبره		وجوزيت عن شقي بحمل المصاحفِ
وصرتُ جليسَ الأتقياء ولم أزل		على حالة يَرضى بها كلُّ عارفِ

وله قصيدةٌ يستحث بها الإمام القاسم، على شرح «الأساس».

توفي بمدينة صبيا، من المخلاف السليماني، في ثاني عشر ذي القعدة، عام أربعة وثلاثين بعد الألف، وهو متوجهٌ لفريضة حج البيت الحرام، وقُبر عند المسجد المعروف بمسجد السيد عقيل ـ رحمه الله ـ.

[١٤٨٦] أبو الحسن علي بن أحمد الفاسي، الشهير بالشامي[١].

نسبةً إلى الشام؛ لأن جده قدم من الشام إلى فاس، فشهر بنوه بالنسبة إلى الشام.

أديبٌ له في الأدب مذهب، طرازه بحسن البلاغة مذهب، وشعره ألطف من دل الحبيب، وأسحر من مقلة الشادن الربيب، يتصرف فيه ولا يتكلف، ويتقدم به ولا يتخلف، وهو إذا تغزل، أهدى نفحات نجد، وإذا تذكر، ورى لفحات شوق ووجد، على أن عليه من الجزالة ديباجة تفوق عبقري الوشي، وديباجه لا يشينه[٢] من الكلام حوشيه، ولا يلم بساحة أنسه وحشيه.

مات بفاس، بعد الثلاثين وألف.

فمن نفثات أقلامه السحار، ونسمات كلمه الفائقة نسائم الأسحار: قوله مخاطباً للشيخ أحمد المقري، بمحروسة فاس، عام سبعة وعشرين بعد الألف،

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٥٩١)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٤١)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٥/ ٢٩) (٣٧٣).

(٢) في الأصل: لا يشينه.

وأشار فيها إلى كتابه «أزهار الرياض»:

دعوا شفةَ المشتاقِ من سُقْمِها تَشْفى ... وترشُفُ من آثار تربِ الهدى رَشْفا

وتلـثمُ تمثـالاً لنعـلٍ كريمـةٍ ... بها الدهرَ يُستسقى الغمام ويُستشفى

ولا تصرفوها عن هواها وسؤلها ... بعذلِكُم فالعذلُ يمنعُها الصَّرْفا

ولا تُعتبوهـا فالعتـابُ يزيـدُها ... هُياماً ويَسقيها مُدامَ الهوى صِرْفا

جَفَتْها بكتمِ الدمع بُخلاً جفونُها ... فمن لامَها في اللثمِ فهو لها أجفى

لئن حجبتْ بالبعد عنهم فهذه ... مكارمُهم لم تُبق ستراً ولا سُجْفا

وإن كان ذاكَ الخَيْفُ مَلْفَى وصالِهم ... فها نفحةُ الأفضالِ قَرَّبَتِ المَلْفى

فحركَتِ الأشـواقَ منا لروضـة ... أباحَ لنا الإسعادُ من زهرها قَطْفا

زمانـاً بـه موصـولنا نـالَ عائـداً ... وأكد نحوَ الوصل من نحوِهم عَطْفا

تولَّى كمثلِ الطيف إذ زار في الكرى ... وإلا كمثلِ البرقِ إذا سارع الخَطْفا

منها:

كأنـا ومـا كُنـا نجـوبُ منـازلاً ... يودُّ بها المشتاقُ لـو وافـقَ الحتفا

ولم تبصرِ الأبصارُ منهـا محاسـناً ... ولم تسمعِ الآذانُ من ذكرِها هَتْفا

كذاك الليالي لم تخل عن طباعِها ... متى واصلت يوماً تصلْ قطعَها ألفا

فلا عيشَ لي أرجوهُ من بعدِ بُعدِهم ... وهيهات يرجو العيشَ من فارقَ الإلفا

منها:

أيـا مَـنْ نـأت عنـه ديـارُ أحبّـة ... فمن بعدِهم مثلي على الهلكِ قد أشفى

لـئن فاتَنـا وصـلٌ بمنـزل خـيفهم ... فما نفحةٌ من عيشهم للحشا أشفى

وهاتيك أزهـارُ الريـاض تنفَّـستْ ... بأنفاسِـهمْ فاستـشفينَّ بهـا تـشفى

وقل للألى هـاموا اشـتياقاً ببـابهم ... هَلُمُّوا لعَرْفِ البانِ نستنشقِ العَرْفـا

فصفحةُ هذا الطِّرْسِ أبدتْ نعالهم ... وصارت لها ظَرفاً فيا حُسنَه ظَرْفـا

تعـالوا نغـالي فـي مـديحِ علائهـا ... فـربَّ غلـوٍّ لـم يعـبْ ربَّـه عَرْفـا

وللهِ قـومٌ فـي هواهـا تنافـسوا ... وقد غرفوا من بحرِ أمداحها غَرْفـا

وإنَّا وإن كُنَّا على الكُـلِّ لـم نُطِـقْ ... نحاولُ بعضَ البعضِ من بعضِ ما يُلْفى

لئن قبّلوا ألفـاً نـزدْ نحـنُ بعـدَهم ... على الألف ما يستغرق العدَّ والألفا

وإن وصفُوا واستغرقُوا الوصفَ حَسْبُنا ... نجيلُ بروضِ الحسنِ من وصفِهم طَرْفا

ونقبِسُ من آثـارِهم قـدرَ وُسْـعِنا ... ونركضُ في مضمارِ آثارِهم طِرْفـا

ومن مدحها في النبي ﷺ:

أناديـكَ يـا خيـرَ البريـةِ كلِّهـا ... نداءَ عُبيدٍ يرتجي العطفَ واللُّطْفـا

وإني مُحِقٌّ في هوى حبِّـكَ الـذي ... يفكُّ جيوشَ الهمِّ إن أقبلَتْ زَحْفـا

ومـا أنـا فيـه بالـذي قـال هـازلاً ... أليلتنـا إذ أرسـلت فاحمـاً وجفـا

وأشار بهذا البيت إلى القصيدة الفائية، الطنانة الشهيرة، عند أدباء المشرق والمغرب، لمحمد بن هانئ الأندلسي، التي أولها:

أليلتنـــا إذ أرســـلَتْ وارداً وَجْفــا ... وبتنا نرى الجوزاءَ في أذنِها شـنفا

وعارضَها خلقٌ لا يُحصون، ومن أحسن معارضاتها: قصيدة أبي الحسن حازم بن محمد القرطاجي، التي أولها:

سلا ظبيةَ الوَعْساءِ هل فقدَتْ خِشفا فإنا رأينا في مراتِعِها ظلفا

[١٤٨٧] السيد علي المغربي المعروف بـ الأخضري[١].

قال السيد علي في «سلافته»: سيد ضرب عليه الشرف قِبابه، وفتح له مغلق البلاغة بابه، قدم مكة، ورحل إلى اليمن، وأقام بها برهةً من الزمن، فبلغ عنه إمامه، ما خشي أن يدعي معه الإمامة، فأمره بالخروج والارتحال، فسار منها إلى البصرة على هذه الحال، وكان بها عند واليها علي باشا بن افراسياب، في أيام توليه إياها، في أياد يوليه إياها ويواليها، وله فيه مدائح كثيرة.

ومن شعره: قوله:

لقد عَنَّفونا في الدخانِ وشُربِهِ فقلتُ دعوا التعنيفَ فالأمرُ أحوجا

ألا إن عفريتَ الهموم بصدرِنا عَصانا فَدَخَّنا عليه ليخرُجا

وأحسنُ منه قول الآخر:

وما شُربي التنباكَ من أجلِ لذةٍ به لا ولا ريحٍ يفوحُ كما العطرِ

ولكن أُداوي نارَ قلبي بمثلها كما يَتداوى شاربُ الخمرِ بالخمرِ

[١٤٨٨] علي بن الناصر بن عبد الحفيظ المهلا الشرفي[٢].

فيما كتب إليّ صنوُه العلامةُ الحسين: ذو فضائل مشهورة، ومكارم مأثورة، وله بسطةٌ في علوم الحديث، ومعرفة رجاله، وحفظ متونه وأسانيده،

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٥٧٣).

(٢) «نشر العرف» لزبارة الصنعاني (٢/ ٢٧٨) (٣٩٨).

ومهارةٌ في علم الفقه وأصوله، وتمكنٌ ظاهرٌ في سائر العلوم، واطلاعٌ على علم التفسير، وحفظ التواريخ وضبطها.

وله تأليفٌ حسنٌ في دقائق الفقه ولطائفه، نحا به نحوَ مؤلف أخيه الحسين «ثمينات الجواهر»، وهو الآن متولي الحكم والقضاء في جهات الشرف جميعها، بالولاية العامة من الإمام المؤيد بالله محمد بن المتوكل.

توفي في شهر ربيع الثاني، سنة سبع ومئة وألف، ببلده السجعة ـ رحمه الله ـ.

[١٤٨٩] علي بن إبراهيم البوتيجي الشافعي.

صاحبنا، الشيخ الفاضل، العالم العلامة، قرأ بمصر على كثيرين، منهم: إبراهيم البرماوي، وشيخنا جلال الدين البكري، ويحيى بن محمد الساوي، وكثير، وكان بيني وبينه مودةٌ أكيدةٌ صادقةٌ، وله مؤلفاتٌ ورسائل في فنونٍ، ونظمٌ ونثرٌ، وبراعةٌ في غالب العلوم المتداولة، ولا أتحقق الآن خبره، هل هو بمصر، أو ببلاده ـ سلمه الله ـ.

[١٤٩٠] علي بن أحمد القبّاني الشيخ العلامة علاء الدين الحموي الأصل، ثم الطرابلسي[(١)].

لانتقال جدِّه إليها، سكن والده دمشق، بمحلة قبر عاتكة، ثم سكن الصالحية، وحضر دروس شيخ الإسلام البدر الغزي، وأخذ عن يونس

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٥٨) (٢٢٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٣٥).

العيثاوي، وقرأ في القراءات والعربية على أحمد الطيبي، وفي الفقه على نجم الدين البهنسي.

وكان حسن الصوت بالقراءة، مجوِّداً مُجيداً، ولي إمامة السليمية بالصالحية، وكان لطيف المحاورة، ظريف النادرة، وولي خطابة يلبغا عن الداودي، وناب في خطابة الجامع عن شيخه البهنسي، وكان حسن الخطبة، لطيف التأدية، وله شعرٌ لطيفٌ.

توفي بالصالحية، في ليلة الأربعاء، ثامن عشر ربيع الثاني، سنة سبع ـ بتقديم السين ـ بعد الألف، وقد تجاوز السبعين، وحُمل من الصالحية إلى محلة قبر عاتكة، ودفن بتربة الدقاقين، عند والده ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٤٩١] علي بن أحمد بن أبي طالب ابن الإمام القاسم بن محمد.

إمام علا مقامه، وقوبل بالقبول كلامه، عالمٌ كبيرٌ، متقنٌ للأصول والتفسير، متضلعٌ في العلوم الشرعية، بعيدٌ عن الخنا والفواحش الردية، قرأ في شبيبته، وجد في طلب العلوم بهمته، حتى برع وفاق أقرانه، وكان يستحضر «الشرح العضدي على ابن الحاجب»، ويحفظ غالب مسائله.

وليَ أعمالَ صعدة، بعدَ والده، في زمن عمه الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، ثم في آخر دولة عمه، وقع بينه وبينه منابذةٌ، فخرج عن طاعته، ودعا لنفسه بالخلافة، وأجابه أهل بلاده، فأراد عمه أن يجهز عليه، فمات، فتولى الإمامة بعد الإمام أحمد بن الحسن، فذهب إليه إلى صعدة، وتم الأمر بينهما، وبايعه، ورجع الإمام أحمد بن الحسن إلى مقر ملكه، وبقي المترجم في بلاده.

وسار السيرة الحسنة في أهلها، ولم يكن له همةٌ بعد الاشتغال بالعلم، إلا الفكر في أمر الرعايا، فأمنت السبل فيها، ورخصت الأسعار، ولم يتمكن أحد من الأئمة من التعرض له، لما كان مثابراً على مصالح رعيته، وأهل صعدة في زمنه آمنون على أنفسهم وحريمهم وأولادهم، ولم يكن له غرضٌ في غير الحق، والعمل به، ونصرة الشرع، والقيام بأحكام الدين، معظماً للشرع، لا يخرج عن حكمه، ويوقر الفضلاء إذا اجتمع بهم، ويقبل بوجهه عليهم، ويذاكرهم بما يناسب الحال.

ولم يزل مُجَلِّلاً عند الأئمة، مقبول الجاه عندهم، حتى تولى الإمام محمد بن أحمد بن الحسن، فتعرض له، وأراد أن يكون من جملة عماله، وجهز عليه جيوشاً، فظهر الإمام عليه، وتصرف في البلاد، فلما عاث أولاد الإمام في قبائل صعدة، اجتمعوا بالمترجم، وقابلوا الإمام، وقتلوا ولده إسماعيل، وأخرجوا جماعة الإمام محمد من صعدة، ورجع المترجم إليها، ثم غزاه الإمام مرةً بعد مرةً، ولم يظهر عليه في واحدة منها، فترك محاربته من حينئذ، واستقل ببلاده، يخطب له على منابر صعدة، وما حولها، ويجبى إليه أموالها ومصالحها.

ثم إن المترجم خرج بجيوشه؛ لأخذ البلاد من الإمام محمد، ووصل إلى بلاد صنعاء، فحصروه فيها، وخانته قبائل حاشد وبكيل، فلم يتم له مراده، ورجع إلى بلاده بمن معه من أهلها، واستمر بها إلى أن توفي في أحد الجمادين، سنة ألف ومئة وإحدى وعشرين، ودفن بقبة الهادي، بجانب قبره ـ رحمه الله ـ.

[١٤٩٢] علي أبو الحسن بن يوسف أبي المحاسن بن محمد القصري الفاسي المالكي[١].

الإمام العلامة، الشهير في أقطار المغرب، الجامع بين الظاهر والباطن.

وُلد في نصف رمضان، سنة ستين وتسع مئة، وأخذ عن والده، والسراج، والحميدي، والمنجور، والعزومي، وعن الفقيه النوازلي أبي راشد يعقوب بن يحيى الميدري، وغيرهم، وأدرك الشيخ سيدي عبد الرحمن المجذوب، وتبرك به، ولقي كثيراً من السادة، وعنه أخذ كثيرون، منهم: ولده عالمُ المغرب عبدُ القادر الفاسي.

وكانت **وفاته** بمصر، يوم الجمعة، السادس عشر من جمادى الأولى، سنة ثلاثين وألف، وقد أفرد ترجمته على حدةٍ حفيدُه عبد الرحمن ابن الشيخ عبد القادر، استوفى فيها أحواله ومشايخه رضي الله عنهم.

ولما حملت بصاحب الترجمة أمُّه، رأى بعض قرابته بفاس في المنام: أن قنديلاً يضيء بصومعة القرويين، في غاية الارتفاع، على البلاد كلها، والناس ينظرون إلى طوله وظهوره، وامتداد ضوئه ونوره، وكأن قائلاً يقول: هذا قنديل سيدي علي الفاسي.

وكان يومئذٍ نساءٌ من قرابته حوامل، فلما ولدنَ، سَمَّين أولادهن بعلي الفاسي؛ قصداً أن يكون ذلك، والله أعلم بما يفعل، والقنديل يعبر بالولد، فظهر بعد ذلك صاحبُ الترجمة، وولد له الشيخ عبد القادر، الذي طبق أرض المغرب علماً ـ نفع الله بهم آمين ـ.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٩٨).

[١٤٩٣] **علي بن محمد بن سلامة الشطبي ثم الصنعاني**[١].

كان من فضـلاء وقته، عارفاً بالعلوم، متقناً لها، من مؤلفاته: «شرح الفصول اللؤلئية»، و«شرح الهداية» لابن الوزير، وله سماعاتٌ عديدةٌ، وهو أحد تلامذة الإمام القاسم، وله أشعارٌ كثيرةٌ.

توفي في أواخر دولة الإمام المهدي أحمدَ بن الحسن بصنعاء، ودفن بخزيمة.

[١٤٩٤] **السيد علوي بن عبد الرحمن ابن الشيخ محمد مولى عيديد**[٢].

السيد المشهور بين الفتيان، زبدة ذوي العرفان، المتحقق بحقائق الإيمان والإحسان.

وُلد بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، وصحب أكابر الصوفية، وتفقه في الدين، واقتفى سيرة جده سيدِ المرسلين، واجتهد في العبادة والصلاح، ولاحـت عليه لوائـح العرفـان والفلاح، وظهرت منه الكرامات، والأحوال السـنيات، مع لطـف أخـلاقٍ كأنها نسـيم، وتواضـع يراه المخاطب أنه من التسنيم.

توفي بتريم، سنة ست بعد الألف، ودفن بمقابر بشار ـ رحمه الله رحمة الأبرار ـ[٣].

---

(١) «طبقـات الزيديـة الكبـرى» (٢/ ٧٨٥) (٤٨٥)، «نشـر العرف» لزبارة الصنعاني (٢/ ٢٦٨).

(٢) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٢٤١)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٤٧).

(٣) جاء في الحاشية: «وجد في الصفحة التي فيها هذه الترجمة، ترجمة علي زين العابدين=

[١٤٩٥] السيد علوي بن علي بن عقيل بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن السقاف[1].

نزيل مكة المشرفة، صاحب الأحوال الوهبية، والمقامات العلية، والمكاشفات النورانية، والكرامات الباهرة المشهورة، والهبات الوافرة المذكورة، والمناقب السنية، والمراتب الأبية، وارث المقام العيسوي، السالك سبيل الأقدمين، وأحد العباد المشمِّرين.

كان ـ نفع الله به ـ جليل الشان، جميل البرهان، نفحات نفحاته مناشقها أَرِجَه، وهَبَّات نسماته على الصدور ثَلِجَه، وافر الحال والمال والبنين، من الأتقياء والأولياء والصالحين، إذا باسطَ المحادثَ، أبهجه وتبجح، وإن أعوز الملابث، أنجزه وأنجح، يقصده الأجلاء بالزيارة؛ للنظر إلى سنا محياه، والتماس بركته العميمة ودعاه.

وُلد بتريم، سنة ثمان وخمسين وتسع مئة، ونشأ بها، وكان أمياً، لا يقرأ ولا يكتب، وارتحل إلى اليمن والحرمين، وكان يتردد إليهما، وتعاطى في أول أمره أسباب التجارة، وصحب جماعةً من أكابر العارفين، وانتفع بصحبتهم.

ورأى ليلة القدر وشاهدَها، ودعا فيها بدعواتٍ، منها: أن يبارك له في رزقه وعمره، ودعا بدعاء القنوت: اللهم اهدني فيمن هديت . . . إلى آخره، وكان أكثر أعماله قلبية، ثم أقام بمكة المشرفة واستوطنها، وترك التجارة، والسبب فيها، وتزوج بها، وولد له بها أولاد نجباء، وأقبل عليه الخاص

= ابن عبدالله العيدروس، قال كاتبها: إن المؤلف لم يذكرها».

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٢٤٢).

والعام، بالاعتقاد التام، واختلفت إليه أكابر مكة وأعيانها؛ لالتماس بركته ودعائه، وكان يكره تردُّدَ الناس إليه، ويهضم نفسَه على الدوام، ولا يصف نفسه بحال ولا مقام.

وكان مهاباً وقوراً متحرياً، قوالاً بالحق، لا يخاف في الله لومة لائم، وكانت له آدابٌ نبوية، ومكارم حاتمية، مقبول الشفاعة عند الملوك فمَنْ دونَهم، وكان شريف مكة يحترمه غاية الاحترام، ويقابله بالإجلال والإعظام، وانتفع الناس بصحبتهم له، في الدنيا والآخرة، ولكن غالب الناس لا يقدر على صحبته.

وله كراماتٌ كثيرةٌ، منها: أنه كان كثير العطب لمن تعرض له بالأذى، فكل من آذاه، أو أنكر عليه، لا بد أن يحصل له نكدٌ، إما مرضٌ، أو موتٌ، أو سرقة مالٍ، أو موت من يحبه، أو خروجٌ من وطنٍ، أو نحو ذلك، وقد جمع كراماته بعض فقرائه في جزءٍ لطيفٍ، وها أنا ملخصٌ ذلك.

منها: أن شريف مكة ـ وكان إذ ذاك الشريف محسن بن حسين ـ كان وزيره أخذ بعض حبوب الجراية، التي ترد لأهل مكة المشرفة من مصر المحروسة، فأرسل إليه صاحب الترجمة، يتشفع إليه في رده لأهله، فلم يقبل شفاعته، فأرسل إليه ثانياً، يقول له: إن أخذت حبوب الفقراء، تكن هذه السنة آخر سنة لك ولسيدك، فلم يلتفت إليه، فكان الأمر كما قال، فما حال عليهما الحول، حتى استُلبوا ذلك الطول، وعذب ذلك الوزير بعذاب كبير.

ومنها: أن الوجيه عبد الرحمن بن عتيق [الحضرمي][1]، وكان وزيراً

---

(١) ما بين معقوفتين ليس في الأصل.

بمكة، تعرض لبعض آل باعلوي بالأذى، فجاؤوا إلى السيد علوي، وأخبروه بذلك، وطلبوا منه أن يدعو عليه، فقال لهم: كفيتم شره، فلما أمسى الليل، انهدم بعض دار ابن عتيق عليه، وكان جديداً، وخاف على نفسه الهلاك، ثم عاهد الله تعالى في سره أن لا يتعرض لأحد منهم أبداً.

ومنها: أن بعض المتعجرفين أساء الأدب بحضرة السيد علوي، فزجره بعض أقاربه، فلم ينزجر، وقال: إن كان السيد كذا، فليدعُ اللهَ عليّ بالموت، فدعا السيد علوي عليه بالموت، فمات في ذلك اليوم.

ومنها: أنه جاءه جوخٌ، فطلب صاحب المكس، مكس[1] ذلك الجوخ، فقال السيد: ما علي مكسٌ، ولا أعطي شيئاً في ذلك، فأرسل المكاس يقول: لئن لم تعط طوعاً، وإلا أرسلنا لك عشرة عبيد، يأخذون منك ذلك كرهاً، فقال السيد للرسول: قل له: إن أصبحت على وجه الأرض، فأرسل مئة وصيف، فمات تلك الليلة.

ومنها: أنه أتاه عبيدٌ، فطلب مكاسُ بندر جدة رسمَ تلك العبيد، فامتنع السيد من الإعطاء، وقال: ما عليّ رسمٌ، فلازمه في ذلك، فأعطاه ثلاثة أحرف، وقال: هذه ثلاثة بثلاث سنين لا يأتيكم موسم الهند، فوقع الأمر كما قال.

ومنها: أن بعض الأتراك سكن داره المشهورة بالمعلاة، وهي في محلٍّ عالٍ، على أكمةٍ قريبةٍ من البئر الشهيرة بغيلما، في مقابلة الحجون، كان يسميها: زاوية السقاف، وبناها، فقال إبراهيم المهتار مؤرخاً لذلك:

أنعم بما كان فيه للنفوسِ هَوًى   عيشٌ رخيٌّ وبيتٌ بالبقاع هَوِي

---

(١) في الأصل: مكث.

فقد حسبت مني تاريخه فأتى (حوى المسراتِ حيٌّ السيد العلوي)

وتعرف الآن بالحوش خان، قهراً، فأرسل له السيد ينهاه عن ذلك، فلم ينته، فنام تلك الليلة، وبقي كل الليل ينادي المدد، المدد، فلما أصبح، أخرج جميع حوائجه منها، وجاء إلى السيد معتذراً مستغفراً.

ومنها: أنه قال لرجلٍ يريد السفر: هذا آخرُ عهدِك بأهلك، فكان الأمر كما قال، فسافر، وماتَ في سفره.

ومنها: أنه كان جالساً في بيته، على روشنٍ مشرفٍ على الشارع، وفيه فنجانٌ ملآنٌ قهوةً، فجاءت يده عليه غفلةً، فطاح إلى الزقاق، فأمر عبده أن يأتي به، فخرج العبد، وفي ظنه أن الفنجان صار رضاضاً؛ لكونه طاح من علو، وهو ملآن، فوجده سالماً، والقهوةُ فيه بحالها، فبُهت عند ذلك.

ومنها: أن أولاده أرادوا أن يحلقوا رؤوسهم، فشرعوا في الحلق، وقد جاء وقت ذهابهم إلى الكتاب، فخافوا من الفقيه أن يضربهم لتأخرهم، فقال لهم: نحن نمسك الشمس لكم، حتى تحلقوا رؤوسكم، وقال: اللهم بجاه نبيك محمد ﷺ أن توقف الشمس حتى يحلق الأولاد رؤوسهم، فوقفت الشمس حتى حلقوا رؤسهم كلهم، وشاهد ذلك من حضر.

ومنها: أن بعض الفقراء أتى إليه، وقال له: ليس عنده نفقة هذا اليوم، وكان عنده عمال يفرشون طيناً، فقال له السيد: اعمل معهم، لعلك تجد ما تنفقه، فعمل معهم، فإذا بدينار ذهباً.

ومنها: أن بعض الفقراء ألح عليه في الطلب، وكان[ـت له][1] بقرةٌ

---

(١) ما بين معقوفتين ليس في الأصل.

عندهم، فأمرها أن تنطحه، فتبعته وهو شاردٌ منها، حتى حال الناس بينه وبينها.

ومنها: أن بعض آل باعلوي طلب أن يدعو الله تعالى أن يوسع عليه في الدنيا، فدعا له بذلك، وقال له: اذهب واعمل أكياساً للدراهم، ففعل، فأتته الدنيا وهي راغمة، حتى امتلأت تلك الأكياس.

ومنها: أنه أتـى من سـفرٍ، فلما وصـل بندر القنفدة، طلب منه بعض المسـافرين أن يتقدم إلى أهله ليخبرهم بوصوله، وطلب منه سبحةً علامةً، فأبى، فأخذ السبحة على حين غفلة من السيد، وسافر بها، فتعرضت له حيةٌ عظيمةٌ على طريقه، فمنعته السـفر إلى مكة، حتى رجع إلى السيد، واعتذر إليه.

ومناقبه كثيرةٌ، وأحواله شهيرةٌ[1].

وكان ﷺ زاهداً في الدنيا ورياستها، ومن زهده فيها: أنه طلب ورثته من حضرموت، وقسم بينهم جميع ما عنده من المال، على حسب إرثهم، وتجرد عن الدنيا، وتكفل بخدمته ونفقته تلميذه، ابنُ ابن ابن أخيه، السيد أبو بكر بن محمد بن أبي بكر، هو ابن محمد بن علي بن عقيل؛ لكونه كان يحبه جداً، ولم تطل حياته بعد ذلك.

ولم يزل متواصل المدد والإمداد، في زمانه الهني حسب المراد، إلى أن آن رحيله، وقدومه على الفرد الصمد، ليمتعه بالنظر إلى وجهه الكريم، في القصور التي له أعدّ، **فوافته الوفاة** إلى رحمة الله، ضحى يوم الأربعاء، خامس شهر محرم، سنة ثمان وأربعين بعد الألف.

---

(١) غفر الله للمصنف ورحمه في تدوين هذه الخرافات في كتابه.

وسبب انتقاله: أنه سئم من الحياة، وطلب من الله تعالى أن يقبضه إليه، فظهر في بدنه بثرةٌ، ولم تزل تزداد وتكبر كل يوم، واشتد به الألم، وعرض على كثيرٍ من الأطباء، والذين يعانون الجراحات، فلم يوجد عندهم طِبّ، ولم يعرفوا له دواء.

واستمر مرضه نحوَ اثني عشر يوماً، وحزن الناس لفقده، واجتمع الخلائق للصلاة عليه، في المسجد الحرام، وحضر الصلاة عليه شريف مكة زيد بن محسن، ودفن بالمعلاة، في حوطة آل باعلوي، وقبره بها معروفٌ، يزار ويتبرك به ـ رضي الله عنه، ونفعنا به، وتغمده بالرحمة والرضوان، وأفاض على روحه الشريفة الروح والريحان، وعلينا معهم، إنه كريمٌ منانٌ ـ.

[١٤٩٦] السيد علوي بن إسماعيل البحراني[(١)].

شاعر هجر، ومِنْطيقها الذي واصله المنطق بالفضل وما هجر، يفسح للبيان مجالاً، ويوضح منه غرراً وأحجالاً، ويطلع في آفاقه بدوراً وشموساً، ويروض من صعابه جَموحا وشَموساً، ويشتار من جناه عسلاً، ويهز من قناه أسلاً.

توفي بمكة سنة تسع وسبعين بعد الألف بالبحرين، ودفن بمسجد أبي عنبرة، ومعظم شعره فائق مستجاد.

فمنه: قوله في النسيب وأجاد:

بنفسيَ أفدي وقلَّ الفدى | غزالاً بوادي النقا أغيدا

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٥١٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ١٨٤) (١٧٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١١٦).

مليحـــاً إذا نــض عــن وجهــه نقــابَ الحيــا خلــتَ بــدراً بــدا
غــزالاً ولكــن إذا مــا نــصبت شـــراكاً لاصـــطيادِه استأســـدا
ســـقيمَ اللـــواحظ مكحولَهـــا ولـــم يعـــرف المِيـــلَ والإثمـــدا
رشـــيقَ القـــوام إذا هـــزَّه رأيـــتَ الغـــصون لـــه سُـــجَّداً
لـــه ريقـــةٌ طعمُهـــا ســـكرٌ يجلـــي الـــصداء ويـــروي الـــصدى
ولحـــظٌ كعـــضبٍ ولكنـــه يـــشقُّ القلـــوبَ ومـــا جُـــرِّدا
تفـــرَّدَ بالحـــسن دونَ المَـــلا فـــسبحان مـــولًى لـــه أَفـــردا
نـــأى بعـــد فهـــو لغيـــري ولـــي قريـــبُ المـــزار بعيـــدُ المـــدى
رعـــى الله أيامَنـــا الماضـــياتِ وعيـــشاً ألِفْنـــا بـــه أرغـــدا
وصـــبَّ علـــى تُـــرب تلـــك الربـــوعِ مُثْعَنْجِـــراً مُبْرِقـــاً مُرْعِـــدا
إلى حيثُ أخنَتْ صـروفُ الزمـان وشـــملِ الوصـــالِ بهـــا بـــددا
وأضـــحَتْ قِفـــاراً ولـــيس بهنْـــ ـنَ من ذلـك الجَمـع إلا الـصَّدى
إذا قلـــتُ أيـــن حبيبـــي غـــداً يجيـــب بـــأين حبيبـــي غـــدا

[١٤٩٧] السيد علوي بن محمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن عبدالله ابن علوي بن أبي بكر الجفري بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد، ابن الأستاذ الأعظم، الفقيه المقدم، ويعرف كسلفه بالجفري[1].

أحد عباد الله الصالحين، السالك لمقامات الدين، المتخلق بأخلاق أهل

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٢٥٠)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٧٦)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٢١).

اليقين، معدن الكمال والنُّهى، وموضع العقل والدَّها.

وُلد بمدينة قسم، ونشأ بها، ثم اشتغل بالتجارة، وبورك له فيها، وجاب البلاد، وسار إلى الجبال والوهاد، وأقام بالمستفاض مدةً، وعظَّمه سلطانُها، ورحل إلى السواحل، وبجّله ملوكُها، وارتحل إلى الهند واليمن ومصر، وغيرها.

وكان كثير الأسفار إلى حج بيت الله الحرام، وزيارة جده محمدٍ ـ عليه أفضل الصلاة والسلام ـ، وكان غايةً في الكرم والجود، وصلة الرحم، وحب الفقراء والمساكين، والإحسان إليهم، ومحبة العلم والعلماء، والصلحاء والأولياء، ديِّناً صدوقاً وقوراً، مشهوراً بالعفاف، وكرم النفس، كثير الورع.

وكان على قدمٍ من الصلاح والعبادة، كثير الصدقة والصلة، ثم رأى بعين كماله، وثبات الدهر في أحواله، فأخذ في زاد ترحاله، وقدم من الخيرات ما يكون ذخيرة له في مآله، فأقام بمدينة تريم، وترك السفر، وألقى عصاه واستقر، فشمر ذيل الجد في الطاعات، وعمر الأوقات، وأكثر من الصدقات، التي يلوح لها من القبول علامات، ولزم الجد والاجتهاد في العبادة، وكان من عادته من حين يهلّ شهر رمضان، لا يخرج من بيته حتى ينسلخ، إلا لصلاة الجمعة، أو صلاة التراويح.

وكان وجيهاً عند الناس، مقبول الشفاعة والقول، مسموع الكلمة، صبوراً على السعي في قضاء حوائج المسلمين، وكان بينه وبين السيد العلامة محمد بن عمر البيتي، والسيد الإمام أبي بكر الشلي، صحبةٌ ومودةٌ عظيمةٌ، ولزم صحبة السيد عبد الرحمن السقاف بن محمد العيدروس، في آخر عمره

ملازمةً تامةً، وكان بينهما من الصحبة والألفة ما هو مشهورٌ، فلا حاجة إلى الإطالة.

وكان من طريقته: أن تفريق الصدقة على جماعةٍ أحبُّ إليه من أن يعطيها رجلاً واحداً، وهذه مسألةٌ ذكرها أصحابنا، واختلفوا في أنه لو سدّ جوعةَ مسكين عشرة أيامٍ، هل أجرُه كأجر من سدّ جوعة عشرة مساكين؟.

فالذي قاله ابن عبد السلام، وتبعه كثيرون: لا يكون كأجره، فقد يكون في الجمع وليّ، وقد حث الله تعالى على الإحسان للصالحين، وهذا لا يتحقق في واحدٍ، ولأنه يرجى من دعاء الجمع ما لا يرجى من دعاء الواحد، ومن ثمّ أوجب الشافعي ﷺ دفعَ الزكاة إلى جميع الأصناف. انتهى.

وكان صاحب الترجمة صافي الفؤاد، حسن الاعتقاد، لا يعرف الغل والخداع، ويتحاشى عن سوء الطباع، وعاش في النعمة، عزيزاً مكرماً، في مروءةٍ وحشمةٍ، ومُتِّع بجميع حواسه، وحج في آخر عمره، وكان الوقوف يوم الجمعة، وعاد إلى وطنه تريم، وتوفي بها، سنة إحدى وستين بعد الألف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٤٩٨] علمي دده المولوي المقدسي.

أصله من بلدة كليبولي، قرأ العلوم أولاً، ثم سلك الطريقة المولوية عند الشيخ بستان جلبي(١)، من أحفاد حضرة ملا ـ قدس سره ـ، وأعطى له الإجازة، وأرسله إلى بيت المقدس، فسكن بها في مشيخة الخانقاه المولوية بالشام، وسكن بها إلى أن توفي بعد الألف.

---

(١) في الأصل: حلبي.

[١٤٩٩] علاء الدين علي.

كان من خلفاء الشيخ محيي الدين محمد القره حصاري، وكان شيخاً مجاب الدعوة، ورعاً مكاشفاً.

[١٥٠٠] السيد علي بن أحمد بن إبراهيم الوزير.

كان فارساً شجاعاً، عالماً فاضلاً، شهد المشاهد العظيمة في حروب الأتراك مع الحسنيين، وحج حجتين، جاور في الأخرى منهما بمكة والمدينة، ثم رحل إلى مصر، ودخل القسطنطينية، واجتمع بمن بها من أكابر الفضلاء، وأخذ عنهم، ثم عاد إلى بلده صنعاء، ومات بها، سنة ست وسبعين وألف، وقبره غربي قبر جده، السيد إبراهيم بن محمد، من غير فاصلٍ ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٥٠١] علاء الدين بن علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن محمد بن جمال الدين بن حسن بن زين العابدين الحصني ثم الدمشقي، الخطيب الحنفي الشهير بالحصكفي.

أخذ عن الحبر الرملي، ومحمد المحاسبي، وكثير، ومن مؤلفاته: «شرح ملتقى الأبحر»، و«شرح تنوير الأبصار»، اجتمعت به بمكة، ورجع إلى دمشق، وولي بها إفتاء الحنفية، وتوفي سنة سبع أو ثمان وثمانين وألف بدمشق ـ رحمه الله تعالى ـ، وقرأ على والده ومَنْ في طبقته، واشتهر ذكره، وعظم في الشام قدره.

ومن مؤلفاته شرح تنوير الأبصار، وهو شرحٌ كبيرٌ سماه: «خزائن الأسرار وبدائع الأفكار في شرح تنوير الأبصار وجامع البحار»، وآخر مختصر سماه:

«الدر المختار في شرح تنوير الأبصار»، وسمى شرح ملتقى الأبحر: «الدر المنتقى»، أو«زاد أهل التقى في شرح الملتقى»، أو: «سكب الأنهر على ملتقى الأبحر»، رأيته بدمشق، وهو يدرِّس بمسجد بني أمية درساً حافلاً، وحج سنة أربع وثمانين وألف، واجتمعت به بمكة، ثم توفي بدمشق، بعد سنين قليلة، سنة سبع أو ثمان وثمانين بدمشق رحمه الله تعالى ـ[1].

[١٥٠٢] السيد عز الدين بن دريب بن المطهر بن دريب بن عيسى بن دريب بن أحمد بن محمد بن مهنا بن سرور بن وهاس بن سلطان بن منيف ابن يحيى بن إدريس بن يحيى بن علي بن بركات بن فليتة بن حسين العابد ابن يوسف بن نعمة بن علي بن داود المحمود بن سليمان الشيخ الكريم بن عبدالله البر الملقب بالشيخ الصالح بن موسى الجَوْن بن عبدالله الكامل شيبة الحمد بن الحسن المحض بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ[2].

قال القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال في «تاريخه»: كان سيداً سرياً فاضلاً، عارفاً بالفقه، مشرفاً على غيره، ممتلئاً من الوقار، والحشمة والجلال، قرأ على القاضي العلامة الناصر بن عبد الحفيظ المهلا «الفصول في أصول الفقه» مدة إقامته بشهارة، أيام الإمام المؤيد بالله محمد بن القاسم، في ليالي قليلة، وكان يستغرق أكثر الليل في درسه، مع تلاوته للقرآن لنافع بوجوهه، تامةً عليه، ويحضره كثير من الفضلاء.

---

(١) جاء في الحاشية: «بعد هذا ثلثا صفحة بياض».

(٢) «طبقات الزيدية الكبرى» (٢/ ٦٧٣) (٣٩٨).

وهو ـ رحمه الله ـ من بلد الجَمَّالة، خارج صَبْيا، وكان مسعوداً ميموناً، رحل إلى صعدة، وتمَّ له بها فضل، وعرف بالعلم، ثم لازم السيد الإمام أحمد ابن محمد بن لقمان، واختص به كلية الاختصاص، وانتفع به، وذلك سبب سكون السيد عز الدين في الطويلة؛ فإنه سكنها، وولي أمورها، وتموّل، وكان هو المرجع لأهل الإقليم في القضاء والفتيا، وفيما يعوز من أمور السياسة، والولاة يجتمعون عنده لكل مهمّ، وهو فيهم نافذ الكلمة، رحب الفناء.

وعزله الإمام المتوكل، وأجرى له ما كان في زمن الولاية، وله أموالٌ هنالك ودورٌ، ومقامٌ عظيمٌ، وابتنى بالطويلة جامعاً عظيماً، ووقف عليه أوقافاً، وكان من أسعد الناس باعتباراتٍ كثيرةً، من ذلك: خزانة الكتب؛ فإنه اجتمع عنده ما لا يجتمع عند نظرائـه، أكثرها بخطوط المصنفين، من كتب المخالفين والمؤالفين، وله معرفةٌ بأنساب أهل البيت، وسماعٌ في الحديث.

قرأت عليه بعض «صحيح البخاري» بصنعاء ـ حرسها الله ـ، وله كتاب في الأصول يجري مجرى الشرح للثلاثين مسألة، ويتعرض فيه لفوائد كثيرة، وله على الأنساب اطلاع.

ولما توجهت العساكر المتوكلية إلى حضرموت، صحبةَ سيف الإسلام أحمد بن الحسين بن القاسم، كان هذا الشريف أحد الأعضاد، ونزل هنالك، وعاد مسعوداً.

وحج سنة خمس وخمسين بعد الألف، ثم نقله الله سبحانه إلى جواره، في نيف الستين وألف، ودفن بقرب الجامع الذي بناه في طويلة كوكبان ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٥٠٣] السيد عز الدين بن علي بن الحسن بن محمد بن الحسن بن عبد الرحمن بن يحيى بن محمد بن عيسى، وتقدم بقية النسب، في صدر الكتاب، النعمي الحسني[(١)].

صاحبنا، السيد العلامة، العارف بجميع العلوم، والكارع في مشارب الفهوم، وُلد سنة اثنتين وثلاثين بعد الألف بعِتْوَد، ونشأ بالدهنا، في حجر العلوم العقلية والنقلية، وعكف في محاريب الفنون كلها، لا سيما الأدبية، وحاز من تلك المزايا أسنى المفاخر والمناقب، وفاز بأعالي المقامات والمراتب، وسار صيت علمه مسرى الصَّبا والجنائب.

وارتحل في أول طلبه إلى صعدة، وأخذ الفقه عمن بها، ثم إلى صنعاء، وأخذ عن العلامة القاضي أحمد بن صالح بن أبي الرجال، في فنون منها سماع، وعلى العلامة نجم الدين محمد بن إبراهيم السحولي، وأخذ عن السادة آل حجاف بجبورة الحسن، والإمام المهدي في قضايا الغزالي.

واستمر على ذلك، من عام سبعة وستين، إلى عام اثنين وثمانين بعد الألف، فعرض له فقدُ البصر، فعُزل من القضاء؛ لأنه كان قاضي الحاج اليماني، من قبل الإمام المتوكل على الله إسماعيل بن القاسم، فعزله عن ذلك لما ذهب بصره، وكان له منه على ذلك جائزةٌ عظيمةٌ، وعطيةٌ جزيلةٌ، فكتب إليه قصيدةً يستعطفه، ويطلب منه أن يُجري عليه ما كان له، قصيدة مطلعها[(٢)]:

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١١١).

(٢) جاء في الحاشية: «وجدت هذه القصيدة، في ترجمة علي بن الحسن بن محمد بن الحسن النعمي الحسني، المذكور سابقاً، وهو في النسخة الأصلية بالصفحة (٢١٢)».

إليكَ يـداً ذا العـرشِ مـن مُـتَظَلِّمٍ رَمَتْه قِـسِيُّ البـينِ مـن غيـر ظـالمِ

يمــدُّ يــداً منــه ويبــسُط أنمــلاً يبيح بـشكوى مـن أَسًـى وجـرائمِ

ومـن عُقَـدٍ أنـت اللطيـفُ بحلهـا ومــا نفثــت فيهــا ذواتُ التمــائمِ

تَبَــصَّرَتِ الأيــامُ منــي خليَّــة فصالت على جسمي برمحٍ وصارمِ

وأشلَتْ على صَرْمي بنيهـا تعمُّـداً فعفَّت بـديوانِ الـصِّلاتِ معـالمي

محتْ منه آمالي ومالي وما رعـت خلافــةَ مهــديّ تَــسَمَّى بقاســمِ

خلافــةَ مهــديٍّ علــتْ بركاتُــه على النجمِ حمـالٍ لثقـلِ المغـارمِ

وما جاز في دين الخلائـف أنهـم يعودون فيمـا عـوّدوا مـن مكـارمِ

وما استرقَتْ منهمْ على حين غفلةٍ عيــونُ العــدا إلا رُمــوا بــرواجمِ

يردّ مثيرَ السوءِ عـن مقعـدِ النـدى ذميماً ومن يَسعى بقطعِ الغلاصِـمِ

فعطفــاً أميــرَ المــؤمنين ومِنَّــةً على العبدِ من تغييرِ وصلٍ مـلازمِ

فـإني أرى العـاداتِ منـك كريمـةً وأكرمُهـا عـاداتُ أهـلِ المواسـمِ

لهم كلَّ عام منك سيبٌ إلـى منـى بمحكَـم ديـوانٍ جزيـلِ المغـانمِ

وقـد كـان لـي فبـه عطـاءٌ مخلَّـد برسـمِ كـريمٍ رازقٍ غيـرِ حـارمِ

فإن يكنِ الأمرُ الذي أصبحت بـه عيونيَ في قلبي محا اسمي وخاتمي

وألقى عن الظهر النحيـفِ علائقـاً لفصل القضا والرسمُ مفروض حاكمِ

فهبه فهـلاً كـان فـي سـعة النـدى لفاقــدِ عينيــه إقالــةُ راحــمِ

وإجـراءُ مـالي مـن نـوالٍ مُـدَفتر تخبُّ بـه نحـوي حُـداةُ الرواسـمِ

وما راشَ ذو سهمٍ سهامَ ابنِ حُـرَّة بـريش أخيـه مـن حـديثٍ وقـادمِ

قوله: فإن يكن الأمر . . . البيت، يشير إلى قول ابن عباس ـ رضي الله تعالى عنهما ـ: إن يأخذِ اللهُ من عينيَّ نورَهما.

وكتب إلى السيد الحسن ابن الإمام إسماعيل المتوكل، شاكياً من السيد سالم بن مهنا، وهو ـ إذ ذاك ـ والي بيش، والشريف أبي طالب بن محمد بن حسين الخواجي، صاحب صَبْيا، لما أرسل عسكراً، عمت بليتهم ذا الجرم، ومن لا جرم له، على لسان أهل المخلاف بقوله:

أمثلُكَ يا بنَ بَجْدَتِها يَنامُ ... على حالٍ يُضام به الأنامُ

يُسامون التي فيها هوان ... وذلك لا يقاس به أثامُ

ويؤخذ سالمٌ منهم بجانٍ ... ويترك من به منهم سقام

أليس لذا الورى منكم ذمام ... وليس وراء ذمتكم ذمامُ

فكلُّهم لدى حرم أمين ... وأنت لخوفهم بلدٌ حرامُ

وقد وصلوا بعروتكم حبالاً ... متاناً ما لعُروتها انفصامُ

فلا ترضَوْا بمالٍ من دعي ... يصادر إنكم قومٌ كرامُ

نقيبانا ببلدتنا أناخا ... مناخاً لا يُسَدُّ به انثلامُ

رأوا ما لا يرى حسناً ومالوا ... إلى غير الذي شرعَ الإمامُ

وهل إلاَّ بِكم تُحمى الرعايا ... ويأمن منهم يَمَنٌ وشامُ

بمثلِ علاك يعتصمون يوماً ... يكون لناسه فيه ضِرامُ

وأنت البدرُ يهدي من ضلال ... ويُستجلى بطلعته الظلامُ

وسيفٌ للإمام أبي المعالي ... ومهديّ الزمانِ فلا تضامُ

وفيـك يقـال لـيس لـه نظيـرٌ	وكيـف ينـاظرُ البحـر اللهـامُ
فكفُّـوا سـنةَ الأجنـاد عـنهم	فـإن الجنـد أشـرارٌ طغـامُ
ومـا المهـديُّ إلا خيـرُ هـادٍ	وسـيرتُه علـى النـاس الغمـامُ
تعـيش بـه البريـةُ فاسـتغيثوا	لهـم بالعـدلِ منـه والسـلامُ

وكتب إليه وهو بمدينة حبور، وكان ـ إذا ذاك ـ بحضرته:

بقيتَ أبا يحيى على النسر واطئاً	وبالنصر مخدوماً وللدينِ حامِيا
وبدراً لهالاتِ المعارفِ ساطعاً	وبحراً لطلاب العوارف طاميا
دعانا إلى علياك فضلٌ أرى له	روائحَ في هذا الورى وغَواديا
فأيقظتَ آمالي وما كُنَّ غُفَّلاً	وكلفتها طوداً يُناجي الدراريا
أقول لنفسي وهي تركب روعَها	وقد بلغت مما تلاقي التراقيا
وقد قصرت عن قلة النيق بغلتي	وأعوزني حالي إلى المشي راقيا
مديحن[1] لا ينجيك[2] منه تميمة	ولا ذو رُقى أن تطلبي[3] لك راقيا
وما كنت أخشى أن تعاطى ركوبه	ولا أن تلاقي منه تلك الملاقيا
فقالت إذا كانت مراقيه تنتهي	إلى حسنٍ أحسنْ بهنَّ مراقيا
إلى ملكٍ يستسهل الصعبَ والسرى	إليه ويرمي بالنفوس المراميا

---

(١) مديحن: اسم لعقبة ينفذها الطريق السالك إلى مدينة حبور. من «خلاصة الأثر» للمحبي.

(٢) في الأصل: لا تعييك.

(٣) في الأصل: تطلني.

ويمتــاح للآمــال مــن عَتَباتــه رغائب ينقعن[1] القلوبَ الصواديا

وكتب إليّ، وقد اجتمعت به باللحية، عام ستة وتسعين بعد الألف بقوله:

يا مَنْ غدا للفضل فوقَ جبينه روضٌ تبسَّمَ بالسماحةِ والوفا
وغدا به جيدُ المعارف حالياً ولجملةِ الفضلاء أضحى مؤلَفا
يا مصطفى أهلِ الزمان ومَنْ كسا شخصَ المكارم من عُلاه مُطرفا
أنت الذي طابت مغارسُه ومن بالفتح فتحِ الله سُمِّي مصطفى
ماذا تكافئك المحامدُ بالذي فيها نسجت مطرزاً ومُفَوَّفا
من حسنِ تلميحٍ وتوضيحٍ ومن تبيينِ أوصافٍ لأربابِ الصفا
اللهُ يعلمُ أنك العدلُ الذي أضحى لأربابِ الفضائل مُنْصِفا
سمعتْ مسامعيَ الذي أرختـه فكأنني منه شربتُ القَرْقَفا
للهِ ما رصَّعته من جوهرٍ لا فُضَّ فوك فقد أجادَ وشَنَّفا
وجزاك عن ذكراك آلَ محمدٍ والعارفينَ من الجِنان الرَّفرفا[2]

فأجبته بقولي:

وافى كتابك يا سليل المصطفى أفديه نفسي زائرا قد أشرفا

---

(١) في الأصل: ينفعن.

(٢) جاء في الحاشية: «كتب بهامش الأصل، أمام البيت الأخير: (يكتب من الأصل)».

[١٥٠٤] عز الدين محمد بن الحسين بن يحيى الحمزي الكوكباني.

السيد الأعظم، فارس البلاغة، وسنان اليراعة، الحسين بن عبد القادر الناصر، وهذا السيد من الكمالات بمحلٍّ، له ذهنٌ درّاكة، وبلاغةٌ عليها ديباجة، وحسن مفاكهةٍ، وأخلاقٌ شريفةٌ، وقد أدرك حظاً وافراً من الفنون العلمية.

قوله:

سلامٌ عليكمْ من مَشوقٍ مُرَوَّعِ ... وإن لم يكن إلاَّ سلامَ مودِّعِ

ووالله ما رُوّعْتُ إلا لفقدِكُمْ ... فإنكُمُ سُؤلي وغايةُ مطمعي

ولم أرتضِ التوديعَ إلا لذكرِكم ... فقد صار أحلاماً تمرُّ بمسمعي

وإني على ما تعهدونَ من الوفا ... دَنَا من داركم أم نأى بي مَرْبَعي

فقد قيل قِدماً إنَّ من كرم الفتى ... إخاءَ التنائي لا إخاءَ التجمع

ولم أضربِ الأمثال أني لكم أخٌ ... فحبي أتى رقكم من ترفعي

ولكنه إظهارُ ما تعرفون منْ ... ودادي فإنَّ الطبعَ غيرُ التطبُّعِ

ولا بدّ من دهرٍ يسرّ بقربكم ... فؤادي ويُطفي لوعتي وتَفَجُّعي

وتُمسي الأعادي موثقينَ كمهجتي ... لديكُمْ وأنتم مطلَقين كأدمعي

وريمٍ له وردٌ وربعٌ ومرتَعٌ ... دموعي وقلبي المستهامُ وأضلُعي

رعى ثمراتِ الودِّ من كل مهجةٍ ... على أن ميثاق الهوى منه ما رُعي

وكم نصحَتْني في هواه عواذلٌ ... عليه ولكن رُبَّ نصحٍ مُضَيَّعِ

أعاذلُ لو أبصرتَ حسنَ جمالِه ... لرحتَ بقلبٍ مستهامٍ مولّعِ

وإن كنتَ أعمى عن محاسنِ وجهِه ... فإنيَ عَمَّا قلتَ أخرسُ لا أعي

وهل لي على باب التسلِّي طاقةٌ	وقد وقعتْ في رزةِ الحبِّ أصبعي
ألم تدرِ أني عندما زارني في الدجى	توهَّمْتُ أن البدر أمسى بمضجعي
فلمَّـا بـدا للـشمسِ زاد محلَّنـا	وأخجَلَها مـن نورهـا المتشعـشعِ
فأيقنتُ أن البـدرَ والـشمس دونـه	ومطلعه في الحسن أبهـجُ مطلـعِ
على أن مولانـا الحسينَ عليهمـا	سـما بمحـلٍّ مـن معاليـهِ أرفـعِ
سليلُ وجيـهِ الـدين نجـلُ حفيـده	حفيدُ ابن يحيى خيرُ داعٍ إذا دُعـي
فَتًى فاق في يوم الوغى كـلَّ أروعٍ	وفـاز بتقـواه علـى كـل أورعِ
فبيضُ الأمـاني والمواضـي بكفِّـهِ	تجلَّت وكم صلَّت على رأس أروعِ
رحم[1] المنايا والدنانير لـم تكـنْ	لغيـرِ مُعاديـه وللمتـضرِّعِ
لهُ اللهُ كم قَدْ حـازَ فخـراً وسـؤدداً	يحـارُ لديـه كـلُّ فَـذٍّ ومِـصْقَعِ
وأبـوابُ علـمٍ لـم يـنلهنَّ أعلـمٌ	وآدابُ نظـمٍ لـم يقلْهـن ألمعـي
قلـوبُ العـدا كـسوا لديـه إذا بـدا	بجـيشٍ كثيـفٍ دونَـه قـومُ تُبَّـعِ
سـلامٌ عليـه كلمـا لاحَ بـارقٌ	وما حَنَّ رعـدٌ فـوقَ أرجـاءِ لَعْلَـعِ

[١٥٠٥] عثمان بن إبراهيم بن أبي سَيْفَين بن عمر بن أحمد بن موسى ابن أبي بكر صاحب الحال الأكبر ابن محمد بن عيسى ابن الشيخ أحمد بن عمر الزيلعي العقيلي صاحب اللحية[2].

كُنِّي والده بأبي سيفَيْن بكنيـة الفقيه إبراهيم بن محمد بن عيسى؛ لأنه

---

(١) كذا في الأصل.

(٢) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٠٤).

كان له سيفان في صغره، فكني بهما، واتفق لوالد صاحب الترجمة: أنه كان له سيفٌ، فضاع منه، فقيل له: أنت أبو سيفين، فأين الثاني؟ فأخرج سيفاً من فمه بدله.

كان صاحب الترجمة، عَمَّار زمانه، وسَلْمان أوانه، صبيحَ الوجه، حسن الخُلق، ما رآه أحدٌ إلا ذكر اللهَ سبحانه، أفنى كهولته وشيخوخته في طاعة خالقه، ومضى من العلم المكنون على حقائقه، وكان إمام الشريعة والطريقة، وشيخ أهل الحقيقة على الحقيقة، وحيدَ وقته، وسيدَ أبناء عصره، بحراً يزخر عبابُه بفرائد الكرامات، ويفيض جوانبُه بعوائد الصِّلات.

وكان صدرَ زمانه، يفزع الناس إليه، ويجلُّون محلَّه، ويعظمونه لمكانته في العلم والولاية، وكان سمحاً في المأكل والمشرب والملبس، ورعاً تقياً، محافظاً على الطاعات، ملازماً للجماعات.

وُلد بجزيرة عيسى بن أحمد، من أعمال «اللحية»، وبها نشأ، وحفظ القرآن، ورباه والده أحسن تربية، حتى فاق جماعته وإخوته، وكان كثير الإحسان، وصولاً لما أمر الله به أن يُوصل، وكان الله سبحانه يجري له ألطافه في أفعاله.

فقد حكي عنه: أن ابن عمه العارفَ بالله أحمد السطيحة، عمل وليمة ختان أو عرس، لخاصة من أهله وجماعته، فلم يشعر إلاّ ووجوه الناس، وقبائل العرب، أتت إليه؛ لتتبرك بحضور الوليمة، ولم يكن متهيئاً لهم، وليس عنده ما يكفيهم من المأكل، فبقي متحيراً، كيف يفعل؟ فذكر لبعض خاصته ذلك، فقال له: عليك بالفقيه عثمان، فأتى إليه، فقال له: يا عم! أتيتك

في مهـم، وذكـر لـه القصـة.

فقال: ما هناك خـلاف، وأتى معـه إلى منزلـه، وأمر النساء أن يُخْلوا المكان المعدَّ للطبخ؛ ليتعاطى الأمـر بنفسه، فأخلوه، فأمرهم بتقديم المائدة للنساء أولاً، وأتوا بأواني الأكل إليـه؛ ليغرف لهم بيده، فصار يحرك القدور، ويغرف لهم منها، حتى قـدم لهم ما كفاهم، وفضل منه شيءٌ كثيرٌ، ثم فعل بالرجال كذلك، حتى شبع الجميع.

وغرف للجيران والفقراء، وجميع من كان حاضراً في ذلك المهم، وبقي الذي في القدور على حاله، لم ينقص منه شيءٌ.

وله وقائع كثيرة وكرامات.

وكانت وفاته في نيف وثلاثين بعد الألف، بجزيرة عيسى بن أحمد.

[١٥٠٦] عثمان بن أحمـد بن تقي الدين بن أحمد بن عبد العزيز بن علي بن إبراهيم بن رُشد ـ بضم الراء ـ الفتوحي القاهري الحنبلي، الشهير بابن النجار.

كان عالماً كبيراً، قاضياً بالباب بمصر، من مؤلفاته: «حاشيةٌ على منتهى الإرادات»، ومن شيوخه: عبد الرحمن البهوتي، ومحمد المرداوي الشامي.

توفي غرة شهر ربيع الأول، سنة أربع وستين وألف بمصر، ودفن بتربة المجاورين.

[١٥٠٧] عثمان بن عبد النبي بن عثمان بن عبد النبي الدهان، المكي، الحنفي.

كان مـن أعيان الصوفية وأكابرهـم، ومن القائلين بالوحدة الوجودية،

المتحققين بها، أخـذ عن أحمد بن علان، وهو والد الشيخ العلامة إبراهيم الدهان.

توفي بمكة، عام خمسة وأربعين وألف، ودفن بالمعلاة، وله «ديوان شعر» في مجلدٍ، كله حقائق.

[١٥٠٨] عثمان بن عبدالله النحريري الحنفي.

أحد علماء الحنفية، بالديار المصرية، صحبته سنين عديدة، وكان من العلماء العاملين المنوّرين، ظاهراً وباطناً، معتقداً للصوفية، حافظاً للمراتب الشـرعية، وكان في عصـره هو الخليفة من أصحاب الشيخ الشناوي ﷺ، وله خبرةٌ بأحوال المقام، [لا] سيما طريق صاحب «الجواهر الخمس»؛ فإنه ممن يُرجع إليه.

أخذ الفقه عن الشهاب أحمد الشوبري، وحسن الشرنبلالي الحنفيين، وحضر دروس شيخنا الشمس البابلي في الحديـث، وقـرأ على شيخنا سلطان المزاحي، وعلى شيخنا علي الشبراملسي، وأخذ الطريق عن الشيخ كمال الدين السوداني المحلي الشناوي، وبه تخرج وانتفع، وأجازه بالتلقين.

ومن مؤلفاته: «الصبح الصادق شرح كنز الدقائق»، ومختصر «جواهر الغوث» سـماه: «النفحات القدسـية على الأسماء الإدريسية»، وشرحٌ على «الحزب السيفي» سماه: «بيان الأسرار والمعاني المودعة في الحرز اليماني» و«الغمز على خبايا الكنز».

توفي في نيف وثمانين وألف بالقاهرة، ودفن بتربة المجاورين ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٥٠٩] السلطان عثمان بن أحمد بن محمد بن مراد بن سليم خان[1].

الملك المجاهد، تسلطن بعد خلع عمه السلطان مصطفى، وأحسن سياسة الملك على أحسن الوجوه، وتوجه في سنة إحدى وثلاثين وألف إلى غزو الفرنج، فانتصر عليهم، وظفر بهم.

ثم بعد عوده إلى التخت، أراد التوجه إلى مكة بقصد الحج، ووصلت الأخبار إلى غالب الجهات بذلك، وهُيئت المؤن بمصر والشام وحلب، وغيرها من البلاد، فلما كان يوم الخامس من رمضان، من السنة المذكورة، قام العسكر عليه، وقتلوه، وأعادوا عمه السلطان مصطفى، فقال بعض الشعراء:

قضى عثمانُ سلطانُ البرايا ... بأسيافِ العساكرِ والجنودِ
ووافَتْه المنيةُ في السرايا ... مؤرخة (كعثمان الشهيد)[2]

[١٥١٠] عثمان، خليفة المنتشوي.

كان من قصبة مكرى، من مضافات لواء منتشا، وكان شيخاً عالماً صالحاً، له أحوالٌ ومكاشفاتٌ، قيل: كان لا يعلم من أين يجيء كسبه ومعاشه، لكن كان يجيء إليه الفقراء والمديونون، ويلتمسون منه شيئاً من الدنيا، فيأخذ من تحت سجادته دراهماً تكفي مهماتهم، ويدفعها لهم.

[١٥١١] عثمان بن علي بن محمد بن علي بن محمد العِزِّي المالكي[3].

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٥٨)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٠٥).

(٢) جاء في الحاشية: «١٠٣١».

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٠٩).

أحد أجلاء شيوخ العربية، وصدور أنديتها النّديّة، وممن تصدر بالديار المصرية للتدريس، في كل علم نفيس، واستفاد طلبة العلم من فوائده، وأجازهم من صلة عوائده، وأتى العلوم من أبوابها، وجَرَّد مرهفاتِ السنة من قرابها.

وُلد بمصر، وبها نشأ، وأخذ عن شيوخ كثيرين، وعنه جمع من أكابر العلماء، منهم: الشهاب أحمد الخفاجي، ونور الدين علي الأجهوري، وبالعين رُمزَ له في «شرح مختصر خليل»؛ كما أشار لذلك في أول الشرح المذكور، وألف مؤلفات معتمدة.

وكانت **وفاته** يوم السبت سابع عشر محرم - بتقديم السين - سنة تسع - بتقديم التاء - بعد الألف، وهو في عشر السبعين - رحمه الله تعالى -.

ورثاه الشيخ صالح النَّوسِي بقوله:

إذا ما دعوتُ الصبرَ بعدَكَ والبُكا ... أجابَ البُكا طوعاً ولم يُجِبِ الصبرُ

فإن ينقطعْ منك الرجاءُ فإنه ... سيبقى عليك الحزنُ ما بقيَ الدهرُ

[١٥١٢] السيد عثمان البيراقي[١].

كان عالماً صالحاً، سلك عند الشيخ غضنفر البيراقي، وأجازه بالإرشاد، وسكن ببلدة قاسم باشا، تجاه القسطنطينية بزاويته، وله كشفٌ وكراماتٌ.

قال حسن بيك بن جاشنكير: كان النفشي المنجم منكراً عليه، فاتفق أنه جاء يوماً إلى قاسم باشا، وقرأ عند زاوية الشيخ، فرأى الجماعة قد قاموا لصلاة الظهر، فدخل الزاوية، وقام جنب الشيخ في الصف الأول، وكان بين

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ١٠٩).

يدي الشيخ جلد ظبيٍ، مفروشاً طولاً، لأجل السجادة، فخطر للنفشي، لعلَّ أن يكون الجلد قريباً له، حتى يقيم عليه مع الشيخ، فانقلب الجلد في الحال عَرْضاً؛ بحيث كان هو والشيخ يسجدان عليه، فلما تمت الصلاة، قبل النفشي يدَ الشيخ، وتاب، وصار مريداً ومعتقداً له.

مات الشيخ بعد سنة ثلاث وألف، ودفن بزاويته، بالمحل المعروف بأنجبيل.

[١٥١٣] عثمان أبو المفضل بن علي بن محمد بن عبد الإله بن أحمد ابن عبدالله بن أحمد بن إبراهيم بن محمد بن عبدالله بن الهادي بن إبراهيم الوزير، وأمه الشـريفةُ مريمُ بنت يحيى بن محمد بن يحيى بن أحمد بن عبدالله، اليمني، الصنعاني.

مولده بصنعاء، في شهر محرم، سنة اثنتين وخمسين بعد الألف، نشأ على ما عليه سلفه، من اقتطاف أزاهر العلوم، والتفتيش عن مظنونها والمعلوم، فضرب في ذلك بحظٍّ وافرٍ، مع فكرةٍ سليمةٍ، وعقيدةٍ قويمةٍ، وسمتٍ مَرْضيٍّ، وهمةٍ ساميةٍ.

وأخذ عن مشايخ نبلاء، منهم: السيد العلامة الحسين بن محمد التهامي النعمي، والفقيه المفنن علي بن صلاح الوحش الطبري، والسيد العلامة أحمد ابن علي الشامي، والقاضي أبي بكر بن يوسف بن راوع.

وولي القضاء من الإمام المهدي أحمد بن الحسن، ومن الإمام الزاهد المؤيد محمد بن إسماعيل، ومن الإمام الهادي محمد بن أحمد، وله كرمٌ خِلقيٌّ على الأبعدين والأقربين، وشمائل أهل التقوى، وسلوك أهل اليقين.

ومن مؤلفاته: شرحٌ على قصيدة الإمام يحيى شرف الدين المسماة بـ «قصص الحق»، سماه بعض أهل العصر: «انتهاز الفرص لشرح القصص»، وشَّحه بفرائد الأخبار، ورصَّعه بجواهر السير والآثار، مع سياقٍ غريبٍ، وأسلوبٍ عجيبٍ، وتكلم فيه على مسائل من دقائق الأصول، وغيره.

ومن شعره يعتذر إلى صديقٍ له:

إن هفا المملوكُ فاصفحْ كرماً وتجاوَزْ سيدي عما أتى

فلكُمْ يا آلَ طَه مِنَّةٌ ولكم فضلٌ أتى في هَلْ أَتى

ومن مؤلفاته: كتاب «أطراف السلسلة التي هي بأكناف النبوة والولاية مربوطة متصلة» ذكر فيه جماعةً من سلفه، بني الوزير، سادةِ اليمن، ومتى أطلق أحدٌ ذكر السادة، فمرادهُ: بنو الوزير.

[١٥١٤] السيد عمار بن بركات بن جعفر بن بركات بن أبي نمي الشريف الحسني[١].

عَمَّارُ أبنية المجد والمكارم، ورافعُ ألويةِ شرفِ آبائه الخضارم.

مولده مكة، وبها نشأ وبرع، وتأدب وترعرع، ثم دخل الهند سنة اثنتين وستين بعد الألف، فتبوأها داراً وسكناً، وسلك فيها مسلكاً حسناً، حتى وافاه بها الحمام يوم الجمعة، لعشر بقين من شوال، سنة تسع وستين بعد الألف.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٠٤)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٤/ ٢٩) (٢٦٩)، «سلافة العصر» لابن معصوم (٣١)، «الأعلام» للزركلي (٥/ ٣٥).

وله شعر يفعل بالألباب فعل السحر، منه: ما كتبه إلى السيد أحمد معصوم مخاطباً له:

زرتُ خِــلاً صـبيحة فحبـاني ... بـسؤالٍ أشـفى وأرغـمَ شـاني
قـال لمـا نظـرت نـورَ محيـا ... هُ ونلـتُ المنـى وكـلَّ الأمـاني
كيف أصبحتَ كيف أمسيتَ مما ... ينبت الحـبُّ فـي قلـوبِ الغـواني
فتحرَّجْـتُ أن أفـوهُ بمـا قـد ... كـان منـي طبعـاً مـدى الأزمـانِ
يا أخا المجـدِ والمكـارمِ والفضـ ... ـلِ ومَـنْ لا أرى لـه اليـومَ ثـاني
أَدرك ادرك متيَّمـاً فـي هـواكم ... قبـل تـسطو بـه يـدُ الحـدثانِ
وابـقَ واسـلمْ منعَّمـاً فـي سـرور ... مـا تغنـت وُرْقٌ علـى غـصنِ بـانِ

فأجابه بقصيدة، منها: قوله:

ليتَ شـعري متـى يكـونُ التـداني ... لـبلادٍ بهـا الحـسانُ الغـواني
وبهـا الكـرمُ مثمـرٌ والأقـاحي ... ضحكت عـن ثغـورِ زهـرٍ لجـاني
والبـساتينُ فائحـاتٌ بعطـرٍ ... يُخجـل العنبـرَ الـذكيَّ اليمـاني
وطيـورٌ بهـا تجـاوبن صـبحاً ... وعـشيّاً كنغمـةِ العيـدانِ
وبألحانِهـا تُـذيب ذوي اللبْـ ... ـبِ وتُحيـي مَيْتـاً مـن الهجـران
وتمـشي بهـا الظبـاءُ الحـوالي ... مائـساتٍ كنـاعمِ الأغـصانِ
كـلُّ خَـوْدٍ تـسطو بلحـظٍ حـسامٍ ... وتَـشَنٍّ كمـا قَنـا المُـرَّانِ
وَجْهُها الـصبحُ لكـنِ الفـرعُ منهـا ... ليلُ صَبٍّ مـن لوعـةِ الحـبِّ فـانِ
غـادةٌ كـالنجومِ عقـدُ حلاهـا ... مـا اللآلـي ومـا حُلـي العقيـانِ

إنَّ يـــاقوتَ خــــدِّها أرخــــصَ اليـاقوتَ سـعراً وعـابَ بالمرجـانِ

كـــلَّ يـوم يُقـضى بقـربٍ لــديها فهــو يــومُ النــوروز والمهرجــانِ

ما لمضنًى أصيبَ من أسهم اللحْـ ـظ نجـاةٌ مـن طـارقِ الحـدثانِ

أذكرتْنــي أيــامَ تلــكَ وأغــرت أعينـــي بالبكـــاء والهَمَـــلان

نفثاتٌ كالسحرِ يـصدَعْنَ فـي قلـ ـب مُعَنّـىً عـن الملامـةِ عـاني

كلمـــاتٌ لكنهـــا كالـــدراري وسـطورٌ حـوتْ بـديعَ المعـاني

إذ أتــتْ مــن أخٍ شـقيقِ المعـالي فـائقِ الأصـلِ غُـرَّةٍ فـي الزمـانِ

صـافي الـودِّ صـافي القلـب قـرمٌ كعبــة قــد عــلا علــى كيــوانِ

ذاكــراً لــي فيهـا تزايـدَ شـوقٍ وولوعـــاً بـــه مـــدى الأزمـــانِ

ففهمــتُ الــذي نحــاه ولكــن ليت شعري يدري بما قـد دهـاني

أنا قيسٌ فـي الحـبِّ بـل هـودوني لا جميـل حـالي ولا كـابنِ هـاني

يا أخا العزمِ قـد سـلمتَ وَجْـدي طـــافحٌ زائـــدٌ بغيـــرِ تَـــوانِ

فلِحَتْفي أبـصرتُ مَـنْ قـد رمـاني وعنـــــاءٌ تَــــصَيُّدُ الغـــــزلانِ

إن تشأْ شـرحَ حـالِ صـبٍّ كئيـبٍ فلقـــد قالـــه بـــديعُ المعـــاني

مَرَضِـــي مــن مَريـضةِ الأجْفـانِ عَلِّلانـــي بوَصْـــلِها عَلِّلانِـــي

وكتب إليه السيد أحمد معصوم، صاحب كتاب «السلافة» يشكو إليه ـ وهو بالهند ـ فرقةَ الأحباب، وبُعْدَه عن وطنه والاغتراب، مع التخلص إلى مدحه منها:

هل يعلم الصحبُ أني بعد فرقتهم أبيتُ أرعـى نجـومَ الليـل سـهرانا

أقضي الزمانَ ولا أقضي بـه وَطَـراً … وأقطـع الـدهرَ أشـواقاً وأشـجانا
ولا قريـبٌ إذا أصـبحتُ ذا حـزنٍ … إن الغريـبَ حـزينٌ أينمـا كانـا
أرى فؤادي وإن ضـاقتْ مـسالكُه … بمـدحِ نجـلِ رسـولِ الله جـذلانا
عمَّارُ أبنيـة المجـد الـذي رفعـت … آبـاؤه الغُـرُّ مـن ناديـه أركانـا
السيدُ الماجدُ الندبُ الشريف ومـن … قـد بَـزَّ بالفـضلِ أكفـاءً وأقرانـا
سَمَا بِه النسبُ الوضاحُ فاجتمعَتْ … فيـه المحامـدُ أشـكالاً وألوانـا
يا واسعَ الخُلْـقِ إفـضالاً ومكرمـة … وموسـعَ الخَلْـقِ إنعامـاً وإحـسانا
فُقْتَ الكرامَ بما أولَيْـتَ مـن كـرمٍ … لله دَرُّكَ مِفْـــضالاً ومِعْوانـــا
ما قلتَ في المجدِ قولاً يومَ مفتخر … إلا أقمـتَ عليـه منـك برهانـا
لا زلتَ في الدهر مرضيَّ العلا أبداً … ونـائلاً مـن إلـهِ الخلـقِ رضـوانا
عليك مني سلامُ الله مـا صـدحَتْ … وُرْقُ الحَمام وهـزّ الـريحُ أغـصانا

فأجابه صاحب الترجمة بقوله:

يـا مـن تـذكَّرَ خلانـاً وجيرانـا … وصار يُمسي سميرَ النجمِ سـهرانا
صـادٍ إلـى مـوردٍ قـد كـان يألفُـه … عذبٍ به يـشتفي مـن كـان ولهانـا
لــه بــه مرتــعٌ طابـت مـوارده … واليـومَ بالهنـد يـا لله مـا حانـا
يا ماجداً حاز سبقاً في القريضِ وفي … نهـجِ البلاغـةِ حتـى فـاقَ أقرانـا
أحسنتَ لا زلتَ في أمنٍ وفي دَعَة … جـزاك ربُّـكَ بالإحـسان إحـسانا
وحَقِّ جـدِّكَ إن العـينَ فـي غـرقٍ … والقلب في حُـرَقٍ وجـداً لمـا آنـا
عليكَ بالصبرِ يا مـولاي معتـصماً … إن النفـيسَ غريـبٌ حيثمـا كانـا

كـذا الليـالي عَهِـدْناها مبدِّلَـةً ... بالقربِ بُعداً وبَعدَ الوصل هِجْرانا

فـلا رأيـتَ مـدى الأيـام حادثـة ... مـن الزمـان ولا هَمّـاً وأحزانـا

قد ضاقَ صدري لما أبديتَ من كمدٍ ... من لاعجِ البينِ ليت البـينَ لا كانـا

لكـنَّ لـي آمـلاً فـي الله خالقِنـا ... وحـسنَ ظـن متـى نـدعوه أولانـا

أن يجمعَ الشملَ في تلك البقاع وأن ... يـروي غليـل صَـدٍ مـا زالَ حرّانـا

بحـقِّ آبائِـك الغُـرِّ الكـرامِ ومَـنْ ... غدوا لنا عن جميعِ النـاسِ أعوانـا

ما حَرَّكَتْ نَـسَماتُ الـريحِ مورقـةً ... مـن النبـاتِ وهـزّت منـه أفنانـا

[١٥١٥] السيد عمر بن عبد الرحيم بن موسى بن غياث الدين خليل الله ابن إبراهيم بن محمد بن محمد بن حسن بن محمد بن إبراهيم بن علي بن محمد بن حسن بن علي بن محمد بن علي بن قاسم بن موسى بن القاسم بن عبيدالله ابن الإمام موسى الكاظم بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين السبط، ابن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب ـ كرم الله وجهه ـ، وأمه الشريفةُ عرفةُ بنت السيد هاشم البخاري، الحسيني أباً، الحسني أماً، البصري، المكي(١).

كان ﷺ خاتمة المحققين، شيخ الإسلام والدين، شمس المعارف والعلوم، ترجمان المنطوق والمفهوم، حبر الأوان، خيراً بمدارك الأفنان، عطراً بشذا تلقينه المحابر والمحافل، وبهر بآيات بيانه المشكلات المسائل، كلَّ ألمعيٍّ سائل.

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٥٥٦)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٩٠)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢١٠).

أخذ الفقه والحديث، وغيرهما من العلوم النافعة عن العلامة الشيخ بدر الدين البرنباري، والشمس محمد الرملي، وعن المحقق الشهاب أحمد القاسمي، والملا عبدالله السندي، والقاضي علي العصامي، والقاضي علي بن جار الله، والشيخ عبد الرحيم الأحسائي، والسيد الجليل مراد شاه، والملا نصر الله، وغيرهم من علماء المكيين في عصره.

وانتفع به خلقٌ كثيرٌ، وفازوا من تفننه بالحظ الأوفر الكبير، من أجلّ: هم الشيخ عبدالله بن سعيد باقشير، والشيخ علي بن الجمال، والإمام زين العابدين الطبري، وأخوه علي، ومحمد بن عبد المنعم الطائفي، والعارف بالله أبو الجود المزين.

وممن أخذ عنه، وتربى به: ولده محمد، والسيد الجليل عبد الرحمن كريشة السقاف، والسيد صادق باد شاه مفتي مكة، وغيرهم، وكتب على «التحفة شرح المنهاج» حاشيةً مفيدةً، تدل على عظيم شانه، وكمال فضله وعرفانه.

وبعد التفقه في الدين، صحبه أكابر العارفين، وأخذ عنهم علوم التصوف والحقائق، وسلوك الطريقة والرقائق، وذاق من شراب القوم صِرف الحُمَيّا، وأحسن شربه سوغاً ورِيّا، وقفت له على رسالةٍ في معنى قول ابن الفارض في تائيته:

وما الوَدْقُ إلا من تحلُّبِ أدمُعي   وما البرقُ إلا من تلهُّبِ زفرتي

تدل على أنه نفحةٌ من نفحات الدهر، أنتجه وأظهره في الوجود نفثُ روح القدس في رُوعه، بفاعلية الخلق والأمر.

ووقفتُ له على شعرٍ يدل على علو شأنه في الطريق، وبيانه، منه **قوله**:

أنــــت ســـــرُّ القـــــضا إن كنـــت تـــدري القـــضيَّهْ
وأنــــت أُسُّ المعــــاني نعمــــــة أو رزيَّـــــــهْ
نـــص والليــــلُ يجلـــو لـــــك خبايــــا خفيَّـــــهْ
فـــي زوايــــا خبايــــا هــــا المعــــاني الأبيَّـــهْ
والحـــديثُ الــــذي يرويـــه صـــــــاحبُ رويَّــــــهْ
صـــــدرهُ يـــــا عبــــادي فاحتفـــــلْ بالبقيَّــــــه
واكـــتمِ الــــسرَّ عـــن قــــ ـــــدم وذي لوذعيَّــــــهْ
إن ســـــرَّ القــــضا مُفــــ ـــشيه يَلْقَـــى خَطِيَّـــهْ

وقوله:

يــا رائمــاً قــرعَ أبــواب المهمــات وشائماً في امتطاء الحور زهـراتِ
إن كنتَ ترغبُ في نُجح الكراماتِ فـالزمْ فـديتُكَ أبـوابَ الفتوحـاتِ

توفي ﷺ بمكة، ظهر يوم الخميس، ثامن عشري شهر ربيع الثاني، سنة سبع وثلاثين بعد الألف، ودفن بالمعلاة ـ رحمه الله ـ.

وأخبرني شيخنا عبدالله بن محمد العباسي المكي: أنه حضر وفاته، وأن آخر كلام تكلم به: قولُ الودي:

وقـــضي يعقـــوبُ حاجَتَـــهُ وانتهـــى زيـــدٌ إلـــى الـــوَطَرِ

ثم خرجت روحه الشريفة ـ رحمه الله، وأسكنه أعلى عليين ـ.

وذكر شيخنا محمد بن أبي بكر الشلي باعلوي، في مسودة تاريخه «عقد الجواهر والدرر في أهل القرن الحادي عشر»، قال: رأيت بخط شيخنا علي ابن الجمال ما نصُّه:

ومن كراماته، وهي أشهر من أن تذكر، وأكثر من أن تحصر: أنه ما كان يسبق لسانه إلى كلامٍ يقرره في الدرس، إلا وهو حقٌّ يتعين المصير إليه.

ومنها: ما وقع للفقير دائماً: أنه إذا قرر كلاماً لم يفهمه في مجلسه فلا يبرز من من داره، إلا وقد فتح الله به.

ومنها: أنه كثيراً ما تشكل المسائل على كاتبه الفقير، فبمجرد أن يجلس بين يديه، يحصل الفتح، ومنها أن مجلسه الشريف محفوظٌ من الغيبة، التي عم الابتلاء بها، في هذه الأزمان المباركة.

ومنها: ما أخبر به الثقة، تلميذُه شيخنا أحمد الحكمي ـ نفع الله به ـ: أنه رآه في المنام بعد وفاته بأسبوع، فسأله: يا سيدي! إنكم انتقلتم؟ فقال: نعم، واقرأ يا فلان ما تيسر، فقرأ من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَـٰهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِهِۦ هُم بِهِۦ يُؤْمِنُونَ﴾[القصص: ٥٢]، فلما وصل إلى قوله ﷻ: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ يُؤْتَوْنَ أَجْرَهُم مَّرَّتَيْنِ﴾[القصص: ٥٤]، فقال له: قف، أنا منهم، ثم قال له: يا فلان! إن الله تعالى تجلى على بعض قلوب أوليائه بلا واسطة، وعلى بعضها بواسطة، وأرجو أن تكون منهم، فقال له سيدي الشيخ أحمد الحكمي: يا سيدي! فكيف العيال والأولاد؟ فقال: أما أنا، فقد استرحت، وهم لهم الله تعالى فانتبه.

وأما علمه، فناهيك به أنه قد وصل لرتبة الاجتهاد، وانخرط في سلك

أهل الأمجاد، ولكنه ـ مع ذلك ـ متقيد بمذهب الشافعي في الفتوى والتدريس، ونشر العلم، إلى أن نقله الله تعالى إلى دار كرامته.

[١٥١٦] عمر بن عمر الزهري الدفري الحنفي[١].

الشيخ الإمام، العالم العامل، الفاضل الكامل، كان إماماً جليلاً، عارفاً نبيلاً، له المهارة القوية في فقه الحنفية، وزيادة اطلاعٍ على نقولهم السنية، ومشاركةٌ جيدةٌ في العلوم، أخذ الفقه عن العلامة الشمس محمد المحبي، وعبدالله النحريري، وعبد الرحمن المسيري الشهير بابن الذيب، وعبد القادر الطوري، وبقية العلوم عن البرهان إبراهيم اللقاني، وغيرهم[٢] من أكابر الشيوخ، وأجازه جل شيوخه.

وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر، وانتفع به خلقٌ لا يحصون، منهم: خالي وسيدي محمد بن حسين الملا الحموي، وكان مشهوراً بالبركة، لمن يقرأ عليه، صالحاً عفيفاً، حسن المذاكرة، حلو الصحبة والمداعبة.

ومن غريب ما اتفق له: أنه كف بصره نحو عشرين سنةً، ثم منّ الله تعالى عليه بعود بصره إليه، من غير علاجٍ ولا سببٍ، إلى أن توفاه الله تعالى إلى رحمته بمصر، سنة تسع وسبعين بعد الألف، بعد أن جاوز الثمانين، ودفن بتربة المجاورين.

وكان بيني وبينه محبةٌ شديدةٌ، وكان كثير الدعاء لي، وحضرت درسه كثيراً في فقه الحنفية.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٢٠).

(٢) في الأصل: وغيرهما.

ومن مؤلفاته: «الدرة المنيفة في فقه أبي حنيفة»، وشرحها شرحاً نفيساً في مجلد، أقرأه مراتٍ عديدةً بالجامع الأزهر، قراءةً مفيدةً، وعم النفع به لطلبة العلم ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٥١٧] السيد عمر ابن الشيخ القطب أبي بكر بن سالم، صاحب عينات.

أخذ عن والده، واجتهد إلى أن وصل إلى رتبة الارشاد، فلما مات والده، قام مقامه في زاويته بحضرموت، وهو شيخٌ جليلٌ، صاحب كراماتٍ ومقاماتٍ.

ومن شعره ـ قدس الله سره ـ:

وليتُ الولا وملكتُ الملا ... أنا في العلا لابسُ الخلعةِ[١]

لنيلِ المعالي سمَتْ همتي ... وكنتُ المقدَّمَ في حضرةِ

سريتُ فريداً إلى حضرةِ ... فأُعطيت بالفضلِ أُمنيتي

وربُّ السما خَصَّني بالرضا ... وما زلتُ حتى انتهتْ رغبتي

فيا معشرَ الخلق هيَّا لكم ... هَلُمُّوا سريعاً إلى دعوتي

أنا عينُ أعيانِ أُولي النهى ... وتاجُ المفاخرِ على هامتي

أنا بازُها أنا محضارُها ... وجمعُ الحقائق من لذَّتي[٢]

ألا فانظُروا صورتي فيكمُ ... تروا مظهرَ الحقِّ في صورتي

---

(١) جاء في الحاشية: «وجدت هذه القصيدة بالهامش، وهي بخط يغاير خط الكتاب، ولكني أثبتها هنا؛ لوجود علامةٍ في نهاية الكتابة».

(٢) في الأصل: الذتي.

أنــا الهــادي المرشــدُ المنتقــى هنيئــاً لمــن كــان فــي زُمرتــي
أنــا الفــردُ فــي الوقــتِ أنــا غوثُــه وكــلُّ الخلائــقِ فــي قبـضتي
أنـا ابـنُ البتـولِ وسـبطُ الرسـولِ أَجَـلُّ الفحـولِ ولـي سـطوتي(١)
وفــتحُ المواهــب فــي بــاطني ومعــــراجُ أرواحِهــــا فطــــرةِ
ولــي مرتــعٌ فــي ريــاض الهنــا ولــي مــشهدٌ فــاقَ فــي الرفعــةِ
وفــي مــوكبي كــلُّ أوتادهــا وأفرادُهــــا يتبعــــوا رايتــــي
علــتْ رتبتــي فــوق أوجِ الــذُّرا وتــسعى الملائــكُ فــي خــدمتي
أنــا البحــرُ فــي الجــودِ يــا طــالبي ترى السحب تحكي نَدى راحتـي
فيــا زائــري قــد بلغــتَ المنــى ويــا نــاظري فــزتَ بالراحــةِ
وصـلّى إلهـي علـى المـصطفى مــع الآلِ والــصحبِ والعتــرةِ(٢)

[١٥١٨] عمر الحلبي المجذوب.

من أصحاب الشيخ أبي بكر الحلبي المجـذوب، كان يتـردد بسـوق السقطية بحلب، وله كراماتٌ كثيرةٌ.

[١٥١٩] عمر بن أحمد بن جبريل المشرّعي الشافعي.

---

(١) في الأصل: سطوة.

(٢) الاستغاثة والاستعانة واللُّجوء في كشف الضر ونحو ذلك أمور لا تطلب إلا من الله تعالى، وقد شاع في عصر المؤلف طلب ذلك من غير الله تعالى، وخاصة في الشعر والرّجز، تأويلاً من صاحبه أنه من باب الشفاعة لا غير، وهذا مخالف لتوحيد الألوهية، وإقرار العبادة لله وحده، ومن أهمها الدعاء والالتجاء.

كان من أكابر الأولياء المشهورين باليمن، أول شيخٍ له، بايعه وتأدب على يديه، وألبسه القلنسوة والزنبيل، ونصبه، وأذن له أن يحكم، وينصب من رآه أهلاً، وأقام مقام الشيخوخة: الشيخ العارف بالله، النجيب بن أحمد الحرازي.

ثم أخذ عن الشيخ عبد القادر بن الجنيد المشرّع، ثم صحب الشيخ الجنيد بن عبد القادر، بعد وفاة أبيه، ثم بايع الشيخ محمد بن أحمد المشرّع صاحبَ المدينة، بمكة المشرفة، تجاه الحجر الأسود.

وأخذ عن الشيخ أحمد بن الجنيد المشرّع، وعن الشيخ عبدالله بن الجنيد المشرّع، بمكة ـ أيضاً ـ، وأخذ عن الشيخ إبراهيم الأصب صاحب بداخ الخبثي، وعن الشيخ إسماعيل بن أحمد صاحب الدهليز.

وكان حاله في ابتداء سلوكه السفر إلى المآثر الشريفة؛ كالحج إلى بيت الله الحرام، والزيارة لقبر رسول الله ﷺ، وقصد مآثر الصالحين على العموم، أحياءً وأمواتاً.

وحبب إليه الخلاء، فكان يخلو في الأماكن البعيدة عن السكان، إمّا على قبرٍ من قبور الأولياء المتقدمين، الذين صارت قلوبهم ليس إلى جنبها قطان، ويقيم فيها مدةً، وإما في عكفة من العكف، التي ليس عندها إنس.

وكان ورده يومئذٍ: قراءة ﴿يسٓ﴾ ليلاً ونهاراً، وإقامةً وأسفاراً، وكان في تلك الأسفار، كلما التفت إلى المريدين، قال لهم: ﴿يسٓ﴾، ومن لم يحسن قراءة ﴿يسٓ﴾، اشتغل بالصلاة على النبي ﷺ، وحصل له في هذه الأسفار، من الألطاف الخفية، والمواهب السنية، والكرامات الجلية، ما لا يحصر عددها، ولا ينقطع مددها.

ولما أراد الله إبراز كمونه، انتشرت أخباره، وظهرت أنواره، وكان مشغولاً بالله عما سواه، ومواظباً على الأذكار والصلاة، وقد جعل له ذلك شعاراً ودثاراً، وصار نظره اعتباراً، ونطقه أذكاراً، وصمته أفكاراً، ولا ينام إلا على غلبةٍ، وهو يؤدب المريدين بأحواله، ويؤدب السالكين بأقواله، وينعش البطالين بأفعاله، حضرتُه حاكمة على من حضرها، وأفعاله منعشةٌ لمن نظرها.

فلما انتشرت آثار ظهوره في الأقطار، وطفقت أعلام ولايته على البراري والبحار، شخصت إلى رؤيته الأبصار، وتطاولت إلى شهوده أعناق الأرواح والأسرار، فأتوه من كل فجٍّ عميقٍ، زائرين من شاسع البدو والأمصار، ملتمسين من عميم بركاته صالح الدعوات، وقاصدين من فيض نفحاته أيمن اللحظات، وقلّما تلقى وجهه إلا طلقاً أنيساً، ويؤنس بالبشاشة من كان له جليساً، ولا يتكلم بالكلام المباح، فضلاً عن غيره، ولن تراه إلا ذاكراً في إقامته وسيره.

أخذ عنه: الأمين بن الصديق صاحب الصلة، ومحمد بن جابر صاحب المُدْحَاية، ورأى بعض الصالحين الشيخَ عبد القادر الجيلاني، فأخبره أنه مات أحد عباد الله الصالحين، وأمرت أن أقيم مقامه اثنين: واحدٌ بالشام، وآخر باليمن، والذي في اليمن: عمر جبريل، وله مقامٌ عظيمٌ، في جبل أسلم مات...[1]، وأعقب ولده يحيى، وكان من أكابر الأولياء ـ رحمه الله ـ.

[١٥٢٠] عمر الفارسكوري[2].

فاضلٌ قلد جيد دهره من فضائلها بحليِّها، ونظم عقد محاسنه في صدر

---

(١) بياضٌ في الأصل.

(٢) «ريحانة الألبا» للخفاجي (٢/ ٦٧) (٩٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٢١).

نديِّها، جنى من ثمرات العلوم الرياضية فواكه ذاقتها الأفهام، واجتنى من رياضها أنواراً لم تبرز من الأكمام، واجتلى أبكارها وعُونها، وهي حورٌ مقصوراتٌ في الخيام، فملك من ذلك خمائله ورياضه، وراض في مضمارها جواد فكره أحسنَ رياضَه.

له مؤلفاتٌ وآثارٌ لم يسمح بها الفلك الدوار، منها: كتاب «ناشئة الليل»، و«نظم الارتشاف»، وكانت **وفاته** يوم السبت، سابع عشري شوال، سنة ثمان عشرة بعد الألف بدمياط، وحمل إلى بلده فارسكور، فدفن بها.

ومن شعره: قوله:

شكلُ اشتياقي ما له من حَدٍّ ... ونقطةُ الصبر محاها وجدي
وامتدَّ خطُّ الدمع من محاجري ... بلا تناهٍ فوقَ سطحِ الخدِّ
وهيئةُ الجسمِ اضمحلَّتْ مذ نأى ... وانحصرتْ حياتُها بالبعدِ
وضاقَ صدري حَرَجاً لما استدا ... رت حركاتي حولَ قطبِ الضدِّ
وأصبحَتْ كراتُ حظي مركزاً ... ومسكناً في وسطِ جرم الجهدِ
ومن قِسِيِّ الهجرِ كم مِنْ أسهُمٍ ... نحوي ما شقت جيوبَ وجدي
والزمن القطّاع قد ألف ما ... بينَ محاجري وبينَ السهدِ

قال الشهاب ـ بعد أن ذكر هذه الأبيات في ترجمته ـ: واعلم أن استعمال ألفاظٍ اصطلحَ عليها أربابُ العلوم كما هنا، قالوا: إنه يخل بالفصاحة؛ لأنها كالغريب بالنَّسب، أو ضعيف التأليف، ولعلهم أرادوا الإكثار؛ كقول الجاحظ على لسان طبيب:

شرب الوصل دَسْتَج الهجر ... فاسْتَطلقَ بطنُ الوصالِ بالإسهالِ

ورمـــاني حِبٌّـــي بقُـــولَنجِ بـــينٍ جالينوسُ منه غَـدا كَـسيفَ البـالِ

ومنه أيضاً قوله:

إذا كانـت الأفـلاكُ وهـي محيطـة علينـا قِـسِيّاً والـسهامُ المـصائِبُ

وراميهـــا البـــاري فـــأين فِرارُنـــا وسـهمٌ رمـاه الله لا شـكَّ صـائِب

[١٥٢١] عمر بن محمد بن أبي اللطف المقدسي الشافعي، ثم الحنفي، الشيخ العلامة زين الدين(١).

قرأ على والده وغيره، وسافر إلى دمشق هو وأخوه أبو بكر، وقرأا هما والشيخ العلامة شمس الدين العجلوني الريموني على شيخ الإسلام البدر الغزي «شرح جمع الجوامع» للمحلي.

قال النجم الغزي: عرضت على المترجم «شرحي المنظوم على اللمحة البدرية» للوالد، فسرّ بذلك سروراً زائداً، وكتب عليه تقريظاً لطيفاً، أفردته في ترجمة والدي، التي أفردتها بالتأليف.

توفي ببيت المقدس، سنة ثلاث بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[١٥٢٢] عمر بن إبراهيم بن علي بن أحمد بن علي السعدي، الحموي الأصل، الدمشقي المولد، المعروف بابن كاسوحة(٢).

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٨٤) (٢٣٣)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٢٠)، «الأعلام» للزركلي (٥/ ٦٤).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٨٥) (٢٣٤)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٠٧).

قال النجم الغزي في «الذيل»: مولده ـ كما قرأته بخط والده ـ في أواخر رجب، سنة أربع وسبعين ـ بتقديم السين ـ وتسع مئة، ودخل به والده القاهرة، وأحضره دروس شيخ الإسلام الشمس محمد الرملي، وعلي بن غانم المقدسي، والعلامة الشهاب أحمد بن قاسم العبادي، وإبراهيم العلقمي، وأحمد الحانوتي، ونور الدين الزيادي، وأحمد بن أحمد بن أحمد بن عبد الحق السنباطي، وصدر الدين الحنفي، وعبد الرحمن بن الخطيب الشربيني، وأجازوه.

وأخذ بدمشق عن الداودي، ولازمه مدةً، وحضر مع أبيه دروس أحمد العيثاوي، ولازم بدمشق ـ أيضاً ـ إبراهيمَ بنَ كُسباي، فبرع في القراءات، حتى صار أمثلَ جماعته، ثم تصدر للإقراء والإفادة.

وبالجملة: فما سمعتُ بعد أحمدَ الضرير، أحسنَ منه قراءةً، ولا أتقنَ تجويداً منه، خالياً من التكلف والتعسف، وكان قليل الحظ من الدنيا، كثير السقم في بدنه.

مات يوم الأحد، عشري جمادى الأولى، سنة سبع بعد الألف، بعلة الاستسقاء ـ رحمه الله ـ.

[١٥٢٣] عمر بن عبد الوهاب بن إبراهيم العُرْضي الحلبي الشافعي(١).

مفتي حلب، وابن مفتيها، كان من أكابر العلماء المحققين، ألف «شرحاً على الشفاء»، و«تاريخاً ذيل به تاريخ ابن الحنبلي».

وكانت **وفاته** بحلب، يوم الثلاثاء، خامس أو سادس عشر شعبان،

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٨٧) (٢٣٥)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢١٥)، «هدية العارفين» (١/ ٧٩٦)، «الأعلام» للزركلي (٥/ ٥٤).

سـنة أربع وعشرين بعد الألف، وهو والد شيخ الإسلام أبي الوفاء العُرضي الحلبي ـ رحمهما الله ـ.

[١٥٢٤] عمر بن محمود البَيْلوني الحلبي الشافعي[١].

إمام الشافعية بالجامع الكبير بحلب، كان عالماً صالحاً، متواضعاً خيّراً، أخذ عن والده وغيره، وبرع في فنونٍ كثيرةٍ.

توفي سنة سبع وعشرين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[١٥٢٥] عمر بن يوسـف جمال الدين بن عبد الرحمن ابن قاضـي القضاة ولي الدين محمد بن الفرفور الحنفي[٢].

كان فاضـلاً، له مشـاركةٌ في علومٍ شـتى، ولي نيابة القضاء في بعض النواحي بدمشق، ثم في محكمة الديوان، ومات بدمشـق، يوم الخميـس، تاسع وعشري محرم، سنة ثلاث وثلاثين بعد الألف، ودفن عند أهله بمقبرتهم، جوار ضريح الشيخ رسلان ـ رحمه الله ـ.

[١٥٢٦] السيد عمر بن إبراهيم بن محمد شجر القُدَيمي الحسيني[٣].

كان سيداً كبير الحال، عظيم المقال، له كراماتٌ كثيرةٌ، عند جميع الناس مشهورةٌ، وكان من الزهد في الدنيا الدنية، وعدم النظر لها، والالتفات إليها، بمنـزلةٍ عليّةٍ، وكان ينفق جميـع ما يأتيه من الفتوحات والنذور على الفقراء

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٩٠) (٢٣٦).

(٢) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٩١) (٢٣٧).

(٣) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٠٧).

والمساكين، وله بجدة زاويةٌ يجتمع فيها الناس لذكر الله وطاعته، وكلٌّ من حضر معهم يحصل له فتحٌ، إما ديني، أو دنيوي.

وكان يجلس في غالب أوقاته بجدة، على سريرٍ له عالٍ منصوبٍ بقرب باب صريف، من الجهة الشامية منها، وكل من له حاجة أتى إليه، وتوسل به في قضائها، فتقضى بإذن الله سبحانه، وسريره إلى الآن منصوبٌ بجدة في مكانه، يتبرك الناس بمسه، ولا يقدر أحدٌ أن يجلس عليه، ومن جلس عليه، ضُرب من يومه، وقد جُرب ذلك، والناس يتحاشون من الجلوس عليه؛ خوفاً من ذلك.

ونقلت من تاريخ السيد محمد بن الطاهر بن بحر، المسمى: «تحفة الدهر» ما نصه: إن صاحب الترجمة كان على جانبٍ عظيمٍ من الخيرات، يحب الفقراء، ويؤوي المساكين، ويكرم الوافدين، ويُطعِم الهريسةَ في أيام منى لأكثر أهل الموسم، على طريقة عمه السيد الولي المشهور أبي الغيث ابن محمد الشجر ـ المتقدم ذكره ـ.

وحكى لي والدي: أنه كان في ابتداء أمره يتيماً، وله والدةٌ، وهو بها برّ، كانت تضربه، وتأمره بالأمور، فيأتمر، حتى كبر، وبلغ الحنث، وكان يحاول شيئاً من أمور الدنيا، فلا ينال منها، وكان يضحك القوم منه؛ لفقره وتغفله.

فحج، وزار جده النبي ﷺ، فحصلت له عنايةٌ ربانيةٌ، بواسطة جده ﷺ، فرزق القبول التام، عند الخاص والعام، حتى استوطن مكة، وأقبل عليه أهلها، وأمراء الأروام، فمَن دونَهم، وكان يزور اليمن، فيقبل عليه الناس قبولاً تاماً، وما تفوه به أتمّه الله، وجميعُ ما يدخل عليه ينفقه في سبيل الخير.

توفي سنة عشر بعد الألف بجدة، وبها دفن، ولا عقب له ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٥٢٧] القاضي عمر الفكرون قاضي المالكية بالباب محكمة مصر الكبرى، المغربي(١).

أصـله من سُوسة، من المغرب الأدنى، طلب العلم ببلاده، حتى بلغ الغاية في العلوم الشرعية والأدبية، ثم قدم مصر، وطالت إقامته بها، وصار قاضياً مالكياً بالباب، من محكمة مصر الكبرى، وكانت له الخبرة التامة بفروع مذهبه، وله «شرحٌ على المختصر الفقهي».

وكان فصيح اللسان، قوي الملكة في نظم الشعر، بديع المحاضرة، وفيه حدةٌ وبذاءةٌ، ولذلك كثر هاجوه بما ليس بعضه فيه، حتى إني وقفت على مؤلَّفٍ لبعض أهل الإسكندرية، سماه: «فتوح إسكندرية»، وآخر سماه: «سيف الحرب على عمر الغرب»، هجاه فيه بما لم يبق ولم يذر.

واجتمعت به كثيراً، ووقع بيني وبينه إحنةٌ، سببه: أنه تكلم في شيخنا سـيبويه زمانه، يحيى بن محمد الشـاوي، بكلامٍ قبيحٍ، في مجلسٍ حافلٍ، فرددت عليه كلامه، وأعانني عليه قومٌ ممن كان حاضراً المجلس، ثم بعد ذلك صار يتلطف بي، مع كبر سنه، فلم يسعني إلا استرضاؤه، وجبر خاطره، وكان يحفظ أخباراً كثيرةً، ممتعاً في محاورته.

ولما قدم العلامة أحمد المقري إلى الديار المصرية، اختص به، وبينهما محاوراتٌ لطيفةٌ.

---

(١) «نفحة الريحانة» للمحبي (٥/ ٣٥) (٣٧٦).

واتفق أني دخلت عليه، في مكانه الذي كان يشتغل به بالمطالعة، بعد ذهابه من المحكمة، فوجدته يكتب «شرحاً على البخاري» جامعاً للنقول، مفيداً ممزوجاً، فسألته: كم كتب منه؟ فقال لي: كتبت نحو ثلثيه، ولا أدري أتمّه أم لا.

وله رسالةٌ في فنونٍ ومكاتباتٍ بينه وبين أهل مصر كثيرة.

ومن شعره: قوله مادحاً أيوب باشا وزير مصر:

طلَع الهلالُ وأُفْقُه مُتهلِّلُ ... فمُكَبِّرٌ لطلوعِه ومُهَلِّلُ

أوفَى على وَجْهِ الزمان بغُرَّةٍ ... فغدا الصباحُ بنُورِها يتحمَّلُ

وزَهتْ غصُونُ البانِ في رَوْضاتِها ... وافْتَرَّ من ثَغْرِ الأَقاح مُقَبَّلُ

والوُرْقُ غَنَّتْ في الرِّياضِ وغرَّدتْ ... لحْناً بمُعْرَبِهِ الفؤادُ مُبَلْبَلُ

منها في المديح:

بحرُ التَّفضُّلِ والتكرُّمِ والنَّدَى ... وله كمالٌ مُجْمَلٌ ومفصَّلُ

جعل العدالةَ شأنَه وشِعارَه ... والسعدُ يُمْضي ما يقول ويفعلُ

نطَق الزمانُ بمَدْحِه وبحمْدِه ... وبذاك أَلْسِنَةُ الورى لاتَغْفُلُ

وقوله يمدح الأمير علي بيك، صاحب الصعيد:

لقد ماستِ الأغصانُ بالحُلَلِ الخُضْرِ ... وهبَّ نسيمُ الأنس في روضِنا الزهري

وقامتْ على الأغصان وُرْقُ حمائمٍ ... بألحانها تتلو لنا سورةَ الشكرِ

وجادت لنا يدُ الأنواء من كلِّ جانبٍ ... وكللت التيجان من لؤلؤ القطرِ

وغنى حَمامُ الأيك فوقَ غصونه بمعرَبِ ألحانٍ وجاوبه القُمْري
ومن كوثرِ النيل السعيدِ بدَتْ لنا لآلىءُ قطرٍ من يوَاقيتها الحُمْرِ
وجاءت لنا منه الزيادةُ بالصفا وقد صارتِ الأنهارُ من فيضهِ تجري
فأصبحَتِ الأرجاء مخضرةَ الرُّبا وأضحَتْ بقاعُ الأرض طيبةَ النشرِ
وَجَرَّ نسيمُ الأنسِ من فوق متنه ذيولاً تهادَتْ باللطافة والبشرِ
وقامتْ على أزهارِها أرجاء سوحِه بلابلُ منها العقلُ أصبح في سُكْرِ
وقد أشرقَتْ شمسُ التهاني وأورقَتْ غصونُ الأماني بالأزاهر والعِطْر
ووافى بأيامِ الوفا رونقُ الصَّفا وقد أصبَح المقياسُ يرفُلُ في السترِ
وروضاتُ مِصْرٍ جادَها وابِلُ الحَيا وداعي الهنا قد جاءَ يُعلن باليسرِ
وأخصبَتِ الدنيا وكلُّ جهاتِها وساعفَ إقبالٌ وجادت يدُ الدهرِ
وأصبحَ إقليمُ الصعيدِ كجنةٍ ولاح عليه طالعُ السعدِ والنَّصْرِ
سروراً بأيام الأمير الذي له مقامٌ جليلٌ في السيادةِ والفخرِ
حميدُ السجايا معدنُ العزِّ والعلا جميلُ المُحَيَّا واسعُ الجاهِ والقدرِ

ومن نثرٍ له:

إن أنضرَ روضٍ باكرته الغمائم بوبلٍ كَلَّل تيجان الزهر
وأزهى جنةٍ سرت النسائم في كمائم أفنانها فعطرت أنفاس السحَر

وأَجَلَّ ما حُررت به أبنيةُ الكَلِم، وحُبِّرت بوشيه بُرودُ القولِ المنتظِم، حمدُ الله سبحانه، الذي يحيا بذكره كلُّ قلبٍ مقبلٍ عليه، وتتلى بلسان آيات الثناء على من أوصلهم به إليه، انتهى.

وذكر الشيخ عبدالله العياشي في «رحلته»: أنه لما قدم القاهرة، اجتمع به، وحصلت بينهما مؤانسةٌ، فكتب إليه قوله مهنئاً بالعيد:

عليكَ سلامٌ طيبُ النشرِ من شخصِ ... يُحبك يا شيخَ الشيوخ أبا حَفْصِ

لئن حاز قومٌ بالقياس فضائلاً ... لقد حزتَها يا سيدي أنتَ بالنصِّ

بك الأزهرُ المعمورُ قد راق حسنُه ... وحاز كمالاً جابراً خَلَلَ النقصِ

فعلمُ بنيه خاتمٌ في يمينكم ... وعلمُك فيه النقشُ في وسطِ الفَصِّ

وعذراً لكم فيما كتبتُ من الذي ... يُعدّ كمالاً قد جمعت ومن يُحصي

لقد زادني حُبّاً لكم ومودةً ... مجالسةٌ في حسنها عاذلي أَعصي

أدرتَ علينا قهوةً أدبيةً ... تكاد لها الأرواح تُعلن بالرقصِ

وأَعليتَ ذكري بعد ما كان خاملاً ... وأَغليتَ قَدْري بعد ما كان ذا رُخْصِ

أُهنيك بالعيدِ الذي أنت عيدُه ... فلا زلتَ فيه للكمالات ذا قَنْصِ

بقيتَ لأهل الغرب كهفاً وملجأً ... ودُمْتَ على جمعِ الفضائل ذا حرصِ

قال: وهذه الآثار من السهل الممتنع، والسحر الحلال، الذي يستلب عقل المستمع؛ لسلاستها، وحسن مساقها، وتناسب اتساقها، وقد غرت عليها منه، فأغرت على بعضها، فنقلته إلى محلٍّ هو أولى بها، كما ستقف عليها في ترجمة شيخنا أبي حفص عمر العلمي المقدسي، ولاعتب على المرء فيما يفعله في شعره، من تبديلٍ وتغيير، ونقل من محلٍّ إلى محلّ، ممن لم يجد لبنات صدره كفؤاً، فلا حرج عليه في فسخه نكاحهن، وتزويجهن من أكفاء كرام، ينلن عنده غاية المرام.

[١٥٢٨] عمر بن محمد بن أبي بكر مطير[1].

كان من مشاهير العلماء المطريين، وأجلاء المشايخ اليمنيين، المنهمكين على خدمة كتب سنة سيد المرسلين، والملازمين لطاعة رب العالمين، وكان ذا خُلقٍ عظيمٍ، وخَلقٍ وسيمٍ، وجودٍ عميمٍ، وطبعٍ سليمٍ، أرقَّ من النسيم، وكانت محاضرته راغبية، وألفاظه سُكَّرية، وشيمه كلها مَرْضية، وهمة في تحصيل العلوم عليّة.

أخذ عن والده، وغيره من علماء عصره، وأجيز بالإفتاء والتدريس، وخضع له في بلاده كل رئيس، ونشر معالم العلم، ولبس أردية الحلم، وألّف وصنّف، وقرّظ وشنّف، واستمر على ما هو عليه من الصفات السنية، حتى توفي ببيت الفقيه الزيدية، فجر يوم الأربعاء، عشري شهر رجب الحرام، سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ وثلاثين بعد الألف ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ.

[١٥٢٩] عمر القادري الدمشقي.

كان علامة الدهر، خصوصاً في علوم العربية، أخذ عن البدر الغزي.

[١٥٣٠] السيد عمر بن علي بن عقيل بن أحمد بن أبي بكر ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف[2].

أحد السادة الأفاضل، وأجل النجباء الأماثل، كثير الفضائل، حسن الشمائل.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٢٢).

(٢) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٩).

وُلد بمدينة تريم، التي قدرها كوزنها عظيم، ورزق القبول والهداية، ولاحظته السعادة والعناية، وصحب أكابر السادة العارفين، ولازم صحبتهم كل وقتٍ وحين، سالكاً طريق سلفه الأخيار، ناهجاً سبيل سنة النبي المختار، راغباً في تحصيل الخيرات والمبرَّات، معرضاً عن الدنيا واللذات.

مع حسن أخلاق، وطيب أعراق، وسعة صدر وبال، وغير ذلك من صفات الكمال، وصحبه جماعةٌ كثيرون، منهم: أخوه السيد علوي، الشهير بمكة المشرفة، وولده عقيل، وغيرهما، ولم يزل يترقى [في] الأحوال، إلى أن وافاه الانتقال، وقدم على الكبير المتعال، **فتوفي** سنة خمسين بعد الألف ـ رحمه الله ـ.

[١٥٣١] السيد عمر بن أحمد بن عمر بن أحمد الشيبة بن علوي بن عبدالله بن علي ابن الشيخ عبدالله باعلوي[1].

الإمام الجليل، الصوفي النبيل، ذو الأخلاق الكريمة، والبركات العميمة، وافر العرفان، مثمر الأفنان.

وُلد بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، واشتغل بتحصيل الفضائل، واتصف بمحاسن الشيم والشمائل، وصحب أكابر السادة الأفاضل، منهم: تاج العارفين، شهاب الملة والدين، أحمد بن علوي باجحدب، وتلميذه العارف محمد بن عقيل وطب، وتفقه بالفقيه علي بن عبد الرحمن السقاف، وابنه محمد، والقاضي محمد بن حسن.

وهجر فراش الكسل، وقصَّر طول الأمل، وشمَّر ساق الاجتهاد، ولم

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٢٧٠)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٠).

يزل في ازدياد، حتى ظفر بغاية المراد، وشارك في كثير من العلوم، مع سعة صدرٍ، وحسن أخلاقٍ، وجميل سيرةٍ عطرت أرجاؤها سائر الآفاق.

وأخذ عنه العلوم والعرفان جماعةً من أكابر الأعيان، ولبس الخرقة الشريفة من جماعةٍ من مشايخه العارفين، وألبسها جماعةً من الطالبين، ولم يزل على حاله، إلى أوان انتقاله، **فتوفي** سنة خمس بعد الألف بتريم، ودفن بمقبرة زنبل ـ رحمه الله عز وجل ـ.

[١٥٣٢] السيد عمر بن أحمد بن أحمد سميّ ابنه ابن أبي بكر الشهير بالغصن[١].

السيد الفاضل، جم الفضائل، حسن الشمائل، الجاري على منهاج الصواب والسداد، والباذل نفسه في مصالح العباد.

وُلد بمدينة تريم، وحفظ القرآن العظيم، واشتغل بالتحصيل، وتأثيل المجد والتأصيل، وصحب الأولياء الصالحين، وأخذ عنه جماعةٌ من العلماء العارفين، وجد في العبادات، واجتهد في تحصيل القربات، وما ينفعه بعد الممات.

ورحل إلى كثيرٍ من البلاد؛ لتحصيل الفوائد والإمداد، وظهرت منه كرامات، وخوارق للعادات، مع سلوك سيرة جده المختار، وسلفه السادة الأخيار، وملازمة السنن والأذكار، والمحافظة على ذلك آناء الليل وأطراف النهار، وصحبه جمٌّ غفيرٌ، وانتفع به خلقٌ كثيرٌ.

ورحل إلى الديار الهندية، وتحلّى بالأوصاف السنيّة، ولم يزل بها إلى

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٢٦٩)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٧).

أن وافته المنية، سنة ست بعد الألف، رحمه الله وإيانا، وفي غرف الجنان بوَّانا ـ.

[١٥٣٣] السيد عمر بن حسن ابن الشيخ علي[1].

أحد السادة الأعيان، المشار إليه بالبنان، ذو المناقب المأثورة، والكرامات المشهورة، صحب جماعةً من أكابر العارفين، وأخذ عن كثيرين من العلماء العاملين، منهم: أخوه القاضي محمد، ومن في طبقته؛ كإمام العارفين أحمد ابن علوي باحجدب، والفقيه علي بن عبد الرحمن السقاف، وولده محمد، والسيد عبد الرحمن بن محمد إمامِ مسجد السقاف.

ولزم العبادة، والورع والزهادة، وسار على طريقة آبائه السادة، والأئمة القادة، وانتفع به كثيرون، فقراء وأغنياء وصالحون، وكان على حسن الأخلاق، مهاب المنظر، آمراً بالمعروف، ناهياً عن المنكر، ولم يزل يتقلب في النعيم، إلى أن انتقل إلى رحمة الله الكريم، **فتوفي** سنة سبع ـ بتقديم السين ـ بعد الألف، بمدينة تريم ـ رحمه الله ـ، وأسكنه جنان النعيم ـ.

[١٥٣٤] السيد عمر بن محمد النضير بن عبدالله بن عمر أحمر العيون[2].

صاحب المناقب الجليلة، والأفعال المستحسنة الجميلة، والأوصاف الشريفة الكاملة، والأيادي المنيفة الشاملة.

وُلد بتريم، ونشأ بها على صراطٍ مستقيمٍ، وتفقه في الدين، وصحب جماعةً من الصالحين، وجد في اكتساب الطاعات، واجتهد في اجتناب

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٢٧٥)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٤٩).

(٢) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٢٨٧)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٧٥).

المنهيات، حتى بلغ الرتب العالية، والأحوال السامية.

وكان كثير الفضل، وافر العقل، فريداً في وقته، وحيداً في حسن سمته، كاملاً في كلامه وصمته، ولم يزل على الأحوال الباهرة، حتى رحل إلى ديار الآخرة، فتوفي سنة عشر بعد الألف بمدينة تريم ـ بوأه الله جناتِ النعيم ـ.

[١٥٣٥] السيد عمر بن أحمد بن أبي بكر بن عبد الرحمن بن محمد منفـر بن عبدالله بن محمد ابن الشـيخ عبدالله باعلـوي، يعرف كسـلفه بآل منفر(١).

أحد فحول الرجال، صـاحب المقال والحال، المشهور له بالكمال، كان من المشار إليهم بالزهد والصلاح، والعبادة والنجاح، وحسن الطريقة، صحب الأكابر من الأولياء، والعلمـاء والأصفياء، وتخرج بهم في سـلوك الطريق، ولقي أستاذ حضرموت، السيد الإمام، أحمد بن علوي باجحدب، ولازم الإمام العارف بالله السيد محمد بن عقيل، صاحب مديحج.

وكان متمسكاً بآداب الشريعة، يحب المعالي، ويكره السفساف، ويحترمه الملوك والأشراف، وكان في أقصى المروءة، وغالب التواضع، منقاداً للخير، جواداً سـخياً، يعظم أهـل الدين، ويكرم الفقراء والمسـاكين، كثير الصدقة والإحسـان، عظيم البـر والصلة للأرحام، مع إقباله على طريقة سلفه، مما خلق لأجله، من العبادة والتهجد، وقيام الليل، وكان يقوم ربع الليل الأخير، ويخرج إلى مسـجد آل باعلوي، ويقيم كل من كان نائمـاً فيـه ذلك الوقت،

---

(١) «خلاصـة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٢٧١)، «عقد الجواهـر والدرر» للشلي (١٣٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٠٨).

وربما ضرب من تكاسل عن القيام.

وكان مستهيناً بالدنيا وعروضها، مجانباً لبنيها، محتقراً لأرباب الدولة، ومن يتـردد إليهم، يطلق لسـانه على أهل الظلم والفسوق، وألقى الله هيبته ومحبته في القلوب، وتزايد اعتقاد الناس فيه، ولما تولى السيد عبدالله، يروم نظر أوقاف آل عبدالله باعلوي، طلع صاحب الترجمة إلى السلطان، وتكلم عليه، وأغلظ عليه القول، وكان نظر أوقاف مسجد آل باعلوي إليه، وأوقف عليه أملاكاً كثيرةً.

وكان يأمر بالمعروف، وينهى عن المنكر، وله كراماتٌ وإفضالاتٌ تذكر، ولم يزل يسابق في الكمال، حتى توفاه الكبير المتعال، ليلة الأربعاء، لتسع خلون من شوال، سنة عشرين بعد الألف، بمدينة تريم، ودفن بمقبرة زنبل، وقبره بها معروف ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٥٣٦] السـلطان عمر بن بدر بن عبدالله بن جعفر الكثيري، سـلطان حضرموت[1].

كان ـ رحمه الله ـ، حسن الشمائل، وافر العقل، كثير العدل، ذا سيرةٍ مرضيةٍ، والتفاتٍ إلى الرعية، وسلوكٍ حسنٍ مع سائر البرية، حسن السياسة، صادق الفراسة، صاحب أخلاقٍ ألطف من النسيم، وأبهج من الدُّر النظيم.

قلّ أن ورد عليه أحد من الغرباء، إلا وصَدَرَ يثني عليه الثناء الجميل، وما وفد إلى سـاحته بعض الفضـلاء، إلا وانصرف يشكر ما أسداه من البر الجميل، وكان شجاعاً مقداماً.

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٣٣).

وللأديب عبد الصمد باكثير فيه مدائح كثيرة، **توفي** ـ رحمه الله ـ سنة إحدى وعشرين بعد الألف بالشحر ـ رحمه الله ـ.

[١٥٣٧] السيد عمر بن أحمد بن محمد بن أحمد بن أبي بكر ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف، يعرف كأبيه بالمساوي، ويعرف جده محمد بامقلّف(١).

السيد الشريف، ذو القدر العالي المنيف، أحد الأعيان، المقدم على أبناء الزمان، مدبر الأمور، وممهد مصالح الجمهور، بفكره الدقيق الصائب، ورأيه المصيب الثاقب.

وُلد بتريم، ونشأ بها، وصحب جماعةً من أكابر العارفين.

واشتهر بالعفة، وجودة الرأي، ووفور الهيبة، وكان يضرب به المثل في جودة الذكاء، وانتفع به الناس في الإصلاح بينهم، في أمورٍ لا يتقنها غيره، مع الصبر على الأمور الدينية؛ كالإقامة بتجهيز من مات، ونزوله قبره، وإذا دهم أمرٌ خطيرٌ، دبره برأيه السديد أحسن تدبير، وكفى الناس أمره، بلطف الحكيم الخبير.

وكان حيسوباً، سريع الجواب، حسن الابتدار، عجيب الحافظة، جيد المحاضرة، صدراً رئيساً، معظماً عند الخاص والعام، تُقدمه جميع الطوائف، أديباً فاضلاً، ذكياً مداوماً على العبادة والجماعة، والتهجد وزيارة الصالحين، وغير ذلك من الصفات الجميلة، غير أنه خدشها بتردده للسلطان، فلم يكن

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٢٧٣)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (١٤٢)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٠٩).

يعاب بأشـد مـن ركونـه إليـه.

ثم اختلفت به الأحـوال، ما بين انخفاض وارتفاع، من أفراد الدهر، ونوادر العصر، ووُشـي به إلى السـلطان، فاعتقله بالحصن، وسلم إلى من عاقبه، وعمل له قميصـاً من ليف النخل، وأحرق ذلك الليف، ثم صودر، وأخذ منه جميع ما معه من النقدين، وما له بأيدي الناس، وما معه من الأمتعة، والأواني المتنوعة، ويقال: إن مجموع ما أُخذ منه نحو عشرة آلاف.

وكان محفوظاً فيما امتحن به، مستسلماً فيما ابتلي به، ثم جد واجتهد في العبادة، وتوجه بظاهره وباطنه إلى الله تعالى، حتى بلغ رتبة الكمال، وعدّ من فحول الرجال، ووصل إلى المراتب العلية، وظهرت منه كرامات عيانية، ولم يزل في ازدياد من الخير والصلاح، إلى أن توفي سنة أربع وعشرين بعد الألـف، وعظم أسف الناس عليه، وأطبقوا على الثناء عليه، وكانت جنازته حافلة، ولم يخلف أحد مثله في خصاله ـ رحمه الله وإيانا ـ.

[١٥٣٨] عمر بن عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله باجمال[١].

صحب الشيخ العارف بالله عبدَالله بن عمر باجمال، وكان يحبه ويخصه من بين أصحابه، وكان من الملازمين له، وكان حسن الخط، كثير الضبط، جعل مصاحف كثيرة، وكتب في فنون عديدة.

وكان متواضعاً هاضماً لنفسه، ومالكاً لها عند الغضب، كاظماً للغيظ، وكان صـاحب مروءةٍ وصبرٍ، ولطفٍ ومداراةٍ، محباً للناس، كثير المعروف لهم، كثير التودد إليهم، كثير البشـر والتبسـم عند اللقاء، يكرم الناس على

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٤٠).

حسب منازلهم، **توفي** سنة خمس وأربعين بعد الألف.

[١٥٣٩] السيد عمر بن علي بن عبدالله بن عمر بن سالم بن محمد ابن عمر بن علي بن عمر بن أحمد ابن الشيخ الأستاذ الأعظم، الفقيه المقدم، محمد بن علي علوي[1].

كان ـ رحمه الله تعالى ـ من عباد الله الصالحين، الزاهدين في الدنيا الورعين، وكان على جانبٍ عظيمٍ من القناعة والصبر، والتسليم والرضا، لما يجري به القضاء.

وُلد بمدينة ظفار، سنة اثنتين بعد الألف، ونشأ في حجر والده، وكان يحبه ويجله ويميزه، ويخصه بأشياء من بين أولاده؛ لما يراه من شدة البرّ به.

تعلم القرآن، وحفظ بعضه، وصحب ابن عمه السيد الجليل عقيل بن عمران باعلوي، وحضر دروسه، وانتفع به، ولازمه وواظبه، مع مزيد محبةٍ أكيدةٍ، وحسن عقيدةٍ، واستمد من علومه الوهبية الشريفة، واقتبس من أنواره وأنفاسه الطيبة المنيفة، وألبسه خرقة التصوف غير مرة، وعادت عليه منه البركة والمسرة، وهو من أخص خواص أصحابه لديه.

وكان صاحب الترجمة يقول في شيخه عقيل المذكور: اعتقادي فيه، أنه قطب الوقت، وأنه وارث السر المحمدي، وحامل لواء الخلافة الباطنة، وذلك لأمور شاهدها منه وفيه، وسر له ببعض ما أعطيه.

ولما توجه إلى الحج والزيارة، اجتمع بجماعةٍ من أكابر السادة، والأئمة القادة، من أجلهم: السيد الأفضل عبدالله بن علي صاحب الوهط، والسيد

---

(١) «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٢٨١).

أحمد بن عمر العيدروس العدني، والسيد العلامة عمر بن عبد الرحيم البصري، والشيخ أحمد بن إبراهيم بن علان، وغيرهم.

وكان كثير الرؤيا للنبي ﷺ، ومن ذلك: أنه رآه بالمدينة الشريفة، متوشحاً بثوبٍ، والأنوار تغشاه، فقال: يا رسول الله! بلغنا عن الثقات: أن الشيخ أبا الغيث بن جميل اليمني أب من لا أب له يوم القيامة، هل ذلك صحيح أم لا؟ فقال ﷺ: أنتم منا وإلينا، أو كما قال.

ثم قص الرؤيا على بعض علماء المدينة، فقال له: رؤياك صدق، ولكنك ستفقد شيئاً معك، وسيعوضك الله ما هو خيرٌ منه وأفضل، سراً وعلانيةً، قال: فكان الأمر كما ذكر لي، فعوضني الله تعالى ما كنت أطلبه وأرجوه، فحمدت الله على ذلك.

قال: ولما قفلت من الحج والزيارة، مررت طريق اليمن، واجتمعت بالسيد عبد الرحمن ابن شيخ صاحب تعز، وحصل لي منه استمداد، مع مزيد ووداد، وألبسني الخرقة الشريفة، ثم أذن لي بالسفر إلى الوطن، وقال لي عند الوداع: ستجتمع بالخضر في طريقك.

قال: فلما أصبحنا في المرحلة الأخيرة إلى الحج، صلينا الصبح، وكنا جماعةً في القافلة، ثم ركبت على الجمل، فحال أن استويتُ على ظهره، إذا برجلٍ لم أعرفه، غير أن له هيبةً، ناولني رغيفين حارين، ولم يره غيري، ولم يكن بذلك الموضع قريةٌ ولا غيرها، ثم غاب عني، ولم أره، ثم وجدت في صدري انشراحاً وفرحاً، ومزيد إيمانٍ؛ لاجتماعي بالخضر، وإتمام ما وعد به السيد عبد الرحمن.

وكان صاحب الترجمة له ذوقٌ في كتب القوم، وربما يعتريه وجدٌ واهتزازٌ، عند سماع كلام السادة العارفين.

ومن كراماته: أنه قال مرةً لجماعةٍ: إن أمير البلد يقتل، ويسحب برجله، فما مضت إلا مدةٌ يسيرةٌ، وإذا بالأمير الذي عناه قُتل، وفُعل به كما ذكر.

ثم إن صاحب الترجمة سافر إلى الهند، سنة اثنتين وستين، واجتمع بالسيد أبي بكر بن حسين بلفقيه، وألبسه الخرقة الشريفة، وكان ذلك في مدينة بيجافور، فأقام بها بقية تلك السنة، ثم مرض بها.

وكان له خادمٌ يقال له: محمد بن قشقاش، قال محمد المذكور: كنت أرى من سيدي كرامات كثيرة، وهو يأمرني بكتمها، **منها**: أنه قال في ليلة وفاته: إذا رأيت شيئاً، فلا تفزع، قال محمد: فلما كان آخر تلك الليلة، رأيت نوراً سطع، حتى أضاء ذلك الموضع الذي هو فيه، فدخلني من الهيبة والاقشعرار ما شاء الله تعالى، ثم دنوت منه، **فإذا هو ميت**، وكان ذلك في شعبان، سنة ثلاث وستين بعد الألف، فجُهِّز، وحضر جنازته جمعٌ كثيرٌ من السادة وغيرهم، ودفن بمقبرة السادة بني علوي هناك ـ رحمه الله تعالى ـ.

[١٥٤٠] السيد عمر بن عبد الرحمن بن عقيل بن سالم بن عبدالله بن عبد الرحمن بن عبدالله ابن الشيخ عبد الرحمن السقاف، الشهير بالعطاس[1].

وُلد باللسك، وحفظ نصف القرآن، ثم كف بصره، وصحب أباه، والشيخ حسين بن أبي بكر بن سالم وإخوانه، ولازم الحسين حتى تخرج

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٢٧٨)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٣٢٦).

به، وأخذ بتريم عن جماعةٍ من العارفين، ورحل إلى وادي عمد، ووادي دوعن، وقطن بوادي عمد، واشتهر بتلك الناحية، واعتقده الناس.

وصحبه خلقٌ كثيرٌ، منهم: الشيخ علي باراس، وانتفع به الناس نفعاً كثيراً، وأقام بقرية جريضة، إلى أن توفي بها، سنة سبع وسبعين بعد الألف، وعمل تلميذه علي باراس على قبره قبةً عظيمةً ـ رحمه الله ـ.

[١٥٤١] الملا عمر الصمداني الكردي الشافعي.

من أكابر العلماء المتبحرين في الفقه وغيره، قرأ على الملا أحمد بن حيدر، **ومولده** ـ تقريباً ـ سنة ثلاثين وألف، ومن مؤلفاته: «شرح الأنوار» للأردبيلي، لم يكمل إلى الآن، وهو موجودٌ ـ سلمه الله ـ.

[١٥٤٢] السيد عقيل بن محمد بن أحمد بن عبدالله بن محمد جمل الليل باحسن[1].

صاحب الخلق الحسن، والشأن المنيع والنباهة، والقدر الرفيع والوجاهة، السائر على منهاج الطريق الواضح أحسن سير، وجرى على منواله غير متعرض للغير.

وُلد بـ: «روعة» المدينة الشهيرة، ونشأ في ساحتها المنيرة.

وقرأ القرآن، وتحقق بحقائق الإيمان والإحسان، وصحب السادة العارفين، وأخذ عن العلماء العاملين، وتفقه في الدين، وتصوف على آخرين، وجد في تحصيل الطاعات، وأنواع العبادات، متمسكاً من ذلك بأقوى سبب،

---

(١) «خلاصة الخبر» لعمر بن علوي الكاف (٢٣٨)، «عقد الجواهر والدرر» للشلي (٧٠).

كثير التواضع في الرغب والرهب، واشتهر من صغره بالكرم والجود، والسخاء الذي لم يكن بمعهود، وإكرام الضيفان، وإغاثة اللهفان، ووفدت إليه الناس من كل جانب، ووسعت أخلاقه الأقارب والأجانب، واتفق أهل الخلاف والوفاق، بأنه أكرم أهل زمانه على الإطلاق.

وكان يُقصد لبركاته الشاملة، في العاجلة والآجلة، وكان حسن السمت، كثير الصمت، ولم يزل يترقى الأحوال الساميات، والمقامات العاليات، إلى أن آن أوان الممات، فتوفي سنة تسع ـ بتقديم التاء ـ بعد الألف، بمدينة تريم ـ بوأه الله جنات النعيم ـ.

[١٥٤٣] عوض بن يوسف بن محيي الدين، المعروف بابن الطباخ الدمشقي الحنفي[1].

كان من فضلاء وقته، جم الفائدة، وسيم الهيئة، مشاركاً في عدة فنون، أخذ عن خاله العلامة يوسف بن أبي الفتح، وعن علي بن النجار الصالحي، وكان له بالطب إلمامٌ تامٌّ، وكان ابتلي بالاستسقاء، وعالجه كثيرٌ من الأطباء، فلم يفد علاجهم فيه، فاقترح هو دواءً لنفسه بقوة الحدْس، فكان يستعمل كل يوم قدراً وافراً من البطيخ الأصفر، وينام في الشمس، وداوم على ذلك أياماً، حتى حُمّ، فبرئ.

مولده بدمشق، سنة أربع عشرة بعد الألف، وجاء تاريخ ولادته: (عوض عن أبيه بدا)، ورحل إلى الروم، ومكث دهراً طويلاً بالقسطنطينية، ثم تولى قضاء المدينة الشريفة، وقامت عليه العامة [في] أثناء السنة؛ لأمورٍ صدرت

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٣٤).

منه، وعزلوه، وولوا بدله صالح زاده، ثم رجع إلى الروم، ومات بالقسطنطينية، في نيف وثمانين وألف.

[١٥٤٤] عيسى أبو مكتوم بن محمد بن محمد بن أحمد بن عامر الثعالبي المالكي الجعفري[1].

نسبةً إلى جعفر بن أبي طالب ﷺ نزيل مكة ـ شرفها الله تعالى ـ. إمامُ الحرمين المشرفين، وعلم المغربين والمشرقين، جامع أشتات العلوم النقلية، ومبرز خفاء لطائف الآراء العقلية، ومحيي رسوم الرواية بعد ما عفت آثارها، ومشيد مبانيها بعدما انهدمت منارها، وسالك مسالك أئمة السلوك، ومالك ملاك أمره في مجانبة كل مليك ومملوك، المهاجر في سبيل الله، وبالله، وإلى الله، عن أهله وبلاده، السائر بسيرة الإنصاف، والتواضع لله في عباده، حامل راية الهداية، لسبل الولاية، بكف العناية، لأهل البداية والنهاية.

كان ـ رحمه الله ـ أوحد أهل عصره في حسن الأخلاق، غريب الشكل في دهره على الإطلاق، قائماً بحق الله في نفسه، وفي معاملة أبناء جنسه، لا تمل محادثته، ولا تسأم مجالسته، إن حادثته في أخبار الدنيا، أقنعك، وفي أحوال الآخرة، نفعك، لم يتنسك تنسك المتنطعين من المتوصلين، ولا استرسل مع العادات استرسال المسرفين، بل سلك في ديانته أقوم سبيل، واقتدى من الكتاب والسنة بأهدى دليل.

مع اعتقادٍ تامٍّ في سالكي طريق القوم، واشتراء بضائع علومهم بأغلى سوم، يخضع عند ذكر أحدهم غاية الخضوع، ويخشع عند سماع كلامهم

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٤٠)، «موسوعة أعلام المغرب» نشر المثاني (١٥٦١).

غاية الخشوع، ويسلم لهم غاية التسليم في كل الأفعال والأقوال، حتى ربما عيب عليه ذلك في بعض الأحوال.

تلقى من عدة مشايخ، وسلك على طريقهم، إلا أنه لم يعدل عن حزب الشاذلية وفريقهم، فلذلك كان مقبولاً عند أهل الباطن والظاهر، كما هو شأن أئمة الشاذلية المشاهر.

لا يملك عينيه إذا ذكرت الآخرة وأهوالها، ولا يستفزه نضارة عيش الدنيا وأهوالها، لا يغشى أبواب الأمراء، ولا يستنكف عن مجالسة الفقراء، ولا يسأل الناس شيئاً من أموالهم، ولا يردّ ما آتاه الله من نوالهم، قاسى في أول مجاورته من الفقر شدةً، فاتخذ الصبر عُدةً، فلم يكشف قناع وجهه لتطلب نوال أميرٍ، وقنع بالكِسْرة والماء النمير، ثم اشتهر بعد ذلك أمره، وظهر للناس خبره، فانثال عليه الناس من كل جانب، وبُسط له في الرزق، وأُشربت قلوب الخاصة والعامة محبته.

وُلد بمدينة زواوه، من أرض المغرب، ونشأ بها، وقرأ القرآن، وحفظ متوناً في العربية والفقه، والمنطق والأصلين، وغيرها، وعرض على شيوخ بلده، منهم: الشيخ عبد الصادق، وعنه أخذ الفقه، ثم وصل إلى الجزائر، وأخذ بها عن المفتي الكبير، الشيخ سعيد قدّوره، وحضر دروسه، وروى عنه المسلسل بالأولية، والضيافة على الأسودين: الماء والتمر، وتلقين الذكر، ولبس الخرقة، والمصافحة والمشابكة.

ولازم دروس الإمام الشهير، والصدر الكبير، جامع تفاريق العلوم، ومحيي دارس المنثور والمنظوم، أبي الصلاح علي بن عبد الواحد الأنصاري

السجلماسي الغيلاني، مدةً تزيد على عشر سنين، ارتفع بها حضيضه إلى أوج الكمال، وانتظم بما أولاه في سلك الرجال، وأدخله على عقائل المعرفة من باب الإعـراب، ومتعه بالنظر إلى وجهها للسفرة بعد أن كانت في حجاب، فشارك ببركة نظره الميمون في فنون، وكرع من معين زلالها في أنهار وعيون.

وأخذ عنه «صحيح البخاري» إلى نحو الربع منه، على وجه من الدراية بديع، التزم الكلام فيه على إسناده، بتعريف رجاله، من ذكر سيرهم ومناقبهم، ومواليدهم ووفياتهم، وما في الإسناد من اللطائف، من كونه مكياً أو مدنياً، أو فيه رواية الأكابر عن الأصاغر، أو الصحابي عن الصحابي، ونحو ذلك، وعلى متنه بتفسير غريب، وبيان محل الاستدلال منه، ومطابقته للترجمة، وما يحتاج إليه من إعراب وتصريف، وما فيه من القواعد الأصولية، وما يبنى عليه من الفروع، والإلماع بما فيه من الإشارات الصوفية، وغير ذلك مما يبهر العقول، وتقف عن السباحة في بحره أكابر الفحول.

كل ذلك بمراجعة شروحه وحواشيه، من «المشارق» لعياض، والكرماني، وابن حجر العسقلاني، والقسطلاني، والزركشي، والدماميني، والبرماوي، والسنوسي، وزروق، وابن غازي، وسمع عليه جميع «الصحيح» غير مرةٍ على طريقٍ مختصرٍ بين الدراية والرواية، من الاقتصـار فيما لا بدّ منـه من تفسير غريب، أو بيان مطابقة الحديث للترجمة، أو نحو هذا مما يحتاج إليه.

وسمع عليه طرفاً من «الشفا» تفقهاً فيه، بمراجعة شروحه: التلمساني، والدلجي، والشمني، وغيرهم، وأخذ عنه في علوم الحديث «ألفية العراقي» تفقهاً فيها، وفي شرحها للمصنف، وشيخ الإسلام، وفي الفقه جميع «مختصر خليل» تفقهاً فيه، بمطالعة شروحه: بهرام، والتتائي، والمواق، وابن غازي،

والحطاب، وغيرهـم، و«الرسـالة» نحـو النصف منهـا، تفقهاً فيها، كذلك بمراجعة شـروحها: الجزولي، وأبي الحسـن، وغيرهما، ونبذةً من «تحفة الحكام في نكت العقود والأحكام لابن عاصم».

وفي أصول الفقه: جميعَ «جمع الجوامع» للسبكي، مرتين قراءة بحثٍ وتحقيقٍ، بمطالعة شروحه: الولي العراقي، والجلال المحلي، والكوراني، وغيرهم، وطرفاً من «أصول ابن الحاجب» مع نبذةٍ صالحةٍ من شرحه للعقباني، وشرحه للقاضي عضد الدين، و«حاشية المحقق التفتازاني» عليه، وغير ذلك.

وفي أصول الدين: «أم البراهين بشرحها للسنوسي» من قوله: «ويجمع معاني هذه العقائد كلها لا إله إلا الله» إلى آخرها، وجميع المقدمات بشرحها، وطرفاً من «الكبرى» له، وطرفاً من «المصباح» اختصار الطوالع للبيضاوي.

وفي النحو: «الألفية لجمال الدين بن مالك» سماعاً من لفظه، من أولها إلى ترجمـة الكلام، وما يتألـف منه، مع «الإلماع» بلطائفَ ونكتٍ وأبحاثٍ ومذاكرةٍ لكثير من أبياتها، و«اللامية» من أولها إلى باب: أبنية الفعل المجرد وتصاريفه.

وفي فن البلاغة: جميع «تلخيص المفتاح» للقزويني بشرحه للتفتازاني، قراءة بحثٍ وتدقيقٍ.

وفي المنطـق: جميع «الجمل للخونجي» مرتين، بمراجعة شروحه: التلمساني، وابن مرزوق الحفيد، وابن الخطيب القسنطيني، وجميع «مختصر السنوسي»، ومن «إيساغوجي» من القياس إلى آخره، ومن «البردة» من أولها إلى قوله: «نبينا الآمر الناهي»، وكان يأتي فيها بالعجائب والغرائب، وربما

يمر عليه الأيام في البيت الواحد منها، بمراجعة «شرحها» لابن مرزوق الحفيد وغيره.

وفي التصوف: «المباحث الأصلية نظم ابن البنا» في آداب السلوك بشرحها للشيخ...[1]، وغير ذلك مما لا يحصى، في فنونٍ شتى؛ كالرسم والضبط، والبديع والعروض، والقوافي والتفسير، وأجازه مراتٍ، بل ناب عنه في مباشرة وظيفة تدريس له، وزوجه ابنته، واختص به، ولم يفارقه حتى مات، وماتت زوجته، فرحل عن الجزائر، وتبعه للقراءة عليه في المنطق شيخُنا العلامة يحيى الشاوي، وقال: إنه سار معه نحو ثمان مراحل، حتى أكمل قراءته عليه.

ودخل تونس، وأخذ عمن بها من أجلائها؛ كالشيخ زين العابدين، وغيره، ولما دخل إلى قُسُنْطينة، أخذ بها عن الشيخ المعمر عبد الكريم الفكّون، ولم يزل على ذلك، كلما اجتمع بأحد من العلماء، استفاد منه وأفاد، حتى وصل إلى مكة، وحج سنة اثنتين وستين، وجاور بها سنة ثلاث وستين، وسكن في خلوةٍ برباط الداودية، وأخذ عنه ـ إذ ذاك ـ الشيخ علي باحاج، وقرأ عليه «الصحيحين»، و«الموطأ».

ثم رحل إلى مصر، وأخذ عمن بها من أكابر العلماء، منهم: الشيخ علي الأجهوري، وكان مع أخذ الكبر منه غايةً، وضجره من طنين الذباب في أغلب الأوقات، كان إذا دخل عليه، يبتدئه قبل أن يطلب عليه السماع، فيقول له: شنف الأسماع، علماً منه أنه لا يأتي إلا لسماع حديث، أو رواية غريب،

---

(١) جاء في الحاشية: «لم يذكر اسم الشيخ».

وما دخل عليه أحدٌ قط من المشـايخ، فيخرج إلا بفائدةٍ له وللحاضرين، ولو قيل: إن مشايخه كانوا يستفيدون منه أكثر مما يستفيد منهم، لم يبعد.

ومنهم: القاضي شهاب الدين أحمد الخفاجي، وشيخ الإسلام الشمس محمد الشوبري، وأخيه[1] الشهاب أحمد، والشيخ إبراهيم المأموني، والشيخ سلطان المزاحي، وخاتمة المحققين علي الشبراملسي، وغيرهم مما يطول ذكر أسمائهم، وأجازوه بمروياتهم، وأثنوا عليه بما هو أهله.

بل اتفق له مع شـيخ الشـافعية محمد الشوبري، وأخيه شيخ الحنفية أحمد الشـوبري: أنه اجتمع بهما في وليمةٍ عند بعض الكبراء، فقدم إليهما استدعاء بخطه، فلما رآه الكبير منهما، وهو الشمس محمد، قال معتذراً عن كتابة الإجازة عليه: قد جاء في الحديـث: «إن الله كتب الإحسـان على كل شيء» إلى آخره، وإني لا أحسن كتابة إجازة تناسب هذا الاستدعاء الحسن، فطلب من أخيه الكتابة عليه، فقال: أنا على مذهب الأخ، وكتب له الشيخ إبراهيم المأموني في إجازته: إنه ما رأى منذ زمان من يماثله، بل من يقاربه.

ورحـل إلى منية الخصـيب، وأخذ بها عن الشيخ العارف بالله سيدي علي المصـري ـ نفع الله به ـ، ثم رحل إلى مكة، وأخذ [بها] عن أجلائها؛ كالقاضي تاج الدين المالكي، والإمام زين العابدين الطبري، والشيخ عبد العزيز الزمزمي، والعلامة علي بن الجمال المكيين، وأجازوه بمروياتهم، ولازم بها خاتمة الفقهاء والمحدثين، الشمس محمد البابلي، وخرّج له فهرساً بمقروءاته عليه، فقال الشـيخ البابلي: جـزاه الله عنا خيراً، قد عرّفنا بأسانيدنا التي كنا

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: وأخوه.

لا نعلمها قبل، وكان يقول له: ما وصـل إلينا من المغرب أحفظ من الشيخ أحمد المقري، ولا أذكر منك.

واشـتغل بالتدريـس في المسـجد الحرام، في فنون كثيرة، وأحيا الله بوجوده علوماً قـد اندرست بمكـة، وكـان يزور النبي ﷺ في أثناء كل سنة، ويتردد على الأستاذ العارف بالله أحمد القشاشي، ويأخذ عنه، وكان يقول: ما رأيت مثل سـيدي الشيخ، يكتب ما أراد من غير احتياج إلى تفكر، قال: وكان شيخنا علي بن عبد الواحد يقول: ما دام القلم في يدي، ومدّته فيه، كتبـت به، فإذا جف، احتجت إلى التأمل والاستحضار، وأما سيدي الشيخ أحمد، فإنه لا يقف وارده عند جفاف قلمه.

ومكث بمكة سـنين عزباً، ثم ابتنى له داراً، واشـترى جاريةً رومية، واستولدها أولاداً، وحصل كتباً عديدةً، بعضها بخطه، وبعضها بالشراء، وكان للناس فيه اعتقادٌ عظيمٌ، حتى إن العـارف بالله، والدال عليه، السيد محمد ابن علوي، كان يقول في شأنه: إنه زروق زمانه، وكان السيد عمر باحسن باعلوي يقول: من أراد أن ينظر إلى شـخصٍ لا يشـك في ولايتـه، فلينظر إليه، وكفى بذلك فخراً له، ومن شهد له خزيمة، فحسبـ[ـه].

وقد شـوهدت له ـ رحمه الله ـ كرامات، مع تحققه بالاستقامة، التي هي أشرف كرامة، والمواظبة على حضور الجماعات، وكثرة الطواف، والصيام والقيام، وغير ذلك من أنواع الطاعات.

وأما لين جانبه، ورفقه بإخوانه، وحسن خلقه، فأمر جبليّ فيه، وكانت سائر أوقاته معمورة بأنواع العبادة، من العلم والعمل، وانتفع به جماعةٌ من

العلماء الأعيان؛ كشيخنا السيد العلامة محمد الشلي باعلوي، والسيد أحمد ابن أبي بكر شيخان، والسيد محمد بن عمر شيخان، والشيخ عبدالله الطاهر العباسي، والشيخ أحمد النخلي، والشيخ عبدالله بن سالم البصري، وحسن العجيمي، وشيخنا إبراهيم الكوراني، وغيرهم ممن يطول ذكرهم.

وله مؤلفاتٌ، منها: «مقاليد الأسانيد» ذكر فيه شيوخه المالكيين، و«أسماء رواة الإمام أبي حنيفة»، و«فهرسْت البابلي».

وابتُلي في آخر عمره بالباسور، ومرض أشهراً بالبطن، ومات به شهيداً ـ إن شاء الله ـ صبح يوم الأربعاء، لست بقين من رجب، سنة ثمانين بعد الألف، ودفن بمصر ذلك اليوم بالحجون، عند قبر الشيخ محمد بن عراق ـ رحمه الله، ونفعنا به ـ.

وذكر الشيخ عبدالله العياشي المغربي في «رحلته»: أنه اجتمع به بالقاهرة، سنة أربع وستين، وكتب إليه أبياتاً يهنئه بالعيد، ومن جملتها:

هنيئاً لأهل الصيام الذي ... حياهمْ به اليومَ مولاهُم
لئن جاء أنَّ لهم فرحتين ... فعندي ثلاثٌ بلقاهم

وكتب إليه ـ أيضاً ـ الشيخ عبدالله المذكور، بعد رجوعه من الحج، قصيدةً يقدمها نثرٌ، يستعطف المترجم، ويستعين به على قضاء الوطر من لقاء المشايخ؛ إذ كان أعرف به منهم[1]، وأجرأ على الهجوم عليهم منه، وهذا نص كتابه:

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: بهم منه.

إن أولى ما استعمل به الأديب بَنانه، وأرسل فيه عِنانه، وأحلى ما تغالت فيه النفوس، من مشارب الكؤوس، وأعلى ما استخدمت فيه الألباب، واستعملت الأوتاد والأسباب، واختير له من الألفاظ أبلغها، ومن المعاني أبرعها، ومن الحلي أبدعها: رسالةٌ تُهدى، أو تميمةٌ تُسدى، من طالبٍ شائق، أو محبٍّ عاشق، إلى شيخٍ فائق، أو محبوب رافق، تحف بكل لفظ رائق، وتزف بكل معنىً لائق، فإن أصاب، فمشكور، ولمثله يقال؛ لصدقه في المقال: منحت جواد الفضل من هو راكبه، وإن أخطأ، فمعذور، والعذر من مثله مقبول، والعفو عن زلته مأمول.

فمثل الذي لاينت يغالب صاحبه، وقد تحرك أشعب طمعي، وأجرى أجفان هلعي، أن أُهدي قصيدة، وليتها عصيدة، لبعض من تمنطق بالجوزاء علوّاً، وأخفى الفرقدين سموّاً، وارتدى بالمهابة والصيانة، واتزر بالعفاف والأمانة، وتتوج تاج البهاء والكرامة، فقدم على رغم الحسود للإمامة.

وهذه القصيدة وإن أبانت عُواري، وفضحت ما كنت من الفهامة أُواري، فربما استحسن منها تفضُّلاً منه ما استقبح، ورضي منها تكرُّماً قليل ما منح، فتكون ترميماً لما عفا من رسوم الوصال، وتجديداً لما ارتثَّ من حبل الاتصال، فاغتفرت ذاك لهذا، وهب أن بان نقصي، كان ماذا؟ وأقول تطفلاً، وإن لم يجز فريضة متنفلاً:

إذا غالبتكَ النائباتُ فغالبِ	بفخرِ فحولِ العلم عيسى الثعالبي
أجلِّ الورى قدراً وعلماً وفطنةً	وألينِهم عطفاً على كلِّ طالبِ
وأحسنِهم خُلقاً إذا ما اختبرتَه	وبدرِ سماءِ المجد صدرِ المقانبِ

إمامٍ همامٍ لا ترى مثلَه ولو	ضربتَ جميعَ الأرض جمٍّ المناقبِ
وبحرِ نوالٍ لا تغيضُ زُلالَه	ولو كثرتْ وُرّادُهُ كفُّ ساكبِ
فحرفتُه التقوى وصنعتُه الندى	ومكسبُه التفويض خيرُ المكاسب
رئيسُ المعالي نخبةُ الدهر ماجدٌ	وعقدُ لآلي الحمدِ تاجُ المراكبِ
وأفضلُ من تسمو له همةٌ سَمَتْ	وأدنت لأعلاها عوالي الكواكبِ
علا رتبةً من دونها البدرُ قد غدا	وزاحمَ فيها المشتري بالمناكب
وغاصَ بحارَ العلم غيرَ مذمَّمٍ	على مركبِ الإنصاف أنجى المراكِب
فكم صاغَ من دُرٍّ يقلُّ نظيرها	ولم تبتذلْها قِلَّةً كفُّ ثاقبِ
وكم نثرتْ سلكَ البلاغة كفُّهُ	وكم نظمتْه بالنجومِ الثواقبِ
بحقِّكَ أنصتْ هل سمعتَ بفاضلٍ	سيَّ. . .سواهُ ساطعِ الذهنِ ثاقبِ
فليس له مأوًى تراه به سوى	صدورِ الكراسي أو بطونِ المحاربِ
فلا تلتفتْ يوماً لقولِ عِداتِهِ	نقنقت منهم شيوخُ محاربِ
يوفِّي لكلٍّ من ذوي حقٍّ حَقَّهُ	ويخضعُ للمولى بصدرٍ مراقبِ
إذا رُمْتَ منه القربَ يوماً لحاجةٍ	فلا تَغْلُ في الإطرا وسَدِّدْ وقاربِ
وليسَ من الإطراءِ إن قلتَ إنه	لأفضلُ مَن مُدَّتْ له كَفُّ راغِبِ
هو البرُّ في كلِّ العلومِ وإنه	علا في معالٍ أصلُها فوقَ غاربِ
وما قلتُ ذا ظنّاً ولكنْ لخبرتي	بكلِّ بلادٍ شرقِها والمغاربِ
فكمْ من تآليف يُهتدى بها	إلى الرشدِ ممن جهلُه في غياهبِ
لمذهبه فخرٌ به ومكانةٌ	وعزٌّ به يعلو جميعَ المذاهبِ

حباه الـذي حـلاَّه علمـاً وحكمـةً   وشـرَّفَهُ بالـذكرِ أعلـى المواهـبِ
وبلَّغـه فـي كـلِّ مـا رام عـاجلاً   من الله في دنيـاه أسـنى المطالـبِ
وبَـوَّأَهُ فـي دارِ الكرامـةِ آجـلاً   وعُقبـاه عنـدَ الله خيـرُ العواقـبِ

وقد أجاب عن هذه الأبيات بما نصه: يقول كاتب الأحرف، المسمي نفسه آخراً: إن صاحبنا الأديب، البليغ الناظم الناثر، ريحانة الآداب، وواسطة الأحساب، سيدي عبدالله بن محمد بن أبي بكر العياشي، وصل الله إكرامه، وبلّغه من مقصود المحامد مرامه، خاطب العبد الفقير بقصيدةٍ، متمكنةِ الأعجاز والصدور، مسبوقةٍ بأسجاعٍ متناسقةٍ، ولا تناسقَ القلائدِ في النحور.

فجرى قلمُ فكري الفاتر، وذهني القاصر، شاكراً لفضله بهذه الأبيات المتأخرة عن مباراة الصاحب الأرضَى، النائية عن صوب معاقد البلاغة، إن لم تنظر بعينِ المسامحة والإغضا، وهي هذه:

حبا بابنةِ الفخـمِ العـلا والمناقـبِ   فريدة فردٍ فـي امتطـاءِ المناصـبِ
أتـتْ تتهـادَى فـي مـروط ملاحَـةٍ   تجرّرُهـا تيهـاً علـى كـلِّ كاعِـبِ
وتـأنفُ إن كانـتْ يتيمـةَ دهرِهـا   جمالاً بـديعاً عـن إخافـةِ خاطـبِ
ولا بِدْعَ في إعجاب بِكرِ محاسـنٍ   من ابـن أبـي بكـر أتـتْ بعجائـبِ
سرتْ غرراً في مشارق آي حسنِها   كمـا بهـرَتْ مـن مغـربٍ بغرائـب
وقـد يَمَّمَـتْ فـضلاً عـديمَ كفـاءة   وعاطلَ جيـدٍ مـن حلـيّ المناقـبِ
أباحَتْ لـه وهـي المنـوعُ جمالَهـا   ودانَتْ ومـا كانـت تـدينُ لراغـبٍ
فأهلاً بها بِكراً عَروبـاً قـد اعربَـتْ   نضايا ثناياهـا عـن براعـةِ عـاربِ

ومنَّتْ ومـا منّـتْ بـودٍّ مؤيـدٍ بجازمِ عقدٍ واجبٍ غيرِ واجبِ
فيـا روحَ آدابٍ وشـخصَ فضائلٍ ونـاظرَ أحـداقِ الـذكاءِ لطالـبِ
جُزيتَ بما أسـديْتَ أفـضلَ منحـةٍ وبُلغت من رغباك أسنى المطالبِ

قاله، وكتبه العبد الفقير إلى مولاه، الطامع في واسع رحماه، عيسى ابن محمد الثعالبي الجعفري.

ولما قدم مصر والحرمين، تتبع الخزائن الكبار بها، واستخرج منها غرائب المصنفات، وقيّد الكثير منها، وانتقى الثنائيات والثلاثيات والرباعيات من الأحاديث، وما فوق ذلك إلى العشريات، من كثير من المصنفات والجوامع، والمسانيد والأجزاء، بحسب أزمنة مؤلفيها، فتنقى من كل مصنفٍ أعلى ما فيه، وضبط من الأسماء والأنساب ما قلّ أن يوجد عند غيره، وأظهر من طرق الروايات ما كان عند غيره مخفياً.

وبالجملة: فهو نادرة الوقت، ومسند الزمان، وألّف فهرساً سماه له الشيخ العلامة عبدالله بن محمد العياشي: «كنز الرواة المجموع من درر المجاز ويواقيت المسموع»، وهو تأليفٌ سلك فيه مسلكاً عجيباً، رتبه ترتيباً غريباً، جمع فيه من غرائب الفوائد شيئاً كثيراً؛ فإنه رتبه على أسماء شيوخه، يبدأ أولاً بالتعريف بالشيخ، وذكرِ مؤلفاته ومقروءاته، وأسماء شيوخه، حتى يستوفي جميع ذلك.

ثم يذكر قراءته هو عليه، وما قرأ عليه من المؤلفات، ثم يذكر سنده إلى ذلك المؤلف، فيكتب شيئاً من أوله، ثم يعرف بذلك المؤلف بأبسط تعريف، مع ما يستتبع ذلك من الفوائد والضبط، وكذلك يفعل في كل شيخٍ من

شيوخه، وفي كل مؤلفٍ قرأه عليه، أو شيئاً منه، فاستوفى بذلك تواريخ غالب الأئمة المؤلفين، وأسانيد مؤلفاتهم، وذلك يدل على اعتناءٍ عظيمٍ، وحفظٍ تامٍّ، ومطالعةٍ واسعةٍ.

والحاصل: أن هذا المؤلف نزهة الناظرين، وغبطة السامعين، ورغبة الطالبين، ولقد جمع ـ رحمه الله ـ من عوالي السند، وغرائب المسلسلات، ونوادر التواريخ، ما تقاصرت عن أدناهم[1] هممُ أهل زمانه ـ رحمه الله، وشكر سعيه في الدارين ـ.

وكتب إليه الشيخ العلامة عبدالله بن محمد العياشي قوله:

أتيتُك تَهديني الرشادَ أبا مهدي ... فمثلي مَنِ استهدى ومثلُك من يَهدي

جمعتَ خِصالاً لم تكنْ جُمعت لمن ... سواكَ بهذا العصر من خالصِ المجدِ

جُبِلْتَ عليها ثم أُخرى اكتسبتَها ... فحُزْتَ كلا المجدينِ بالجدِّ والحدِّ

وخُضْتَ بحاراً من علومٍ كثيرةٍ ... فأخرجْتَ منه الدُّرَّ عارٍ من الزبدِ

فحلَّيتني من ذلك الدُّرِّ ما غدا ... على الرأسِ تاجاً أو سواراً على الزَّنْدِ

غنيت به بعد العنا غاية الغنا ... فأثرت به كفي وأورى به زندي

فحسبي الذي قد نلتُ منكَ فلا أرى ... مدى الدهر محتاجاً لعمرٍو ولا زيدِ

شكرتُكَ بعد الله فيما حَبَوْتَني ... فأنتَ حَرٍ بالمدح مِنِّي وبالحمدِ

فقد جاءَ من لم يشكرِ الناسَ لم يكنْ ... ليشكرَ ربَّ الناسِ فالضدُّ بالضدِّ

تقبّلْ بفضلٍ منكَ تحفةَ قادمٍ ... ووصلَةَ ظمانِ الحشا صادقِ الوُدِّ

---

(١) كذا في الأصل، والصواب: أدناها.

فيا ليتَ شِعري ما الذي لي عندكم ... من الودِّ هل يأتي كبعضِ الذي عندي

أحبُّـكَ حبّـاً صـادقا أرتجـي بـه ... من الله ظلَّ العرشِ في جنة الخُلدِ

فلا تَنْسني مـن دعـوةٍ فـي تـضرُّعٍ ... لكـم بفِنـاء البيـتِ للواحـدِ الفـردِ

فـإنِّيَ محـسوبٌ عليـكَ وإنَّنـي ... عِيالٌ عليكَ اليومَ في القربِ والبُعـدِ

فمـنٌ علـى فَقْـري بعقـدِ أُخـوَّةٍ ... تُزيلُ على طول المدى شدَّةَ العقدِ

ووِدِّي لـو أسـتطيعُ عقـدَ عهـودِه ... ولكنْ أخافُ العجزَ عن خدمةِ العبدِ

أَقَلُّ انتسابي منك يكفي ولا غِنًـى ... عن اكثرِه للعبدِ لـو كـان ذا سَعْدِ

فإنَّـكَ جـارُ الله جـار رسـولِهِ ... فإن كنتُ جارَ الجار قد فزتُ بالرشدِ

وقصدي بهذا كلِّـه أن يكـونَ مـن ... دعائِك لي سهمٌ ولو كـان بالوعـدِ

على أن وعـدَ الحـرِّ عـين عطائـه ... ووعدُ سواه في الحقيقة لا يُجـدي

أبنتُ لكم قصدي وأخفيـتُ جُلَّـهُ ... فللّـهِ مـا أُخفـي ولله مـا أُبـدي

وأزكـى صـلاةِ الله ثـمَّ سـلامه ... على خيرِ هادٍ قد تكلَّمَ في المهـدِ

يكونان لي في الحشر خيرَ وسـيلةٍ ... إلى الله تُرضيني وشيخي أبا مهدي

وكان صاحب الترجمة كثيراً ما يتمثل بهذه الأبيات، المنسوبة لعبد الملك الأصمعي، ويحث تلامذته على حفظها، والعمل بها، وهي:

العلـمُ زَيْـنٌ وتـشريفٌ لـصاحبـِهِ ... فاطلبْ فُديتَ فنونَ العلمِ والأدبـا

لا خيرَ فـيمن لـه أصـلٌ بـلا أدبٍ ... حتى يكـونَ علـى مـا زانـه حَـدَبا

كم من حسيبٍ أخي عِزٍّ وطمطمـةٍ ... فدمٍ لدى القومِ معروفٍ إذا انتـسبا

فـي بيـت مكرمـةٍ آبـاؤهُ نُجُـبٌ ... كانوا رؤوساً فأمسى بعـدَهم ذنبـا

وخامـلٍ مقـرفِ الآبـاء ذي أدبٍ نـالَ المعـاليَ والأمـوالَ والنَّشَبا

العلـمُ كنـزٌ وذخـر لا تعادلـه نعـمَ القـرينُ إذا مـا عاقـلُ صُـحِبا

قد يجمـعُ المـرءُ مـالاً ثـم يُسْلَبُه عمَّـا قليـل فيلقـى الـذلَّ والحَرَبـا

وجـامعُ العلـمِ مغبـوطٌ بـه أبـداً فـلا يحـاذر منـه الفـوتَ والـسَّلَبا

يا جامعَ العلمِ نعمَ الذخرُ تجمعُـه لا تعـدلَنَّ بـه دُرّاً ولا ذَهَبـا

فاشـدُدْ يـديك بـه تحمَـدْ مَغَبَّتَـه بـه تنـال الغنـى والـدينَ والحَسَبا

[١٥٤٥] عيسى بن حسن بن شجاع النجفي[١].

أحد من عانى الشعر ونظم، وخَضَمَ فيه الكلام وقَضَم، رحل إلى الهند، ومدح السيد أحمد نظام الدين، وحصل بينهما مراسلاتٌ طويلةٌ، ولمَّا حصل من أمله على مراده، وقضى أَربه من انتجاع مراده، ثنى عنانه للقصد إلى أوطانه، فركب البحر قاصداً وطنه عن يقين، ﴿وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ﴾[هود: ٤٣].

ومن شعره: قوله مادحاً للسيد أحمد المذكور في قصيدة، منها:

بقلبـي مـن عـينٍ سـهامٌ ثواقـبُ تُسَدِّدها كحلاءُ والقـوسُ حاجـبُ

لنا حاجـبٌ مـن كـل سـهم يَرده وليس لسهمِ الحبِّ واللّهِ حاجـبُ

سـقيمةُ أجفـان وكـشحٍ وموعـدٍ أرى السقمَ يبري وهي فيه تغالـبُ

أغالـبُ أسـقامي وأسـقامها لهـا ومن غالبَ الأسقامَ فالسقمُ غالبُ

إذا بـرزتْ فالنـاسُ فيهـا ثلاثـة طعـينٌ ومـضروبٌ وسـاهٍ يراقـبُ

---

(١) «سلافة العصر» لابن معصوم (٥٥٩)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ١٧٨) (١٧٧).

ولـم يُـرَ عَـسَّالٌ سـوى قَـدِّ بانـةٍ | ولـيس لهـا إلا الجفـون قواضـبُ
وإن أسفرتْ ليلاً جلى الليل وَجْهَها | وخرَّتْ لها خوفَ الكسوفِ الكواكبُ
وإن طلعتْ يوماً فللـشمسِ ضَـرَّةٌ | عليها من الجَعْدِ الأثيـثِ غياهـبُ
ومن عجبٍ للبدرِ والشمسِ مَغْرِبٌ | وليلى لهـا كـلُّ القلـوبِ مغـاربُ
إذا ما النوى زَمَّـتْ ركـابَ أحبتـي | فللشوقِ في قلبـي تحـولُ ركائِـبُ
ولُبِّـيَ مَـسلوبٌ وجـسميَ واهِـنٌ | ودمعيَ مـسكوبٌ وقلبـيَ واجـبُ
وما العيشُ إلا والحبيـبُ مواصـلٌ | وما الحتفُ إلا أن تصدَّ الحبائِـبُ
لكَ اللّهُ من قلبٍ أصابك سـهمُها | ومـن كبـدٍ منهـا الظبـاءُ لَواعِـبُ
ومن جسدٍ قد أسقمَتْه يـدُ الهـوى | ومَعْ سُـقْمِه للحـبِّ فيـه ملاعِـبُ
عليـه لأنـواعِ الخطـوبِ تنـاوبٌ | فـإن فاتـه خطـبٌ عَرَتْـهُ نوائـبُ
تَعَوَّدْتُهـا كـالإلفِ حتـى لـو انني | تفقَّـدتُها حلَّـت لفقـدي مـصائِبُ

[يريد به قول المتنبي][1]:

خُلِقْـتُ أَلوفـاً لـو أُعِـدْتُ الـصِّبا | لفارقْتُ شَيبي موجَعَ القلبِ باكيـا

[وأيـن موقـعُ الـسيل مـن مطلـعِ سُـهيل]

طويتُ على شكوى الزمان ضمائري | وأغضيتُ عنه باسماً وهـو قاطـبُ
ولـو أنـي يومـاً نبـذتُ أقلَّهـا | لضاقت بها ذرعـاً علـيَّ المعاتـبُ
وإنـي علـى مَـرّ الزمـانِ لـصابرٌ | وإن سـاءني دهـرٌ فمـا أنـا عاتـبُ

---

(١) ما بين [ ] من «سلافة العصر» لابن معصوم.

وللصبرُ أحلى مـن شـماتة حاسـدٍ وقول خليلٍ ملّ شكواك صـاحبُ

ولم أخشَ ضَنْكاً من حيـاة لأننـي سَرُوبٌ وإن سُدَّتْ عليَّ المسارِبُ

مُبَـشِّرُ آمـالي مُـسَكِّنُ روعتـي بـأني إلـى البحـرِ الـزلال لَـذاهبُ

تطـالبُني فـي كـلِّ حـينٍ يمـرّ بـي مديحَك نفـسي والفـؤادُ يجـاذبُ

لأنك يا نجلَ الرسـولِ هَـوًى لهـا كذا كلُّ نفسٍ فـي هواهـا تطالـبُ

منها:

لقد طبتَ فرعاً حيثُ طبتَ أَرومَـةً نعم طيِّبٌ حيثُ الأصولُ أطايـبُ

فللـوردِ مـاءِ الـوردِ فـرعٌ يزينـه ولليثِ شـبْلِ الليـثِ مِثْـلٌ يُقـاربُ

فأنـتَ لهـا إِبـنٌ وأنـت لهـا أَبٌ وأنت لهـا صِـنْوٌ وأنـتَ الأقـاربُ

عشقتَ العُلا طِفلاً ولم يكُ عاشقٌ سواكَ وشِبْهُ الشيءِ للشيءِ جاذبُ

كذاك عشقتَ العلمَ والجودَ والتقـى وللنـاسِ فيمـا يعـشقونَ مـذاهبُ

منها في الختام:

ولا زلتَ في روضٍ من العيشِ ناضرٍ إلـى دارك العليـا تـؤبُّ الرغائِـبُ

[١٥٤٦] عيسـى بن مُسَـلَّم بن محمـد بن محمد بن خليل الصِّمادي الشافعي القادري الدمشقي[١].

مولده ـ كما وجد بخط جده أبي مُسَلَّم محمد ـ في الثاني والعشرين

---

(١) «لطف السمر وقطف الثمر» للغزي (٢/ ٥٩٥) (٢٣٩)، «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٤٤).

من شوال، سنة تسع ـ بتقديم التاء المثناة ـ وستين وتسع مئة، وربِّي في حجر جده، وكان في شبيبته مشغولاً باللذات، متوسعاً في المعيشة، محباً لركوب الخيل؛ بحيث إن عزة الشباب أخذت منه كل مأخذ.

واتفق أن جده المذكور كان في حلقة الذكر، التي في الجامع الأموي، فحصل له حالةٌ مزعجةٌ، حتى خرج من الحلقة، في فناء الجامع، وأبعد ثم عاد، وتكرر ذلك منه مراراً، وكان يرفع شيئاً بيديه.

قال النجم الغزي: فلما ختم المجلس، أسَرَّ لي، وكان يجلُّني، ويعاملني معاملة الرجال الكمَّل، وأنا صغير؛ لما بينه وبين والدي من المودة القديمة، والمحبة القديمة، فقال لي: يا ولدي! كنت في حملةٍ ستظهر، فلما كان ثاني يومٍ، أُتي بولد ولده المترجم محمولاً سقطت به فرسه في أرضٍ، ووطئته في فخذه، الذي يلي خاصرته، وأخبر أنها لما وطئته، رأى جده وقد دفعها عنه، ولولا ذلك، كانت قتلته.

قال النجم: فدخلت على جده في ذلك الوقت، فقال لي: يا ولدي! هذه الحملة التي كنت فيها بالأمس، وأنا في مجلس الذكر بالجامع[1].

وكان لجده المذكور من هذا القبيل كراماتٌ مشهورةٌ.

ثم تقلبت بالمترجَم السنون، حتى مات جده، ثم أبوه، فولي مشيخة الصمادية بعده، وبمجرد أن وليها، غَيَّرَ الجُلاّسَ والخُلاّسَ والأنفاس، وقام بالمشيخة أحسنَ قيام، وزاد فيها على أسلافه الكرام، وكان معظماً عند أكابر

---

(١) لا تسوغ هذه الحكايات إلا على لبّس عليهم الشيطان، نسأل الله التوفيق، والسلامة من زيغ الشيطان الرجيم.

الدولة، فمَن دونهم، مقدَّماً على سائر الصوفية.

حتى توفي ليلة الاثنين، سادس ذي الحجة، سنة إحدى وعشرين بعد الألف، ودفن إلى جانب جد أبيه، بزاويتهم داخل باب الشاغور، بعد أن حُمل إلى الجامع، وصلى عليه إماماً بالناس أحمدُ العيثاوي.

قال النجم الغزي: واستكتبني على فتوى رُفعت قديماً إلى شيخ الإسلام تقي الدين ابن قاضي عجلون وطبقته، في طبول الصمادية، هل تحرم أم لا؟ فأجابوا بالحل، قياساً على طبل الجهاد؛ فإنه لتهييج الشجعان للحرب والقتال، وطبل الصمادية لتهييج قلوب الذاكرين[1]، قال: ثم بسط والدي الجواب عن ذلك بما لا مزيد عليه، ثم طلب مني المترجم بإشارة شيخنا شيخِ الإسلام أحمدَ العيثاوي، الكتابةَ عليه، فكتبت هذه الأبيات:

الحمــدُ لله الــذي قــد أَنْهَجَــا	لمــن أَراد الخيــرَ منــه منهجــا
ثــم صــلاتُه مــعَ الــسلامِ	علــى النبــيِّ ســيدِ الأنــامِ
وآلــهِ الخيــرةِ الأطهــارِ	وصحبِــه البــررةِ الأخيــارِ
وبعــدُ إن فــي جــوابِ والــدي	كفايــةً لمبتغــي الفوائــدِ
لــيسَ علــى جوابِــه مزيــدُ	فإنــه مهــذَّبٌ ســديدُ
بــيّن مــا ألهمــه الله عــلا	مــن حكمــه الــشرعي ثــم فــصّلا
رحمَــه اللهُ تعــالى وشــكر	مــسعاه مــا حــدا الحــادي وذكــر
وإنمــا طريقــةُ الــصّمادي	طريقــةٌ واضــحةُ الــسَّدادِ

---

(١) وهذا من تلبيس الشيطان وتدليسه على جهلة المتصوفة.

ليس بها هزلٌ ولكن جِدُّ ... ومن قفاها سعد منه الجدُّ

ولم تزلْ شيوخُنا بصيرَهْ ... تدعو إلى الله على بصيرَهْ

أحوالهم ظاهرةٌ وصادقَهْ ... وكم بدْت على يديهم خارقَهْ

لاسيَّما أبو مسلم الذي ... عطرنا منه بطيبه الشذي

كان يحملُني وقد دعا لي ... بدعوةٍ صالحةٍ ترجى لي

وبعدَه والدُه المكرَّمُ ... طريقُه مثلُ اسمِه مُسَلَّمُ

كان لنا مؤاخياً في اللهِ ... ولم يكن عن ربِّه با للآهي

وبعدَه الشيخُ الحفيدُ عيسى ... قد صارَ عصرنا به مأنوسا

فاقَ الجدودَ بالعلومِ والشِّيَمْ ... ومن يُشابهْ أَبَهُ فما ظلمْ

فربُّنا يرحَم منهم مَنْ سلفْ ... ويمنحُ التوفيق فضلاً من خَلَفْ

فإنما أرجو الدعاءَ منهمُ ... ورِضا اللهِ تعالى عنهمُ

قد قاله النجمُ هو ابنُ الغَزِّي ... الشافعي معترفاً بالعجزِ

في شهرِ ذي الحجةِ من ثمانِ ... عشرةَ بعدَ الألفِ وهو ثاني

بحمدِ ربِّه مصلياً على ... محمدٍ والآلِ والصحبِ الولا

قال: وقولي: «وهو ثاني»؛ أي: لاوي عنانَ اللسان والقلم، إلى ما بدأ به من الحمد والصلاة، أو المراد: وهو ثانياً، فوقف عليه على لغة ربيعة، و«بحمد ربه» هو الخبر؛ أي: وهو بحمد الله مصلياً على نبيه آخراً، كما فعل ذلك أولاً، ولا يجوز أن يكون من الثناء؛ لأن الفعل منه أثنى. انتهى كلام النجم ـ رحمه الله ـ.

[١٥٤٧] عيسى بن أحمد العقيلي[١].

كان من المستغرقين في حب الله، التاركين لما سواه، المنهمكين في طاعاته، الساعين في رضاه، وكان واسع الحال، عظيم المقال، وممن زهد في الدنيا وشهواتها، ورغب[٢] في الآخرة وجناتها، وعمل بما علم، فأورثه الله علمَ ما لا يعلم.

وكان علمه كهيئة المكنون، الذي لا يعرفه إلا مَنْ هم بالله عارفون، وكان في غيبته يسيح في البراري والقفار، ويطلع إلى الجبال، ولا يقر له قرار، ونقل عمن رآه: أنه كان يدخل إلى الهيجا وفيها الأُسد، ويقرب منهم ولا يضروه، وتصدر عنه مقالاتٌ عظيمةٌ، يشير فيها إلى علومٍ ربانيةٍ، ومقاماتٍ صمديةٍ.

ومن زهده: أنه مات له أخٌ، وكان ذا مالٍ كبيرٍ، كان من جملة ورثته مع إخوته، فأعطوه حقه من الإرث، وكان عظيماً، ففرقه عليهم، ولم يأخذ منه شيئاً، وأما كراماته، فشهيرةٌ كثيرةٌ، منها: أنه كان في اللحية عبدٌ أسودُ معروفٌ، كبير الوجه والشفتين، فكان يأتي إليه، وهو جالسٌ بين الناس، ويقول لهم كلاماً، معناه: أنه يتولى عليكم عبدٌ يشبهه في خلقه، وتنفذ أموره، وتعلو كلمته، فمات صاحب الترجمة، وقدم بعده النقيب سعيد المجذلي، من عبيد الحسن بن القاسم، متولياً اللحيةَ، على ما كان يخبر به؛ من مشابهته له في خلقه.

وكانت وفاته في حدود سنة أربعين بعد الألف باللحية ـ رحمه الله تعالى ـ.

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٣٥).

(٢) في الأصل: وراغباً.

[١٥٤٨] **السيد عيسى بن لطف الله بن المطهر ابن الإمام يحيى شرف الدين**[1].

قال ابن أبي الرجال في «تاريخه»: كان هذا السيد أديباً لبيباً، رقيق الحاشية، عذب الناشئة، مفاكهاً ملاطفاً، حافظاً للآداب والأمثال، مجرياً لها في مجاريها، خارجةً كلماته في الناس مخارج الأمثال، بها يتمثل المتمثل، وكان يغلب عليه اللطافة، وحسن الملاطفة للناس، ويعم بذلك طبقاتهم.

وكان مطلعاً على التاريخ، لم يزل العلامة أحمد بن سعد الدين يتعجب من اطلاعه وروايته، وله التاريخ المشهور الذي سماه: «رَوح الرُّوح» صفته[2] في الظاهر للأروام، وأفاد فيه أيام سلفه ـ رحمهم الله ـ.

وكان عارفاً بعدّة علوم، يعدّ في علماء النحو، وما يلحق به، وغلب عليه علم النجوم، فصار أظهر ما ينسب إليه، وإلا، فعنده علوم أخرى.

وكنت اكتفيت بذكره في ترجمة القاضي العلامة إبراهيم بن يحيى السحولي، حتى رأيت له قصيدةً كتبها إلى الإمام القاسم، يتنصل عما ينسبه الناس إليه، فعلمت أن فضيلته محروسة، وكان توجيهها من كوكبان إلى شهارة، في شهر ربيع الآخر سنة اثنتين وعشرين وألف، وهي:

ما شاقني سجعُ الحمامَهْ ... سَحَراً ولا برقُ الغمامَهْ

---

(١) «خلاصة الأثر» للمحبي (٣/ ٢٣٦)، «نفحة الريحانة» للمحبي (٣/ ٣٢٦) (٢٠٤)، «البدر الطالع» (١/ ٥١٦)، «نسمة السحر» للصنعاني (٢/ ٤٦٤) (١٢٧)، «طيب السمر» للحيمي (١/ ١١١).

(٢) كذا في الأصل، ولعل الصواب: صَنَّفه.

كــــلاَّ ولا أذكــــى الجـــوى ذكــرُ العُــذيب وذكـــرُ رامَـــهْ

ودمـــوعُ عينــــي مـــا جـرت شـــوقاً إلـــى لُقيـــا أُمامَـــهْ

هيهـــــاتَ قلبـــــي لا يميــــــ ـــــل إلـــى مليـحٍ هـــزَّ قامَـــهْ

مـــــا شـــــاقني إلا الـــــذي نفـــــسي عليــــه مُـــستهامَهْ

بــــــرٌّ كــــــريمٌ ماجـــــدٌ حـــــاز الجلالـــــةَ والـــــشهامَهْ

وحــــوى الفخــــارَ جميعَـــــه حتـى غـدا فـي الـدهرِ شـامَهْ

لـــــبسَ الفـــــضائلَ حلَّـــــةً فبـــدَت لهـــا منـــه وَســـامَهْ

فــــردٌ تفـــرَّدَ فـــي العـــلا ولديـــــه للعَليـــــا علامَـــــهْ

أعنــــي أميـــرَ المـــؤمنينَ مغيـــــثَ أربـــــابِ الظُّلامَـــــهْ

القاســـمَ المنـــصورَ مَـــن زانَ الخلافـــــةَ والإمامَـــــهْ

ركــــن النبـــــوة شــــاده والبيــــتُ ترفعُـــه الدعامَـــهْ

عَــــرِّجْ بمربعِــــه الكريــــــ ـــم تـرى بـه وجـهَ الكرامَـــهْ

وتــــرى جــــواداً دونَـــــه فـي الجـود طلحـةُ وابـنُ مامَـهْ

أعــــداؤه شــــهدَتْ لـــــه بالفـــضل طُـــرّاً والزعامَـــهْ

والفـضلُ مـا شـهدت بـه الــ أعـــداءُ لا أهـــلُ الرحامَـــهْ

أحيـــا الجهـــادَ فكَـــمْ لـــه يـومٍ حكـى يـومَ اليمامَـــهْ

وأســـألْ بـــذاك ســـيوفَهُ كـم أَذهبـتْ فـي الجَـوِّ هامَـهْ

فَطِــــنٌ يكــــون بـــسلمِه بـــدراً وفـــي الهيجـــا أســـامَهْ

مـولايَ يـا قمـرَ الهـدى الــ ـــمذكورَ فـي وقـتِ الإقامَـــهْ

يـــا مـــن أرى حُبِّـــي لـــه   أســنى الــذخائِر فــي القيامَــهْ

وَجَّهْـــتُ نحـــوَكَ ســـيدي   عِقْـــداً أجـــزتُ بـــه نظامَـــهْ

عِقْـــداً مـــن الـــنظم   الــذي ســلبت خرائــدُه قُدامَــهْ

يُهـــدي إليـــك تحيتـــي   ويزيـــلُ عـــن سِـــرِّي لثامَـــهْ

أيـــضاً ويوضـــحُ حجتـــي   والحـــقُّ مـــسلَكُه أمامَـــهْ

لا تأخـــــذَنِّي ســـــيدي   بمقالـــة حـــازت ذَمامَـــهْ

ويقـــولِ واشٍ قـــد جنـــى   لـــضعيفِ فكرتـــهِ أثامَـــهْ

قـــد قـــال إنـــي قائـــلٌ   بنجـــومِ ســـعدٍ أو شـــآمَهْ

ونفيـــتُ صـــنعَة ربنـــا   ووثقـــت عمـــداً بالنجامَـــهْ

لا والـــذي جعـــلَ النجـــو   مَ بليلِهـــا تجلـــو ظَلامَـــهْ

مـــا قُلْـــتُ إلا أنهـــا   للنـــاس والأنـــوا علامَـــهْ

ولمـــن أتـــى مـــستغفراً   لله رجـــوى فـــي الـــسلامَهْ

مـــولاي وأســـألْ لائمـــي   فلقـــد تهـــوّر فـــي الملامَـــهْ

مـــا صـــيرَ القمـــرَ التمـــامَ   محقَّـــراً يحكـــي القُلامَـــهْ

ولِـــمَ الخـــسوفُ يُـــصيبه   فـــي الـــضعف إن وافـــى تمامَـــهْ

والـــشمسُ والأفـــلاكُ تـــو   ضـــح لـــي بهيئتهـــا كلامَـــهْ

فبِـــها عرفـــتُ بأنهـــا   خَلْـــق الـــذي يُحيـــي رُمامَـــهْ

فـــي موقـــفٍ لا ينفـــع الـــ   ـــجاني بـــه كثـــرُ الندامَـــهْ

وعليـــكَ صـــلَّى خـــالقي   وحبـــا ربوعَـــكَ بالكرامَـــهْ

واسلَمْ ودُم في نعمةٍ ... يا خيرَ من رفَع العِمامَهْ

ومن شعره: قوله لما مرّ ببعض مآثر جده المطهر:

قلتُ لما رأيت مُرتَبَع الملـ ... ـكِ بسوحِ المطهرِ الملك مُخْلَى
أبداً تستَرِدُّ ما تهبُ الدنـ ... ـيا فيا ليتَ جودَها كان بُخلا

توفي سنة سبع وأربعين بصنعاء، ودفن بخربة الروض.

ورثاه السيد العلامة محمد بن إبراهيم المفضل بقصيدةٍ بديعةٍ.

قلت: وذكره السيد العلامة أحمد بن حميد الدين في كتابه «ترويح المشوق»، فقال: العلامة المطلع في سماء بلاغته الشموس المرصدة بالثواني والدقائق، الجامع لحقائق الحقائق، ودقائق الدقائق، المتصرف في القلوب بهزله وجده، النازلة لطائف محاضراته في بروج سعده، روح الروح على الحقيقة، وزينة المجالس الذي أحيا الآداب، وأقام سوقه، الصدر في صدور الكبر، البازي المنقض على محاسن الكلام، فإن تكلم متكلمٌ في حضرته، قيل له: أطرق كرا.

وأورد من شعره قوله:

ظَبْيٌ على ظَبْيٍ سَطَا ... منه المُعَنَّى خلَّطَا
يا هاجِري كُنْ واصِلِي ... فواصلٌ نَجْلُ عَطَا
نعيت بالصَّدِّ ولا ... أقُولُ نعى الخُلَطَا
لمَّا رأتْك مُقْلتِي ... قلتُ هلالٌ هَبطَا
أردتُ منه وَصْلَهُ ... ورُمْتُ أمَراً فُرُطَا

وَرامَ صَــــبْرِي عـــــاذِلي فقُلـــتُ رُمْــتَ الـــشَّطَطَا

قلبـــــي عليـــــه ذائـــــبٌ ومنـــــه مــــا قَـــد قَنِطَـــا

إذا ســــــلَوْتُ عِـــــشْقَه فـــسَلْوتي عــــينُ الخَطَـــا

أقْـــــسمتُ مــــا أترُكُــــه ولــــو بـــشَيْبٍ وُخِطَـــا

ولــــو إلـــى المـــوتِ دعـــا حثَثْـــتُ فـــي الـــسيرِ الخُطَـــا

وربُّنـــــا ســـــبحانَه يغفـــرُ فـــي الحـــبِّ الخَطَـــا

وذكر لي القاضي حسين بن الناصر المهلا ـ فيما كتبه إليّ ـ: أن والده وجده، بينهما وبين المترجم مكاتباتٌ ورسائل بديعة، نظماً ونثراً، قال: وكان نهايةً في علم الفلك، وله فيه غرائب، ورأيت لوالدي ـ رحمه الله ـ أبياتاً أجاب بها عليه، وقد سأله عن بيض السمك:

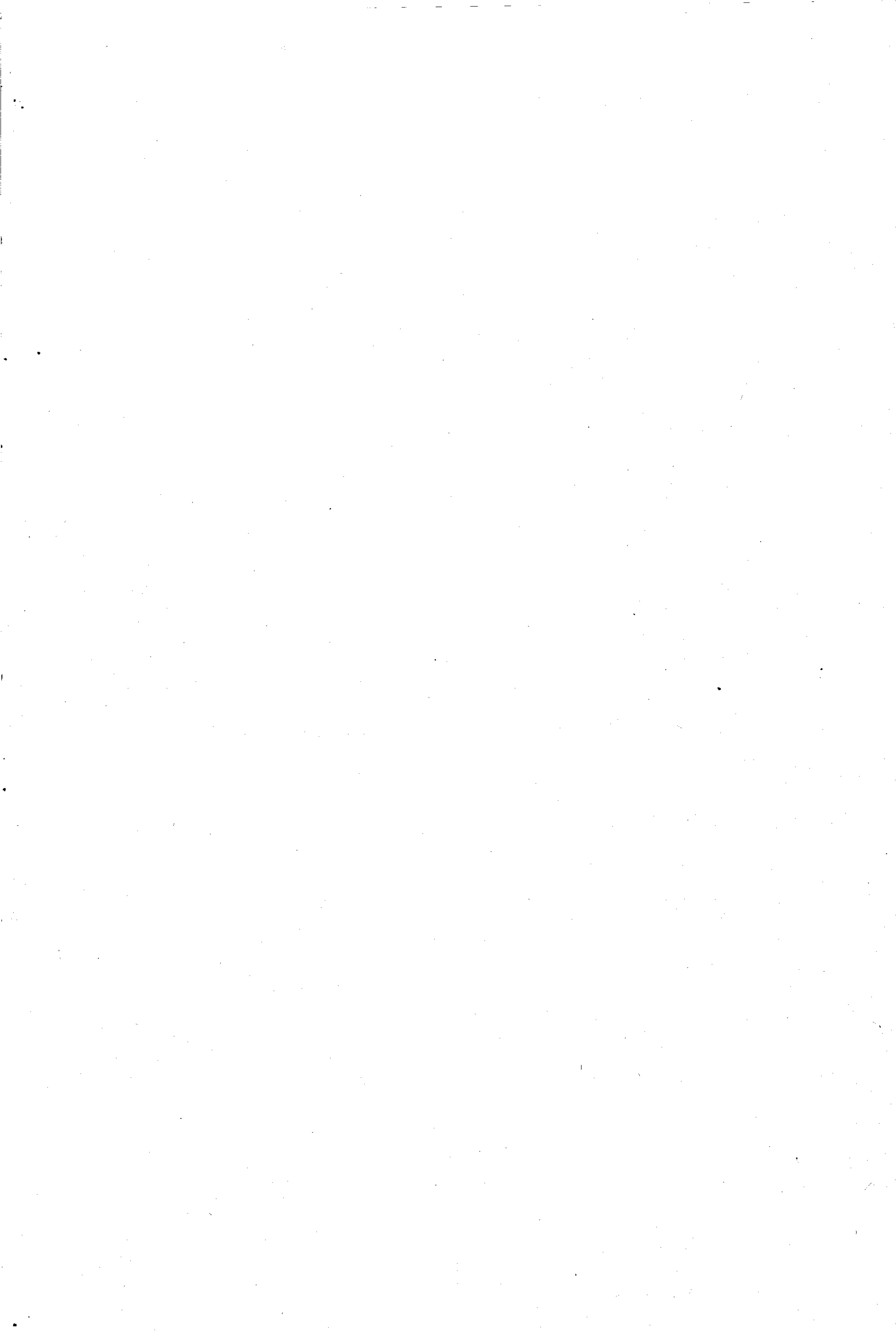
لعمـرُك مـا رومُ سـمنِ الـدجاجِ بـأعظمَ مـن رومِ بـيضِ الـسمَكْ

ومـــن رامَ مـــن بحـــرِه مثـــلَ ذا يـضمُّ إلـى الفلـكِ علـمَ الفلـكْ

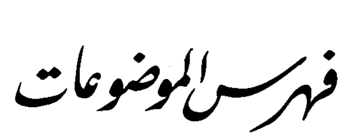
فيـــا مـــن بنـــى مجـــدَه جـــدُّه ومـن لـسماءِ العـلا قـد سـمكْ

ألا ترقُـب النـسرَ وقـتَ الطلـوع وأنـــتَ علـــيم وذا الفَـــنُّ لـــكْ

❐❐❐







فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة

